د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم

من أذكار الكتاب والسنة

تعليق وشرح

السبتي بن العربي غديري الجزائري

راجعه

مؤلف حصن المسلم

دار الامام مالك


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: 102]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: 01]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أما بعد:

إن الأذكار الشرعية، والأدعية النبوية، من أجل وأعظم العبادات التي شرعها الله عز وجل لعباده وبيَّنها النبي ﷺ لأمته، وهي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصُل لا يعبِّر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان[1]، وما زالت عناية أهل العلم مستمرة بها، فألّفوا فيها المؤلفات العظيمة وصنّفوا فيها المصنّفات الجليلة وحثّوا على قراءتها وإملائها ونشرها.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده، يتعين نقله، ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله. [2].

وقال أيضا: فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين، وسنن النسائي، ورياض النواوي **وأذكاره**، تفلح وتنجح... [3].

(1) مجموع الفتاوى (22/ 511).

(2) السير (10/ 604).

(3) السير (19/ 340).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: ويستحب أيضا إملاء أحاديث الترغيب في فضائل الأعمال وما يحث على القراءة وغيرها من **الأذكار**(1).

ومن لطائف الأمثال: بع الدار واشتر الأذكار. أي: (كتاب الأذكار).

ومن بين هذه المصنفات كتاب (حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة) لمؤلفه الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني حفظه الله. ولقد جعل الله عزّ وجلّ لهذا الكتاب -على صغر حجمه- قبولا واسعا عند العامة فضلا عن طلبة العلم، ولما كان الكتاب بهذه المنزلة أحببت أن أجمع شرحا عليه يفهم من خلاله القارئ الكريم معاني ومدلولات هذه الأذكار النبوية إذ لا بد أن يعقل ويفهم المرء ما يلفظه من ذكر ودعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وتدبُّر الكلام إنما يُنتفع به إذا فُهم(2).

وقال أيضا: والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإنه إن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين(3).

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته؟(4).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: فقراءة آية بتفكُّر وتفهُّم خير من قراءة ختمة بغير تدبُّر وتفهُّم وأنفعُ للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن(5).

ومما لا شكَّ فيه أن القرآن الكريم **أفضل الذكر** وأحسنه، فهو كلام الله وصفته، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الربِّ على سائر الخلق والأنام.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله أيضا: وأفضلُ الذِّكر وأنفعُه ما واطأَ فيه القلبُ اللسانَ، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيَه ومقاصدَه(6).

فاستعنت بالله تعالى، وتوكلت عليه، وما توفيقي إلا به، وسمّيته:

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (2/ 151).

(2) مجموع الفتاوى (15/ 108).

(3) مجموع الفتاوى (23/ 55).

(4) تفسير الطبري (1/ 10).

(5) مفتاح دار السعادة (1/ 553).

(6) الفوائد (ص268).

(فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم)[1].

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، إنه سبحانه جواد كريم.

تنبيه: إني لست في الحقيقة مؤلِّفا ولا مصنِّفا إنما مثلي كما قال القائل:

فـدع عنـك الكتابـة فلسـت منها ... ولـو سـوَّدت وجهـك بالمـداد[2]

وإنما لي مجرد الجمع لأقوال أهل العلم المحققين، وشراح الحديث المدققين، ومرتب لها في كل حديث يناسبها، هذا مع قلة ما لدي من المراجع والتي أغلبها عبارة عن كتب الكترونية، كما حاولت جاهدا أن أعزو كل كلام لقائله للأمانة العلمية، وتجنب التكرار في شرح بعض الأدعية والأذكار لاشتراكها في الألفاظ، فأقتصر على شرح اللفظ مرة واحدة إلا ما اقتضت الحاجة إليه وأخيرا اعلم أيها القارئ الكريم ثبَّتك الله على صراطه المستقيم، وأرشدك إلى نهجه القويم، أن البضاعة مزجاة وهذا جهد المقلِّ فما كان من توفيق فمن الله وحده لا شريك له، وما كان من خطإٍ أو زلل فمن نفسي ومن الشيطان، كما أسأله سبحانه أن يجزيَ المؤلف صاحب الحصن خيرا، ويبارك لنا وله في أعمارنا وأوقاتنا وأزواجنا وذرياتنا، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصلَّى الله وسلَّم وبارك وأنعم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه السبتي بن العربي غديري الجزائري
ليلة: 01 محرم 1434هـ
الجزائـــر

(1) وهو شرح كامل على الكتاب، ثـمّ اختصرت الشرح وهذّبته وجعلته كالحاشية على الكتاب ليكون سهل الحمل في الأجياب* والنفع للطلاب وسميته: (حاشية حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة). ثم ظهر لي أيضا إفراد شرح أذكار الصباح والمساء والنوم في رسالة مستقلة لأهميتها وعظيم الحاجة إليها وسميتها: (شرح أذكار الصباح والمساء والنوم من حصن المسلم)، فأسأل الله جل وعلا أن ينفع بهذا العمل كما نفع بأصله إنه سبحانه سميع مجيب.

(2) انظر تذكرة الحفاظ (1/ 4). قال بعض السلف: لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم، ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد. وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله: ما نحن في ما مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال. ولكن حسبنا أن نتشبه بالقوم:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبّهوا ... إنّ التشبه بالكرام فلاح

وقد قيل قديما للحسن البصري رحمه الله: سبقنا القومُ على خيل دُهُمٍ ونحن على حُمُرٍ معقرة (أي مجروحة)، فقال: إن كنت على طريقهم فما أسرعَ اللَّحَاق بهم. اهـ

* أجياب وجيوب جمع مفرده: جيب. وجيب الثوب ما توضع فيه الدراهم ونحوها. انظر (المعجم الوسيط).



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فهذا مختصر اختصرته من كتابي: (الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة)[1] اختصرت فيه قسم الأذكار، ليكون خفيف الحمل في الأسفار.

وقد اقتصرت على متن الذكر، واكتفيت في تخريجه بذكر مصدر أو مصدرين مما وجد في الأصل، ومن أراد معرفة الصحابي أو زيادة في التخريج فعليه بالرجوع إلى الأصل، وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به من قرأه، أو طبعه، أو كان سببا في نشره، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، وﷺ على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر في شهر صفر 1409هـ

---

(1) وقد طبع الأصل المذكور، ولله الحمد، مع تخريج أحاديثه تخريجا موسعا في أربعة مجلدات حصن المسلم في المجلد الأول والثاني منها.



فضل الذِّكر

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: 152]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: 41]. ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: 35]. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205].

الشـرح

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: منزلة الذِّكر، وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون.

والذِّكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا. وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا. وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضْنَا تَدَاوينا بذكرِكُمُ فنتركُ الذِّكرَ أحيانا فننتكِسُ

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل، فإليه مفزعهم. فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتّجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم مأمورون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما، وقعودا، وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها، وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها. وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه، نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضا من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار. زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن. فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

وبالذكر يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه، كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي.

وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه والله أعلم. اهـ[1].

۞ قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: 152].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره كما قال تعالى على لسان رسوله: (**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم**)[2].

وذِكر الله تعالى أفضله: ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصا، ثم من بعده أمر بالشكر عموما، فقال: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقرارا بالنعم واعترافا، وباللسان ذكرا وثناء، وبالجوارح طاعة لله وانقيادا لأمره، واجتنابا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة[3].

---

(1) مدارج السالكين (2/ 440).

(2) رواه البخاري برقم (7405)، ومسلم برقم (2675).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص74).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها[أي هذه الآية] لكفى بها فضلا وشرفا[1].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحزاب: 41].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى المنعم عليهم بأنواع النعم، وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب[2].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: يأمر تعالى المؤمنين بذكره ذكرا كثيرا، من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح[3].

قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: 35].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أي: في أكثر الأوقات خصوصا أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة فجازاهم على عملهم بالمغفرة لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ لا يقدر قدره إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جُمدان، فقال: **(سيروا، هذا جُمدان، سبق المفَرِّدون)** قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: **(الذاكرون الله كثيرا، والذاكرات)**[5].

---

(1) الوابل الصيب (ص96).

(2) تفسير القرآن العظيم (11/ 180).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص667).

(4) تيسير الكريم الرحمن (ص665).

(5) رواه مسلم برقم (2676). قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (17 / 7):(جمدان):هو

وفي سنن أبي داود وغيره عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: (**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل، فصليا ركعتين، كتبا في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات**)[1].

وسئل الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات؟ فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء وفي الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا -وهي مبينة في كتاب عمل اليوم والليلة- كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، والله أعلم[2].

❁ قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: الذكر لله تعالى يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر الله عبده ورسوله محمدا أصلا وغيره تبعا له بذكر ربه في نفسه: أي مخلصا خاليا. ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: متضرعا بلسانك مكررا لأنواع الذكر. ﴿وَخِيفَةً﴾ في قلبك بأن تكون خائفا من الله وَجِلَ القلب منه، خوفا أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به. ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: كن متوسطا، لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا. ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أول النهار. ﴿وَٱلْءَاصَالِ﴾ آخره، وهذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية وفضيلة على غيرهما.

بضم الجيم وإسكان الميم. قوله: (سبق المفَرِّدون...) هكذا الرواية فيه المفرّدون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة، وهكذا نقله القاضي عن متقني شيوخهم وذكر غيره أنه روي بتخفيفها وإسكان الفاء، يقال: فرد الرجل وفرد بالتخفيف والتشديد وأفرد، وقد فسرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذاكرين الله كثيرا والذاكرات تقديره: والذاكرته فحذفت الهاء هنا، كما حذفت في القرآن لمناسبة رؤوس الآي. ولأنه مفعول يجوز حذفه، وهذا التفسير هو: مراد الحديث.

قال ابن قتيبة وغيره: وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، وجاء في رواية: هم الذين اهتزوا في ذكر الله أي: لهجوا به. وقال ابن الأعرابي: يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي. اهـ

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم (2 / 512): ويحتمل - وهو الأظهر - أن المراد بالانفراد الانفراد بهذا العمل وهو كثرة الذكر دون الانفراد الحسي، إما عن القرن أو عن المخالطة، والله أعلم. اهـ

(1) رواه أبو داود برقم (1309)، وابن ماجه برقم (1335)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) الأذكار (1/ 57).

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حُرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة، في الإشتغال به.

وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله آناء الليل والنهار، خصوصا طرفي النهار، مخلصا خاشعا متضرعا، متذللا، ساكنا، متواطئا عليه قلبه ولسانه بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه، وعدم غفلة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه[1].

- وقال ﷺ: **(مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ؛مَثَلُ الحَيِّ وَالْمَيِّتِ)**[2].

هذا لفظ الإمام البخاري رحمه الله، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله بلفظ: **(مثل البيت الّذي يذكر الله فيه، والبيت الّذي لا يذكر الله فيه، مثل الحيّ والميّت)**[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر.

وفي اللفظ الأول: جعل الذاكر بمنزلة الحي، والغافل بمنزلة الميت.

فتضمن اللفظان: أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور كما قيل:

فنسيانُ ذكرِ الله موتُ قلوبِهمْ ... وأجسامُهمْ قبل القُبورِ قُبورُ
وأرواحُهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتّى النُّشورِ نُشورُ

وكما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم فهي القبور الدوارس
وأرواحهم في وحشة من حبيبهم ... ولكنها عند الخبيث أوانس[4]

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص291).

(2) رواه البخاري برقم (6407).

(3) رواه مسلم برقم (779).

(4) مدارج السالكين (2/ 447).

وقال أيضا: ومن فوائد الذكر أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟[1].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي هذا التمثيل منقبة للذاكر جليلة وفضيلة له نبيلة وأنه بما يقع منه من ذكر الله عز وجل في حياة ذاتية وروحية لما يغشاه من الأنوار، ويصل إليه من الأجور كما أن التارك للذكر، وإن كان في حياة ذاتية فليس لها اعتبار بل هو شبيه بالأموات الذين لا يفيض عليهم بشيء مما يفيض على الأحياء المشغولين بالطاعة لله عز وجل، ومثل ما في هذا الحديث قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: 122]، والمعنى تشبيه الكافر بالميت وتشبيه الهداية إلى الإسلام بالحياة[2].

وقال الحافظ في (الفتح): فشبَّه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، **وقيل**: موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت اهـ[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قوله صلّى الله عليه وسلّم: (**مثل البيت الّذي يذكر الله فيه، والبيت الّذي لا يذكر الله فيه مثل الحيّ والميّت**) فيه الندب إلى ذكر الله تعالى في البيت وأنه لا يخلى من الذكر، وفيه جواز التمثيل، وفيه أن طول العمر في الطاعة فضيلة وإن كان الميت ينتقل إلى خير لأن الحيّ يستلحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات. اهـ[4].

-وقال ﷺ: (**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: (**ذِكْرُ الله تَعَالَى**)[5].

---

(1) الوابل الصيب (ص96).

(2) تحفة الذاكرين (ص17).

(3) فتح الباري (14/ 460).

(4) شرح مسلم (6/ 78).

(5) رواه الترمذي برقم (3377)، وابن ماجه برقم (3790)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

قوله: (**ألا أنبئكم**) أي: ألا أخبركم. (**ألا**) كلمة تنبيه، كأن المتكلم ينبه المخاطب على أمر عظيم الشأن، ظاهر البرهان. (**أنبئكم**) من النبإِ وهو الخبر، ومنه النبي، لأنه مخبر من الله.

قوله: (**بخير أعمالكم**) فيه دليل على أن الذكر خير الأعمال على العموم كما يدل عليه إضافة الجمع إلى الضمير، وكذلك إضافة أزكى وأرفع إلى ضمير الأعمال، **والزكاء**: النماء والبركة، فأفاد كل ذلك أن الذكر أفضل عند الله سبحانه وتعالى من جميع الأعمال التي يعملها العباد، وأنه أكثرها نماء وبركة، وأرفعها درجة، وفي هذا ترغيب عظيم فإنه يدخل تحت الأعمال كل عمل يعمله العبد كائنا ما كان[1].

قوله: (**وأزكاها**) أي: أطهرها، من الزكاة وهي الطهارة، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى: 14]. أي: تطهر. **أو**: من النّماء، يقال: زكى الزرع إذا نمى.

قوله: (**عند مليككم**) المليك: اسم من أسماء الله تعالى، والمليك والملك والمالك كلها من الملك[2]. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فهو ملكهم المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء، النافذ القدرة فيهم، الذي له السلطان التام عليهم[3].

قوله: (**وأرفعها في درجاتكم**) أي: منازلكم في الجنة.

قوله: (**وخير لكم من إنفاق الذهب والورق**) الورق: بكسر الراء ويسكن أي: الفضة. (**وخير لكم من أن تلقوا عدوكم**) أي: الكفار. (**فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**) يعني تقتلوهم ويقتلونكم بسيف أو غيره.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وعطف إنفاق الذهب والفضة على ما تقدم من عموم الأعمال مع كونه مندرجا تحتها يدل على فضيلة زائدة على سائر الأعمال كما هو النكتة المذكورة في عطف الخاص على العام، وهكذا قوله: (**وخير لكم من أن تلقوا العدو**) وهذا من عطف الخاص على العام لكون الجهاد من الأعمال الفاضلة، وطبقته

---

(1) تحفة الذاكرين (ص15).

(2) العلم الهيب (ص52).

(3) بدائع الفوائد (ص779).

مرتفعة على كثير من الأعمال، وفي تخصيص هذين العملين الفاضلين بالذكر أيضا بعد تعميم جميع الأعمال زيادة تأكيد لما دل عليه: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وما بعده من فضيلة الذكر على كل الأعمال، ومبالغة في النداء بفضله عليها، ودفع لما يظن من أن المراد بالأعمال ها هنا غير ما هو متناه في الفضيلة وارتفاع الدرجة وهو الجهاد والصدقة بما هو محبب إلى قلوب العباد فوق كل نوع من أنواع المال وهو الذهب والفضة[1].

قوله: (**قالوا بلى**) أي: الصحابة المخاطبون.

قوله: (**قال: ذكر الله تعالى**) قال الإمام الزرقاني رحمه الله في(شرح الموطإ): لأن سائر العبادات من الإنفاق وقتال العدو، وسائل ووسائط يتقرب بها إلى الله تعالى، والذكر هو المقصود الأسنى، ورأسه: لا إله إلا الله، وهي الكلمة العليا والقطب الذي تدور عليه رحى الإسلام، والقاعدة التي بني عليها أركانه، والشعبة التي هي أعلى شعب الإيمان، بل هي الكل وليس غيره: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء: 108]. أي: الوحي مقصور على التوحيد، لأنه القصد الأعظم من الوحي، ووقع غيره تبعا، ولذا آثرها العارفون على جميع الأذكار، لما فيها من الخواص التي لا تعرف إلا بالوجدان والذوق. اهـ[2].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد تكاثرت النصوص بتفضيل الذِّكر على الصدقة بالمال وغيرها من الأعمال[3].

فائدة: قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وقد استشكل بعض أهل العلم تفضيل الذكر على الصدقة وعلى الجهاد مع ورود الأدلة الصحيحة على أنهما من أفضل الأعمال، وقد جمع بعض أهل العلم بين ما ورد من الأحاديث المشتملة على تفضيل بعض الأعمال على بعض آخر، وما ورد منها مما يدل على تفضيل البعض المفضل عليه بأن ذلك باعتبار الأشخاص والأحوال، فمن كان مطيقا للجهاد قوي الأثر فيه فأفضل أعماله الجهاد، ومن كان كثير المال فأفضل أعماله الصدقة، ومن كان غير متصف بأحد الصفتين المذكورتين، فأفضل أعماله الذكر[4].

---

(1) تحفة الذاكرين (ص15).

(2) شرح الموطإ (2/ 161).

(3) جامع العلوم والحكم (2/ 66).

(4) تحفة الذاكرين (ص16).

قلت: هذا جمع حسن، وأحسن منه ما قاله الإمام المحقق، والعلامة المدقق ابن القيم رحمه الله: قال: والتحقيق في ذلك أن المراتب ثلاثة:

المرتبة الأولى: ذكر وجهاد، وهي أعلى المراتب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: 45].

المرتبة الثانية: ذكر بلا جهاد، فهذه دون الأولى.

المرتبة الثالثة: جهاد بلا ذكر، فهي دونها، والذّاكر أفضل من هذا.

وإنما وُضِع الجهاد لأجل ذكر الله، فالمقصود من الجهاد أن يُذكر الله ويعبدَ وحده، فتوحيده وذكره وعبادته هو غاية الخلق التي خلقوا لها. اهـ[1].

وقال أيضا: وفي الترمذي عن النبي ﷺ، عن الله عز وجل أنه يقول: (**إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه**)[2]. [ومعنى قوله: (**وهو ملاق قرنه**)، إنما يعني عند القتال، يعني أن يذكر الله في تلك الساعة].

وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى. فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون[3].

- وقال ﷺ: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**)[4].

هذا الحديث من الأحاديث القدسية، وتسمى الإلهية، وتسمى أيضا الربانية، والحديث القدسي ما رواه النبي ﷺ عن الله عز وجل بلفظه ومعناه ولم يتعبد بتلاوته.

---

(1) تهذيب السنن (ص1315).

(2) رواه الترمذي برقم (3580)، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم (3135).

(3) الوابل الصيب (ص88).

(4) رواه البخاري برقم (7405)، ومسلم برقم (2675). وقد تقدم.

يعني: لم يكن بين دفتي المصحف. ومعنى كونه قدسيا أنه جاء من القدوس عز وجل يعني: أنه حديث مطهر عال على كلام الخلق[1].

قوله: (**أنا عند ظن عبدي بي**) معناه: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها تمسكا بصادق وعده وجزيل فضله. ويؤيده قوله ﷺ: (**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**) [2] [3].

وحسن الظن يكون مع حسن العمل، وقد تشعر بالإضافة في قوله: (**عبدي**) بحسن العمل، أي أنه عبد لله، وليس للشيطان أو للدنيا أو غيرهما، والله أعلم.

قوله: (**وأنا معه إذا ذكرني**) أي: معه بالإجابة، والتوفيق، وبسماع كلامه وإثابته عليه أو بحسب ما قصد في ذكره، ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم، فهذه المعية هي المعية الخاصة المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: 46].

ومعية الله تعالى بالنسبة لعباده نوعان: معية عامة للخلق كلهم كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ﴾ [المجادلة: 07]. وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ [الحديد: 04]. ومن مقتضى هذه المعية إطلاعه تعالى وعلمه بكل شيء، ومراقبته، وشهوده أفعال عباده، فتفيد الخوف منه تعالى.

والنوع الثاني: المعية الخاصة وهي المذكورة في هذا الحديث ونحوه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: 128]. وقوله: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: 40]. ومن مقتضى هذه المعية النصر والتأييد والهداية، والحماية.

ومعيته تعالى لخلقه، لا تخالف علوه، واستواءه على عرشه، فكل ذلك حق على ظاهره، وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة كما جمع بينهما في قوله

(1) شرح الأربعين النووية للشيخ صالح آل الشيخ (ص341)، وقد بين الشيخ حفظه الله أن هذا التعريف هو الذي يتفق مع عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله عز وجل خلافا للمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن شابههم ببيان يروي الغليل ويشفي العليل.

(2) رواه الترمذي برقم (3479)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (596).

(3) المفهم للقرطبي (7/ 5).

تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: 04]. فأخبر تعالى أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا.

قوله: (**فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**) أي: إن ذكر ربه سرا في نفسه، فإن الله تعالى يذكره سرا في نفسه[1]، من غير إطلاع أحد من خلقه على ذلك.

وفيه إثبات النفس لله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: 11].

قوله: (**وإن ذكرني في مَلإٍ ذكرته في مَلإٍ خير منهم**) الملأ: الجماعة، والمعنى أن العبد إذا ذكر ربه ظاهرا في جماعةٍ يسمعون ذكره لربه، فإن الله تعالى يذكره ويثني عليه في جماعة أفضل من الجماعة الذين ذكر العبد ربه فيهم، لأن الذين يذكر الله عبده فيهم في الملإ الأعلى عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قوله: (**وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**) قرب الله تعالى من عابده، وداعيه ثبت في نصوص كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]. وقوله ﷺ: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر، زاده الرب قربا إليه، حتى يكون كالمتقرب بذراع، فكذلك قرب الرب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب، والإيمان به، وهو المثل الأعلى[3].

وبهذا يتبين أن معنى قوله: (**إذا تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا**) أن العبد إذا تقرب إلى ربه بطاعته والإقبال عليه، أن الرب تعالى يزيده قربا إليه، جزاء من جنس عمله، وأكثر من قرب العبد الذي حصل باختياره.

وقال (أي شيخ الإسلام): فالساجد يقرب الرب إليه فيدنو قلبه من ربه، وإن كان بدنه على الأرض، ومتى قرب أحد الشيئين من الآخر، صار الآخر قريبا إليه

---

(1) انظر للفائدة (ص238) عند شرح الحديث رقم (94)-(20).

(2) رواه مسلم برقم (482).

(3) مجموع الفتاوى (5/ 510).

بالضرورة وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته، كما أن من قرب من مكة قربت مكة منه[1]. **وقال أيضا**: وقربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته، لا يستلزم أن تخلُو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف[2].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد بينّا أنه سبحانه قريب من أهل الإحسان ومن أهل سؤاله بإجابته، ويوضح ذلك أن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه، فيقرب ربه منه لما يقرب إليه بإحسانه يقرب تعالى إليه، فإنه من تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا، ومن تقرب منه ذراعا تقرب منه باعا، فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قربا ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه، كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل وهو على عرشه، ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة وهو على عرشه، فإن علوه سبحانه على سمواته من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عاليا ولا يكون فوقه شيء البتة كما قال أعلم الخلق به: **(وأنت الظاهر فليس فوقك شيء)** وهو سبحانه قريب في علوه عال في قربه كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا في سفر مع النبي ﷺ فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: **(أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)**[3]. فأخبر ﷺ وهو أعلم الخلق به أنه أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سمواته على عرشه مطلع على خلقه، يرى أعمالهم ويعلم ما في بواطنهم وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر[4].

قوله: **(وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا)** قال الخطابي: الباع معروف وهو قدر مد اليدين، وقال الباجي: الباع طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره وذلك قدر أربعة أذرع. أفاده الحافظ في (الفتح).

قوله: **(وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)** الهرولة: السرعة في المشي، بين المشي والعدْو. وهو تمثيل لكرم الله وجوده على عبده، وأنه أقبل إليه، فهو سبحانه أسرع إقبالا وتفضلا

(1) مجموع الفتاوى (5/ 509).

(2) مجموع الفتاوى (5/ 460).

(3) رواه مسلم برقم (2704).

(4) مختصر الصواعق المرسلة (ص1255-1257).

على عبده، من غير مقابل يناله من العبد، بل هو الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه.

ويؤخذ من الحديث: عظم فضل الله وكرمه، وعظم **فضل الذكر**[1].

فائدة: قال الشيخ الألباني رحمه الله: اشتهر عند المتأخرين من علماء الكلام -خلافا للسلف- تأويل هذه الصفات المذكورة في هذا الحديث، من (النفس) و(التقرب) و...، وما ذلك إلا لضيق عطنهم وكثرة تأثرهم بشبهات المعتزلة وأمثالهم من أهل الأهواء والبدع، فلا يكاد أحدهم يطرق سمعه هذه الصفات إلا كان السابق إلى قلوبهم أنها كصفات المخلوقات، فيقعون في التشبيه، ثم يفرون منه إلى التأويل ابتغاء التنزيه بزعمهم، ولو أنهم تلقوها حين سماعها مستحضرين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لما ركنوا إلى التأويل، ولآمنوا بحقائقها على ما يليق به تعالى، شأنهم في ذلك شأنهم في إيمانهم بصفتي السمع والبصر وغيرهما من صفاته عز وجل، مع تنزيهه عن مشابهته للحوادث، لو فعلوا ذلك هنا لاستراحوا وأراحوا، ولنجوا من تناقضهم في إيمانهم بربهم وصفاته. فاللهم هداك[2].

-وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: **(لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله)**[3].

قوله: (إن شرائع الإسلام) هي جمع شريعة. قال الطيبي: الشريعة مورد الإبل على الماء الجاري والمراد ما شرع الله وأظهره لعباده من الفرائض والسنن. انتهى. قال القاري: الظاهر أن المراد بها هنا النوافل لقوله: (قد كثرت عليّ) بضم المثلثة ويفتح أي: غلبت علي بالكثرة حتى عجزت عنها لضعفي. (فأخبرني بشيء) قال الطيبي: التنكير في (بشيء) للتقليل المتضمن لمعنى التعظيم كقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ومعناه: أخبرني بشيء يسير مستجلب لثواب كثير (أتشبث به) أي: أتعلق به وأستمسك به. ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه، قاله الطيبي.

---

(1) استفدت معظم هذا الشرح من كتاب (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري) للغنيمان (1/ 263-271).

(2) الترغيب والترهيب (ص610).

(3) رواه الترمذي برقم (3375)، وابن ماجه برقم (3793)، وصححه الشيخ الألباني في سنن الترمذي.

قوله: (**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**) أي: طريا مشتغلا قريب العهد منه وهو كناية عن المداومة على الذكر[1].

قال في (شرح المشكاة): رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أنَّ يبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن مداومته الذكر. اهـ[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فدلّه النّاصح ﷺ على شيء يبعثه على **شرائع الإسلام والحرص عليها** والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبّه وأحبّ ما يحبّ، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فلذلك دلّه ﷺ على ما **يتمكّن به** من شرائع الإسلام، وتسهل به عليه، وهو ذكر الله عزّ وجلّ[3].

قلت: هذا فهم ثاقب واستنباط بديع من العلامة ابن القيم فاللهم يا ربّ ارزقنا الفهم في دينك.

وفي الحديث من الفوائد: حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم على الخير، وسؤالهم عن أمور الدين، وعن الأمور الجامعة التي يحصلون فيها الأجور العظيمة، وبالله التوفيق.

-وقال ﷺ: (**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ؛ وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**)[4].

قوله: (**من قرأ حرفا من كتاب الله**) أي: القرآن. (**والحسنة بعشر أمثالها**) أي: مضاعفة بالعشر وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾. والحرف يطلق على حرف الهجاء والمعاني والجملة المفيدة والكلمة المختلف في قراءتها، وعلى مطلق الكلمة. ولذا قال رسول الله ﷺ: (**لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف. ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**)[5].

مسألة: توضيح المراد بالحرف في الحديث؟

---

(1) تحفة الأحوذي (9/ 315).

(2) الكاشف عن حقائق السنن(ص1734).

(3) الوابل الصيب (ص184).

(4) رواه الترمذي برقم (2910)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (6469).

(5) تحفة الأحوذي (8/ 226).

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله: سألت شيخنا شيخ الإسلام ابن كثير رحمه الله تعالى: ما المراد بالحرف في الحديث؟ فقال: الكلمة، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: **(من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، لا أقول الٓمٓ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)** وهذا الذي ذكره هو الصحيح إذ لو كان المراد بالحرف حرف الهجاء لكان ألف بثلاثة أحرف ولام بثلاثة وميم بثلاثة وقد يعسر على فهم بعض الناس فينبغي أن يتفطن له فكثير من الناس لا يعرفه، وقال لي بعض أصحابنا من الحنابلة إنه رأى هذا في كلام الإمام أحمد رحمة الله عليه منصوصا والله أعلم[1].

وقال الإمام ابن مفلح رحمه الله: واختار الشيخ تقي الدين [أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله] أن المراد بالحروف الكلمة، سواء كانت اسما أو فعلا أو حرفا أو اصطلاحا، واحتج بالخبر المذكور: فلولا أن المراد بالحروف الكلمة لا حرف الهجاء لكان في ألف لام ميم تسعون حسنة، والخبر إنما جعل فيها ثلاثين حسنة، وهذا وإن كان خلاف المفهوم والمعروف من إطلاق الحرف فقد استعمله الشارع هنا، والله سبحانه وتعالى أعلم بمنه وكرمه وفضله[2].

-وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّةِ فقال: **(أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إلى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيْعَةِ رَحِمٍ؟)** فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك. قال: **(أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ، أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ)**[3].

قوله: (ونحن في الصُّفَّةِ) الصّفّة: بضم الصاد المهملة، وتشديد الفاء: سقيفة كانت في مؤخرة المسجد النبوي، يأوي إليها الفقراء. قال في النهاية (ص520):أهل الصُّفَّة:هم فقراء المهاجرين،ومن لم يَكُن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مضلّل في مسجد المدينة يسكنونه.اهـ

قوله: **(أيكم يحب أن يغدو)** أي: يذهب في الغدوة، وهي أول النهار.

قوله: **(إلى بطحان)** -بضم الباء وسكون الطاء-اسم واد بالمدينة، سمي بذلك لسعته وانبساطه، من البطح وهو البسط. **(أو العقيق)** [بفتح العين المهملة، وبقافين، الأولى

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 454).

(2) الآداب الشرعية (1/ 688).

(3) رواه مسلم برقم (803).

مكسورة، بينهما ياء تحتانية ساكنة]يريد به العقيق الأصغر، وهو واد على ثلاثة أميال، وقيل: على ميلين من المدينة، عليه أموال أهلها. وإنما خصهما بالذكر، لأنهما أقرب المواضع التي يقام فيها أسواق الإبل إلى المدينة.

قوله: (**فيأتي بناقتين كوماوين**) بفتح الكاف وسكون الواو[تثنية كوماء]، وهي الناقة العظيمة السنام المشرفة. وإنما ضرب المثل بها، لأنها من خيار مال العرب. وفي رواية أبي داود: (**كوماوين زهراوين**) زهراوين: تثنية زهراء، وهي التي تميل إلى البياض من كثرة السمن.

قوله: (**في غير إثم**) أي في غير ما يوجب إثما، كسرقة، وغصب، سمَّى موجب الإثم إثما مجازا. قوله: (**ولا قطيعة رحم**) أي وفي غير ما يوجب قطع رحم، وهو تخصيص بعد تعميم.

قوله: (**أفلا يغدو**) أي: أيترك ذلك، فلا يغدو (**أحدكم إلى المسجد، فيعلمَ**) -بفتح الياء وسكون العين- أي: فيتعلم آيتين (**أو يقرأ**) (**أو**) هنا للشك من الراوي.

قوله: (**آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث**) أي من الإبل. قوله: (**وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن**) جمع عدد (**من الإبل**) بيان للأعداد. فقوله: (**ومن أعدادهن من الإبل**) متعلق بمحذوف تقديره: وأكثر من أربع آيات خير من أعدادهن من الإبل، فخمس آيات خير من خمس من الإبل، وكذلك الست، والسبع، إلى ما فوق من الأعداد.

وقيل: يحتمل أن يكون المعنى أن آيتين خير من ناقتين، ومن أعدادهما من الإبل، وثلاث خير له من ثلاث، ومن أعدادهن من الإبل، وكذا أربع. والحاصل أن الآيات تفضل على أعدادهن من النوق، وعلى أعدادهن من الإبل[1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ومقصود الحديث الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه، وخاطبهم على ما تعارفوه، فإنهم أهل إبل، وإلا فأقل جزء من ثواب القرآن وتعليمه خير من الدنيا وما فيها، وقد قال ﷺ: (**ولموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها**)[2]. اهـ[3].

-وقال ﷺ: (**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَـمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيْهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِّ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ**

---

(1) الكاشف عن حقائق السنن (1634)،البحر المحيط الثجاج (16/ 341)

(2) رواه الترمذي برقم (3013)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(3) المفهم (2/ 429).

مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ) [1]..

قوله: (**من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة**) على وزن عدة، أي: حسرة ونقصانا، وضمير كانت راجعة إلى القعدة.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: أصل الترة النقص ومعناها ههنا التبعة يقال: وترت الرجل ترة على وزن وعدته عدة، ومنه قول الله سبحانه: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٥﴾ [محمد: 35]. اهـ.

وفي (النهاية): الترة: النقص. وقيل: التبعة. والتاء فيه عوض من الواو المحذوفة، مثل: وعدته عدة. ويجوز رفعها ونصبها على اسم كان وخبرها. اهـ[2].

قوله: (**ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة**) قال ابن منظور: اضطجع: نام. وقيل: استلقى ووضع جنبه بالأرض. اهـ[3]. وقال في(النهاية): الاضطجاع هو النوم. اهـ

أي: من اضطجع لأجل النوم، والمعنى: أن الإنسان حين يريد أن ينام ويضطجع لا يخلو ذلك الإضطجاع من ذكر الله سبحانه وتعالى، وإلا فإنه يكون نقصا عليه والله الموفق.

-وقال ﷺ: (**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً؛فَإنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**)[4].

قال الإمام الترمذي رحمه الله عقبه: ومعنى قوله: ترة يعني حسرة وندامة.

قوله: (**ما جلس قوم مجلسا**) لفظ (القوم) اسم جنس جمعي، يصدق على ثلاثة فأكثر، وهم جماعة الرجال في الأصل دون النساء، لكن في عامة القرآن ومثل هذا الحديث يراد به العموم من الرجال والنساء، وحقيقته للرجال. وقوله: (**مجلسا**) نكرة في سياق النفي فيعم جميع المجالس، المساجد وغيرها.

قوله: (**لم يذكروا الله فيه**) الذكر هنا عام يدخل فيه قراءة القرآن، التسبيح،

---

(1) رواه أبو داود برقم (4856)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (6477).

(2) انظر عون المعبود (13/ 202)،النهاية في غريب الحديث (ص108).

(3) لسان العرب (ص2554)، مادة (ضجع).

(4) رواه الترمذي برقم (3380)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

التحميد، التهليل الدروس، المواعظ، المحاضرات وغيرها مما فيه ذكر الله تعالى.

قوله: (**ولم يصلُّوا على نبيهم**) تخصيص بعد تعميم (**إلَّا كان**) أي: ذلك المجلس (**عليهم ترة**) بكسر التاء وتخفيف الراء أي: تبعة ومعاتبة أو نقصانا وحسرة، من وتره حقه نقصه وهو سبب الحسرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾. (**فإن شاء عذبهم**) أي: بذنوبهم السابقة وتقصيراتهم اللاحقة (**وإن شاء غفر لهم**) أي: فضلا منه ورحمة. اهـ[1].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي هذا الحديث دليل على أن المجلس الذي لم يذكر الله تعالى فيه، ولم يصلِّ على رسوله فيه يكون حسرة يوم القيامة على أهله لما فاتهم من الأجر والثواب وإن دخلوا الجنة للثواب على أعمالهم مع تفضل الله سبحانه عليهم بدخولها، فإنه قد فاتهم ما فيه زيادة في الدرجات، وكثرة في المثوبات، ولهذا كان عليهم حسرة يوم القيامة. أي بفوات الثواب بترك الذكر والصلاة. اهـ[2].

-وقال ﷺ: (**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَّ فِيهِ، إلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ؛ وكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً**)[3].

قوله: (**إلَّا قاموا عن مثل جيفة حمار**) أي: مثلها في النتن والقذارة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي هذا التشبيه غاية التنفير عن ترك ذكر الله سبحانه وتعالى في المجالس، وأنه مما ينبغي لكل أحد أن لا يجلس فيه ولا يلابس أهله وأن يفر عنه كما يفر عن جيفة الحمار، فإن كل عاقل يفر عنها ولا يقعد عندها. اهـ[4].

قوله: (**وكان**) أي: ذلك المجلس (**لهم**) وفي بعض النسخ عليهم (**حسرة**) يوم القيامة أي ندامة لازمة لهم لأجل ما فرطوا في مجلسهم ذلك من ذكر الله تعالى[5].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن فوائد الذكر أنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم

(1) تحفة الأحوذي (9/ 322).

(2) تحفة الذاكرين (ص34).

(3) رواه أبو داود برقم (4855)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (5750).

(4) تحفة الذاكرين (ص23).

(5) عون المعبود (13/ 202).

القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة. اهـ[1].

وقد أورد الإمام المناوي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث لطيفة في وجه تشبيه المجلس الذي ليس فيه ذكر الله عز وجل بجيفة الحمار، فقال في (فيض القدير): وتخصيص الحمار بالذكر يشعر ببلادة أهل ذلك المجلس. اهـ[2].

(1) الوابل الصيب (ص99).

(2) فيض القدير (5/ 409).

01 أذكار الاستيقاظ من النوم

01 - (**الْـحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ**)(1).

كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: (**باسمك الله أموت وأحيا**)، وإذا استيقظ من منامه قال: (**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**).

قوله: (**الحَمْدُ لله الذِي أحْيَانا بَعْدَمَا أمَاتَنَا وإلَيْهِ النَشُور**) قال الإمام النووي رحمه الله: المراد بـ (أماتنا) النوم.

وأما النشور، فهو: الإحياء للبعث يوم القيامة، فنبَّه ﷺ بإعادة اليقظة بعد النوم الذي هو كالموت على إثبات البعث بعد الموت. قال العلماء: وحكمة الدعاء إذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب. اهـ(2).

وقال الحافظ في (الفتح): قال أبو إسحاق الزجاج: النفس التي تفارق الإنسان عند النوم هي التي للتمييز، والتي تفارقه عند الموت هي التي للحياة، وهي التي يزول معها التنفس، وسمي النوم موتا لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلا وتشبيها، قاله في النهاية.

وقال الطيبي: الحكمة في إطلاق الموت على النوم أن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو لتحري رضا الله عنه وقصد طاعته واجتناب سخطه وعقابه، فمن نام زال عنه هذا الانتفاع، فكان كالميت فحمد الله تعالى على هذه النعمة وزوال ذلك المانع، قال: وهذا التأويل موافق للحديث الآخر الذي فيه: (**وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**)، وينتظم معه قوله: (**وإليه النشور**) أي: وإليه المرجع في نيل الثواب بما يكتسب في الحياة(3).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإذا استيقظ أحدهم، وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن، فأول ما يجري على لسانه ذكر محبوبه، والتوجه إليه، واستعطافه، والتملق

(1) رواه البخاري برقم (6312)، ومسلم برقم (2711).

(2) شرح مسلم (17/ 40).

(3) فتح الباري (14/ 306).

بين يديه، والاستعانة به أن يخلي بينه وبين نفسه، وأن لا يكله إليها، فيكله إلى ضيعة وعجز وذنب وخطيئة، بل يكلأه كلاءة الوليد الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

فأول ما يبدأ به قول: (**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**) متدبرا لمعناها من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت[1]، وأعاده إلى حاله سويا سليما محفوظا مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات التي هو غرض وهدف لسهامها، كلها تقصده بالهلاك أو الأذى، والتي من بعضها أرواح شياطين الإنس والجن، فإنها تلتقي بروحه إذا نام، فتقصد إهلاكه وأذاه، فلولا أن الله سبحانه يدفع عنه لما سلم.

هذا، وكم يلقى الروح في تلك الغيبة من أنواع الأذى والمخاوف والمكاره والتفزيعات ومحاربة الأعداء والتشويش والتخبيط بسبب ملابستها لتلك الأرواح.

هذا، وكم من مريد لإهلاك جسمه من الهوام وغيرها قد حفظه منه، فهي في أجحارها محبوسة عنه، لو خليت وطبعها لأهلكته.

فمن ذا الذي كلأه وحرسه، وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره؟ فلو جاءه البلاء من أي مكان جاء لم يشعر به. ولهذا ذكَّر سبحانه عباده هذه النعمة، واعتدها عليهم من جملة نعمه، فقال: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنبياء: 42].

فإذا تصوَّر العبد ذلك فقال: (**الحمد لله**) كان حمدُه أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك. ثم يفكر في أن الذي أعاده بعد هذه الإماتة حيا سليما قادر على أن يعيده بعد موتته الكبرى حيا كما كان، ولهذا يقول بعدها: (**وإليه النشور**). اهـ[2].

02- (**لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللهَّ، والْحَمْدُ للهَّ، وَلَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلا قُوَّة إلاَّ بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ، رَبِّ اغْفِر لِي**)[3].

(1) في الحديث: (**النوم أخو الموت، ولا ينام أهل الجنة**) الصحيحة برقم (1087).

(2) طريق الهجرتين (ص456).

(3) رواه البخاري برقم (1154).

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (**من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي -أو دعا- استجيب، فإن توضأ وصلَّى قُبِلت صلاته**).

قوله: (**من تعارَّ من الليل**) أي: استيقظ من نومه ليلا.

قال الحافظ في(الفتح): قال ابن التين: ظاهر الحديث أن معنى (تعارَّ) استيقظ، لأنه قال: (**من تعارَّ فقال**) فعطف القول على التعارِّ. [1].

وقال الإمام الخطابي رحمه الله: قوله (يتعارُّ) معناه يستيقظ من النوم، وأصل التعارِّ السهر والتقلب على الفراش، يقال إن التعارَّ لا يكون إلا مع كلام وصوت وهو مأخوذ من عرار الظليم. اهـ [2].

بدأ ﷺ هؤلاء الكلمات بكلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) مؤكدا معناها وما دلت عليه بقوله: (**وحده لا شريك له**)، لأن (لا إله إلا الله) فيها ركنان عظيمان هما: النفي والإثبات.

النفي في قوله: (**لا إله**) وهو نفي للعبودية عن كل من سوى الله.

والإثبات في قوله: (**إلا الله**) وهو إثبات للعبودية بكل معانيها لله عز وجل.

وقد أكَّد هذين الأمرين بقوله: (**وحده لا شريك له**)، فقوله: (**وحده**) فيه تأكيد للإثبات، وقوله: (**لا شريك له**) فيه تأكيد للنفي.

وفي هذا دلالة على أهمية التوحيد والبدء به وتقديمه على ما سواه، والتأكيد على العناية بفهم معناه والقيام بمدلوله وتطبيق مقتضاه.

ثم قال: (**له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**) وهذه براهين التوحيد ودلائله، فالذي له التوحيد الخالص هو المالك للملك، المستحق للحمد، القدير على كل شيء، ومَن سواه لا يستحق مِن العبادة شيئا ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: 22].

(1) فتح الباري (3/ 564).

(2) معالم السنن (4/ 143).

ثم قال: (**الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**) فذكر الكلمات الأربع التي هي أحب الكلام إلى الله عز وجل كما في صحيح مسلم من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**)[1]. وفي الحديث يقول ﷺ: (**لأن أقول: سبحان الله، والحمدَ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**)[2].

والتسبيح فيه تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وكماله، والحمد فيه إثبات أنواع الكمال له سبحانه، والتهليل فيه توحيده وإخلاص الدين له، والتكبير فيه تعظيمه سبحانه وأنه لا شيء أكبر منه.

ثم قال: (**ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**) وهي كلمة استعانة، الإتيان بها في مثل هذا الوقت مناسب غاية المناسبة، لأن الإنسان عندما يقوم من النوم بحاجة إلى همة عالية ونشاط وجد واجتهاد، والمعين على ذلك كله هو الله وحده، وكلمة (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) فيها تفويض الأمر لله عز وجل وتبرؤ من الحول والقوة إلا به، وأن العبد لا يملك من أمره شيئا، ولا حيلة له في دفع شر، ولا قوة له في جلب خير إلا بإرادته سبحانه.

ثم قال: (**اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له**) هكذا جاءت الرواية بالشك، ويحتمل أن تكون للتنويع أي: إن استغفر غفر الله له، وإن دعا أجاب الله دعاءه.

ثم قال: (**فإن توضأ وصلَّى قُبِلت صلاته**) أي: من صلى في ذلك الوقت، وبادر إلى الصلاة في تلك الحال فصلاته حرية بالقبول، والقبول في هذا الموطن أرجى منه في غيره.

قال الحافظ في(الفتح): قال ابن بطال: وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجا لسانه بتوحيد ربه والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمة يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له، بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه أنه إذا دعاه أجابه وإذا صلى قُبِلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى. اهـ.[3].

---

(1) رواه مسلم برقم (2137).

(2) رواه مسلم برقم (2695).

(3) فتح الباري (3/ 565).

لطيفة: قال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري: أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت فأتاني آت (أي: في المنام) فقرأ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: 24]. اهـ[1][2].

03 - (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**)[3].

قوله: (**الحمد لله**) الحمد وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه[4].

وقال أيضا: فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضا عنه، فلا يكون المحب الساكت حامدا، ولا المثني بلا محبة حامدا، حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا. اهـ[5].

قوله: (**عافاني في جسدي**) أي سلمني من الأمراض والأسقام والآفات في بدني. بأن حفظه من الهوام، والحشرات القتالة، واللذاعة، وطوارق الليل، ونحو ذلك.

قوله: (**وردَّ عليَّ روحي**) أي روحي المميزة بردِّ تمييزها الزائل عنها بنومها. قال الطيبي: الحكمة في إطلاق الموت على النوم أن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو لتحري رضا الله عنه وقصد طاعته واجتناب سخطه وعقابه، فمن نام زال عنه هذا الانتفاع، فكان كالميت فحمد الله تعالى على هذه النعمة وزوال ذلك المانع. انتهى[6].

قوله: (**وأذِن لي بذكره**) أي: وفقني لذلك وأعانني عليه.

---

(1) فتح الباري (3/ 565-566).

(2) هذا الشرح مستفاد من كتاب (فقه الأدعية والأذكار) للشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله وهو كتاب نفيس في بابه حري بكل طالب علم أن يستفيد منه، وقد استفدت منه كثيرا في شرحي هذا، فجزى الله الشيخ خيرا ونفع به.

(3) رواه الترمذي برقم (3401)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (329).

(4) بدائع الفوائد (ص536).

(5) الوابل الصيب (ص219).

(6) تحفة الاحوذي (9/ 347)، وقد تقدم قريبا.

04- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

[آل عمران: 190-200]. (1).

والحديث بتمامه عن كريب مولى ابن عباس أن ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ، حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح).

---

(1) رواه البخاري برقم (4572)، ومسلم برقم (763).

والشاهد منه قوله: (استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران).

قوله: (فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده) قال الإمام النووي رحمه الله: معناه يمسح أثر النوم وفيه استحباب هذا واستعمال المجاز.

قوله: (ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران) فيه جواز القراءة للمحدث، وهذا إجماع المسلمين، وفيه استحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم. اهـ [1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: وقراءته ﷺ هذا العشر في هذا الوقت لما تضمنه من الحظ والتنبيه على **الذكر**، والدعاء، والصلاة، والتفكر، وغير ذلك من المعاني المنشطة على القيام، على ما لا يخفى. اهـ [2].

قلت: ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة عطرة من فوائد هذا الحديث لمن أراد الإطلاع عليها فليرجع إلى: (الفتح) و(لا هجرة بعد الفتح) [3]. ورحم الله من قال: لولا (فتح الباري) **ثم** (فتح الباري) ما قضيت أوطاري. فالأول فتح الباري جل وعلا، والثاني كتاب الحافظ شرح البخاري.

وأنا أزيد فأقول [مستعيذا بالله من شر نفسي]: لولا (فتح الباري) **ثم** (فتح الباري) و(شرح النواوي) ما قضيت أوطاري.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات:

يخبر تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿آيات﴾ ولم يقل: (على المطلب الفلاني) إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين،

---

(1) شرح مسلم (6/ 54).

(2) المفهم (2/ 393).

(3) وأصل هذه الكلمة حديث رواه البخاري برقم (3900)، ومسلم برقم (1864). قالها الإمام الشوكاني رحمه الله لما قيل له: أما تشرح الجامع الصحيح للبخاري كما شرح الآخرون؟ فقال: (لا هجرة بعد الفتح).

ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه، وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول، لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم.

ثم وصف أولي الألباب بأنهم ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ في جميع أحوالهم. ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا، فيقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها للحق وبالحق، مشتملة على الحق.

﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ينقذونه من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ وهو محمد ﷺ، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه.

﴿فَـَٔامَنَّاۚ﴾ أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي مَنَّ عليهم بالإيمان، سيمنُّ عليهم بالأمان التام.

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات.

ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم، فلهذا قال: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملا موفرا ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب، ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ فجمعوا بين الإيمان والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان والأموال، طلبا لمرضاة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ الذي يعطي عبده الثواب الجزيل على العمل القليل.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك فليطلبه من الله بطاعته والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ وهذه الآية المقصود منها التسلية

عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا وتنعمهم فيها وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز والغلبة في بعض الأوقات فإن هذا كله ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا، ويعذبون عليه طويلا، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

وأما المتقون لربهم، المؤمنون به، فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزرا يسيرا ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجرا عظيما، وعطاء جسيما، وفوزا دائما.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض.

ولهذا لما كان إيمانهم عامًّا حقيقيا صار نافعا، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للإنقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده.

وهؤلاء أهل الكتاب، والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ ومن تمام خشيتهم لله أنهم ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمنا قليلا، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فآثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله فهو قريب.

ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابرة: أي: الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدوِّ منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك. فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها. والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا به. اهـ[1].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص143-145).

02 دعاء لبس الثوب

05- (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ...**)[1].

قوله: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ**) الكساء والكسوة: اللباس. قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 14]، أي: فألبسنا العظام لحما، قاله الإمام ابن جرير رحمه الله في (تفسيره).

عندما يلبس الإنسان الثوب، فإنه يدعو بهذا الدعاء، فيحمد الله عز وجل على هذه النعمة، ولا شك أن اللباس الذي يواري سَوْءة العبد ويستر عورته ويتجمل به، نعمة عظيمة ومنة كبيرة من الله سبحانه وتعالى على عبده. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: 26].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى مذكرا عباده بهذه النعمة: (**يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم**)[2].

قوله: (**من غير حول مني ولا قوة**) أي: من غير حركة وحيلة منِّي. قال في (النهاية): الحَول: الحركة. يقال: حال الشخص يحول إذا تحرك، المعنى: لا حركة ولا قوة إلا بمشيئة الله تعالى. وقيل: الحَول: الحِيلة، والأول أشبه. اهـ[3].

وفيه تفويض الأمر إلى الله عز وجل وتبرؤ من الحَول والقوة إلا به، وأن العبد لا يملك من أمره شيئا، ولا حِيلة له ولا قوة في جلب خير إلا بإرادته سبحانه.

وجاء في آخر الحديث أن من قال هذا الدعاء: (**غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**) قال الشيخ الألباني رحمه الله في (سنن أبي داود) عند تخريجه للحديث: حسن دون زيادة: (**وما تأخر**).

---

(1) رواه أبو داود برقم (4023)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) رواه مسلم برقم (2577).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص243).

فإذا حمد الإنسان الله عز وجل على هذه النعمة التي يتفضل بها عليه، أثابه بأن يغفر له ما تقدم من ذنبه والله الموفق.

فائدة: قوله ﷺ في الحديث: **(غفر له ما تقدم من ذنبه)** وكذا في أحاديث كثيرة هل معناه أنه يغفر له الكبائر والصغائر من الذنوب أم فقط الصغائر؟

المعلوم من كلام أهل العلم: أنه لا تُكفَّر سوى الصغائر، وأما الكبائر فلابد لها من التوبة، وحكى الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في (التمهيد) الإجماع على ذلك، واستدل عليه بأحاديث منها ما جاء في الصحيحين من قوله ﷺ: **(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)**... [1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر. قال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة[2].

---

(1) التمهيد (3/ 78).

(2) شرح مسلم (6/ 47).

03 دعاء لبس الثَّوب الجديد

06 - (**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أسْأَلُكَ مِنْ خَيرِهِ وخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وشَرِّ ما صُنِعَ لَهُ**)[1].

جاء في أول الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء، ثم يقول: (**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه...**) الحديث.

قوله: (إذا استجدَّ ثوبا) أي: لبس ثوبا جديدا.

قوله: (عمامة أو قميصا أو رداء) أي: أو غيرها كالإزار والسروال ونحوهما، والمقصود التعميم فالتخصيص للتمثيل.

وصورة التسمية باسمه بأن يقول: رزقني الله أو أعطاني أو كساني هذه العمامة أو القميص أو يقول: هذا قميص أو عمامة.

قوله: (**اللهم لك الحمد**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لا خلاف أن لفظة (**اللهم**) معناه: (يا الله) ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اغفر لي وارحمني[2].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هذه كلمة كثر استعمالها في الدعاء وهو بمعنى: يا الله، والميم عوض عن حرف النداء، فلا يقال: اللهم غفور رحيم مثلا، وإنما يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ولا يدخلها حرف النداء إلا في نادر كقول الراجز:

إني إذا ما حادث ألمَّا أقول: يا اللهم يا اللهما[3]

قوله: (**أسألك من خيره وخير ما صُنِع له**) هو استعماله في طاعة الله وعبادته ليكون عونا له عليها (**وأعوذ بك من شره**) هو استعماله في معصية الله ومخالفة أمره.

---

(1) رواه أبو داود برقم (4020)، والترمذي برقم (1767)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) جلاء الأفهام (ص236).

(3) فتح الباري (14/ 372).

وقال القاري: خير الثوب بقاؤه ونقاؤه وكونه ملبوسا للضرورة والحاجة، وخير ما صنع له هو الضرورات التي من أجلها يصنع اللباس، من الحر والبرد وستر العورة، والمراد سؤال الخير في هذه الأمور، وأن يكون مبلغا إلى المطلوب الذي صنع لأجله الثوب من العون على العبادة والطاعة لمولاه، وفي الشر عكس هذه المذكورات، وهو كونه حراما ونجسا ولا يبقى زمانا طويلا أو يكون سببا للمعاصي والشرور والافتخار والعجب والغرور وعدم القناعة بثوب الدون وأمثال ذلك. انتهى. والحديث يدل على استحباب حمد الله تعالى عند لبس الثوب الجديد[1].

---

(1) عون المعبود (11/ 63).



04 الدعاء لمن لبس ثوبا جديدا

07-(1) (**تُبْلِي وَيُخْلِفُ الله تَعَالَى**). [1].

قال أبو نضرة [راوي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]: فكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له: (تُبلي ويُخلف الله تعالى).

قوله: (قيل له) أي: يقول له من يراه.

قوله: (تُبلي ويُخلف الله تعالى) أي: لا تزال متمتعا بالعمر والصحة والعافية في هذا الثوب حتى يبلى، ثم يعوضك الله عز وجل عنه إذا بلي بغيره، فهو متضمن للدعوة له أن يعيش حياة حميدة طيبة، لأن الثوب إنما يبلى بعد مدة طويلة من الزمن[2].

فائدة: جاء نحو هذا الأثر مرفوعا إلى النبي ﷺ في صحيح البخاري من حديث أم خالد رضي الله عنها قالت: أتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: (**من ترون أن نكسو هذه؟**)، فسكت القوم، قال: (**ائتوني بأم خالد**)، فأتي بها تُحْمَلُ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: (**أبلي وأخلقي**)[3].

قال الحافظ في (الفتح): وقوله: (**أبلي**) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وكسر اللام أمر بالإبلاء، وكذا قوله: (**أخلقي**) بالمعجمة والقاف أمر بالإخلاق وهما بمعنًى، والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق. ووقع في رواية أبي زيد المروزي عن الفربري (**وأخلفي**) بالفاء وهي أوجه من التي بالقاف لأن الأولى تستلزم التأكيد، إذ الإبلاء والإخلاق بمعنًى، لكن جاز العطف لتغاير اللفظين، والثانية تفيد معنى زائدا وهو: أنها إذا أبلته أخلفت غيره.[4].

(1) رواه أبو داود برقم (4020)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) شرح شمائل الترمذي (ص102).

(3) رواه البخاري(5823).

(4) فتح الباري(13/ 293-294).

وقال في (النهاية): يروى بالقاف والفاء، فبالقاف من إخلاق الثوب: تقطيعه، وقد خلق الثوب وأخلق وأما الفاء فبمعنى: العِوَض والبدل، وهو الأشبه اهـ [1].

08-(2) **(الْبَسْ جَدِيدًا، وعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا)**. [2].

والحديث بتمامه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ رأى على عمر قميصا أبيض فقال: **(ثوبك هذا غسيل أم جديد؟)** قال: لا، بل غسيل. قال: **(البس جديدا، وعِش حميدا، ومُتْ شهيدا)**.

قوله: **(البس جديدا)** صيغة أمر أريد به الدعاء بأن يرزقه الله الجديد[وكذا ما بعده]. قاله السندي.

قوله: **(وعِش حميدا)** أي: سعيدا. **(ومُتْ شهيدا)** قال في(النهاية): الشهيد في الأصل من قتل مجاهدا في سبيل الله، ويجمع على: شهداء، ثم اتّسع فيه فأطلق على من سمّاه النبي ﷺ من المبطون، والغَرِق، والحَرِق، وصاحب الهَدْم، وذات الجَنْبِ وغيرهم، وسمّي شهيدا لأن الله وملائكته شهود له بالجنّة، وقيل: لأنّه حيّ لم يمت، كأنّه شاهد، أي: حاضر، وقيل لأن ملائكة الرحمة تشهده، وقيل: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قُتِل، وقيل:لأنه يشهد ما أعدَّ الله له من الكرامة بالقتل، وقيل:غيرُ ذلك.اهـ[3].

يستحب الدعاء بهذا الدعاء لمن لبس ثوبا جديدا وهو دعاء في غاية الحسن، إذ جمع فيه ما يطيب به العيش في الدنيا، من الثوب الحسن، والعيش الحميد الذي لا نَكِدَ فيه، وما يطيب به العيش في الآخرة وهي الشهادة. [4].

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص282).

(2) رواه ابن ماجه برقم (3558)، وابن السني برقم(269)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، والصحيحة برقم (352).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص497).

(4) إهداء الديباجة (5/ 6).



05 ما يقول إذا وضع ثوبه

09- (بِسْمِ اللهِ)[1].

والحديث بتمامه: (سِتْرُ ما بَيْنَ أعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إذا وَضَعَ أحدُهُمْ ثَوْبَهُ، أنْ يقول: بِسْمِ الله).

قوله: (سِتر): بالكسر الحجاب. وبالفتح مصدر سترت الشيء أستره إذا غَطَّيته وهو مبتدأ خبره (أن يقول).

قوله: (ما بين أعين الجنِّ وعورات بني آدم) يعني الشيء الذي يحصل به عدم قدرتهم على النظر إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف:27]. أي: إنه يراقبكم على الدوام ويراكم هو وقبيله من شياطين الجن من حيث لا ترونهم أنتم فاحذروهم.

قوله: (إذا وضع أحدهم ثوبه) أي: نزعه.

قوله: (أن يقول: بسم الله) ظاهره أنه لا يزيد الرحمن الرحيم. فإن اسم الله طابع على جميع ما رزق ابن آدم فلا يستطيع الجنُّ فك الطابع. [2].

(1) رواه الطبراني في الأوسط برقم (2504)، وابن السني في العمل برقم(275)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (3610). وأخرجه الترمذي برقم (606)، وابن ماجه برقم (297)، ولكن ليس فيه: (**إذا وضع ثوبه**) بل فيه: (**إذا دخل الخلاء**) فتنبّه.

(2) فيض القدير(4/ 97)، مع بعض الزيادات.

06 دعاء دخول الخلاء

10- ([بِسْمِ اللهِ] **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ والْخَبَائِثِ**)[1].

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء(وفي رواية: إذا دخل الكنيف) قال:... الحديث.

قال الإمام النووي رحمه الله: أما الخلاء فبفتح الخاء والمد، والكنيف بفتح الكاف وكسر النون، والخلاء والكنيف والمرحاض كلها موضع قضاء الحاجة.

وقوله: (إذا دخل) معناه: إذا أراد الدخول، وكذا جاء مصرحا به في رواية البخاري قال: (كان إذا أراد أن يدخل)[2].

قوله: (**أعوذ**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: اعلم أن لفظ (عاذ) وما تصرف عنها تدل على التحرُّز والتحصُّن والالتجاء، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمَّى المستعاذ به: (مَعَاذا) كما يسمى: (ملجأ ووزرا). فمعنى أعوذ: ألتجئ وأعتصم وأتحرز[3].

قوله: (**الخُبْث**) بضم المعجمة والموحدة، كذا في الرواية، وقال الخطابي: إنه لا يجوز غيره، وتُعُقِّبَ بأنه يجوز إسكان الموحدة كما في نظائره مما جاء على هذا الوجه ككتب وكتب، قال النووي: وقد صرح جماعة من أهل المعرفة بأن الباء هنا ساكنة، منهم أبو عبيدة، إلا أن يقال: إن ترك التخفيف أولى لئلا يشتبه بالمصدر، و(**الخُبْث**): جمع خبيث، و(**الخبائث**): جمع خبيثة، يريد ذكران الشياطين وإناثهم، قاله الخطابي وابن حبان وغيرهما[4].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما في حال التخلِّي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها[5].

---

(1) رواه البخاري برقم (142)، ومسلم برقم(375)، وزيادة: (**بسم الله**) في أوله، أخرجها سعيد بن منصور، انظر فتح الباري (1/ 244).

(2) شرح مسلم (4/ 78).

(3) بدائع الفوائد (703).

(4) فتح الباري (1/ 421).

(5) الوابل الصيب (ص163).

فائدة: في ذكر التسمية في أول الحديث.

قال الحافظ في(الفتح): وقد روى العمري هذا الحديث من طريق عبد العزيز بن المختار عن عبد العزيز بن صهيب بلفظ الأمر قال: (**إذا دخلتم الخلاء فقولوا: بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث**) وإسناده على شرط مسلم، وفيه زيادة التسمية ولم أرها في غير هذه الرواية[1].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: قلت: وهي عندي شاذة لمخالفتها لكل طرق الحديث عن عبد العزيز ابن صهيب عن أنس في الصحيحين وغيرهما ممن سبقت الإشارة إليهم.

وقد رويت في حديث آخر.... وبالجملة فذكر البسملة في هذا الحديث من طريقين عن أنس شاذ أو منكر. لكن قد جاء ما يدل على مشروعية التسمية عند دخول الخلاء، وهو حديث علي رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: (**ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول: بسم الله**)[2] اهـ[3].

---

(1) فتح الباري (1/ 422).

(2) رواه الترمذي برقم (606)، وابن ماجه برقم (297)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء برقم (50).

(3) تمام المنة (ص57).

07 دعاء الخروج من الخلاء

11- (غُفْرَانَكَ)[1].

والحديث بتمامه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: (غُفْرَانَكَ).

قوله: (غُفْرَانَكَ) الغفران: مصدر، وهو منصوب بإضمار أطلب، وفي تخصيصه بذلك قولان: **أحدهما**: التوبة من تقصيره في شكر النعمة التي أنعم بها عليه من إطعامه وهضمه وتسهيل مخرجه، فلجأ إلى الاستغفار من التقصير. **والثاني**: أنه استغفر من تركه ذكر الله تعالى مدة لبثه على الخلاء، فإنه كان لا يترك ذكر الله بلسانه أو قلبه إلا عند قضاء الحاجة، فكأنه رأى ذلك تقصيرا فتداركه بالاستغفار[2].

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي رحمه الله: وفي طلب المغفرة هاهنا محتملان: **الأول**: أنه سأل المغفرة من تركه ذكر الله في ذلك الوقت في تلك الحالة.

الثاني: وهو أشهر وأخص أن النبي ﷺ سأل المغفرة في العجز عن شكر النعمة في تيسير الغذاء وإبقاء منفعته وإخراج فضلته على سهولة، فيؤدى قضاء حقها بالمغفرة[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى، وإجلاله، وذكر نعمته عليه، وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذي به[4].

---

(1) رواه أبو داود برقم (30)، والترمذي برقم (07)، وابن ماجه برقم (300)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(2) النهاية في غريب الحديث (ص674).

(3) عارضة الأحوذي (1/ 22)، وانظر الفتوحات الربانية (1/ 401).

(4) الوابل الصيب (ص164).

فائدة: أحاديث الحمد عند الخروج من الخلاء ضعيفة مثل: (**الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني**) و(**إذا خرج أحدكم من الخلاء فليقل: الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني**)[1].

قال الإمام الترمذي رحمه الله: ولا يعرف في هذا الباب إلا حديث عائشة[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: جاء في الذي يقال عقب الخروج أحاديث كثيرة ليس فيها شيء ثابت إلا حديث عائشة المذكور[3] .

---

(1) انظر الإرواء برقم (53)، وتمام المنة (ص 66)، والضعيفة برقم (5658)، (5659).

(2) جامع الترمذي (ص13).

(3) المجموع (2/ 90).



08 الذِّكر قبل الوضوء

12- (بِسْمِ اللهِ)[1].

والحديث بتمامه هو قوله عليه الصلاة والسلام: **(لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه)**.

قال الإمام الترمذي رحمه الله: قال محمد بن إسماعيل (يعني الإمام البخاري رحمه الله): هذا الحديث أحسن شيء في هذا الباب[2].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: وقد قوّاه الحافظ المنذري والعسقلاني، وحسّنه ابن الصلاح وابن كثير. وقال الحافظ العراقي: هذا حديث حسن[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: أحاديث التسمية على الوضوء أحاديث حسان[4].

قوله: **(لا صلاة لمن لا وضوء له)** لا: لنفي الجنس، وصلاة: اسمها وخبرها الجار والمجرور المتعلق بمحذوف، والتقدير: لا صلاة صحيحة لمن لا وضوء له، لأن الوضوء شرط لصحة الصلاة بإجماع المسلمين.

قوله: **(ولا وضوء)** قال في (سبل السلام): وظاهر قوله: **(لا وضوء)** أنه لا يصح، ولا يوجد من دونها إذ الأصل في النفي الحقيقة. اهـ[5].

قوله: **(اسم الله)** المراد به قول: **(بسم الله)**. الباء هذه باء الاستعانة. والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف متأخر مناسب للمقام، فإذا قدمتها بين الأكل يكون التقدير: باسم الله آكل، وإذا قدمتها بين الشرب يكون التقدير باسم الله أشرب

---

(1) رواه أبو داود برقم (101)، والترمذي برقم (25)، وابن ماجه برقم (399)، وأحمد (2/ 418)، وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء برقم (81).

(2) جامع الترمذي (ص18).

(3) إرواء الغليل برقم (81).

(4) المنار المنيف (ص115).

(5) سبل السلام (1/ 221).

وهكذا، وعليه يكون التقدير هنا: باسم الله أتوضأ مستعينا بذكره. أما كونه فعلا، فلأن الأصل في العمل للأفعال. وأما كونه خاصًّا: فلأن كل مبتدئ بالبسملة في أمر، يضمر ما جعل البسملة مبدأ له. وأما كونه متأخرا: فلدلالته على الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود، ولأن أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لحذف العامل في (**بسم الله**) فوائد عديدة: **منها**: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله. و**منها**: أن الفعل إذا حذف صح الإبتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة، فكان الحذف أعم من الذكر. و**منها**: أن الحذف أبلغ[1].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: دل هذا الحديث على وجوب التسمية، ولا دليل يقتضي الخروج عن ظاهره إلى القول بأن الأمر فيه للاستحباب فقط، فثبت الوجوب، وهو مذهب الظاهرية، وإسحاق، وإحدى الروايتين عن أحمد، واختاره صديق خان، والشوكاني، وهو الحق إن شاء الله تعالى، وراجع له السيل الجرار (1/ 76-77). اهـ[2].

(1) بدائع الفوائد (ص43).

(2) تمام المنة (ص89).

09 الذِّكر بعد الفراغ من الوضوء

13-1 **(أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...)**[1].

جاء في أول الحديث: (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو فيسبغ) الوضوء، ثمّ يقول:...). الحديث.

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله: (فيبلغ أو يسبغ الوضوء) هما بمعنًى واحدٍ، أي: يتمّه ويكمله، فيوصله مواضعه على **الوجه المسنون**، والله أعلم[2].

قوله: **(أشهدُ)**: هذه الشهادة معناها الاعتراف والإقرار الذي يتبعه إعلام وإخبار، لأن الشهادة تشمل: اعتقاد القلب وإخبار اللسان. فمن اعتقد بقلبه دون أن يتكلم بلسانه لم يعدّ شاهدا، ومن تكلم بلسانه -كحال المنافقين- ولم يعتقد بقلبه لم يكن شاهدا بما دلّت عليه كلمة التوحيد.

إذن الشهادة في قوله: **(أشهد)** يعني: أعتقد وأعترف وأقر لله بأنه هو المستحق للعبادة وحده دونما سواه، وأخبر وأعلم بأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

وهذا هو الذي فسّر به قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ١٨﴾ [آل عمران: 18]. ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ يعني أعلم وأخبر. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ شهدوا بذلك، وأعلموا وأخبروا بذلك واعتقدوا ذلك. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ من خلقه شهدوا بذلك بمرتبتين: مرتبة الاعتقاد، ومرتبة القول[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته، وأنبياؤه ورسله قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ١٩﴾ [آل عمران: 18-19]. فتضمنت هذه الآية أجلَّ شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجلِّ شاهد، بأجلّ مشهود به.

---

(1) رواه مسلم برقم (234).

(2) شرح مسلم (3/ 135).

(3) شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ (1/ 32).

وعبارات السلف في(**شهد**)تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان، والإخبار. قال مجاهد: حكم، وقضى. وقال الزجاج: بيّن. وقالت طائفة: أعلم وأخبر. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها.

فإن(الشهادة)تتضمن: كلام الشاهد وخبره وقوله. وتتضمن: إعلامه، وإخباره وبيانه. فلها أربع مراتب: فأول مراتبها: علم ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلمه بذلك، ونطقه به، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يُعلم غيره بما شهد به، ويُخبره به، ويُبينه له.

ورابعها: أن يُلزمه بمضمونها ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط: تضمنت هذه المراتب الأربعة: علم الله سبحانه بذلك. وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به[1].

قوله: (**أن لا اله الا الله**) (**أن**) هنا هي التفسيرية، وضابطها: أنها هي التي تأتي بعد كلمة فيها معنى القول دون حروف القول كـ(أشهد)، و(نادى)، و(أوحى)، و(قضى)، و(أمر)، و(وصى) ونحو ذلك فـ(أن)إذا أتت بعد هذه الألفاظ أو نحوها مما فيه معنى القول دون حروف القول هي: التفسيرية لأن ما بعدها يفسر ما قبلها كالتي جاءت في قول الله جل وعلا: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: 44]. أفاده الشيخ صالح آل الشيخ في (شرح الواسطية).

قوله: (**لا إله إلا الله**) أي: لا معبود **بحق** إلا الله، وهذا هو معنى هذه الكلمة العظيمة التي تدل عليه الأدلة، خلافا لمن زعم أن معناها لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله ونحو ذلك قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: 62]. ولهذه الكلمة أركان وشروط، فأركان لا إله إلا الله: **النفي والإثبات**.

(1) مدارج السالكين (3/ 469).

(لا إله) نافيا جميع ما يُعبد من دون الله، **(إلا الله)**: مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ونظير هذا اشتمال كلمة الإسلام -وهي أشهد أن لا إله إلا الله- على النفي والإثبات. فكان في الإتيان بالنفي في صدر هذه الكلمة من تقرير الإثبات، وتحقيق معنى الإلهية، وتجريد التوحيد الذي يقصد بنفي الإلهية عن كل من ادعيت فيه سوى الإله الحق تبارك وتعالى. فتجريد هذا التوحيد من العقد واللسان بتصوّر إثبات الإلهية لغير الله -كما قاله أعداؤه المشركون- ونفيه وإبطاله من القلب واللسان من تمام التوحيد وكماله، وتقريره، وظهور أعلامه، ووضوح شواهده، وصدق براهينه[1].

وشروطها سبعة وقيل ثمانية وهي[2]:

-العلم المنافي للجهل -اليقين المنافي للشك -الإخلاص المنافي للشرك

-الصدق المنافي للكذب -المحبة المنافية للبغض -الانقياد المنافي للترك

-القبول المنافي للرد -الكفر بما يُعبد من دون الله.

وقد جمعت في البيتين الآتيين[3]:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مَعْ ... محبَّةٍ وانقيادٍ والقبول لها
وزِيدَ ثَامنُها الكفرانُ منك بما ... سوى الإله من الأوثان قد أُلّها

فهذه هي شروط لا إله إلا الله، فلا يشترط حفظها وعدها، وإنما معرفتها والإتيان بمقتضاها.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها

(1) طريق الهجرتين (ص308).

(2) انظر شرحها في معارج القبول (ص419)، وتيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله للشيخ عبيد الجابري حفظه الله.

(3) انظر الدروس المهمة لعامة الأمة (ص01).

ولو قيل له أعددها لم يحسن ذلك، وكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيرا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله. اهـ[1]. فالمطلوب إذن العلم والعمل معا.

قوله: **(وحده)**: فيه تأكيد للإثبات. وقوله: **(لا شريك له)**: تأكيد للنفي.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: تأكيد بعد تأكيد لمزيد الاعتناء بمقام التوحيد[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى بتحقيق **(لا إله إلا الله)** معرفة وإقرارا وعملا.

وجواب الثانية بتحقيق **(أن محمدا رسول الله)** معرفة وإقرار، وانقيادا وطاعة[3].

وقال أيضا: وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار

---

(1) معارج القبول (ص418).

(2) مرقاة المفاتيح (3/ 35).

(3) زاد المعاد (1/ 34).

الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة (**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**) اهـ(1)(2).

تنبيه مهم: اعلم أن هذه الكلمة العظيمة لا تنفع صاحبها من غير فهم لمعناها ولا عمل بمقتضاها قال في تيسير العزيز الحميد(ص78): والحاصل أن لا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيا وإثباتا واعتقد ذلك وعمل به، أما من قالها وعمل بها ظاهرا من غير اعتقاد فهو المنافق، وأما من قالها وعمل بضدها وخلافها من الشرك فهو الكافر، وكذلك من قالها وارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها، فإنها لا تنفعه ولو قالها ألف مرة، وكذلك من قالها وهو يصرف أنواعا من العبادة لغير الله كالدعاء، والذبح، والنذر، والاستغاثة، والتوكل، والإنابة، والرجاء والخوف والمحبة، ونحو ذلك، فمن صرف مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك بالله العظيم، ولو نطق بلا إله إلا الله، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص الذي هو معنى ومدلول هذه الكلمة العظيمة(3).

قوله: (**وأشهد أنّ محمّدا**) قال أهل اللغة: يقال رجل محمد ومحمود إذا كثرت خصاله المحمودة. قال ابن فارس: وبذلك سمّي نبينا ﷺ محمدا يعني: لعلم الله تعالى بكثرة خصاله المحمودة ألهم أهله التسمية بذلك، أفاده الإمام النووي(4).
(**عبده ورسوله**) ليس إلها وليس ملكا، وإنما هو عبد من عبيد الله، شرّفه الله بالرسالة، فلا يدَّعى فيه أكثر من أنه رسول من الله عز وجل، وكفى بهذه المرتبة فضلا وشرفا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ووصف أكرم خلقه عليه، وأعلاهم عنده منزلة بالعبودية في أشرف مقاماته فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: 23]. وقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: 01]. وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ

---

(1) رواه أبو داود برقم (3116)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) الداء والدواء (ص278).

(3) نقلا عن فقه الأدعية والأذكار (1/ 186).

(4) شرح مسلم (4/ 131).

عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: 01]. فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه، وفي مقام التحدي بأن يأتوا بمثله. وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: 19]. فذكره بالعبودية في مقام الدعوة إليه. وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴿١﴾﴾ [الاسراء: 01]. فذكره بالعبودية في مقام الإسراء. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**)[1] اهـ[2].

وقوله: (**لا تطروني**) بضم أوله، والاطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلانا مدحته فأفرطت في مدحه. (**كما أطرت النصارى ابن مريم**) أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك، أفاده في (الفتح).

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. اهـ

(طاعته فيما أمر)من الواجبات والمستحبات، وقد قرن الله طاعته بطاعة الرسول ﷺ، كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: 80]. (وتصديقه فيما أخبر) به من أخبار الأمم الماضية، أو الأمور المستقبلة، فأخباره حق وصدق لا كذب فيها.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الإيمان يرجع إلى أصلين: طاعة الرسول ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر. اهـ[3].

(واجتناب ما عنه نهى وزجر) أي: اجتناب كل ما نهى عنه وحذَّر منه قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: 07]. وقال ﷺ: (**إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**) متفق عليه. (وألا يُعبد اللهُ إلا بما شرع) سبحانه في كتابه وما جاء به رسوله ﷺ، لا نعبده بالأهواء والبدع، قال الزهري -رحمه الله-: (من الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم)[4].

(1) رواه البخاري رقم (3445).

(2) مدارج السالكين (1/ 116).

(3) أحكام أهل الذمة (2/ 451).

(4) ثلاثة الأصول وشرحها تيسير الوصول (ص137).

وجاء في آخر الحديث فضل من قال هذا الذكر عقب الوضوء قوله: **(إلَّا فُتِحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء)**.

قال في (المفهم): وفي هذا الحديث ما يدل على أنّ الذكر بعد الوضوء فضيلة من فضائله، وعلى أنّ أبواب الجنّة ثمانية لا غير، وعلى أنّ داخل الجنّة يخيّر في أيّ الأبواب شاء[1].

2-14 **(اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، واجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ)**[2].

قوله: **(التوابين)** جمع توّاب، وهذه الصيغة - صيغة فَعَّال- تأتي للمبالغة، والمعنى أن أكون من كثيري التوبة.

والتوبة لغة: مِن تاب يتوب، إذا رجع.

وشرعا: الرجوع من معصية الله تعالى إلى طاعته[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا.

والتوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإنما يحب الله من فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه[4].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية. والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة، هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه ردَّه إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه

---

(1) المفهم (1/ 495).

(2) رواه الترمذي برقم (55)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(3) شرح رياض الصالحين (1/ 85).

(4) مدارج السالكين (1 / 333).

أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها[1]. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة[2].

قوله: (**المُتطهِّرين**) جمع متطهر أي: المتنزهين عن الآثام، وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث.

15-3 (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ)[3].

قوله: (**سبْحانك اللَّهُمَّ**) أي: أسبحك تسبيحا، بمعنى: أنزهك تنزيها من كل النقائص ومما لا يليق بجلالك وعظمتك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به[4].

قوله: (**وبحمدك**) قال الحافظ في(الفتح): قوله: (**وبحمده**) قيل الواو للحال والتقدير: أسبح الله متلبسا بحمدي له من أجل توفيقه، وقيل عاطفة والتقدير: أسبح الله وأتلبس بحمده، ويحتمل أن يكون الحمد مضافا للفاعل والمراد من الحمد لازمه

---

(1) قال الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيقه لـ(رياض الصالحين):قلت:هذا إذا لم يترتب على الإستحلال نفسه مفسدة أخرى،وإلا فالواجب حينئذً الإكتفاء بالدعاء له،وأما حديث:(**كفارة من اغتبته:أن تستغفر له**) فهو موضوع كما بينته في(سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) رقم (1519).

(2) رياض الصالحين (ص46-47).

قلت:ذكر بعض أهل العلم شروطا أخرى كالإخلاص لله، بأن يكون قصد الإنسان بتوبته وجه الله عز وجل،لا يقصد بذلك مراءاة الناس والتقرب إليهم،قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء:146].

وأن تكون التوبة في زمن تقبل فيه التوبة فلا تقبل عند الغرغرة قال عليه الصلاة والسلام: (**إن الله -عز وجل- يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**) رواه الترمذي برقم(3537)،وابن ماجة برقم (4253)،وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (1903).

ولا تقبل التوبة عند طلوع الشمس من مغربها قال ﷺ: (**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**) رواه مسلم برقم (2703).والله أعلم. انظر شرح رياض الصالحين للشيخ العثيمين رحمه الله (1 / 86).

(3) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (81)، والحاكم في المستدرك (1/ 564)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2333).

(4) حادي الأرواح (ص844).

أو ما يوجب الحمد من التوفيق ونحوه، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف متقدم والتقدير: وأثني عليه بحمده فيكون (**سبحان الله**) جملة مستقلة و(**بحمده**) جملة أخرى، وقال الخطابي في حديث: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**) أي بقوتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدك سبَّحتُك لا بحولي وقوتي[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قوله: (**وبحمدك**) أي: وبحمدك سبَّحتُك، ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك علي سبَّحتُك، لا بحولي وقوتي، ففيه: شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى، وأن كل الأفعال له، والله أعلم[2].

قوله: (**أستغفرك**) أي: أطلب مغفرتك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الاستغفار هو محو الذنب وإزالة أثره، ووقاية شره[3].

قوله: (**وأتوب إليك**) أي: أرجع إليك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى:

فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى.

والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله[4].

وجاء في آخر الحديث فضل من قال هذا الذكر عقب الوضوء قوله: (**كتب في رَقٍّ ثم طُبِعَ بطابِعٍ، فلم يكسر إلى يوم القيامة**).

قوله: (**في رَقٍّ**) الرق هو ما يكتب فيه من جلد أو غيره، والطابع بفتح الباء هو الخاتم، وكسر الباء لغة، والمعنى أنه يختم على ذلك المكتوب في الرق فلا يتطرق إليه تغيير ولا إبطال[5].

---

(1) فتح الباري (17/ 632).

(2) شرح مسلم (4/ 222).

(3) مدارج السالكين (1/ 334).

(4) مدارج السالكين (1/ 335).

(5) تحفة الذاكرين (ص126).

فائدة: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما الأذكار التي يقولها العامة على الوضوء عند كل عضو فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، ولا الأئمة الأربعة، وفيها حديث كذب عن رسول الله ﷺ[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: الأدعية في أثناء الوضوء لا أصل لها، ولم يذكرها المتقدمون[2].

وقال أيضا: وأما الدعاء على أعضاء الوضوء، فلم يجىء فيه شيء عن النبي ﷺ[3].

---

(1) الوابل الصيب (ص384).

(2) سبل السلام (1/ 232

(3) الأذكار (1/ 97).

10 الذِّكر عند الخروج من المنزل

16-(1) (**بِسْمِ الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، وَلاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بالله**)[1].

قوله: (**باسم الله**) أي: باسم الله أخرج، والباء للاستعانة أي: أخرج طالبا من الله العون والحفظ والتسديد.

قوله: (**توكَّلتُ على الله**) أي: اعتمدت عليه، وفوضت جميع أموري إليه فالتوكل: هو صدق التفويض والاعتماد على الله في جميع الأمور وإظهار العجز والاستسلام له.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وسر التوكل وحقيقته هو: اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله مع اعتماده على غيره، وركونه إليه، وثقته به[2].

والتوكل من أعمال القلوب.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قال الإمام أحمد:

التوكل عمل القلب ومعنى ذلك: أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح[3].

وهو من أجلِّ أنواع العبادة، وأعظم مقامات التوحيد.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها[4].

والتوكل لا ينافي القيام بالأسباب.

---

(1) رواه أبو داود برقم (5095)، والترمذي برقم (3427)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) الفوائد (ص89).

(3) مدارج السالكين (2/ 119).

(4) مدارج السالكين (2/ 118).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد[1].

وقال أيضا: والذي يحقق التوكل: القيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله[2].

قوله: (**ولا حول ولا قوة إلا بالله**) أي: لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى. وهي كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا رادَّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئا من الأمر. [3].

وجاء في آخر الحديث قوله ﷺ: (**يُقال له: هُديتَ وكُفيتَ ووُقيتَ، وتنحَّى عنه الشيطان، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي؟**).

قوله: (**يُقال له**) يجوز أن يكون القائل هو الله سبحانه، ويجوز أن يكون ملكا من الملائكة.

قوله: (**هُديتَ**) أي: إلى طريق الحق والصواب، ومن يهده الله فلا مضل له.

قوله: (**وكُفيتَ**) أي: كُفيت كل همٍّ دنيوي أو أخروي.

قوله: (**ووُقيتَ**) من الوقاية أي: حُفظت من شر أعدائك من الشياطين وغيرهم[4].

قوله: (**وتنحَّى عنه الشيطان**) أي: ابتعد عنه، ومال عن جهته وطريقه.

قوله: (**فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي؟**) أي: يقول أحد الشياطين لهذا الشيطان الذي يريد إغواء هذا الشخص وإيذاءه: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي أي: كيف لك السبيل إلى إضلال وإغواء وإيذاء رجل نال هذه الخصال فإنك لا تقدر عليه.

17-(2) (**اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**)[5].

قوله: (**أنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ**) من الضلال وهو ضد الهداية.

---

(1) مدارج السالكين (2/ 121).

(2) الفوائد (ص77).

(3) شرح مسلم (17/ 32).

(4) تحفة الأحوذي (9/ 384).

(5) رواه أبو داود برقم (5094)، والترمذي برقم (3427)، وابن ماجه برقم (3884)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

قوله: (**أَنْ أَضِلَّ**) أي: أن أضل في نفسي بأن ارتكب أمرا يفضي بي إلى الضلال.

قوله: (**أَوْ أُضَلَّ**) أي: أن يضلني غيري من شياطين الإنس والجن.

قولـه: (**أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ**) مـن الزلَّـة، وهـي العثرة والمراد الوقـوع في الذنب من حيث لا يشعر.

قوله: (**أَوْ أَزِلَّ**) أي: من نفسي. وقوله: (**أَوْ أُزَلَّ**) أي: يوقعني غيري في الزلل[1].

قوله: (**أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ**) من الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه.

قوله: (**أَوْ أَظْلِمَ**) أي: نفسي بإيقاعها في الخطإ، وغيري بأن أَعتدي عليه.

قوله: (**أَوْ أُظْلَمَ**) أي: أن يظلمني أحد في نفسي أو مالي أو عرضي.

قوله: (**أَوْ أجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**) من الجهل وهو ضد العلم.

قوله: (**أَوْ أجْهَلَ**) أي: أفعل فعل الجهلاء.

قولـه: (**أَوْ يُجْهَـلَ عَـلَيَّ**) أي: أن يجهـل عـليَّ غـيري فيقابلنـي بالسـفاهة والوقاحـة مقابلـة الجهـلاء.

فهـذا دعـاء عظيم فيه الالتجـاء والاعتصـام والتحرز إليه سـبحانه بـأن يحمي العبد مـن الوقـوع في شيء من هـذه الأمور المذكورة ليسـلم في دينـه ودنياه.

قـال في(الفتوحـات): قـال الطيبـي: إذا خـرج الإنسـان مـن منزلـه لا بـد أن يعاشر النـاس فيخـاف أن يعـدل عـن الطريـق القويـم، فإمـا أن يكـون في أمر الديـن فلا يخلو مـن أن يضِـل أو يضَـل أو في أمـر الدنيا فإمـا أن يظلِـم أو يظلَم أو بسـبب الاختلاط أو المعـاشرة، فإمـا أن يجهـل أو يجهـل عليـه فاسـتعيذ من جميع هـذه الأحوال بلفظ سـلس موجـز وراعـى المطابقـة المعنوية والمشـاكلة اللفظيـة كقوله:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـل فـوق جهـل الجاهلـين

ويعضد هذا التأويل الحديث الثاني[2]:

فقولـه: (**هُديـت**) مطابـق لقولـه: (**أن أضِـل أو أضَـل**)، وقولـه: (**كُفيـت**) لقولـه: (**أظلِـم أو أظلَـم**)، وقولـه: (**ووُقيـت**) لقولـه: (**أجهـل أو يجهـل عـليَّ**). اهــ[3].

---

(1) عون المعبود (13/ 438).

(2) وهو تتمة الحديث السابق عندنا.

(3) الفتوحات الربانية (1/ 330).

فائدة: جاء في أول الحديث عند أبي داود في السنن قول أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها (راوية الحديث): ما خرج النبي ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: (**اللهم إني أعوذ بك أن أضل...**) الحديث.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم(3163): زيادة رفع طرفه إلى السماء لا تصح. وقال في الكلم الطيب برقم (59): رفع الطرف شاذ. وليس رفع الطرف إلا في أبي داود. اهـ

11 الذِّكر عند دخول المنزل

18- (بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا، وبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا، وعَلَى اللهِ رَبِّنا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ)[1].

قوله: (**بسم الله**) أي: لا باسم غيره.

قوله: (**ولجنا**) أي: دخلنا. يقال: ولج يلج ولوجا. قال في(النهاية): الولوج: الدخول. وقد ولج يلج، وأولج غيره. اهـ

قوله: (**وعلى ربنا توكلنا**) أي: وعلى ربنا الذي ربَّانا وربَّى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودنا وليس لنا معبود سواه، فوضنا أمورنا كلها إليه، ورضينا بتصرفه كيفما شاء.

قوله: (**ثم ليسلم على أهله**) أي: على أهل بيته.

وقول (السلام عليكم) عند دخول المنزل فيه **بركة** على الإنسان وعلى أهل بيته فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (**يا بني إذا دخلت على أهلك فسلِّم، تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**)[2].

ومن سلّم عند دخول بيته فهو **ضامن** على الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: (**ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل: ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله سبحانه وتعالى**)[3].

قال الإمام النووي رحمه الله: ومعنى: (**ضامن على الله تعالى**) أي: صاحب ضمان.

و(**الضمان**): الرعاية للشيء، كما يقال: تامر ولابن، أي: صاحب تمر ولبن، فمعناه: أنه: في رعاية الله تعالى. وما أجزل هذه العطية! اللهم ارزقناها[4].

فائدة: يستحب للمسلم عند دخول المنزل أن يسلم سواء كان المنزل منزله أو منزل غيره، وسواء كان فيه أحد أم لا.

---

(1) رواه أبو داود برقم(5096)، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم (5832)، والكلم الطيب برقم (62).

(2) رواه الترمذي برقم (2698)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب برقم (1608).

(3) رواه أبو داود برقم (2494)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب برقم (1609).

(4) الأذكار(1/ 86).

روى الإمام البخاري رحمه الله في (الأدب المفرد) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (إذا دخل البيت غير المسكون، فليقل: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين).

قال الشيخ الألباني: حسن الإسناد، وكذا قال الحافظ في الفتح (11/ 17)اهـ[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: يستحب أن يقول: بسم الله، وأن يكثر من ذكر الله تعالى، وأن يسلم سواء كان في البيت آدمي أم لا، لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61]. اهـ[2].

فائدة أخرى: بما أنّ الحديث ضعيف فثمّة مسألة مهمة وهي: هل يجوز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال؟

قال الشيخ الألباني رحمه الله في(تمام المنة): اشتهر بين كثير من أهل العلم وطلابه أن الحديث الضعيف يجوز العمل به في فضائل الأعمال، ويظنون أنه لا خلاف في ذلك، كيف لا والنووي رحمه الله نقل الاتفاق عليه في أكثر من كتاب واحد من كتبه؟ وفيما نقله نظر بين، لأن الخلاف في ذلك معروف، فإن بعض العلماء المحققين على أنه لا يعمل به مطلقا، لا في الأحكام ولا في الفضائل.

قال الشيخ القاسمي رحمه الله في قواعد التحديث(ص94): حكاه ابن سيد الناس في(عيون الأثر) عن يحيى بن معين، ونسبه في (فتح المغيث)لأبي بكر بن العربي، والظاهر أن مذهب البخاري ومسلم ذلك أيضا... وهو مذهب ابن حزم.... ومن شاء زيادة بيان وتفصيل في هذا البحث الهام فليرجع إلى مقدمة صحيح الترغيب (1/ 16-36). اهـ[3].

قلت: وكذا مقدمة صحيح الجامع الصغير وزيادته (ص49-56).

ورحم الله الإمام عبد الله بن المبارك القائل: في صحيح الحديث شغل عن سقيمه والله أعلم[4].

---

(1) الأدب المفرد برقم (1055).

(2) الأذكار (1 / 48).

(3) تمام المنة (ص34).

(4) انظر سير أعلام النبلاء (8 / 403).

12 دعاء الذهاب إلى المسجد

19 - (**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، ومِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، واجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وأعْظِمْ لِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا، واجْعَلْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا، اللَّهُمَّ أعْطِنِي نُورًا، واجْعَلْ فِي عَصَبِي نُورًا، وَفِي لَحْمِي نُورًا، وَفِي دَمِي نُورًا، وفِي شَعْرِي نُورًا، وفِي بَشَرِي نُورًا**)[1].

[(**اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي... ونُورًا فِي عِظَامِي**)][2]. [(**وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا**)][3]. [(**وَهَبْ لِي نُورًا عَلَى نُورٍ**)][4].

قوله: (**اللهم اجعل في قلبي نورا**) الخ، قال الكرماني: التنوين فيها للتعظيم أي نورا عظيما. اهـ

والنور في الأصل: ما يتبين به الشيء حسيا كان، أو معنويا.

وقدم القلب لشرفه، لكونه ملك الأعضاء، إذ هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، فإذا استنار القلب فاض نوره على البدن كله، فتنشط الأعضاء للطاعة، كما قال بعضهم:

وإذا حلت الهداية قلبا ... نشطت للعبادة الأعضاء

ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، فإن كان الملك صالحا كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدا، كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة.

قوله: (**وفي لساني نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا...**) والمعنى: اجعل في كل عضو من هذه الأعضاء، وفي كل جهة من هذه الجهات نورا، أهتدي به في إتباع الحق، والعمل به، ويهتدي به من أراد إتباعي على الحق.

---

(1) رواه البخاري برقم (6316)، ومسلم برقم (763).

(2) رواه الترمذي برقم (3419)،وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(3) الأدب المفرد برقم (696)،وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(4) ذكره ابن حجر في فتح الباري وعزاه إلى ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، انظر الفتح(118/ 11)،وقال: فاجتمع من اختلاف الروايات خمس وعشرون خصلة.

قوله: **(وأعظم لي نورا)** أي: اجعل لي نورا عظيما جامعا للأنوار كلها[1].

وقوله: **(واجعل لي نورا، واجعلني نورا)** اجمال بعد تفصيل.

قال الحافظ في (الفتح): هي فذلكة لذلك وتأكيد له[2].

أي: اجمال لذلك التفصيل. وفذلكة الشيء: جمعه، مأخوذ من(فذلك)، وهو مصنوع، كالبسملة أفاده في(المرقاة).

قلت: وكالحوقلة، والحيعلة... الخ.

قوله: **(واجعل في عصبي)** بفتح المهملتين وبعدهما موحدة قال ابن التين: هي أطناب المفاصل. وقوله: **(وبشَري)** بفتح الموحدة والمعجمة: ظاهر الجسد.

قال في(النهاية): وفي حديث الدعاء: **(اللهم اجعل في قلبي نورا)**، وباقي أعضائه، أراد ضياء الحق وبيانه، كأنه قال: اللهم استعمل هذه الأعضاء منّي في الحقّ، واجعل تصرفي وتقلبي فيها على سبيل الصواب والخير. اهـ[3].

قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء رحمهم الله: سأل النور في أعضائه وجهاته، والمراد به بيان الحق وضياؤه، والهداية إليه، فسأل النور في جميع أعضائه، وجسمه، وتصرفاته، وتقلباته، وحالاته، وجملته في جهاته الست حتى لا يزيغ منها شيء عنه. اهـ[4].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: وهذه الأنوار التي دعا بها النبي ﷺ يمكن أن تحمل على ظاهرها، فيكون معنى سؤاله: أن يجعل الله له في كل عضو من أعضائه نورا يوم القيامة يستضيء به في تلك الظلم، هو ومن تبعه، أو من شاء الله تعالى ممن تبعه، والأولى أن يقال: هذه الأنوار هي مستعارة للعلم والهداية ، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: 22]، وكما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: 122]. أي: علما وهداية، والتحقيق في معنى النور: أن النور مظهر ما ينسب

(1) شرح سنن النسائي (13 / 364).

(2) فتح الباري (14 / 314).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص945).

(4) شرح مسلم (6/ 53).

إليه، وهو يختلف بحسبه، فنور الشمس: مظهر للمبصرات، ونور القلب: كاشف عن المعلومات، ونور الجوارح: ما يبدو عليها من أعمال الطاعات. اهـ[1].

وقال الحافظ في(الفتح): قال الطيبي: معنى طلب النور للأعضاء عضوا عضوا أن يتحلى بأنوار المعرفة والطاعات ويتعرى عما عداها، فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس، فكان التخلص منها بالأنوار السادَّة لتلك الجهات، قال: وكل هذه الأمور راجعة إلى الهداية والبيان وضياء الحق، وإلى ذلك يرشد قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ انتهى ملخصا[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والشأن كل الشأن، والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته.

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤاله ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه، وعظامه، وعصبه، وشعره، وبشره، وسمعه، وبصره، ومن فوقه، ومن تحته وعن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه، وأمامه، حتى يقول: **(واجعلني نورا)**.

فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورا. فدين الله عز وجل نور، وكتابه نور، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض، ومن أسمائه النور، والظلمات أشرقت لنور وجهه[3].

---

(1) المفهم للقرطبي (2 / 395).

(2) فتح الباري (14 / 314).

(3) الوابل الصيب (ص114).

13 دعاء دخول المسجد

20- **(أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)**[1].

قوله: **(أعوذ بالله العظيم)** الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذًا وملجأ. فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه، إلى ربه ومالكه، واعتصم به واستجار، والتجأ إليه. وهذا تمثيل، وإلا فيما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاطراح بين يد الرب، والافتقار إليه، والتذلل له، أمر لا تحيط به العبارة، قاله ابن القيم رحمه الله[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير[3].

(العظيم): الذي له جميع معاني العظمة والجلال، وأنه لا يستحق أحد التعظيم والتكبير والإجلال سواه. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال. [4].

وقال في النونية:

وهو العظيم بكل معنى يوجب التعـ ـظيم لا يحصيه من إنسان

قوله: **(وبوجهه الكريم)** فيه إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وأنه موصوف بالكرم وهو الحسن والبهاء.

قوله: **(وسلطانه القديم)** السلطان هنا المقصود به الخلق، يعني: الملكوت، وهو موصوف بالقِدَم وهو الأولية التي ليست قبلها شيء. و**(القديم)** هنا ليس نعتا لله عز

---

(1) رواه أبو داود برقم (466)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (4591).

(2) فتح المجيد (ص187).

(3) تفسير ابن كثير (1 / 175).

(4) بدائع الفوائد (1 / 282).

وجل، بل نعتا للسلطان، فلا يصح أن يقال: إن من أسماء الله عز وجل القديم لهذا الأمر[1].

قال في(عون المعبود): **(وسلطانه)** أي: غلبته وقدرته وقهره على ما أراد من خلقه، **(القديم)** أي: الأزلي الأبدي. اهـ[2].

وقال العيني رحمه الله في(شرح سنن أبي داود): أي: حجته القديمة، وبرهانه القديم، أو قهره القديم، لأن السُلطان من السلاطَة، وهي القهر، والقديم من القِدمَ ـ بكسر القاف وفتح الدال ـ وهو خلاف الحدوث. اهـ[3].

قوله: **(من الشيطان الرجيم)** الشيطان: اسم لكل متمرد عاتٍ: سمّي شيطانا لشطونه عن الخير، أي: تباعده. وقيل: لشيطه، أي: هلاكه واحتراقه. فعلى الأول النون أصلية، وعلى الثاني زائدة. و**(الرجيم)**: المطرود والمبعد. وقيل: المرجوم بالشهب. كذا في المجموع (3/ 323)[4].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الشيطان: في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل مشتق من شاط، لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب.

والرجيم: فعيل بمعنى مفعول، أي: إنه مرجوم مطرود عن الخير كله[5].

قال في(المرقاة): يعني اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله فإنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة[6].

وجاء في نهاية الحديث قوله ﷺ: **(فإذا قال ذلك: قال الشيطان: حُفِظ مني سائر اليوم)**. أي: جميعه.

---

(1) مستفاد من شرح الشيخ صالح آل الشيخ على(الطحاوية)و(الواسطية).

(2) عون المعبود (2 / 132).

(3) شرح سنن أبي داود (2 / 375).

(4) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (270).

(5) تفسير ابن كثير (1/ 176).

(6) مرقاة المفاتيح (2/ 425).

قال الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله: هذا الحديث فيه تعوذ بالله وأسمائه وصفاته، ومن صفاته سبحانه وجهه الموصوف بالكرم وهو الحسن والبهاء، ومن صفاته السلطان الموصوف بالقِدَم وهو الأولية التي ليست قبلها شيء، وفي هذا دلالة على عظمة الله سبحانه وجلاله وكماله، وكمال قدرته وكفايته لعبده المستعيذ به الملتجئ إليه سبحانه[1].

- **(بسم الله، وَالصَّلاةُ)**[2]. **([وَالسَّلامُ عَلَىَ رَسُولِ الله])**[3]. **(اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ)**[4].

التسمية والصلاة على رسول الله ﷺ عند ابن السني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: **(بسم الله، اللهم صل على محمد، وإذا خرج قال: بسم الله، اللهم صل على محمد)**.

والسلام على النبي ﷺ وطلب فتح أبواب الرحمة عند أبي داود من حديث أبي حميد أو أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه، [وعند ابن السني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه]. قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك)**. واللفظ لأبي داود.

وطلب فتح أبوب الرحمة أيضا عند مسلم عن أبي حميد أو عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك)**.

قوله: **(إذا دخل المسجد)** أي حال دخوله المسجد، وقوله: **(إذا خرج)** أي حال خروجه منه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي ﷺ عند دخول المسجد وعند الخروج منه[5].

---

(1) فقه الأدعية والأذكار (3/ 125).

(2) رواه ابن السني برقم (89)، وحسنه الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم (63).

(3) رواه أبو داود برقم (465)، وابن السني برقم (87)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، وصحيح الجامع برقم (514).

(4) رواه مسلم برقم (713).

(5) جلاء الأفهام (ص535).

قوله: (**بسم الله**) أي: باسم الله أدخل.

قوله: (**والصلاة والسلام على رسول الله**) أولى ما قيل في معنى الصلاة على النبي ﷺ قول أبي العالية: صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه وتعظيمه.

وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، ذكره الحافظ في(الفتح) ورد القول المشهور أن صلاة الرب الرحمة، وفصل ذلك ابن القيم في(جلاء الأفهام)بما لا مزيد عليه، فراجعه[1].

قلت: وقول أبي العالية أخرجه الإمام البخاري رحمه الله معلقا في (كتاب التفسير) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]. بلفظ: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

قال ابن عباس: يصلون: يبرِّكون.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الصلاة على النبي ﷺ هي ثناء الله تعالى عليه وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذِكره، وزيادة حبه وتقريبه[2].

قوله: (**أبواب رحمتك**) أي: أنواع رحمتك.

فائدة: يستحب عند دخول المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى وعند الخروج أن تبدأ برجلك اليسرى فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (**من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى**) حسّنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2478).

---

(1) صفة الصلاة (ص165).

(2) جلاء الأفهام (ص450).



14 دعاء الخروج من المسجد

21- (**بِسْمِ اللهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**)[1].

قوله: (**بسم الله**) أي: باسم الله أخرج.

قوله: (**اللهم إني أسألك من فضلك**) أي: أسألك من خيري الدنيا والآخرة.

قوله: (**اللهم اعصمني من الشيطان**) أي: احفظني من كيده ووسوسته، ومن عصمه الله حماه من الوقوع في الهلاك، أو ما يجر إليه، يقال: عصمه الله من المكروه: وقاه، وحفظه واعتصمت بالله لجأت إليه[2]. (**الرجيم**) أي: المطرود عن الخير كله.

وفي قوله: (**اللهم إني أسألك من فضلك**) عند الخروج، و(**اللهم افتح لي أبواب رحمتك**) عند الدخول **حكمة**، ومن بديع ما قيل في مناسبة ذكر الرحمة عند دخول المسجد، وذكر الفضل عند الخروج منه ما قاله ابن علان رحمه الله في(الفتوحات الربانية): والحكمة في تخصيص ذكر الرحمة بالدخول والفضل بالخروج أن الداخل طالب للآخرة والرحمة أخص مطلوب له، والخارج طالب للمعاش في الدنيا وهو المراد بالفضل، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: 10]. وقال الطيبي: لعل السر أن من دخل يشتغل بما يزلفه إلى الله تعالى وإلى ثوابه وإلى جنته، فناسب ذكر الرحمة، وإذا خرج انتشر في الأرض ابتغاء فضل الله من الرزق الحلال فناسب الفضل. اهـ[3].

---

(1) رواه مسلم برقم (713).

(2) انظر فتح الباري (15/ 225).

(3) الفتوحات الربانية (2/ 43).

15 أذكار الأذان

قال الحافظ في(الفتح): الأذان لغة: الإعلام، قال الله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة: 3]، واشتقاقه من الأذن بفتحتين وهو الإستماع، وشرعا: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة. قال القرطبي وغيره: الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة.... ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام[1].

22-(1) **(يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ الـمُؤَذِّنُ إلاَّ فِي (حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ وَحَيَّ عَلَى الفَلاَحِ) فَيَقُولُ: (لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ)**[2].

ذكره المصنف حفظه الله حديثين. **الأول**: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن)**. وأما الحديث **الثاني** الذي ذُكرت فيه الحيعلة والحوقلة فقد أخرجه الإمام مسلم رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا قال: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: أشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال: حيَّ على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حيَّ على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه، دخل الجنة)**[3].

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله ﷺ في حديث أبي سعيد: **(إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن)** عامٌّ مخصوص، لحديث عمر أنه يقول في الحيعلتين: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**[4].

---

(1) فتح الباري (15/ 225).

(2) رواه البخاري برقم (611)، ومسلم برقم (383).

(3) رواه مسلم برقم (385).

(4) شرح مسلم (4/ 99).

قوله: (**إذا سمعتم النداء**) أي: الآذان. قال الحافظ في (الفتح): ظاهره اختصاص الإجابة بمن يسمع حتى لو رأى المؤذن على المنارة مثلا في الوقت وعلم أنه يؤذن لكن لا يسمع آذانه لبعد أو صمم لا تشرع له المتابعة، قاله النووي في شرح المهذب. اهـ[1].

قوله: (**فقولوا مثل ما يقول المؤذن**) فيه استحباب إجابة المؤذن بمثل ما يقول في جمل الآذان، ويستثنى من ذلك: (**حيَّ على الصلاة وحيَّ على الفلاح**) فيقول بدلهما: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**)، والسر في ذلك أن قوله: (**حيَّ على الصلاة**) دعوة للناس للمجيء لأداء الصلاة، وقوله: (**حيَّ على الفلاح**) دعوة لهم للمجيء لتحصيل ثوابها، وفي قول المسلم عند سماع ذلك: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) طلب للعون من الله في تحقيق ذلك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وهديه ﷺ الذي صح عنه إبدالهما بالحوقلة وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسامع، فإن كلمات الآذان ذكر، فسن للسامع أن يقولها، وكلمة الحيعلة دعاء إلى الصلاة لمن سمعه، فسن للسامع أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهي (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) العلي العظيم[2].

قال الطيبي: معنى الحيعلتين: هلمّ بوجهك وسريرتك الى الهدى عاجلا، والفوز بالنعيم آجلا، فناسب أن يقول: هذا أمر عظيم لا أستطيع مع ضعفي القيام به إلا إذا وفّقني الله بحوله وقوته[3].

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله: (**إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال: حيَّ على الصلاة**) إلى آخره، معناه: قال كل نوع من هذا مثنى كما هو المشروع، فاختصر ﷺ من كل نوع شطره تنبيها على باقيه، ومعنى حيّ على كذا، أي: تعالوا إليه، والفلاح: الفوز والنجاة وإصابة الخير، قالوا: وليس في كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظة الفلاح، ويقرب منها النصيحة، فمعنى (**حيَّ على الفلاح**) أي: تعالوا إلى سبب الفوز والبقاء في الجنة، والخلود في النّعيم، والفلاح والفلح تطلقها العرب أيضا على البقاء.

---

(1) فتح الباري (2/ 415).

(2) زاد المعاد (2/ 391).

(3) فتح الباري (2/ 416).

وقوله: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) يجوز فيه خمسة أوجه لأهل العربية مشهورة، **أحدها**: لا حول ولا قوة بفتحهما بلا تنوين. **والثاني**: فتح الأول ونصب الثاني منونا. **والثالث**: رفعهما منونين. **والرابع**: فتح الأول ورفع الثاني منونا. **والخامس**: عكسه. قال الهروي: قال أبو الهيثم: الحول الحركة أي: لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله، وكذا قال ثعلب وآخرون، وقيل: لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته. وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه. وحكى الجَوهري لغةً غريبة ضعيفة أنه يقال: لا حيل ولا قوة إلا بالله، بالياء، قال: والحيل والحول بمعنًى.

ويقال في التعبير عن قولهم: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) الحوقلة، هكذا قال الأزهري والأكثرون. وقال الجوهري: الحولقة. فعلى الأول -وهو المشهور- الحاء والواو من الحول، والقاف من القوة، واللام من اسم الله تعالى. وعلى الثاني: الحاء واللام من الحول، والقاف من القوة، والأول أولى لئلا يفصل بين الحروف. وفي الحديث أحكام:

استحباب قول سامع المؤذن مثل ما يقول إلا في الحيعلتين، فإنّه يقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله. **وفيه**: أنه يستحب أن يقول السامع كلّ كلمة بعد فراغ المؤذن منها، ولا ينتظر فراغه من كل الآذان.

وفيه: أن الأعمال يشترط لها القصد والإخلاص لقوله ﷺ: (**من قلبه**).

واعلم أنه يستحب إجابة المؤذن بالقول مثل قوله لكل من سمعه من متطهر ومحدث وجنب وحائض وغيرهم، ممّن لا مانع له من الإجابة، فمن أسباب المنع: أن يكون في الخلاء، أو جماع أهله أو نحوهما...

قال القاضي عياض رحمه الله: قوله ﷺ: (**إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر**) إلى آخره ثم قال في آخره: (**من قلبه دخل الجنّة**) إنما كان كذلك لأن ذلك توحيد وثناء على الله تعالى، وانقياد لطاعته وتفويض إليه، لقوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، فمن حصّل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان وكمال الإسلام، واستحق الجنّة بفضل الله تعالى، وهذا معنى قوله في الرواية الأخرى: (**رضيت بالله ربّا، وبمحمد رسولا، وبالاسلام دينا**).

قال: واعلم أن الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان، مشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فأوله: إثبات الذات وما يستحقه من الكمال، والتنزيه عن أضدادها،

وذلك بقوله: الله أكبر، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد، المقدمة على كل وظائف الدين، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعاهم إلى الصلاة وعقبها بعد إثبات النبوة، لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح، وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه. هذا آخر كلام القاضي، وهو من النفائس الجليلة، وبالله التوفيق[1].

قوله: (**من قلبه دخل الجنة**) فيه دلالة على اشتراط الإخلاص لقبول الأقوال والأعمال.

فوائد:

01-هل إجابة المؤذن واجبة؟

قال الحافظ في (الفتح): واستدل به-أي بحديث: (**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**) - على وجوب إجابة المؤذن، حكاه الطحاوي عن قوم من السلف وبه قال الحنفية وأهل الظاهر وابن وهب.

واستدل للجمهور بحديث أخرجه مسلم[2] وغيره أنه ﷺ سمع مؤذنا فلما كبّر قال: (**على الفطرة**)، فلما تشهد قال: (**خرجتَ من النّار**) قال: فلما قال عليه الصلاة والسلام غير ما قال المؤذن علمنا أن الأمر بذلك **للإستحباب**.

---

(1) شرح مسلم (4/ 97-101).

(2) برقم (382)، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان. قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه: قوله ﷺ: (**على الفطرة**) أي: على الإسلام. وقوله ﷺ: (**خرجت من النّار**) أي: بالتوحيد. [وجاء في آخر الحديث قوله: فنظروا، فإذا هو راعي معزى.] وقوله: (فإذا هو راعي معزى) احتج به في أن الأذان مشروع للمنفرد، وهذا هو الصحيح المشهور في مذهبنا ومذهب غيرنا. وفي الحديث دليل على أن الأذان يمنع الإغارة على أهل ذلك الموضع، فإنه دليل على إسلامهم. اهـ

وتعقب بأنه ليس في الحديث أنه لم يقل مثل ما قال، فيجوز أن يكون قاله ولم ينقله الراوي اكتفاء بالعادة ونقل القول الزائد، وبأنه يحتمل أن يكون ذلك وقع قبل صدور الأمر، ويحتمل أن يكون الرجل لما أمر لم يرد أن يدخل نفسه في عموم من خوطب بذلك، قيل: ويحتمل أن يكون الرجل لم يقصد الأذان لكن يرد هذا الأخير أن في بعض طرقه أنه حضرته الصلاة[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وهل هذا القول مثل قول المؤذن واجب على من سمعه أم مندوب؟ فيه خلاف، حكاه الطحاوي، الصحيح الذي عليه الجمهور أنه **مندوب**[2].

قلت: وهو الصحيح والله أعلم. وللفائدة أيضا انظر (تمام المنة) و (الشرح الممتع)، وبالله التوفيق[3].

02-قال العلماء: لو لم يجاوبه حتى فرغ من الآذان، استحب له التدارك إن لم يطل الفصل، فإن طال، فإنها سنة فات محلها. أفاده الشيخ البسام رحمه الله في (توضيح الأحكام).

03-كيف نجيب المؤذن إذا ثوّب في صلاة الصبح فقال: **(الصلاة خير من النوم)**؟

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: إذا قال المؤذن في صلاة الصبح: **(الصلاة خير من النوم)**، فإن السامع يقول مثل ما يقول: **(الصلاة خير من النوم)** وهو الصحيح لأن النبي ﷺ قال: **(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول)**، وهذا عامٌّ في كل ما يقول... اهـ[4].

قلت: وأما قول الإمام النووي رحمه الله في الأذكار(1/ 111): ويقول في قوله: **(الصلاة خير من النوم)**: صدقت وبررت[5]، وقيل: يقول: صدق رسول الله ﷺ، الصلاة خير من النوم. انتهى. فقد قال الحافظ في (التلخيص الحبير): لا أصل لها[6].

(1) فتح الباري (2/ 418).

(2) شرح مسلم (4/ 100).

(3) تمام المنة (ص339-340)،الشرح الممتع (2/ 82).

(4) الشرح الممتع (2/ 92).

(5) وقاله أيضا في (شرح مسلم).

(6) التلخيص الحبير(1/ 378).

23-(2)**يَقُولُ: (وأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ، رَضِيتُ باللهِ رَبًّا، وبمُحَمَدٍ رَسُولاً، وبالإِسْلامِ دِينًا)**[1]. **(يَقُولَ ذَلِكَ عَقِبَ تَشَهُّدِ المُؤَذِّنِ)**[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يَسْعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ[3].

وقال العيني رحمه الله في (شرح سنن أبي داود):

قوله: **(رضيت بالله ربا)** أي: قنعتُ به، واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره.

قوله: **(وبمحمد رسولا)** أي: رضيت بمحمد رسولا إليَّ، وإلى سائر المسلمين.

قوله: **(وبالإسلام دينا)** أي: رضيت بالإسلام دينا بمعنى: لم أبتغ في غير طريق الإسلام، ولم أسلك إلا ما يوافق شرع محمد عليه[الصلاة]والسلام، أو لم أبتغ غير الإسلام دينا. اهـ [4].

قوله: **(يقول ذلك عقب تشهد المؤذن)** أي: بعد قوله: **(أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله)**.

قلت: وجاء هذا بلفظ أصرح في روايتين لهذا الحديث:

الأولى: أخرجها أبو عوانة في مستخرجه على صحيح مسلم(1/ 340)، بلفظ: **(من سمع المؤذن-قال: وقال ابن عامر: من قال حين يسمع المؤذن-أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، رضيت بالله ربا...)** الحديث. فهذا الحديث صريح في أن السامع يقول بعد جواب المؤذن على الشهادتين: **(رضيت بالله ربا..)** الخ، أي: مرة واحدة[5].

---

(1) رواه مسلم برقم (386)..

(2) قال المصنف: رواه ابن خزيمة (1/ 220)، برقم (422).قلت: هذا اللفظ ليس في رواية ابن خزيمة إنما لفظه: **(من سمع المؤذن يتشهد فالتفت في وجهه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله...)**.فتنبه.

(3) شرح مسلم (2/ 5).

(4) شرح سنن أبي داود (2/ 485).

(5) تصحيح الدعاء (ص371)، وانظر الشرح الممتع (2/ 86).

الثانية: أخرجها الطحاوي في شرح معاني الآثار(1/ 145): **(من قال حين يسمع المؤذن يتشهد)**. صححها الشيخ الألباني رحمه الله وقال: وفيه هذه الزيادة التي تعيِّن متى يقال هذ الدعاء وهو حين يتشهد المؤذن. وهي زيادة **عزيزة** قلّما توجد في كتاب، فتشبّث بها[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: وفيه أنه يستحب أن يقول بعد قوله: وأنا أشهد أن محمدا رسول الله: رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالاسلام دينا[2].

وجاء في آخر الحديث أن من قال هذا الذكر: **(غفر له ذنبه)**.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله معلقا على هذا الحديث، وحديث: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا)**: هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسوله والانقياد له والرضا بدينه والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصِّدِّيق حقا. وهي سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها.

فالرضا بإلهيته: يتضمن الرضا بمحبته وحده، وخوفه، ورجاءَه، والإنابة إليه، والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له. **والرضا بربوبيته**: يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيا بكل ما يفعل به. فالأول يتضمن رضاه بما يؤمر به. والثاني يتضمن رضاه بما يُقدَّر عليه. **وأما الرضا بنبيه رسولا**: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكِّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء

(1) الثمر المستطاب (183).

(2) شرح مسلم (4/ 99).

الطهور. و**أما الرضا بدينه**: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى: رضي كل الرضا ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم له تسليما ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته، وهاهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم، فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد، فإنه والله عين العزة، والصحبة مع الله ورسوله، وروح الأنس به، والرضا به ربا، وبمحمد ﷺ رسولا، وبالإسلام دينا... فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولا بد، ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له وصعوبته عليها لم يوجبه الله على خلقه رحمة بهم، وتخفيفا عنهم، لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها. فمن رضي عن ربه رضي الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضا قبله أوجب له أن يرضى عنه، ورضا بعده هو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين. [1].

24-(3) **(يُصَلِّي عَلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِجَابَةِ المُؤَذِّنِ)**[2].

والحديث بتمامه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: **(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا علي، فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة، حلت له الشفاعة)**.

قوله: **(ثم صلوا عليّ)** أتى بـ: (ثم) إشارة إلى أن الصلاة تكون بعد الفراغ من الإجابة، والأولى أن تكون الصلاة بالصيغة الواردة عنه وهي الصلاة الإبراهيمية، ولا ينبغي لمسلم أن يشتغل بغيرها.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأكمل ما يصلى عليه به، ويصل إليه، هي الصلاة الإبراهيمية كما علمه أمته أن يصلوا عليه، فلا صلاة عليه أكمل منها وإن تحذلق المتحذلقون. اهـ[3].

(1) مدارج السالكين (2/ 179-182).

(2) رواه مسلم برقم (384).

(3) زاد المعاد (2/ 392).

وصيغة الصلاة الإبراهيمية: **(اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد)**[1].

ولا يرفع بالصلاة صوته كما يفعله بعض المبتدعة.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: والصواب أن ما أحدثه الناس من رفع الصوت بالتسبيح قبل الأذان والصلاة على النبي ﷺ بعده بدعة يجب على ولاة الأمر إنكارها حتى لا يدخل في الأذان ما ليس منه، وفيما شرعه الله غنية وكفاية عن المحدثات[2].

قوله: **(فإنه من صلّى عليّ صلاة)** أي: صلاة واحدة **(صلّى الله عليه بها عشرا)** أي: عشر صلوات.

قال الإمام النووي رحمه الله: وفيه أنه يستحب لمن رغّب غيره في خير أن يذكر له شيئا من دلائله لينشطه لقوله ﷺ: **(فإنه من صلى علي مرّة صلى الله عليه بها عشرا، ومن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة)**.

قوله: **(ثم سلوا الله لي الوسيلة)** الوسيلة فسّرها النّبي ﷺ بأنها منزلة في الجنة. وقال أهل اللغة: الوسيلة المنزلة عند الملك[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وسمّيت درجة النبي ﷺ الوسيلة، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرب تبارك وتعالى، وهي أقرب الدرجات إلى الله.

وأصل اشتقاق لفظ: (الوسيلة) من القرب. وهي فعيلة: من وسل إليه: إذا تقرب إليه. قال لبيد:

بلى كل ذي رأي إلى الله واسل.

ومعنى الوسيلة: من الوُصْلة، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها، وأعظمها نورا.

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه، وأعلمهم به، وأشدَّهم له خشية، وأعظمهم له محبة، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهي أعلى درجة

---

(1) رواه البخاري برقم (3370).

(2) التعليق على الفتح (2/ 417).

(3) شرح مسلم (4/ 97).

في الجنة، وأمر ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى من الله، وزيادة الإيمان. وأيضا، فإنَّ الله سبحانه قدَّرها له بأسباب، منها: دعاء أُمَّتَه له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه. اهـ[1].

قوله: (**لاتنبغي**) أي: لا تصلح، ولا تتيسر. (**إلا لعبد**) أي عظيم كما يفيده التنكير. (**وأرجوا**) أي أؤمل. (**أن أكون أنا هو**) قال في(فيض القدير): أي أنا ذلك العبد، وذكره على طريق الترجي تأدبا وتشريعا لأنه إذا كان أفضل الأنام، فلمن يكون المقام؟ قال الطيبي: قيل إن (هو) خبر كان، وضع بدل إياه، ويحتمل أن لا يكون (أنا) للتأكيد، بل يكون مبتدأ و(هو)خبره، والجملة خبر (أكون). ويمكن أن يقال إن هذا الضمير وضع موضع اسم الإشارة، أي أكون أنا ذلك العبد[2].

قوله: (**حلت له الشفاعة**) أي: استحقت ووجبت، أو نزلت عليه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فقوله: (**حلّت عليه**) يُرْوى (**عليه**) و(**له**)، فمن رواه بالّلام فمعناه: حصلت له. ومن رواه بعلى فمعناه: وقعت عليه شفاعتي، والله أعلم. اهـ[3].

والمراد بالشفاعة: الشفاعة العظمى، التي بها إراحة الخلائق من الموقف، ويحتمل إرادة غيرها من شفاعات النبي ﷺ.

والشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر، لأن فيها ضم الشيء إلى شيء، طلب الداعي نفسه وطلب الشفيع معه فكان طلبهما معا شفعا وليس وترا.

وأما في الاصطلاح: فهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. أو هي طلب الخير للغير.

وفيه إثبات الشفاعة، وهو مذهب أهل الحق، خلافا للمعتزلة والخوارج.

25 - (4) يَقُولُ: (**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيْلَةَ والفَضِيْلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، [إنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيْعَادِ]**)[4].

---

(1) حادي الأرواح (ص164-166).

(2) فيض القدير (1/ 384).

(3) حادي الأرواح (ص166).

(4) رواه البخاري برقم (614)، وما بين المعكوفتين للبيهقي (1/ 410).

قوله: (ربّ هذه الدعوة التامة) والمراد بها دعوة **التوحيد** كقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: 14]، وقيل لدعوة التوحيد **(تامة)** لأن الشركة نقص، أو التامة التي لا يدخلها تغيير ولا تبديل، بل هي باقية إلى يوم النشور، أو لأنها هي التي تستحق صفة التمام وما سواها فمعرَّض للفساد. وقال ابن التين: وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو (لا إله إلا الله)[1].

قوله: **(والصلاة القائمة)**: أي: الدائمة التي لا تغيرها ملة، ولا تنسخها شريعة، وأنها قائمة ما دامت السموات والأرض.

قوله: **(آت محمدا)** آت: بمعنى أعطِ. **(الوسيلة)** المنزلة العالية في الجنة.

قوله: **(والفضيلة)** أي: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق.

قوله: **(وأبعثه مقاما محمودا الذي وعدته)** أي: يحمد القائم فيه، وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات. والمراد هنا: الشفاعة للناس يوم القيامة.

قال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة[2].

وقد صح تفسير المقام المحمود بالشفاعة **مرفوعا** إلى النبي صلى الله عليه وآله سلم فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: 79]، وسئل عنها؟ قال: **(هي الشفاعة)**[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: هكذا لفظ الحديث: **(مقاما)** بالتنكير ليوافق لفظ الآية، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة، فوصف بما توصف به المعارف، وهذا ألطف من جعل **(الذي وعدته)** بدلا، فتأمله. [4].

قوله: **(إنك لا تخلف الميعاد)**: قال الشيخ الألباني رحمه الله: وقع عند البعض زيادات في متن هذا الحديث فوجب التنبيه عليها:

---

(1) فتح الباري (2/ 421).

(2) فتح الباري (2/ 422).

(3) رواه الترمذي برقم (3137)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2369).

(4) حادي الأرواح (ص161).

الأولى: زيادة: (**إنك لا تخلف الميعاد**) في آخر الحديث. عند البيهقي. وهي شاذة، لأنها لم ترد في جميع طرق الحديث عن علي بن عياش، اللهم إلا في رواية الكشميهني لصحيح البخاري خلافا لغيره، فهي شاذة أيضا لمخالفتها لروايات الآخرين للصحيح، وكأنه لذلك لم يلتفت إليها الحافظ، فلم يذكرها في (الفتح) على طريقته في جمع الزيادات من طرق الحديث ويؤيد ذلك أنها لم تقع في (أفعال العباد) للبخاري والسند واحد. ووقعت في كتاب (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ابن تيمية في جميع الطبعات (ص55) طبعة المنار الأولى، و(ص37) الطبعة الثانية منه، و(ص49) الطبعة السلفية، والظاهر أنها مدرجة من بعض النساخ. والله أعلم.

الثانية: في رواية البيهقي أيضا: (**اللهم إني أسالك بحق هذه الدعوة**) ولم ترد عند غيره وهي شاذة أيضا، والقول فيها كالقول في سابقتها.

الثالثة: وقع في نسخة من (شرح المعاني) (**سيدنا محمد**) وهي شاذة مدرجة ظاهرة الإدراج. الرابعة: عند ابن السني (**والدرجة الرفيعة**) وهي مدرجة أيضا من بعض النساخ... [1].

26 - (5) (يَدْعُو لِنَفْسِهِ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ حِيْنَئِذٍ لا يُرَدُّ)[2].

جاء هذا في قوله ﷺ: (**لا يُردُّ الدعاء بين الأذان والإقامة**).

قال في(سبل السلام): والحديث دليل على قبول الدعاء في هذه المواطن إذ عدم الرد يراد به القبول والإجابة، ثم هو عام لكل دعاء، ولا بد من تقييده بما في الأحاديث غيره من أنه ما لم يكن دعاء بإثم أو قطيعة رحم. اهـ[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: يدعو **لنفسه** بعد ذلك، ويسأل الله من **فضله**، فإنه يستجاب له، كما في (السنن) عنه ﷺ: (**قل كما يقولون**[يعني المؤذنين]، **فإذا انتهيت، فسل تعطه**)[4]. اهـ[5].

---

(1) انظر الإرواء (1/ 260-261).

(2) رواه أبو داود برقم (521)، والترمذي برقم (212)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء برقم (244).

(3) سبل السلام (2/ 76).

(4) رواه أبو داود برقم (524)،وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(5) زاد المعاد (2/ 392)..

قلت: جاء في لفظ آخر لهذا الحديث رواه الترمذي برقم(3594)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة)**، قال: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: **(سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة)**. قال الشيخ الألباني رحمه الله: منكر بهذا التمام. والعافية: كلمة **جامعة** للتخلص من الشر كله وأسبابه والله أعلم.



16 دعاء الاستفتاح

27 - (1) **(اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الـمَشْرِقِ والـمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بالثَّلْجِ والـمَاءِ والبَرَدِ)**[1].

وجاء فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة قال: أحسبه قال: هنية فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ : قال: **(اللهم باعد بيني...)** الحديث.

قوله: (إسكاتة) بكسر أوله بوزن إفعالة من السكوت، وهو من المصادر الشاذة نحو أثبته إثباتة، قال الخطابي: معناه سكوت يقتضي بعده كلاما مع قصر المدة فيه، وسياق الحديث يدل على أنه أراد السكوت عن الجهر لا عن مطلق القول، أو السكوت عن القراءة لا عن الذكر.

قوله: (أحسبه قال: هنية) بضم الهاء وفتح النون وتشديد الياء، أي: قليلا من الزمان. وهو تصغير (هنة)، ويقال: (هنيهة). قال السندي: أراد بالسكوت: أن لا يقرأ القرآن جهرا ولا يسمع الناس، وإلا فالسكوت الحقيقي ينافي القول، فلا يصح السؤال بقوله: ما تقول؟ أي: في سكوتك. اهـ

وقال الحافظ في (الفتح): هذه رواية عبد الواحد بن زياد بالظن، ورواه جرير عند مسلم وغيره وابن فضيل عند ابن ماجه وغيره بلفظ (سكت هنية) بغير تردد، وإنما اختار البخاري رواية عبد الواحد لوقوع التصريح بالتحديث فيها في جميع الإسناد، وقال الكرماني: المراد أنه قال - بدل إسكاتة -: هنية. قلت: وليس بواضح، بل الظاهر أنه شك هل وصف الإسكاتة بكونها هنية أم لا؟ وهنية بالنون بلفظ التصغير، وهو عند الأكثر بتشديد الياء، وذكر عياض والقرطبي أن أكثر رواة مسلم قالوه بالهمزة، وأما النووي فقال: الهمز خطأ، قال: وأصله هنوة فلما صغر صار هنيوة فاجتمعت واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم أدغمت.

---

(1) رواه البخاري برقم (744)،ومسلم برقم (598).

قال غيره: لا يمنع ذلك إجازة الهمز، فقد تقلب الياء همزة، وقد وقع في رواية الكشميهني هنيهة بقلبها هاء، وهي رواية إسحاق والحميدي في مسنديهما عن جرير.

قوله: (بأبي وأمي يا رسول الله) الباء متعلقة بمحذوف اسم أو فعل والتقدير: أنت مفدي أو أفديك، واستدل به على جواز قول ذلك، وزعم بعضهم أنه من خصائصه ﷺ.

قوله: (**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**) المراد بالمباعدة محو ما حصل منها والعصمة عما سيأتي منها، وهو مجاز لأن حقيقة المباعدة إنما هي في الزمان والمكان، وموقع التشبيه أن التقاء المشرق والمغرب مستحيل فكأنه أراد أنه لا يبقى لها منه اقتراب بالكلية. وأمثال هذا السؤال منه ﷺ من باب إظهار العبودية وتعظيم الربوبية، وإلا فهو مع -عصمته- مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قوله: (**اللهم نقّني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**) نقّني: بتشديد القاف، وهو من نقَّى ينقِّي تنقية. أي: أزل عني الخطايا وامحها عني كهذه التنقية، فإن النقاء أظهر ما يكون في الثوب الأبيض من غيره من الألوان. والمعنى: طهرني منها بأتم وجه وأوكده. وهو مجاز عن زوال الذنوب ومحو أثرها، ولما كان الدنس في الثوب الأبيض أظهر من غيره من الألوان وقع التشبيه به، قاله ابن دقيق العيد. والدنس: - بفتح الدال والنون- هو الدرن والوسخ.

قوله: (**اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرَد**) البرَد: -بفتح الباء والراء- حب الغمام. أي: بأنواع المطهرات. والمراد مغفرة الذنوب، وسترها بأنواع الرحمة والألطاف. قال الخطابي: ذكر الثلج والبرد تأكيد، أو لأنهما ماءان لم تمسهما الأيدي ولم يمتهنهما الاستعمال. وقال ابن دقيق العيد: عبر بذلك عن غاية المحو، فإن الثوب الذي يتكرر عليه ثلاثة أشياء منقية، يكون في غاية النقاء، قال: ويحتمل أن يكون المراد أن كل واحد من هذه الأشياء مجاز عن صفة يقع بها المحو وكأنه كقوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: 286]، وأشار الطيبي إلى هذا بحثا فقال: يمكن أن يكون المطلوب من ذكر الثلج والبرد بعد الماء شمول أنواع الرحمة والمغفرة بعد العفو لإطفاء حرارة عذاب النار التي هي في غاية الحرارة. ومنه قولهم: برّد الله مضجعه، أي: رحمه ووقاه عذاب النار، انتهى، ويؤيده

وروود وصف الماء بالبرودة في حديث عبد الله بن أبي أوفى عند مسلم، وكأنه جعل الخطايا بمنزلة جهنم لكونها مسببة عنها، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيا عن الماء إلى أبرد منه، وقال التوربشتي: خص هذه الثلاثة بالذكر لأنها منزّلة من السماء. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون في الدعوات الثلاث إشارة إلى الأزمنة الثلاثة: فالمباعدة للمستقبل، والتنقية للحال، والغسل للماضي. انتهى. وكأن تقديم المستقبل للاهتمام بدفع ما سيأتي قبل رفع ما حصل.

واستُدِلَّ بالحديث على مشروعية الدعاء بين التكبير والقراءة خلافا للمشهور عن مالك... واستُدِلَّ به على جواز الدعاء في الصلاة بما ليس في القرآن خلافا للحنفية... ومن فوائد الحديث ما كان الصحابة عليه من المحافظة على تتبع أحوال النبي ﷺ في حركاته وسكناته وإسراره وإعلانه حتى حفظ الله بهم الدين، واستَدل به بعض الشافعية على أن الثلج والبرد مطهِّران. اهـ [1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: سألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ: **(اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد)**، كيف يطهر الخطايا بذلك؟ فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا، فترخي القلب، وتضرم فيه نار الشهوة، وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا، اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفئ النار، فإن كان باردا أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرد، كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته، فكان أذهب لأثر الخطايا. هذا معنى كلامه، وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح:

فاعلم أن ههنا أربعة أمور: أمران حسيان، وأمران معنويان: فالنجاسة التي تزول بالماء، هي ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار، هي ومزيلها معنويان، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا، فذكر النّبي ﷺ من كل شطر قسما، نبّه به على القسم الآخر، فتضمنت كلماته الأقسام الأربعة في غاية الاختصار، وحسن البيان [2].

---

(1) فتح الباري (2/ 640-642)، مع زيادات يسيرة من حاشية السندي على سنن ابن ماجة (1/ 443).

(2) إغاثة اللهفان (1/ 121).

28-(2) (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وتَبَارَكَ اسْمُكَ، وتَعَالَى جَدُّكَ، ولاَ إِلَهَ غَيْرُكَ)[1].

قوله: (**سبحانك اللهم**) أي: أسبحك تسبيحا، بمعنى: أنزهك تنزيها من كل النقائص ومما لا يليق بجلالك وعظمتك. (**وبحمدك**) أي: ونحن متلبسون بحمدك. وقد تقدم في الحديث رقم (15).

قوله: (**وتبارك اسمك**) أي: كثرت بركة اسمك، إذ وُجِدَ كلُّ خير من ذكر اسمك. وقيل: تعظم ذاتك وهو على حقيقته، لأن التعظيم اذا ثبت لأسمائه تعالى، فأولى لذاته. ونظيره قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾. كذا في المرقاة (1/ 515).

قوله: (**وتعالى جَدُّك**) الجَد: العظمة. قال في (النهاية): أي: علا جلالك وعظمتك[2].

قوله: (**ولا إله غيرك**) أي: لا معبود **بحق** غيرك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإذا قال: (**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك**) شاهد بقلبه ربًّا منزها عن كل عيب، سالما من كل نقص، محمودا بكل حمد. فحَمْدُه يتضمن وصفه بكل كمال، وذلك يستلزم براءَتَه من كل نقص، تبارك اسمه. فلا يذكر على قليل إلا كثَّره، ولا على خير إلا أنْمَاه وبارك فيه، ولا على آفة إلا أذهبها، ولا على شيطان إلا ردَّه خاسئا داحرا. و(**تعالى جَدُّه**) أي: ارتفعت عظمته، وجلَّت فوق كل عظمة، وعلا شأنه على كل شأن، وقهر سلطانه على كل سلطان. فتعالى جدُّه أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته، أو في إلهيته، أو في أفعاله أو في صفاته، كما قال مؤمنو الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: 03]. فكم في هذه الكلمات من تجلٍّ لحقائق الأسماء والصفات على قلب العارف بها، غير المعطِّل لحقائقها[3].

---

(1) رواه أبو داود برقم (775)، والترمذي برقم (242)، والنسائي برقم (899)، وابن ماجه برقم (804). وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن، وأخرجه مسلم موقوفا عن عمر برقم (399).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص140).

(3) كتاب الصلاة (ص344-345).

29-(3) (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الـمُشْرِكِينَ، إنَّ صَلاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، ومَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ، لا شَرِيْكَ لَهُ، وبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وأَنَا مِنَ الـمُسْلِمين. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْـمَلِكُ لا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، واعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِر لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأحْسَنِ الأخْلاقِ لا يَهْدِي لأحْسَنِهَا إلاَّ أَنْتَ، واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ)[1].

قوله: **(وجهت وجهي)**: قال في (المفهم): أي: صوبت وجهي، وأخلصت في عبادتي[2].

وقال في(المجموع): معناه: أقبلت بوجهي. وقيل: قصدت بعبادتي، وتوحيدي إليه. ويجوز في (وجهي)إسكان الياء وفتحها، وأكثر القراء على الإسكان.

قوله: **(للذي فطر السموات والأرض)** أي: ابتدأ خلقها على غير مثال سابق، وجمع السموات دون الأرض - وإن كانت سبعا كالسموات- لأنه أراد جنس الأرضين. اهـ[3].

قوله: **(حنيفا)** أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد.

قال في (النهاية): الحنيف: هو المائل إلى الإسلام، الثّابت عليه، والحنيف عند العرب: من كان على دين ابراهيم عليه السلام، وأصل الحنف: الميل. اهـ[4].

وقال في (المجموع): قال الأزهري وآخرون: أي: مستقيما. وقال الزجاج والأكثرون: الحنيف: المائل. ومنه قيل: أحنف الرجل. قالوا: والمراد هنا المائل إلى الحق. وقيل له ذلك لكثرة مخالفيه.

قوله: **(وما أنا من المشركين)**: بيان للحنيف وإيضاح لمعناه، والمشرك يطلق على كل كافر من عابد وثن وصنم ويهودي ونصراني ومجوسي وزنديق وغيرهم.

---

(1) رواه مسلم برقم (771).

(2) المفهم (2/ 400).

(3) المجموع شرح المهذب (3/ 272).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص237).

قوله: (**إن صلاتي ونسكي**) قال الأزهري: الصلاة اسم جامع للتكبير، والقراءة، والركوع، والسجود والدعاء، والتشهد وغيرها. قال: والنسك: العبادة. والناسك: الذي يخلص عبادته لله تعالى. وقيل: النسك: ما أمر به الشرع. اهـ[1].

وقال في(النهاية): النسك: الطاعة والعبادة وكل ما تقرب به إلى الله[2].

قوله: (**ومحياي ومماتي**) أي: حياتي وموتي، ويجوز فيهما فتح الياء وإسكانها، والأكثرون على فتح محياي وإسكان مماتي.

قوله: (**لله**)، قال الواحدي وغيره: هذه لام الاضافة ولها معنيان: الملك كقولك: المال لزيد، والاستحقاق كالسرج للفرس، وكلاهما مراد هنا.

قوله: (**رب العالمين**) الرب: هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير، فهو الخالق، المالك لكل شيء، المدبر لجميع الأمور.

قال في (النهاية): الرب: يطلق في اللغة على المالك، والسيّد، والمدبّر، والمربّي، والقيّم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: ربّ كذا. اهـ[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: والربّ هو: السيّد والمالك والمنعم والمربي والمصلح، والله تعالى هو الربّ بهذه الاعتبارات كلها، فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له. اهـ[4].

وقال أيضا: فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته[5].

والعالمين: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله عز وجل.

قوله: (**لا شريك له**): نفي الشريك لله في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

---

(1) المجموع شرح المهذب (272-273).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص913).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص338).

(4) بدائع الفوائد (ص1543).

(5) مدارج السالكين (1/ 43).

قوله: (**وبذلك أمرت**) أي: أمرني الله تعالى بالتوحيد والإخلاص له. (**وأنا من المسلمين**) أي: المستسلمين لأمر الله، الخاضعين له، المنقادين لطاعته.

قوله: (**اللهم أنت الملك**) أي: القادر على كل شيء، المالك الحقيقي لجميع المخلوقات. والملك: من أسماء الله الحسنى، وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنهم وغير ذلك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والملك هو الذي جميع العوالم العلوية والسفلية مماليك وعبيد له، وله السلطان التام عليهم، والتصرف المطلق فيهم، والتدبير لهم كما يشاء[1].

قوله: (**لا إله إلا أنت**) أي: لا معبود **بحق** إلا أنت. (**أنت ربي**) أي: ليس لي رب سواك، والرب هو: الخالق الرازق المالك المدبر لشؤون خلقه، وفيه الإقرار بربوبية الله سبحانه وتعالى. قوله: (**وأنا عبدك**) أي: عابد لك ومنقاد لشرعك، فلك العبادة وحدك، فكما أنه لا شريك لك في الملك والخلق، فلا أشرك معك في العبادة أحدا، وفيه الاعتراف لله سبحانه بالعبودية. قال الأزهري: أي: أني لا أعبد غيرك، والمختار أن معناه أنا معترف بأنك مالكي ومدبري وحكمك نافذ في.

قوله: (**ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي**) أي: اعترفت بالتقصير، قدمه على سؤال المغفرة أدبا كما قال آدم وحواء عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23]. (**فاغفر لي ذنوبي جميعا**) أي: بمحوها وإزالة أثرها ووقاية شرها. قوله: (**إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**) فيه الاعتراف بأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: 135].

قوله: (**واهدني لأحسن الأخلاق**) أي: أرشدني لصوابها، ووفقني للتخلق به. (**لا يهدي لأحسنها إلا أنت**) فإنك أنت الهادي المطلق، وعجز الخلق أمر محقق.

قوله: (**واصرف عني سيئها**) أي: قبيحها. (**لا يصرف عني**) فضلا عن غيري. (**سيئها إلا أنت**) فإن غيرك غير قادر على شيء.

قوله: (**لبيك**) قال العلماء: معناه أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة، يقال: لب بالمكان لبا وألب إلبابا، أي: أقام به. (**وسعديك**) قال الأزهري وغيره: معناه مساعدة لأمرك بعد مساعدة، ومتابعة لدينك بعد متابعة. (**والخير كله بيديك**) قال

---

(1) بدائع الفوائد (1/ 490)، وقد تقدم.

الخطابي وغيره: فيه الإرشاد إلى الأدب في الثناء على الله تعالى ومدحه بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها على جهة الأدب. انتهى[1].

قوله: (**والشر ليس إليك**) أي: لا ينسب الشر إلى الله تعالى لأنه ليس من فعله تعالى شر بل أفعاله عز وجل كلها خير، لأنها دائرة بين العدل والفضل والحكمة، وهو كله خير لا شر فيه والشر إنما صار شرا لانقطاع نسبته وإضافته إليه[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: هو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله. وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي هو حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شرا، فعلم أن الشر ليس إليه.

قال: فإن قلت: فلم خلقه وهو شر؟

قلت: خلقه له، وفعله، خير لا شر، فإن الخلق والفعل قائم به سبحانه، والشر يستحيل قيامه به واتصافه به، وما كان في المخلوق من شر فلعدم إضافته ونسبته إليه، والفعل والخلق يضاف إليه فكان خيرا. [3].

قوله: (**أنا بك ولك**) أي: التجائي وانتمائي إليك وتوفيقي بك. قال الأزهري: معناه أعتصم بك وألجأ إليك.

قوله: (**تباركت**) أي عظمت بركاتك، وكثرت خيراتك. قال في(المجموع): استحققت الثناء، وقيل: ثبت الخير عندك، وقال ابن الأنباري: تبارك العباد بتوحيدك. اهـ[4].

قوله: (**وتعاليت**) أي: ترفعت عن كل نقص، وعن كل سوء. ومن ذلك أيضا علوه بذاته سبحانه وتعالى. (**أستغفرك**) أي: أطلب مغفرتك. (**وأتوب إليك**) أي: أرجع إليك.

---

(1) شرح مسلم (6/ 68).

(2) صفة الصلاة (ص92).

(3) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل (ص359-362).

(4) المجموع (3/ 275).

30-(4) **(اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وميكَائِيلَ، وإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**. [1].

قوله: **(اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل واسرافيل)** قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: خصّهم بالذكر وإن كان الله تعالى رب كل المخلوقات، كما تقرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة، وكبير الشأن. [2].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: فتوسل إليه سبحانه بربوبيته العامة، والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة:

فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح.

وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان.

وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فسأله رسوله بربوبيته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه في ذلك من الحياة النافعة. [3].

قوله: **(فاطر السموات والأرض)** أي: مبدعها وخالقها على غير مثال سابق.

قوله: **(عالم الغيب والشهادة)** أي: ما غاب عن العباد وظهر لهم.

قوله: **(أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)** أي: في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم.

قوله: **(اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك)** أي: أرشدني وثبتني عليه. بإذنك: بتوفيقك وتيسيرك. **(إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)** أي: أنت ترشد من تشاء من خلقك بتوفيقك، فتهديه إلى دين الإسلام، وهو الصراط المستقيم، والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه.

---

(1) رواه مسلم برقم (770).

(2) شرح مسلم (6/ 65).

(3) إغاثة اللهفان (2/ 843).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب. اهـ [1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ذكر النبي ﷺ في هذا الدعاء العظيم القدر من أوصاف الله وربوبيته ما يناسب المطلوب، فإن فطر السموات والأرض توسل إلى الله بهذا الوصف في الهداية للفطرة التي ابتدأ الخلق عليها، فذكر كونه فاطر السموات والأرض، والمطلوب تعليم الحق والتوفيق له، فذكر علمه سبحانه بالغيب والشهادة، وأن من هو بكل شيء عليم جدير أن يطلب منه عبده أن يعلمه، ويرشده ويهديه، وهو بمنزلة التوسل إلى الغني بغناه وسعة كرمه أن يعطي عبده شيئا من ماله، والتوسل إلى الغفور بسعة مغفرته أن يغفر لعبده وبعفوه أن يعفو عنه، وبرحمته أن يرحمه، ونظائر ذلك.

وذكر ربوبيته تعالى لجبريل وميكائيل وإسرافيل، وهذا -والله أعلم- لأن المطلوب هدى يحيا به القلب، وهؤلاء الثلاثة الأملاك قد جعل الله تعالى على أيديهم أسباب حياة العبد:

أما جبريل، فهو صاحب الوحي الذي يوحيه الله للأنبياء، وهو سبب حياة الدنيا والآخرة.

وأما ميكائيل فهو الموكل بالقطر الذي به سبب حياة كل شيء.

وأما إسرافيل فهو الذي ينفخ في الصور فيحيي الله الموتى بنفخته، فإذا هم قيام لرب العالمين.

والهداية هي العلم بالحق مع قصده وإيثاره على غيره، فالمهتدي هو العامل بالحق المريد له، وهي أعظم نعمة لله على العبد، ولهذا أمرنا سبحانه أن نسأله هداية الصراط المستقيم كل يوم وليلة في صلواتنا الخمس، فإن العبد محتاج إلى معرفة الحق الذي يرضي الله في كل حركة ظاهرة وباطنة فإذا عرفها فهو محتاج إلى من يلهمه قصد الحق، فيجعل إرادته في قلبه، ثم إلى من يقدره على فعله[2].

---

(1) تفسير الطبري (1/ 170).

(2) مفتاح دار السعادة (1/ 305).

31-(5) **(اللهُ أكْبرُ كَبيرًا، اللهُ أكْبرُ كَبيرًا، اللهُ أكْبرُ كَبيرًا، والحَمْدُ للهِ كَثيرًا، والحَمْدُ للهِ كَثيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وأَصِيلا (ثَلاثًا) أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ: مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ، وهَمْزِهِ)**[1]. قال عمرو (أحد رواة الحديث): همزه: الموتة، ونفثه: الشعر، ونفخه: الكبر.

قوله: **(الله أكبر كبيرا)** منصوب بفعل محذوف، أي: كبّرت كبيرا أو ذكرت كبيرا. قاله النووي.

قوله: **(والحمد لله كثيرا)** أي: حمدا كثيرا.

قوله: **(وسبحان الله)** معناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل سوء ونقص.

قوله: **(بكرة وأصيلا)** أي: في أول النهار وآخره. وخصّ هذين الوقتين لاجتماع ملائكة الليل والنهار فيهما.

وقال الطيبي: الأظهر أن يراد بهما الدوام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: 62]. كذا في (المرقاة).

قوله: **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)** قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني عن فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله[2].

قوله: **(من همزه ونفخه ونفثه)** قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد جاء في الحديث تفسير ذلك قال: (وهمزه: الموتة، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر) اهـ[3].

وأما قوله: **(همزه)** ففسّره بعض الرواة -كما سبق- بالموتة، وهو -بالضم، وفتح التاء-: نوع من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا فاق، عاد إليه كمال عقله، كالنائم والسكران. قاله الطيبي.

---

(1) رواه أبو داود برقم (764)، وابن ماجه برقم (807)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود، وضعيف سنن ابن ماجه، وفي المشكاة برقم (817).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 175).

(3) إغاثة اللهفان (1/ 187).

وقال أبو عبيدة: الجنون سماه همزا، لأنه يحصل من الهمز والنخس، وكل شيء دفعته فقد همزته.

وقوله: (**ونفخه**) فسّره الراوي بالكبر. قال الطيبي: النفخ كناية عن الكبر، كأن الشيطان ينفخ فيه بالوسوسة فيعظمه في عينه، ويحقر الناس عنده.

وقال في (النهاية): ونفخه: كبره، لأن المتكبر يتعاظم ويجمع نفسه، فيحتاج أن ينفخ .

وقوله: (**ونفثه**) فسّره الراوي بالشعر، والمراد: الشعر المذموم قطعا، وإلا، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (**إن من الشعر حكمة**) أخرجه البخاري (6145)، وغيره عن أبي بن كعب.

وقال في (النهاية): ونفثه: النفث: الشعر، لأنه ينفث من الفم.

قال الطيبي: إن كان هذا التفسير من متن الحديث فلا معدل عنه، وإن كان من بعض الرواة، فالأنسب أن يراد بالنفث: السحر، لقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفلق: 04]، وأن يراد بالهمز: الوسوسة لقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المؤمنون97]، وهي: خطراته فإنهم يغرون الناس عن المعاصي، كما تهمز الركضة والدواب بالمهماز. انتهى من (المرقاة).

قلت: قال الشيخ الألباني رحمه الله: والتفسيرات الثلاثة وردت مرفوعة إلى النبي ﷺ بسند صحيح مرسل[1].

32-(6) (**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَنْ فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَنْ فيهِنَّ، [وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَنْ فِيهِنّ]، [وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَنْ فِيهِنّ][وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ][وَلَكَ الحَمْدُ][أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وقَوْلُكَ الحَقُّ، ولِقَاؤُكَ الحَقُّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ][اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وإلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ. فاغْفِرْ لِي**

(1) صفة الصلاة (ص95)، الارواء (2/ 56).

مَا قَدَّمْتُ، ومَا أَخَّرْتُ، ومَا أَسْرَرْتُ، ومَا أعْلَنْتُ] [أَنْتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ لا إلَهَ إلاَّ أَنْتَ][أَنْتَ إلَهِي لَا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ]). [1].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: (**اللهم لك الحمد أنت نور السموات...**). الحديث.

قوله: (**اللهم أنت نور السموات والأرض**) أي: منورها، يعني: أن كل شيء استنار منها وأضاء، وبك يهتدي من فيهما.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد فسّر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ٣٥﴾ [النور: 35]، بكونه منور السموات والأرض وهادي أهل السموات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى. [2].

قوله: (**قيِّمُ السموات والأرض**) وفي رواية (قيام)، وفي أخرى (قيوم)، ومعناها: القائم بأمور الخلق ومدبر العالم في جميع أحواله. [3].

قوله: (**أنت ملك السموات والأرض**) أي: المتصرف فيهما تصرفا كليا، ظاهرا وباطنا.

قوله: (**أنت الحق**) قال العلماء: (الحق)في أسمائه سبحانه وتعالى معناه: المتحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده وتحقق فهو حق، ومنه: الحاقة، أي الكائنة حقًا بغير شك. ومثله قوله ﷺ في هذا الحديث: (**ووعدك الحَقُّ، وقولك الحَقُّ، ولقاؤك الحَقُّ، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق**) أي: كله متحقق لا شك فيه، قاله النووي[4].

قوله: (**ووعدك الحق**) أي: الثابت، الصادق لا يمكن التخلف فيه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾ [الرعد: 31].

قوله: (**ولقاؤك الحَقُّ**) فيه الإقرار بالبعث بعد الموت، وهو عبارة عن مآل الخلق في الدار الآخرة بالنسبة إلى الجزاء على الأعمال.

---

(1) رواه البخاري برقم (1120)، ومسلم برقم (769).

(2) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص18).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص782).

(4) شرح مسلم (6/ 64).

قوله: **(والجنة حق والنار حق)** فيه إشارة إلى أنهما موجودتان.

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله في(شرح الطحاوية)عند قول المصنف: (والجنّة والنّار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان): أما قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا يذكر السلف في عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة، والحديث قاطبة لا يختلفون فيها. [1].

قوله: **(والنبيون حق ومحمد ﷺ حق)** خصّه بالذكر تعظيما له، وعطفه على النبيين إيذانا بالتغاير بأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة، وجرده عن ذاته، كأنه غيره، ووجب عليه الإيمان به وتصديقه، مبالغة في إثبات نبوته، كما في التشهد. [2].

قوله: **(والساعة حق)** أي: يوم القيامة، وأصل الساعة: القطعة من الزمان، وإطلاق اسم الحق على ما ذكر من الأمور معناه أنه لا بد من كونها وأنها مما يجب أن يصدق بها. وتكرار لفظ حق **للمبالغة** في التأكيد.

قوله: **(اللهم لك أسلمت)** أي: استسلمت وانقدت وخضعت لأمرك ونهيك.

قوله: **(وبك آمنت)** أي: صدقت بك وبكل ما أخبرت وأمرت ونهيت.

قوله: **(وعليك توكلت)** أي: فوضت الأمر إليك، واعتمدت عليك.

قوله: **(وإليك أنبت)** أي: تبت ورجعت.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فالمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته، الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه. اهـ[3].

قوله: **(وبك خاصمت)** أي: بما أعطيتني من البرهان، وبما لقنتني من الحجة.

قوله: **(وإليك حاكمت)** أي: كل من جحد الحق حاكمته إليك، وجعلتك الحاكم بيني وبينه، لا غيرك مما كانت تحاكم إليه الجاهلية وغيرهم، من صنم وكاهن ونار وشيطان وغيرها، فلا أرضى إلا بحكمك ولا أعتمد غيره.

---

(1) حادي الأرواح (ص25).

(2) فتح الباري (3/ 505).

(3) مدارج السالكين (1/ 467).

قوله: (**فاغفر لي**) قال ذلك مع كونه مغفورا له، إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالا وتعظيما لربه، أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به. كذا قيل، والأولى أنه لمجموع ذلك، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا[1].

قوله: (**ما قدمت**) أي: قبل هذا الوقت. (**وما أخرت**) عنه.

قوله: (**وما أسررت وما أعلنت**) أي: أخفيت وأظهرت، أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني.

قوله: (**أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر**) يقدِّم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه، ويؤخِّر من شاء عن ذلك لخذلانه.

قال الحافظ في (الفتح): قال الكرماني: هذا الحديث من جوامع الكلم، لأن لفظ (القيم) إشارة إلى أن وجود الجواهر وقوامها منه، و(النور) إلى أن الأعراض أيضا منه، و(الملك) إلى أنه حاكم عليها إيجادا وإعداما يفعل ما يشاء، وكل ذلك من نعم الله على عباده، فلهذا قرن كلا منها بالحمد وخصَّص الحمد به، ثم قوله: (**أنت الحق**) إشارة إلى المبدإ، و(القول) ونحوه إلى المعاش، و(الساعة) ونحوها إشارة إلى المعاد، وفيه الإشارة إلى النبوة وإلى الجزاء ثوابا وعقابا، ووجوب الإيمان والإسلام والتوكل والإنابة والتضرع إلى الله والخضوع له. انتهى.

وفيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدره، ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده.

وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب اقتداء به ﷺ. اهـ[2].

فائدة: قال العلماء: في الأحاديث المتقدمة دليل على استحباب الإستفتاح، وقد قال به جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

قال الإمام النووي رحمه الله: ولا يعرف من خالف فيه، إلا مالكا رحمه الله، فقال:

لا يأتي بدعاء الاستفتاح، ولا بشيء بين القراءة والتكبير أصلا، بل يقول: الله أكبر، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر (الفاتحة). ولا جواب له عن واحد من هذه الأحاديث الصحيحة. اهـ ملخصا.

---

(1) فتح الباري (3/ 506).

(2) فتح الباري (3/ 506-507).

وقول مالك هذا يلزم منه إبطال ثلاث سنن:

الأولى: دعاء الاستفتاح.

الثانية: الاستعاذة.

الثالثة: البسملة.

وهي سنن ثابتة متواترة عنه ﷺ، والظاهر أنها لم تبلغ الإمام مالكا رحمه الله، أو بلغته ولكن لم يأخذ بها لسبب عنده.

وأما أنت أيها المالكي، فلا يمنعك التعصب لمذهبك من الأخذ بها، فإنه لا عذر لك في ذلك أبدا[1].

(1) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (ص239).



17 دعاء الركوع

33-(1) (**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**) ثلاث مرات[1].

قوله: (**سبحان ربي العظيم**) أي: أنزِّه ربِّي الذي له جميع معاني العظمة والجلال، وأنه لا يستحق أحد التعظيم والتكبير والإجلال سواه، من كل النقائص، ومما لا يليق بجلاله وعظمته.

قوله: (**ثلاث مرات**) أي: يقولها ثلاث مرات. وكان أحيانا يكررها أكثر من ذلك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فشرع للراكع أن يذكر عظمة ربه في حال انخفاضه هو وتطامنه وخضوعه، وأنه سبحانه يوصف بوصف عظمته عما يضاد كبرياءَه وجلاله وعظمته.

فأفضل ما يقول الراكع على الإطلاق (سبحان ربي العظيم)، فإن الله سبحانه أمر العباد بذلك، وعيَّن المبلغ عنه، السفير بينه وبين عباده هذا المحل لهذا الذكر، لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74]، قال: (**اجعلوها في ركوعكم**)[2].

وبالجملة: فسرّ الركوع تعظيم الرب جل جلاله بالقلب والقالب والقول، ولهذا قال النبي ﷺ: (**أما الركوع فعظِّموا فيه الرّب**)[3][4].

34-(2) (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**)[5].

قوله: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**) تقدم في الحديث رقم (15).

---

(1) رواه أبو داود برقم (871)، والترمذي برقم (262)، والنسائي برقم (1046)، وابن ماجه برقم (888)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(2) رواه أبو داود برقم (869)، وابن ماجه برقم (887)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود، والإرواء برقم (334).

(3) رواه مسلم برقم (479).

(4) كتاب الصلاة (ص356-357).

(5) رواه البخاري برقم (794)، ومسلم برقم (484).

قوله: **(اللهم اغفر لي)** أي: يا الله أمح ذنبي وأزل أثره وقني شرّه.

قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن**) ومعنى: يتأول القرآن: يعمل بما أمر به فيه، أي: في قول الله عز وجل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: 4].

35-(3) (**سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الـمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ**)[1].

قوله: (**سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ**) قال الإمام النووي رحمه الله: هما بضم السين والقاف، وبفتحهما، والضم أفصح وأكثر.

ومعنى سبّوح: المبرأ من النقائص والشريك، وكل ما لا يليق بالإلهية، وقدّوس: المطهَّر من كل ما لا يليق بالخالق[2].

وقال أبو إسحاق: السبّوح: الذي ينزَّه عن كل سوء. والقدوس: المبارَك، وقيل الطاهر. وقال ابن سيده: سبّوح قدّوس من صفة الله عز وجل، لأنه يسبَّح ويقدَّس. (لسان العرب)[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فالقدّوس المنزَّه عن كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب المنزَّه عما لا يليق به. وهذا قول أهل اللغة[4].

وقال في (النونية):

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الـ   تنزيه بالتعظيم للرحمن

قوله: (**رب الملائكة**) أي: مالكهم، وخالقهم، ورازقهم، أي: مصلح أحوالهم. (**والروح**) والروح هنا جبريل عليه السلام، كما قال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: 193-194]. وخصّه بالذكر وإن كان من الملائكة

(1) رواه مسلم(487).

(2) شرح مسلم (4/ 226).

(3) صفة الصلاة (ص133).

(4) شفاء العليل (ص360).

تشريفا وتخصيصا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: 98]. فخصّهما تشريفا لهما[1].

ففيه ذكر ربوبية الله للملائكة عموما، ثم خص بالذكر جبريل عليه السلام الروح الأمين، لكونه أفضل الملائكة، وهو الموكل بالوحي. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: 192-193]. وسمي جبريل روحا، لأنه كان ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب.

36-(4) (اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، ولَكَ أسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وعَصَبِي، [وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي])[2].

قوله: **(اللهم لك)** لا لغيرك. **(ركعت)** أي: خضعت، فمعنى الركوع: الخضوع.

قوله: **(وبك آمنت)** أي: بك، لا بغيرك، أقررت وصدَّقت بكل ما أخبرت وأمرت ونهيت.

قوله: **(ولك أسلمت)** أي: لك، لا لغيرك استسلمت وانقدت لأمرك ونهيك.

قوله: **(خشع لك سمعي)** أي: تواضع وخضع لك سمعي، فلا يسمع إلا ما أذنتَ في سماعه. **(وبصري)** فلا يبصر إلا فيما أذنتَ في إبصاره. وخص السمع والبصر من بين الحواس، لأن أكثر الآفات بهما.

قوله: **(ومخي وعظمي وعصبي)** المخ: بضم الميم، وتشديد الخاء المعجمة: الودك الذي في العظم، وخالص كل شيء، وقد يسمى الدماغ مخًّا، قاله في المصباح. والعصب بفتحتين: أطناب المفاصل، والجمع أعصاب. و**المعنى**: أن هذه الأشياء كلها تواضعت وخضعت لك وذلَّت بين يديك وانكسرت لجنابك. فكنّى بهذه الثلاثة عن الجسم كله، لأن مدار قوامه عليها، والغرض من هذا كله المبالغة في الانقياد، والخضوع لله تعالى.

قوله: **(وما استَقَلَّتْ به قدمي)** أي: ما حملته، من الاستقلال بمعنى الارتفاع، فهو تعميم بعد تخصيص.

---

(1) المفهم (2/ 91).

(2) رواه مسلم برقم (771)، وما بين المعكوفين زيادة عند ابن خزيمة برقم(607)، وابن حبان برقم(1898).

قال الإمام السندي رحمه الله: وإسناد الخشوع إلى السمع وغيره مما ليس من شأنه الإدراك والتأثر، كناية عن كمال الخشوع والخضوع، أي: قد بلغ غايته، حتى كأنه ظهر أثره في هذه الأعضاء، وصارت خاشعة لربها. اهـ[1].

37-(5) **(سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، والْمَلَكُوتِ، والكِبْرِيَاءِ، والعَظَمَةِ)**[2].

قوله: **(سبحان ذي الجبروت والملكوت)** أي: تنزَّه وتقدَّس، والجبروت والملكوت هما مبالغة من (الجبر): وهو القهر، و(الملك): وهو التصرف، أي: صاحب القهر والتصرف البالغ كل منهما غايته[3].

قوله: **(والكبرياء والعظمة)** قال في (النهاية): الكبرياء: العظمة والملك. وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالى. اهـ[4].

فهما وصفان متقاربان خاصّان بالله تبارك وتعالى، ولا يوصف بهما أحد سواه.

قال رسول الله ﷺ: **(قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار)**[5].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه اختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل وضرب الرداء والإزار مثلا في ذلك، يقول، والله أعلم، كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق والله أعلم[6].

---

(1) حاشية الإمام السندي على سنن النسائي (1/ 536).

(2) رواه أبو داود برقم (873)، والنسائي برقم (1049)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) صفة الصلاة (ص134).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص788).

(5) رواه أبو داود برقم (4090)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (541).

(6) معالم السنن (4/ 196).

18 دعاء الرفع من الركوع

38-(1) **(سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)**[1].

قوله: **(سمع الله لمن حمده)** قال الإمام الصنعاني رحمه الله: أي: أجاب الله من حمده، فإن من حمد الله متعرضا لثوابه استجاب الله له وأعطاه ما تعرض له[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: معنى سمع هنا: أجاب، ومعناه: أن من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه، استجاب الله تعالى له[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: **(سمع الله لمن حمده)** أي: سمع سمع قبول وإجابة[4].

قال الإمام النووي رحمه الله: يستحب لكل مصلٍّ من إمام ومأموم ومنفرد، أن يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ويجمع بينهما.

فيكون قوله: سمع الله لمن حمده، في حال ارتفاعه، وقوله: ربنا ولك الحمد، في حال اعتداله، لقوله ﷺ: **(صَلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي)**[5][6].

39-(2) **(رَبَّنا وَلَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُبَاركًا فيهِ)**[7].

والحديث بتمامه عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه قال: كنا يوما نصلِّي وراء النبيِّ ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: **(سمع الله لمن حمده)**، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: **(من المتكلم؟)** قال: أنا، قال: **(رأيت بضعة وثلاثين مَلَكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول)**.

---

(1) رواه البخاري برقم (795).

(2) سبل السلام (2/ 212).

(3) شرح مسلم (2/ 212).

(4) كتاب الصلاة (357).

(5) رواه البخاري برقم (628).

(6) شرح مسلم (4/ 212).

(7) رواه البخاري برقم (799).

قوله: (**ربنا ولك الحمد**) وتارة يقول: (**ربنا لك الحمد**) وتارة يضيف إلى هذين اللفظين قوله: (**اللهم**).

قال الإمام النووي رحمه الله: أي: ربنا أطعناك وحمدناك، ولك الحمد[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولا يهمل أمر هذه الواو في قوله: (**ربنا ولك الحمد**)، فإنه قد ندب الأمر بها في الصحيحين، وهي تجعل الكلام في تقدير جملتين قائمتين بأنفسهما، فإن قوله: (**ربنا**) متضمن في المعنى: أنت الرب والملك القيوم، الذي بيديه أَزِمَّة الأمور، وإليه مرجعها فعطف على هذا المعنى المفهوم من قوله: (**ربنا**) قوله: (**ولك الحمد**)، فتضمن ذلك معنى قول الموحد: (**له الملك وله الحمد**)[2].

وقال ابن دقيق العيد: كأن إثباتها دال على معنًى زائد، لأنه يكون التقدير مثلا: ربنا استجب ولك الحمد، فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فالقائل إذا قال: (**الحمد لله**) أو قال: (**ربنا ولك الحمد**) تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يُحمد عليه الرب تعالى، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه، ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد[4].

قوله: (**حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه**) أي: أحمده حمدا، و(حمدا)مفعول مطلق مؤكد لعامله.

قوله: (**كثيرا طيبا مباركا فيه**) هذه صفات للحمد أي: أحمدك حمدا موصوفا بالكثرة والطيب والبركة.

قوله: (**من المتكلم**) أي: القائل لهذه الكلمة: (**ربنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه**).

---

(1) شرح المهذب (3/ 391).

(2) كتاب الصلاة (358).

(3) فتح الباري (3/ 6).

(4) بدائع الفوائد (ص536-537).

قوله: (**رأيت بضعة وثلاثين مَلَكًا يبتدرونها**) البضعة: قطعة من العدد، قيل: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة. قاله في (النهاية).

قوله: (**يبتدرونها**) من الإبتدار، وهو السبق، أي يتسابقون إلى كتابتها في صحائف الحسنات. يريد كل منهم أن يسبق صاحبه في ذلك، قاصدين (**أيهم يكتبها أولا**) أي: سابقا، وقبل الآخرين. وضمير التأنيث لهذه الكلمات.

قال الحافظ في(الفتح): والظاهر أن هؤلاء الملائكة غير الحفظة، ويؤيده ما في الصحيحين عن أبي هريرة[رضي الله عنه]مرفوعا: (**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر**)[1]..... الحديث، واستُدِلَّ به على أن بعض الطاعات قد يكتبها غير الحفظة[2].

فائدة: من الأخطاء الشائعة عند كثير من المصلين زيادة لفظة (والشكر) عند قولهم: (**ربنا ولك الحمد**) وهذه الزيادة لم تثبت عن رسول الله ﷺ فتنبه! فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

40-(3) (**مِلْءَ السَّمَوَات ومِلءَ الأرضِ ومَا بَيْنَهُما، ومِلْء ما شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ، أهْلَ الثَّناءِ والـمَجْدِ، أحَقُّ ما قَالَ العَبْدُ، وكُلُّنا لَكَ عَبْدٌ، اللهُمَّ لا مَانِعَ لِـمَا أعْطَيتَ، ولا مُعْطِي لِـمَا مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)[3].

قوله: (**ملء السموات وملء الأرض**) قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: معناه حمدا لو كان أجساما لملأ السموات والأرض.

وقال الإمام الخطابي: هو تمثيل وتقريب، فالكلام لا يقدر بالمكاييل، ولا تسعه الأوعية والمراد: تكثير العدد، لو قدر ذلك أجساما، ملأ ذلك كله.

قوله: (**وملء ما شئت من شيء بعد**) مما لا نعلمه من ملكوتك الواسع.

قوله: (**أهل الثناء والمجد**) الثناء هو المدح بالأوصاف الكاملة. أي: أنت أهل الثناء، الذي تثني عليك جميع المخلوقات. (**والمجد**) المجد: هو غاية الشرف وكثرته، والرفعة.

---

(1) رواه البخاري برقم (6408)، ومسلم برقم (2689).

(2) فتح الباري (3/ 13).

(3) رواه مسلم برقم (477).

قولـه: (**أحـق ما قـال العبـد**) أي: إن هذا الثناء عليـك والتمجيد هو أحـق شيء قاله العبـد وتلفَّظ به.

قـال الإمـام النـووي رحمه الله: وفي هـذا الكلام دليـل ظاهر على فضيلة هـذا اللفظ، فقـد أخـبر النبـي ﷺ الـذي لا ينطـق عـن الهـوى أن هـذا أحق مـا قالـه العبـد، فينبغي أن يحافـظ عليـه، لأن كلنـا عبـد، ولا نهملـه، وإنـما كان أحـق ما قالـه العبد، لمـا فيه من التفويـض إلى الله تعـالى والإذعان لـه، والاعـتراف بوحدانيته، والتصريـح بأنه لا حول ولا قـوة إلا بـه، وأن الخـير والـشر منـه، والحـث عـلى الزهـادة في الدنيـا، والإقبال على الأعـمال الصالحة[1].

قولـه: (**وكلنـا لـك عبـد**) أي: أن كل المخلوقـات في السـموات والأرض مقرة لك بالعبوديـة، خاضعـة منقـادة لك يـوم القيامة.

قوله: (**لا مانع لما أعطيتَ**) أي: لا مانع لما أردتَ إعطاءَه.

قولـه: (**ولا معطـي لـما منعـتَ**) أي: لا معطـي مـن أردتَ حرمانَـه مـن العطـاء بحكمتـك وعدلـك.

قولـه: (**ولا ينفـع ذا الجَـدِّ منـك الجَـدُّ**) قـال الإمـام النـووي رحمـه الله: الجـد: بفتح الجيم (وهـو الصحيح المشـهور) وهو الحـظ والغنـى والعظمة والسـلطان، أي: لا ينفع ذا الحـظ في الدنيـا بالمـال والولـد والعظمة والسـلطان منـك حظـه، أي: لا ينجيه حظه منـك، وإنـما ينفعه وينجيـه العمل الصالـح كقوله تعـالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴿٤٦﴾﴾ [الكهـف: 46].

والجـد: بكـسر الجيـم، قالـوا: ومعناه: -عـلى ضعفـه- الاجتهـاد. أي: لا ينفع ذا الاجتهـاد منـك اجتهـاده، إنـما ينفعه وينجيـه رحمتك. اهـ[2].

قـال العلامـة ابـن القيـم رحمـه الله: ثـم أخبر عن شـأن هـذا الحمـد، وعظمتـه قدرا وصفـة، فقـال: (**ملء السـموات ومـلء الأرض، ومـلء ما بينهـما، وملء ما شـئتَ من شيء بعـدُ**) أي: قـدر ملء العـالم العلوي والسـفلي، والفضـاء الذي بينهـما. فهذا الحمد قـد مـلأ الخلق الموجـود، وهو يملأ مـا يخلقه الـرب تبارك وتعـالى بعد ذلك مما يشـاؤه،

(1) شرح مسلم (4/ 216).

(2) شرح مسلم (4/ 216).

فحمده قد ملأ كل موجود، وملأ ما سيوجد. ثم أتبع ذلك بقوله: (**أحق ما قال العبد**) تقريرا لحمده وتمجيده والثناء عليه، وأن ذلك أحق ما نطق به العبد، ثم أتبع ذلك بالاعتراف بالعبودية، وأن ذلك حكم عامٌّ لجميع العبيد. ثم عقَّب ذلك بقوله: (**لا مانع لما أعطيتَ ولا معطي لما منعتَ ولا ينفع ذا الجَد منك الجَد**) وكان يقول ذلك بعد انقضاء الصلاة أيضا، فيقوله في هذين الموضعين اعترافا بتوحيده، وأن النعم كلها منه. وهذا يتضمن أمورا:

أحدها: أنه المتفرد بالعطاء والمنع. الثاني: أنه إذا أعطى لم يطق أحد منع من أعطاه، وإذا منع لم يطق أحد إعطاء من منعه. الثالث: أنه لا ينفع عنده، ولا يخلص من عذابه، ولا يدني من كرامته جدود بني آدم وحظوظهم من الملك والرئاسة، والغنى وطيب العيش وغير ذلك، إنما ينفعهم عنده التقرب إليه بطاعته، وإيثار مرضاته[1].

(1) كتاب الصلاة (ص358).



19 دعاء السجود

41-(1) (**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**) (ثَلاثَ مَرَّاتٍ)[1].

قوله: (**سبحان ربي الأعلى**) أي: أنزه ربي الذي هو فوق كل شيء من كل عيب وسوء ونقص. والأعلى من العلوِّ، وعلوُّ الله عز وجل ثلاثة أنواع: علوُّ القَدْر، وعلوُّ القهر، وعلوُّ الذات.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: اسمه (العلي) الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص، ومن كمال علوِّه أن لا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء[2].

وقال أيضا: فإن من لوازم اسمه (العلي) العلوَّ المطلق بكل اعتبار، فله العلوُّ المطلق من جميع الوجوه: علوُّ القَدْر، وعلوُّ القهر، وعلوُّ الذات، فمن جحد علوَّ الذات، فقد جحد لوازم اسمه العلي[3].

وقال: والسجود سر الصلاة، وركنها الأعظم، وخاتمة الركعة. وشرع فيه من الثناء على الله ما يناسبه، وهو قول العبد: (**سبحان ربي الأعلى**)، فهذا أفضل ما يقال فيه. ولم يرد عن النبي ﷺ أمره في السجود بغيره، حيث قال: (**اجعلوها في سجودكم**) وكان وصف الرب بالعلوِّ في هذه الحال في غاية المناسبة، لحال الساجد الذي قد انحط إلى السفل على وجهه، فذَكَر علوَّ ربِّه في حال سفوله، وهو كما ذَكَرَ عظمتَه في حال خضوعه في ركوعه، ونَزَّه ربه عما لا يليق به مما يضادُّ عظمته وعلوَّه[4].

42-(2) (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**)[5].

---

(1) رواه أبو داود برقم (871)، والترمذي برقم (262)، والنسائي برقم (1046)، وابن ماجه برقم (888)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(2) شفاء العليل (ص361).

(3) مدارج السالكين (1/ 40).فأسماء الله عز وجل: العلي، الأعلى، المتعال كلها تدل على علوه المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات.

(4) كتاب الصلاة (ص361-367).

(5) رواه البخاري برقم (794)، ومسلم برقم (484).

تقدم شرحه، انظر الحديث رقم (15).

43-(3) **(سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ)**[1].

تقدم شرحه، انظر الحديث رقم (35).

44-(4) **(اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ)**[2].

قوله: **(اللهم لك)** لا لغيرك. **(سجدت)** قال في(النهاية): فأما(سجد): فبمعنى خضع. ومنه: (سجود الصلاة) وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا خضوع أعظم منه[3].

قوله: **(وبك آمنت)** أي: بك، لا بغيرك أقررت وصدقت بكل ما أخبرت وأمرت ونهيت. **(ولك أسلمت)** أي: لك، لا لغيرك استسلمت وانقدت لأمرك ونهيك.

قوله: **(سجد وجهي)** أي: خضع، وذل، وانقاد. وخص الوجه بالذكر من بين أعضاء السجود لمزيد شرفه. **(للذي خلقه)** أي: أوجده من العدم، وأسبغ عليه النعم. **(وشق سمعه وبصره)** أي: فتح موضع سمعه وبصره.

قوله: **(تبارك الله)** تبارك: أي: عظم وتقدس، وكثرت خيراته. **(أحسن الخالقين)** أي: أحسن الصانعين. رجّحه ابن جرير رحمه الله. وقال: والعرب تسمي كل صانع خالقا. ومنه قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري[4]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: **(أحسن الخالقين)** أي: أحسن المصورين والمقدرين، والعرب تقول: قدرت الأديم، وخلقته: إذا قسته لتقطع منه مزادة،

---

(1) رواه مسلم برقم (487).

(2) رواه مسلم برقم (771).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص418). وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(أمرت أن أسجد على سبعة أعظم)**.أي: أعضاء.فالسجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن، وبالله التوفيق.

(4) جامع البيان (17/ 25).

أو قِربة ونحوها، قال مجاهد: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين. وقال الليث: رجل خالق، أي: صانع...[1].

45-(5) (**سُبْحَانَ ذِي الـجَبَرُوتِ، والـمَلَكُوتِ، والكِبْرِيَاءِ، والعَظَمَةِ**)[2].

تقدم شرحه، انظر الحديث رقم (37).

46-(6) (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وآخِرَهُ، وعَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ**)[3].

قوله: (**ذنبي كله**) أي: ذنوبي جميعها، ما علمت منه وما لم أعلم.

قوله: (**دقّه وجلّه**) هو بكسر أولهما: أي: قليله وكثيره، صغيره وكبيره.

قوله: (**علانيته وسره**) أي: ظاهره وخفيه. قال في(النهاية): الإعلان في الأصل: إظهار الشيء[4].

قوله: (**دقّه وجلّه...**) إلى آخره، تفصيل بعد إجمال لأنه لما قال: (**اغفر لي ذنبي كله**) تناول جميع ذنوبه مجملا، ثم فصله بقوله كذا وكذا، وفائدته أن التفصيل بعد الإجمال أوقع[5].

وقال الإمام النووي رحمه الله: فيه توكيد الدعاء وتكثير ألفاظه، وإنْ أغنى بعضها عن بعض[6].

47-(7) (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**)[7].

قوله: (**اللهم**) هي: الله زيد عليها الميم عوضا من حرف النداء، ولذلك لا يجمع بينهما إلا في الشاذّ في قوله:

---

(1) شفاء العليل (ص269).

(2) رواه أبو داود برقم (873)، والنسائي برقم (1049)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) رواه مسلم برقم (483).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص638).

(5) العلم الهيب (ص294).

(6) شرح مسلم (4/ 222).

(7) رواه مسلم برقم (486).

وما عليك أن تقولي كلّما سبّحت أو هلّلت يا اللّهمّا

هذا قول: جمهور النّحويين[1].

قوله: (**أعوذ برضاك من سخطك**) أي: أعتصم وأَلتجأ متوسلا برضاك بفعل يوجب سخطك. وفيه إثبات صفة الرضا والسخط لله سبحانه وتعالى على ما يليق به .

قوله: (**وبمعافاتك من عقوبتك**) أي: أعتصم وأَلتجأ بتجاوزك فضلا منك ومنَّة عن تعذيبك إياي بسبب معاصيِّ. (**وأعوذ بك منك**) أي: أعتصم بك ممّا يؤدِّي إلى عذابك من المخالفات.

قال الإمام النووي رحمه الله: قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له-وهو الله سبحانه وتعالى-استعاذ به منه لا غير، ومعناه: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته، والثناء عليه.

وقوله: (**لا أحصي ثناء عليك**) أي: لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به. وقال مالك رحمه الله تعالى: معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك، والثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء عليك.

وقوله: (**أنت كما أثنيت على نفسك**) اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، وردٌّ للثناء إلى الجملة، دون التفصيل والإحصاء والتعيين، فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، وكما أنه لا نهاية لصفاته، لا نهاية للثناء عليه، لأن الثناء تابع للمثنى عليه-وإن كثر وطال وبولغ فيه-فقدر الله أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فتأمل استعاذته ﷺ بصفة(الرضا) من صفة (السخط)، وبفعل(المعافاة) من فعل(العقوبة) فالأول: للصفة، والثاني: لأثرها

(1) المفهم (2/ 89).

(2) شرح مسلم (4/ 225).

المترتب عليها ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده، لا إلى غيره.

فما أعوذ منه: واقع بمشيئتك وإرادتك. وما أعوذ به: من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه. فعياذي بك منك: عياذي بحولك وقوتك، وقدرتك ورحمتك وإحسانك، مما يكون بحولك وقوتك وقدرتك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك، ولا أستعيذ إلا بك من شيء هو صادر من مشيئتك وخلقك بل هو منك، ولا أستعيذ بغيرك من شيء هو صادر عن مشيئتك وقضائك، بل أنت الذي تعيذني بمشيئتك مما هو كائن بمشيئتك، فأعوذ بك منك. ولا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعارف والعبودية إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته، ومعرفة عبوديته[1].

وقال أيضا: قد دل هذا الحديث العظيم القدر على أمور:

منها أنه يستعاذ بصفات الرب تعالى كما يستعاذ بذاته، وكذلك يستغاث بصفاته كما يستغاث بذاته. وفي هذا ما يدل على أن هذه صفات ثابتة وجودية إذ لا يستعاذ بالعدم، وأنها قائمة به غير مخلوقة، إذ لا يستعاذ بالمخلوق، وهو احتجاج صحيح، فإن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق، ولا يستغيث به ولا يدل أمته على ذلك.

ومنها أن العفو من صفات الفعل القائمة به، وفيه رد على من زعم أن فعله عين مفعولِه، فإن المفعول مخلوق ولا يستعاذ به.

ومنها أن الغضب والرضا والعفو والعقوبة لما كانت متقابلة استعاذ بأحدهما من الآخر، فلما جاء إلى الذات المقدسة التي لا ضد لها ولا مقابل قال: **(وأعوذ بك منك)** فاستعاذ بصفة الرضى من صفة الغضب، وبفعل العفو من فعل العقوبة، وبالموصوف بهذه الصفات والأفعال منه. وهذا يتضمن كمال الإثبات لِلْقَدَرِ والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره.

فاستعذ به منه، وفر منه إليه، واجعل لجأك منه إليه، فالأمر كله له، لا يملك أحد معه منه شيئا، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا

(1) مدارج السالكين (1/ 279).

تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بإذنه ومشيئته، يصيب بذلك من يشاء ويصرفه عمن يشاء، فأعرف الخلق به وأقواهم بتوحيده من قال في دعائه: **(وأعوذ بك منك)**. فليس للخلق معاذ سواه ولا مستعاذ منه إلا وهو ربه وخالقه ومليكه وتحت قهره وسلطانه.

ثم ختم الدعاء بقوله: **(لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)** اعترافا بأن شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجلّ من أن يحصيها أحد من الخلق، أو يبلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه، فهو توحيد في الأسماء والصفات والنعوت. وذاك توحيد في العبودية والتأله وإفراده تعالى بالخوف والرجاء والاستعاذة، وهذا مضاد الشرك، وذاك مضاد التعطيل وبالله التوفيق[1].

---

(1) شفاء العليل (ص533-536).

20 دعاء الجلسة بين السجدتين

48-(1) (رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي)[1].

أي أنـه يكـرر هذا الدعاء بين السـجدتين، لا أنـه يقوله مرتين فقط، فقد جـاء في الحديث أن سـجود النبي ﷺ وركوعه، وقعوده بين السـجدتين قريبا من السـواء.

قـال الحافـظ ابن رجب رحمـه الله: واسـتحب الإمام أحمد مـا في حديث حذيفـة[أي هذا الحديـث]، فإنـه أصـح عنده مـن حديث ابـن عباس[وهـو الحديـث الآتي]، وقـال: يقول: (رب اغفـر لي) ثـلاث مـرات أو ما شـاء. وحمل حديث حذيفـة أنه كان يكرر ذلـك، فإن في حديثـه أن جلوسـه بين السـجدتين كان نحوا من سـجوده[2].

49-(2) (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، وارْفَعْنِي)[3].

قوله: (اللهم اغفر لي) أي: يا الله امح ذنوبي، وأزل أثرها، وقني شرّها.

قوله: (وارحمني) أي: اشـملني برحمتك الواسـعة التي وسـعت كل شيء. والرحمة أخص من المغفـرة لأن فيها حصول المرغوب بعـد زوال المكروه.

قولـه: (واهـدني) إلى الحـق ولمـا فيه صـلاح ديني ودنيـاي. والهدايـة نوعـان: هداية علم وبيـان، وهداية توفيق ورشـد.

قولـه: (واجـبرني) قـال في(النهايـة) أي: أغننـي، مـن جـبر الله مصيبتـه: أي: ردَّ عليه ما ذهـب منـه وعوَّضـه، وأصلـه مـن جـبر الكـسر[4]. وقـال السـندي: قيـل: هو مـن جبرت الوهـن والكـسر إذا أصلحتـه وجـبرت المصيبة إذا فعلـت مع صاحبها ما ينسـاها بـه. أفاده في حاشـيته على(ابـن ماجة).

قولـه: (وعافنـي) أي: أعطني سـلامة وعافيـة، في ديني من الشـبهات والشـهوات، وفي بـدني من الأمـراض والأسـقام. والعافيـة: كلمة جامعـة للتخلص مـن الشر كله وأسـبابه.

---

(1) رواه أبو داود برقم (874)، وابن ماجه رقم (897)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) فتح الباري (7/ 276).

(3) رواه أبو داود برقم (850)، والترمذي برقم (284)، وابن ماجه برقم(898)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(4) النهاية في غريب الحديث (ص137).

قوله: (**وارزقني**) أي: ارزقني رزقا حلالا أستفيد منه في دنياي وأخراي. والرزق نوعان: رزق يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، ورزق يقوم به البدن وهو الطعام والشراب وغير ذلك.

قوله: (**وارفعني**) أي: في الدنيا والآخرة. في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۢ﴾ [المجادلة: 11].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد أخبر سبحانه في كتابه برفع الدرجات في أربعة مواضع: **أحدها**: هذا. [أي: آية المجادلة].

والثاني: قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: 2-4].

والثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: 75].

والرابع: قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: 95-96].

فهذه أربعة مواضع، في ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان، الذي هو **العلم النافع والعمل الصالح**، والرابع الرفعة بالجهاد، فعادت رفعة الدرجات كلها إلى **العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين**. اهـ[1].

وقال: ثم لما شرع السجود بوصف التكرار لم يكن بد من الفصل بين السجدتين، ففصل بينهما بركن مقصود، وشرع فيه من الدعاء ما يليق به ويناسبه، وهو سؤال العبد المغفرة والرحمة والهداية والعافية والرزق، فإن هذه تتضمن جلب خير الدنيا والآخرة، ودفع شر الدنيا والآخرة. فالرحمة تحصِّل الخير، والمغفرة تقي الشر، والهداية توصل إلى هذا وهذا، والرزق إعطاء ما به قوام البدن من الطعام والشراب، وما به قوام الروح والقلب من العلم والإيمان[2].

(1) مفتاح دار السعادة (1/ 224).

(2) كتاب الصلاة (ص367-368).

21 دعاء سجود التلاوة

50-(1) (سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾)[1].

قوله: **(سجد وجهي)** أي: خضع، وذلَّ، وانقاد. وخصَّ الوجه بالذكر من بين أعضاء السجود لمزيد شرفه. **(للذي خلقه)** أي: أوجده من العدم، وأسبغ عليه النعم.

قوله: **(وشق سمعه وبصره، بحَوله وقوته)** أي: فتح موضع سمعه وبصره، بقدرته.

قوله: **(فتبارك الله)** تبارك: أي: عظم وتقدس، وكثرت خيراته.

قوله: **(أحسن الخالقين)** أي: أحسن الصانعين. رجّحه ابن جرير. وقال: والعرب تسمي كل صانع خالقا. ومنه قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري[2]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: **(أحسن الخالقين)** أي: أحسن المصورين والمقدرين، والعرب تقول: قدرت الأديم، وخلقته: إذا قسته لتقطع منه مزادة، أو قِربة ونحوها، قال مجاهد: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين. وقال الليث: رجل خالق، أي: صانع...[3].

---

(1) رواه أبو داود برقم (1414)، والترمذي برقم (580)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود والزيادة للحاكم وصححه ووافقه الذهبي (1/ 220).

(2) جامع البيان (17/ 25)، وقد تقدم شرح ألفاظ الحديث برقم (44) وأعدناه هنا لأنه باب مستقل.
ومعنى قول الشاعر:
ولأنت تفري ما خلقت وبعـ***** ـض القوم يخلق ثم لا يفري
أي: لأنت تمضي ما قدّرته وتنفذه بعزمك وقدرتك، وبعض القوم يقدر ثم لا قوة له ولا عزيمة على إنفاذ ما قدره وإمضائه. فالله تعالى مقدر أفعال العباد وهم الذين أوجدوها وأحدثوها. أفاده العلامة ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (ص116) وبالله التوفيق.

(3) شفاء العليل (ص269)، وقد تقدم.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله: أجمع العلماء على مشروعية سجود التلاوة، وإنما اختلفوا في الوجوب، وفي مواضع السجود، فالجمهور على أنه سنة[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وقد أجمع العلماء عليه، وهو عندنا وعند الجمهور سنة ليس بواجب[2].

مواضع السجود:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن: منها ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان [3].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: وبالجملة فالحديث مع ضعف إسناده قد شهد له اتفاق الأمة على العمل بغالبه، ومجيء الأحاديث الصحيحة شاهدة لبقيته إلا سجدة الحج الثانية فلم يوجد ما يشهد لها من السنة والاتفاق[4]، إلا أن عمل بعض الصحابة على السجود فيها، قد يستأنس بذلك على مشروعيتها، ولا سيما ولا يعرف لهم مخالف. والله أعلم[5].

وقال في (سبل السلام): قال أحمد وجماعة: يسجد في خمسة عشر موضعا عدوا سجدتي (الحج) وسجدة (ص) [6].

وهي على الترتيب:

1- آخر سورة الأعراف (آية رقم 206).

2- سورة الرعد (آية رقم 15).

3- سورة النحل (آية رقم 49-50).

---

(1) سبل السلام (2/ 286).

(2) شرح مسلم (5/ 82).

(3) رواه أبو داود برقم (1401)، وابن ماجه برقم (1057)، وضعفه الشيخ الألباني في المشكاة برقم(1029).

(4) في سنن أبي داود وغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، فُضِّلت سورة الحج بأنها فيها سجدتين؟ قال: (**نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما**) رواه أبو داود برقم (1402)، والترمذي برقم(578)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(5) تمام المنة (ص270).

(6) سبل السلام (2/ 286).

4-سورة الإسراء (آية رقم 107-109).

5-سورة مريم (آية رقم 58).

6-أول سورة الحج (آية رقم 18).

7-آخر سورة الحج (آية رقم 77).

8-سورة الفرقان (آية رقم 73).

9-سورة النمل (آية رقم 25-26).

10-سورة السجدة (آية رقم 15).

11-سورة ص (آية رقم 24).

12-سورة فصلت (آية رقم 37-38).

13-آخر سورة النجم (آية رقم 62).

14-سورة الانشقاق (آية رقم 20-21).

15-آخر سورة العلق (آية رقم 19).

فوائد:

01-في معنى المفصَّل؟

تسميته بالمفصَّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة. والمفصَّل: قيل: من أول سورة (ق)، وقيل: من أول (الحجرات)، وقيل: غير ذلك[1].

02-لا يشترط لسجود التلاوة ما يشترط للصلاة، ففي صحيح البخاري معلقا مجزوما به: (وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يسجد على غير وضوء)[2].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: ليس في أحاديث سجود التلاوة ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئا، وقد كان يسجد معه ﷺ من حضر تلاوته، ولم ينقل أنه أمر أحدا منهم بالوضوء، ويبعد أن يكونوا جميعا متوضئين[3].

---

(1) مباحث في علوم القرآن (ص138-139).

(2) رواه البخاري في كتاب سجود القرآن(باب سجود المسلمين مع المشركين...). وقال الحافظ في الفتح): (3/ 443): كذا للأكثر(أي: على غير وضوء) وفي رواية الأصيلي بحذف غير والأول أولى.اهـ

(3) نيل الأوطار(5/ 347).

03-السجود لسجود القارئ.

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب من سجد لسجود القارئ وذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة، فيسجد ونسجد، حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته) [1].

04-هل ثبت في سجود التلاوة التكبير؟

أما التكبير ففيه نصوص مرفوعة لا تصح وانظر لذلك تمام المنة (ص267).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: وقد روى جمع من الصحابة سجوده ﷺ للتلاوة في كثير من الآيات في مناسبات مختلفة، فلم يذكر أحد منهم تكبيره عليه السلام للسجود، ولذلك نميل إلى عدم مشروعية هذا التكبير. وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

وقال: أخرج(ابن أبي شيبة)عن أبي قلابة وابن سيرين أنهما قالا: (إذا قرأ الرجل السجدة في غير الصلاة قال: الله أكبر)قلت: وإسناده صحيح، ورواه عبد الرزاق في المصنف(3/ 349/ 5930) بإسناد آخر صحيح عنهما نحوه. ثم روى التكبير عند سجود التلاوة هو والبيهقي عن مسلم بن يسار. وإسناده صحيح. اهـ [2].

05-هل يسلم لسجود التلاوة؟

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولا نُقِلَ فيه عنه تشهد ولا سلام البتة. وأنكر أحمد والشافعي السلام فيه، فالمنصوص عن الشافعي: أنه لا تشهد فيه ولا تسليم، وقال أحمد: أما التسليم فلا أدري ما هو، وهذا هو الصواب الذي لا ينبغي غيره[3].

51-(2) (اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، واْجعَلْهَا لِي عِنْدِكَ ذُخْرًا، وتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ) [4].

---

(1) رواه البخاري برقم (1075)، ومسلم برقم(575).

(2) تمام المنة (ص267-269).

(3) زاد المعاد (1/ 362).

(4) رواه الترمذي برقم (579)، وابن ماجه برقم (1053)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

قوله: (**اللهم اكتب لي بها عندك أجرا**) أي: أثبت لي بها، أي بسبب هذه السجدة أجرا.

قوله: (**وضع**) أي: حط. (**عنّي بها وزرا**) أي: إثما وذنبا.

قال في(النهاية): الوزر: الحمل والثقل، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذّنب والإثم[1].

قوله: (**واجعلها لي عندك ذخرا**) أي: كنزا، وقيل ذخرا بمعنى أجرا. وكُرر لأن مقام الدعاء يناسب الإطناب، وقيل: الأول طلب كتابة الأجر، وهذا طلب بقائه سالما من محبط أو مبطل وهذا هو الأظهر، قاله القاري في (المرقاة).

قوله: (**وتقبلها منِّي كما تقبلتها من عبدك داود**) أي تقبلها منِّي كما تقبلت من عبدك داود سجدته حين ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾. وقوله: (**خرّ راكعا**) أي: ساجدا، وقد يعبر عن السجود بالركوع.

قال الشاعر:

فخرّ على وجهه راكعا وتاب إلى الله من كل ذنب

(**وأناب**) أي: تاب من خطيئته ورجع إلى الله، وفيه إيماء إلى أن سجدة (ص) للتلاوة. والله أعلم.

قال السندي رحمه الله: قال السيوطي في(حاشية الترمذي): قال القاضي أبو بكر بن العربي: عسير عليّ في هذا الحديث أن يقول أحد ذلك، فإن فيه طلب قبول ذلك، وأين ذلك اللسان وأين تلك النية؟ قلت: ليس المراد المماثلة من كل وجه بل في مطلق القبول، وقد ورد في دعاء الأضحية: (وتقبل منِّي كما تقبلت من إبراهيم خليلك ومحمد نبيك) وأين المقام من المقام؟ ما أريد بهذا إلا مطلق القبول. انتهى[2].

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص970).

(2) حاشية ابن ماجه (1/ 550).



22 التشهد

52-(1) (التَّحيَّاتُ لله، والصَّلواتُ، والطَّيِّباتُ، السَّلامُ عَليْكَ أيُّها النَّبيُّ ورَحمةُ الله وبَركاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالحينَ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأشْهَدُ أنَّ مُحمّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه)[1].

والحديث بتمامه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا صلّينا خلف النبي ﷺ قلنا: [السّلام على الله]، السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان. فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: **(إنّ الله هو السّلام، فإذا صلّى أحدكم فليقل: التّحيّات لله، والصّلوات والطّيّبات، السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته، السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين-فإنّكم إذا قلتموها أصابت كلّ عبد لله صالح في السّماء والأرض-أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو)**.

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما لفظة(التشهد)سميت بذلك للنطق بالشهادة بالوحدانية والرسالة [وقد ثبت في التشهد عدة صيغ منها]: تشهد ابن مسعود، وتشهد ابن عباس، وتشهد أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم... الخ، واتفق العلماء على جوازها كلها، واختلفوا في الأفضل منها... وقال جمهور الفقهاء وأهل الحديث: تشهد ابن مسعود أفضل لأنه عند المحدثين أشد صحة وإن كان الجميع صحيحا. اهـ[2].

قال الحافظ في(الفتح): قال الترمذي: حديث ابن مسعود روي عنه من غير وجه، وهو أصح حديث روي في التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومَن بعدهم... وقال البزار لما سئل عن أصح حديث في التشهد قال: هو عندي حديث ابن مسعود، وروي من نيف وعشرين طريقا، ثم سرد أكثرها وقال: لا أعلم في التشهد أثبت منه ولا أصح أسانيد ولا أشهر رجالا. انتهى.

---

(1) رواه البخاري برقم (831)، ومسلم برقم (402).

(2) شرح مسلم (4/ 129).

ولا اختلاف بين أهل الحديث في ذلك، وممن جزم بذلك البغوي في (شرح السنة). ومن رجحانه أنه متفق عليه دون غيره، وأن الرواة عنه من الثقات لم يختلفوا في ألفاظه بخلاف غيره، وأنه تلقاه عن النبي ﷺ تلقينا. اهـ[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: لأن تشهد ابن مسعود يتضمن جملا متغايرة، وتشهد ابن عباس جملة واحدة، وأيضا، فإنه في (الصحيحين)، وفيه زيادة الواو، وكان يعلمهم إياه كما يعلمهم القرآن. اهـ[2].

قوله: (**إنّ الله هو السّلام**) قال الحافظ في (الفتح): قال البيضاوي ما حاصله: أنّه ﷺ أنكر التسليم على الله وبيّن أن ذلك عكس ما يجب أن يقال، فإن كل سلام ورحمة له ومنه وهو مالكها ومعطيها. وقال التوربشتي: وجه النهي عن السلام على الله لأنه المرجوع إليه بالمسائل المتعالي عن المعاني المذكورة، فكيف يدعى له وهو المدعو على الحالات.

وقال الخطابي: المراد أن الله ذو السلام، فلا تقولوا السلام على الله، فإن السلام منه بدأ وإليه يعود، ومرجع الأمر في إضافته إليه أنه ذو السلام من كل آفة وعيب، ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظ العبد فيما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك. وقال النووي: معناه أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، يعني السالم من النقائص، ويقال: المسلم أولياءه، وقيل: المسلم عليهم. قال ابن الأنباري: أمرهم أن يصرفوه إلى الخلق لحاجتهم إلى السلامة وغناه سبحانه وتعالى عنها. اهـ

قوله: (**فإذا صلّى أحدكم فليقل: التحيات...**) استدل بقوله: (**فليقل**) على **وجوب** التشهد خلافا لمن لم يقل به كمالك..... وقد جاء عن ابن مسعود التصريح بفرضية التشهد، وذلك فيما رواه الدار قطني وغيره بسند صحيح من طريق علقمة عن ابن مسعود (كنا لا ندري ما نقول قبل أن يفرض علينا التشهد) أفاده الحافظ.

قال الإمام النووي رحمه الله: واختلفوا في التشهد هل هو واجب أم سنة؟ فقال الشافعي رحمه الله تعالى وطائفة: التشهد الأول سنة والأخير واجب. **وقال جمهور المحدثين**: هما واجبان. وقال أحمد [رحمه الله]: الأول واجب والثاني فرض. وقال

(1) فتح الباري (3/ 59).

(2) كتاب الصلاة (ص432).

أبو حنيفة ومالك [رحمهما الله] وجمهور الفقهاء: هما سنتان. وعن مالك رحمه الله رواية بوجوب الأخير. اهـ

قلت: وظاهر قوله ﷺ: (**فليقل: التحيات...**) **الوجوب للتشهدين جميعا**، وذلك لأن الأصل في الأمر الوجوب، ولم يأت ما يصلح أن يكون صارفا له عن الوجوب، وهو الذي رواه الإمام النووي عن جمهور المحدثين كما تقدم والله أعلم[1].

قوله: (**التّحيّات**) جمع تحية، ومعناها السلام، وقيل: البقاء، وقيل: العظمة، وقيل: السلامة من الآفات والنقص، وقيل: الملك. وقال أبو سعيد الضرير: ليست التحية الملك نفسه لكنها الكلام الذي يحيا به الملك. وقال ابن قتيبة: لم يكن يحيا إلا الملك خاصة، وكان لكل ملك تحية تخصه، فلهذا جمعت فكان المعنى التحيات التي كانوا يسلمون بها على الملوك كلها مستحقة لله. وقال الخطابي ثم البغوي: ولم يكن في تحياتهم شيء يصلح للثناء على الله، فلهذا أبهمت ألفاظها واستعمل منها معنى التعظيم فقال: قولوا التحيات لله، أي أنواع التعظيم له. [والمراد التعظيمات بكافة صيغها وجميع هيئاتها من ركوع وسجود وذل وخضوع، وخشوع وانكسار، كل ذلك لله وحده لا شريك له، وهي له سبحانه ملكا واستحقاقا]. وقال المحب الطبري: يحتمل أن يكون لفظ التحية مشتركا بين المعاني المقدم ذكرها، وكونها بمعنى السلام أنسب هنا.

قوله: (**والصلوات**) قيل المراد الخمس، أو ما هو أعم من ذلك من الفرائض والنوافل في كل شريعة، وقيل المراد العبادات كلها، وقيل الدعوات[فإن معنى الصلاة لغة الدعاء].

قوله: (**والطيبات**) أي: ما طاب من الكلام وحسن أن يثنى به على الله دون ما لا يليق بصفاته مما كان الملوك يحيَّوْنَ به، وقيل: الطيبات ذكر الله، وقيل: الأقوال الصالحة كالدعاء والثناء، وقيل: الأعمال الصالحة وهو أعم...

وأما الطيبات، فقد فسرت بالأقوال، ولعل تفسيرها بما هو أعم أولى فتشمل الأفعال والأقوال والأوصاف، وطيبها كونها كاملة خالصة عن الشوائب. وقال القرطبي: قوله: (لله) فيه تنبيه على الإخلاص في العبادة، أي أن ذلك لا يفعل إلا لله.

---

(1) انظر أصل صفة الصلاة (ص866).

قوله: (**السلام عليك أيها النبي**) [هذا دعاء للنبي ﷺ بالسلام، أي: السلامة من العيب والنقص، وأي آفة أو فساد]. قال الحافظ في(الفتح): قال التوربشتي: السلام بمعنى السلامة كالمقام والمقامة، والسلام من أسماء الله تعالى، وضع المصدر موضع الاسم مبالغة، والمعنى أنه سالم من كل عيب وآفة ونقص وفساد، ومعنى قولنا: (**السلام عليك**) الدعاء، أي سلِمتَ من المكاره، وقيل: معناه: (اسم السلام عليك)كأنه تبرك عليه باسم الله تعالى.

وقد ورد في بعض طرق حديث ابن مسعود هذا ما يقتضي المغايرة بين زمانه ﷺ فيقال بلفظ الخطاب، وأما بعده فيقال بلفظ الغيبة.

ففي الاستئذان من صحيح البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود بعد أن ساق حديث التشهد قال: (وهو بين ظهرانينا، فلما قبض قلنا السلام) يعني على النبي. اهـ [(1)].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: قلت: وقول ابن مسعود: (قلنا: السلام على النبي) يعني: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون: (السلام عليك أيها النبي) في التشهد والنبي ﷺ حي، فلما مات عدلوا عن ذلك وقالوا: (السلام على النبي)، ولا بد أن يكون ذلك بتوقيف منه ﷺ، ويؤيده أن عائشة رضي الله عنها كذلك كانت تعلمهم التشهد في الصلاة: (السلام على النبي)، رواه السراج في مسنده(ج9/ 1/ 2)، والملخص في الفوائد (ج11/ 54/ 1) بسندين صحيحين عنها.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: هذه الزيادة ظاهرها أنهم كانوا يقولون: (السلام عليك أيها النبي) بكاف الخطاب في حياة النبي ﷺ، فلما مات النبي ﷺ تركوا الخطاب وذكروه بلفظ الغيبة فصاروا يقولون: (السلام على النبي). اهـ [(2)].

قوله: (**ورحمة الله**) صفة حقيقية لله تبارك وتعالى، تليق بجلاله وعظمته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

قوله: (**وبركاته**) جمع بركة، وهي النماء والزيادة من الخير.

(1) فتح الباري (3/ 56).

(2) صفة الصلاة (ص161).

قوله: (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**) فيه دعاء للنفس، ولعباد الله الصالحين القائمين بما يجب عليهم من حقوق الله وحقوق عباده بالسلامة من كل عيب ونقص، وأي آفة أو فساد.

قوله: (**السلام علينا**) استُدِل به على استحباب البداءة بالنفس في الدعاء، وفي الترمذي مصححا من حديث أبي بن كعب (أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه) وأصله في مسلم، ومنه قول نوح وابرهيم عليهما السلام كما في التنزيل.

قوله: (**عباد الله الصالحين**) الأشهر في تفسير الصالح أنه القائم بما يجب عليه من حقوق الله وحقوق عباده وتتفاوت درجاته. قال الترمذي الحكيم: من أراد أن يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في الصلاة فليكن عبدا صالحا وإلا حُرِم هذا الفضل العظيم.

وقال: قال البيضاوي: علَّمهم أن يفردوه ﷺ بالذكر لشرفه ومزيد حقه عليهم، ثم علَّمهم أن يخصصوا أنفسهم أولا لأن الاهتمام بها أهم، ثم أمرهم بتعميم السلام على الصالحين إعلاما منه بأن الدعاء للمؤمنين ينبغي أن يكون شاملا لهم.

قوله: (**فإنّكم إذا قلتموها**) أي: (**وعلى عباد الله الصالحين**) وهو كلام معترض بين قوله: (**الصالحين**) وبين قوله: (**أشهد...**) الخ، وإنما قدمت للاهتمام بها لكونه أنكر عليهم عد الملائكة واحدا واحدا ولا يمكن استيعابهم لهم مع ذلك، فعلَّمهم لفظا يشمل الجميع مع غير الملائكة من النبيين والمرسلين والصديقين وغيرهم بغير مشقة، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ.

قوله: (**كل عبد لله صالح**) استُدِل به على أن الجمع المضاف والجمع المحلَّى بالألف واللام يعمُّ، لقوله أولا عباد الله الصالحين، ثم قال: أصابت كل عبد صالح[1].

قوله: (**أشهد أن لا إله إلا الله**): هذه الشهادة معناها الاعتراف والإقرار الذي يتبعه إعلام وإخبار، لأن الشهادة تشمل: اعتقاد القلب وإخبار اللسان. فمن اعتقد بقلبه دون أن يتكلم بلسانه لم يعدّ شاهدا، ومن تكلم بلسانه -كحال المنافقين- ولم يعتقد بقلبه لم يكن شاهدا بما دلّت عليه كلمة التوحيد.

(1) فتح الباري (3/ 56-58).

إذن الشهادة في قوله: (**أشهد**) يعني: أعتقد وأعترف وأقر لله بأنه هو المستحق للعبادة وحده دونما سواه، وأخبر وأعلم بأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

وهذا هو الذي فُسِّر به قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: 18].

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ يعني أعلم وأخبر.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ شهدوا بذلك، وأعلموا وأخبروا بذلك واعتقدوا ذلك.

﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ من خلقه شهدوا بذلك بمرتبتين: مرتبة الاعتقاد، مرتبة القول[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته، وأنبياؤه ورسله قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: 18-19].

فتضمنت هذه الآية: أجلَّ شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجل شاهد، بأجلّ مشهود به.

وعبارات السلف في (**شهد**) تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان، والإخبار. قال مجاهد: حكم، وقضى. وقال الزجاج: بيّن. وقالت طائفة: أعلم وأخبر. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها.

فإن (الشهادة) تتضمن: كلام الشاهد وخبره، وقوله. وتتضمن: إعلامه، وإخباره وبيانه. فلها أربع مراتب:

فأول مراتبها: علم ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلمه بذلك، ونطقه به، وإن لم يُعلِم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يُعلِم غيره بما شهد به، ويخبره به، ويبينه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

---

(1) شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ (1/ 131)، وقد تقدم.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط: تضمنت هذه المراتب الأربعة: علم الله سبحانه بذلك. وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به[1].

قوله: (**وأشهد أنّ محمّدا**) قال أهل اللغة: يقال رجل محمد ومحمود إذا كثرت خصاله المحمودة. قال ابن فارس: وبذلك سمّي نبينا ﷺ محمدا يعني لعلم الله تعالى بكثرة خصاله المحمودة ألهم أهله التسمية بذلك، أفاده الإمام النووي[2].

قوله: (**عبده ورسوله**) ليس إلها وليس ملكا، وإنما هو عبد من عبيد الله، شرّفه الله بالرسالة، فلا يدعى فيه أكثر من أنه رسول من الله عز وجل، وكفى بهذه المرتبة فضلا وشرفا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ووصف أكرم خلقه عليه، وأعلاهم عنده منزلة بالعبودية في أشرف مقاماته، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: 23]. وقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴿١﴾﴾ [الفرقان: 01]. وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴿١﴾﴾ [الكهف: 01]. فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه، وفي مقام التحدي بأن يأتوا بمثله.

وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: 19]. فذكره بالعبودية في مقام الدعوة إليه.

وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴿١﴾﴾ [الاسراء: 01]. فذكره بالعبودية في مقام الإسراء. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**) [3] اهـ[4].

وقوله: (**لا تطروني**) بضم أوله، والاطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلانا مدحته فأفرطت في مدحه. (**كما أطرت النصارى ابن مريم**) أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك، أفاده في(الفتح).

(1) مدارج السالكين (3/ 469)، وقد تقدم.

(2) شرح مسلم (4/ 131)، وقد تقدم.

(3) رواه البخاري رقم (3445).

(4) مدارج السالكين (1/ 116)، وقد تقدم.

قال الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

(طاعته فيما أمر) من الواجبات والمستحبات، وقد قرن الله طاعته بطاعة الرسول ﷺ، كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: 80].

(وتصديقه فيما أخبر) به من أخبار الأمم الماضية، أو الأمور المستقبلة، فأخباره حق وصدق لا كذب فيها.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الإيمان يرجع إلى أصلين: طاعة الرسول ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر. اهـ[1].

(واجتناب ما عنه نهى وزجر) أي: اجتناب كل ما نهى عنه وحذر منه قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: 07]. وقال ﷺ: (**إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**) متفق عليه.

(وألا يعبد الله إلا بما شرع) سبحانه في كتابه وما جاء به رسوله ﷺ، لا نعبده بالأهواء والبدع، قال الزهري -رحمه الله-: (من الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم) [2].

قوله: (**ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو**) وفي رواية: (**ثم يتخير من المسألة ما شاء**).

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه استحباب الدعاء في آخر الصلاة قبل السلام.

وفيه أنه يجوز الدعاء بما شاء من أمور الآخرة والدنيا ما لم يكن إثما وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور. اهـ[3].

فائدة: قال الحافظ في (الفتح): قال القفال في فتاويه: ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لأن المصلي يقول: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات، ولا بد أن يقول

---

(1) أحكام أهل الذمة (2/ 451).

(2) ثلاثة الأصول وشرحها تيسير الوصول (ص137).

(3) شرح مسلم (4/ 131).

في التشهد: (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**) فيكون مقصرا بخدمة الله وفي حق رسوله وفي حق نفسه وفي حق كافة المسلمين، ولذلك عظمت المعصية بتركها، واستنبط منه السبكي أنّ في الصلاة حقا للعباد مع حق الله، وأنّ من تركها أخلّ بحقّ جميع المؤمنين من مضى ومن يجيء إلى يوم القيامة لوجوب قوله فيها: (**السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين**) [1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فالتحيات هي تحية من العبد للحي الذي لا يموت، وهو سبحانه أولى بتلك التحيات من كل ما سواه، فإنها تتضمن الحياة والبقاء والدوام، ولا يستحق أحد هذه الحياة إلا الحي الباقي الذي لا يموت، ولا يزول ملكه.

وكذلك قوله: (**والصلوات**) فإنه لا يستحقُّ أحد الصلاة إلا الله عز وجل، والصلاة لغيره من أعظم الكفر والشرك به.

وكذلك قوله: (**والطيبات**) هي صفة لموصوف محذوف أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده، فهو طيب، وكلامه طيب، وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، ولا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، فكله طيب.

ولما كان السلام من أنواع التحية، وكان المسلم داعيا لمن يحييه، وكان الله سبحانه هو الذي يطلب منه السلام، لا يطلب له السلام، فإنه السلام، ومنه السلام، شرع أن يطلب منه السلام لعباده الذين اختصهم بعبوديته، وارتضاهم لنفسه.

وشرع أن يبدأ بأكرمهم عليه، وأحبهم إليه، وأقربهم منه منزلة في هذه التحية.

ثم ختمت هذه التحية بالشهادتين اللتين هما مفتاح الإسلام. فشرع أن يكون خاتمة الصلاة[2].

وقال أيضا: فجمع العبد في قوله: (**التحيات والصلوات والطيبات**) أنواع الثناء على الله، وأخبر أن ذلك له وصفا وملكا.

وكذلك (**الصلوات**) كلها لله، فهو الذي يصلَّى له وحده لا لغيره.

---

(1) فتح الباري (3/ 61).

(2) كتاب الصلاة (ص370-373).

وكذلك (**الطيبات**) كلها من الكلمات والأفعال كلها له، فكلماته طيبات وأفعاله كذلك، وهو طيب لا يصعد إليه إلا طيب، والكلم الطيب إليه يصعد، فكانت الطيبات كلها له ومنه وإليه، له ملكا ووصفا ومنه مجيئها وابتداؤها، وإليه مصعدها ومنتهاها.

والصلاة مشتملة على عمل صالح وكلم طيب، والكلم الطيب إليه يصعد، والعمل الصالح يرفعه، فناسب ذكر هذا عند انتهاء الصلاة وقت رفعها إلى الله تعالى، فلما أتى بهذا الثناء على الرب -تعالى- التفت إلى شأن الرسول الذي حصل هذا الخير على يديه، فسلم عليه أتم سلام معرف باللام التي للاستغراق، مقرونا بالرحمة والبركة، هذا هو أصح شيء في السلام عليه، فلا تبخل عليه بالألف واللام في هذا المقام.

ثم انتقل إلى السلام على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين، وبدأ بنفسه لأنها أهم والإنسان يبدأ بنفسه، ثم بمن يعول.

ثم ختم هذا المقام بعقد الإسلام، وهو التشهد بشهادة الحق التي هي أول الأمر وآخره، وعندها كمل الثناء والتشهد[1].

---

(1) بدائع الفوائد (ص686).

23 الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد

53-(1) (**اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحمَّدٍ وعلَى آلِ مُحمَّدٍ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبْرَاهِيْمَ وعَلَى آلِ إبراهِيْمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحمَّدٍ وعلى آلِ مُحمَّدٍ، كما بَارَكْتَ عَلَى إبراهِيْمَ وعَلَى آلِ إبْراهيمَ، إنَّك حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ**)[1].

54-(2) (**اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحمَّدٍ وعَلَى أزواجِهِ وذُرِّيتهِ، كما صَلَّيْتَ على آلِ إبْراهيمَ، وبَارِكْ عَلى مُحمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيْمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ**)[2].

قوله: (**اللهم صلِّ على محمد**) تقدم قول أبي العالية في معنى صلاة الله على نبيه بأنه ثناؤه عليه عند الملائكة، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الصلاة على النبي ﷺ هي ثناء الله تعالى عليه وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره، وزيادة حبه وتقريبه[3].

قوله: (**وعلى آل محمد**) قال الحافظ في(الفتح): واختلف في المراد (بآل محمد) والراجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة، وهذا نص عليه الشافعي واختاره الجمهور، ويؤيده قول النبي ﷺ للحسن بن علي: (**إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة**)[4].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال:

فقيل: هم الذين حرمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد -رحمهما الله- في رواية عنه.

والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة -رحمه الله-، والرواية عن أحمد -رحمه الله- واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

(1) رواه البخاري برقم (3370).

(2) رواه البخاري برقم (3369).

(3) جلاء الأفهام (ص450)، وقد تقدم.

(4) فتح الباري (14/ 380).

والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب، [فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية، وبنو نوفل ومن فوقهم، ومن فوقهم إلى بني غالب]. وهو اختيار أشهب من أصحاب مالك، حكاه صاحب الجواهر عنه، وحكاه اللخمي في التبصرة عن أصبغ، ولم يحكه عن أشهب.

والقول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في التمهيد.

والقول الثالث: أن آله ﷺ، أتباعه إلى يوم القيامة.

والقول الرابع: أن آله ﷺ، هم الأتقياء من أمته.

والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني، وأما الثالث والرابع فضعيفان[1].

قلت: وقد عقد العلامة ابن القيم رحمه الله فصلا في ذكر حجج هذه الأقوال وأدلتها، وتبيين ما فيها من الصحيح والضعيف في كتابه (الجلاء) فانظره غير مأمور.

قوله: (**كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**) هم ذريته من إسماعيل وإسحاق، كما جزم به جماعة من الشراح، وإن ثبت أن إبراهيم ﷺ كان له أولاد من غير سارة، فهم داخلون لا محالة، ثم إن المراد المسلمون منهم بل المتقون، فيدخل فيهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون دون من عداهم[2].

قوله: (**وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: البركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله وبارك فيه، وبارك عليه وبارك له.

فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له، وزيادته، هذا حقيقة البركة[3].

قوله: (**إنك حميد مجيد**) قال الحافظ في(الفتح): أما الحميد فهو فعيل من الحمد بمعنى محمود، وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها، وقيل: هو

(1) جلاء الأفهام (ص324-327) باختصار.

(2) فتح الباري (14/ 384).

(3) جلاء الأفهام (431-437).

بمعنى الحامد أي: يحمد أفعال عباده. وأما المجيد فهو من المجد وهو صفة مَن كمُل في الشرف، وهو مستلزم للعظمة والجلال كما أن الحمد يدل على صفة الإكرام. ومناسبة ختم هذا الدعاء بهذين الاسمين العظيمين أن المطلوب تكريم الله لنبيه وثناؤه عليه والتنويه به وزيادة تقريبه، وذلك مما يستلزم طلب الحمد والمجد، ففي ذلك إشارة إلى أنهما كالتعليل للمطلوب، أو هو كالتذييل له، والمعنى إنك فاعل ما تستوجب به الحمد من النعم المترادفة كريم بكثرة الإحسان إلى جميع عبادك[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد ختمت الصلاة على النبي ﷺ باسمين من أسماء الله سبحانه وهما: الحميد المجيد. فالحميد: فعيل من الحمد، وهو بمعنى محمود. فالحميد: الذي له من الصفات، وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودا، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود: من تعلق به حمد الحامدين، وهكذا المجيد والممجد، والكبير والمكبر، والعظيم والمعظم. والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدا له. وأما المجد فهو مستلزم للعظمة، والسعة، والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دالٌّ على صفات العظمة والجلال[2].

قوله: (**اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته...**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فقالوا: هذا يفسر ذلك الحديث[أي: الحديث المتقدم (**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**)]ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته، قالوا: والآل والأهل سواء، وآل الرجل وأهله سواء: وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث[3].

فائدة: قال الشيخ الألباني رحمه الله: اشتهر التساؤل بين العلماء عن وجه التشبيه في قوله: (**كما صلَّيتَ**) الخ، لأن المقرر أن المشبه دون المشبه به، والواقع هنا عكسه، إذ أن محمدا ﷺ أفضل من إبراهيم، وقضية كونه أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل، وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة كثيرة تراها في (الفتح) و(الجلاء) وقد بلغت نحو عشرة أقوال، بعضها أشد ضعفا من

(1) فتح الباري (14/ 384).

(2) جلاء الأفهام (447-449).

(3) جلاء الأفهام (352-353).

بعض، إلا قولا واحدا فإنه قوي، واستحسنه شيخ الإسلام وابن القيم، وهو قول من قال: إن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة عليه مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد من ذلك ما يليق بهم، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء -وفيهم إبراهيم- لمحمد ﷺ، فيحصل له من المزية، ما لا يحصل لغيره.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وهذا أحسن مِن كل ما تقدم، وأحسن منه أن يقال: محمد ﷺ هو مِن آل إبراهيم بل هو خير آل إبراهيم، كما روى علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: 33]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: محمد من آل إبراهيم، وهذا نص، إذا دخل غيره من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله، فدخول رسول الله ﷺ أولى، فيكون قولنا: **(كما صليت على إبراهيم)** متناولا للصلاة عليه، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، ثم قد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليه، وعلى آله خصوصا، بقدر ما صلينا عليه، مع سائر آل إبراهيم عموما، وهو فيهم ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم، ويبقى الباقي كله له ﷺ، قال: ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ورسول الله ﷺ معهم، أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم. فيطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم، الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعا، ويظهر حينئذ فائدة التشبيه وجريه على أصله، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ، أعظم من المطلوب له بغيره، فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشبه به، وله أوفر نصيب منه، صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم وغيره، وانضاف إلى ذلك مما له من المشبه به، من الحصة التي لم تحصل لغيره، فظهر بهذا من فضله وشرفه على إبراهيم، وعلى كل من آله -وفيهم النبيون- ما هو اللائق به، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له، وهي من موجباته ومقتضياته فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيًا عن أمته، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد[1].

(1) صفة الصلاة (ص168).

24 الدعاء بعد التشهد الأخير قبل السَّلام

55-(1) (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ومِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحيَا والمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**)[1].

قوله: (**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**) فيه: إثبات عذاب القبر وفتنته، وهو مذهب أهل الحق، خلافا للمعتزلة[2].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله في (شرح الطحاوية): وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذا الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول[3].

وبوّب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في (كتاب الجنائز) باب ما جاء في عذاب القبر ثم ساق الآيات والأحاديث في ذلك، فارجع إلى شرحها تستفد، وبالله التوفيق.

قوله: (**ومن عذاب جهنم**) لأنه الغاية التي لا أعظم في الهلاك منها، وجهنم اسم للنار التي أعدها الله للكفار يوم القيامة وقدّمه لعظمه وشدّته.

قال في (النهاية): جهنّم هي لفظة أعجمية، وهو اسم لنار الآخرة. وقيل: هي عربية، وسميت بها لبعد قعرها. اهـ[4].

قوله: (**ومن فتنة المحيا**) أي: زمن الحياة، وهي: ما يعرض للإنسان في حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها. (**والممات**) أي: زمن الموت من أول النزع وهلمّ جرا، فتنة القبر وسؤال الملكين.. الخ.

---

(1) رواه البخاري برقم (1377)، ومسلم برقم (588) واللفظ له.

(2) شرح مسلم (5/ 95).

(3) شرح الطحاوية (ص399).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص177).

قال الحافظ في(الفتح): قال ابن دقيق العيد: **فتنة المحيا**: ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت. و**فتنة الممات**: يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر، وقد صح يعني في حديث أسماء في الجنائز: (**إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبا من فتنة الدجال**) ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله: (**عذاب القبر**) لأن العذاب مرتب عن الفتنة والسبب غير المسبب.

وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العامِّ بعد الخاصِّ، لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن سفيان الثوري أن الميت إذا سئل: (من ربك؟)تراءى له الشيطان فيشير إلى نفسه إني أنا ربك، فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يسأل ثم أخرج بسند جيد إلى عمرو بن مرة: (كانوا يستحبون إذا وضع الميت في القبر أن يقولوا: اللهم أعذه من الشيطان). اهـ[1].

وقال الحافظ أيضا: وأما فتنة المحيا والممات فقال ابن بطال: هذه كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل. ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك. وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعا عن أمته وتشريعا لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية. اهـ[2].

وقوله: (**فتنة المسيح الدجال**) قال أهل اللغة: الفتنة الامتحان والاختبار. أي: ما يظهر على يديه من الخوارق التي يضل بها كثير من الناس ويتبعونه على دعواه الألوهية[3].

والمسيح يطلق على الدجال، وعلى عيسى بن مريم -عليه السلام- لكن إذا أريد الدجال قيد به.

---

(1) فتح الباري (3/ 64).

(2) فتح الباري (14/ 405).

(3) مختصر صفة الصلاة (ص30).

قال في (النهاية): والدجّال: الخدّاع الملبس الأمور على الناس، وأصل الدجل الخلط، يقال: دجّل إذا لبّس وموّه، ومنه الحديث: **(يكون في آخر الزمان دجّالون)** أي: كذّابون مموِّهُون، وقد تكرر ذكر الدجّال في الحديث، وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدّعي الألوهية، وفعّال من أبنية المبالغة، أي: يكثر منه الكذب والتلبيس[1].

قال الحافظ في (الفتح): قال أهل اللغة: الفتنة الامتحان والاختبار. قال عياض: واستعمالها في العرف لكشف ما يكره. انتهى. وتطلق على القتل والإحراق والنميمة وغير ذلك، والمسيح بفتح الميم وتخفيف المهملة المكسورة وآخره حاء مهملة يطلق على الدجال وعلى عيسى ابن مريم -عليه السلام-، ولكن إذا أريد الدجال قُيد به... واختُلف في تلقيب الدجال بذلك، فقيل: لأنه ممسوح العين، وقيل: لأن أحد شقي وجهه خلق ممسوحا لا عين فيه ولا حاجب، وقيل: لأنه يمسح الأرض إذا خرج. وأما عيسى فقيل: سمي بذلك لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل: لأن زكرياء مسحه، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقيل: لأنه كان يمسح الأرض بسياحته، وقيل: لأن رجله كانت لا أخمص لها، وقيل: للبسه المسوح، وقيل: هو بالعبرانية ماشيخا فعرب المسيح، وقيل: المسيح الصِّدِّيق، وذكر شيخنا الشيخ مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس أنه جمع في سبب تسمية عيسى بذلك خمسين قولا أوردها في (شرح المشارق) اهـ[2].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: واعلم أن الأحاديث في خروج الدجال في آخر الزمان كثيرة جدا، بل هي متواترة، لا يمكن لمطَّلع عاقل إنكارها، كلا، ولا تأويل معانيها، بل تعطيلها، لأن مجموع هذه الأحاديث تقطع بمجيئه.

وإنه رجل شاب قطط، شبّهه ﷺ بعبد العزّى بن قطن، وإنه أعور العين مكتوب بين عينيه: (كافر)، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب، وهو يخرج بين الشام والعراق، تبعه من يهود أصفهان سبعون ألفا، عليهم الطيالسة، لبثه في الأرض أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا، سرعته في الأرض كالغيث استدبرته الريح، وليس من بلد إلا سيطؤه، إلا مكة والمدينة، يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، يجيء ومعه مثل الجنة والنار، وذلك في رأي

---

(1) النهاية في غريب الحديث (298).

(2) فتح الباري (3/ 64).

العين، ويأخذ رجلا فينشره بالمنشار، ثم يحييه، ثم يأخذه ليذبحه، فلا يستطيع إليه سبيلا، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة. ثم يبعث الله تعالى المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيطلب الدجال حتى يدركه بـ: (باب لد)، فيقتله.

كل هذه الأخبار صحيحة ثابتة في(صحيح البخاري) و(مسلم)، وهي من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ۝٣﴾ [البقرة: 1-3]. اهـ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فكان يتعوذ في آخر الصلاة من أربع، وأمر بالاستعاذة منهن وهي: **(عذاب القبر، وعذاب النار)** فهذان أعظم المؤلمات، و**(فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال)** وهذان سبب العذاب المؤلم، فالفتنة سبب العذاب، وذكر الفتنة خصوصا وعموما، وذكر نوعي الفتنة، فإن الفتنة إما في الحياة وإما بعد الموت، ففتنة الحياة قد يتراخى عنها العذاب مدة، وأما فتنة الموت فيتصل بها العذاب من غير تراخٍ، فعادت الاستعاذة إلى الألم والعذاب وأسبابهما، وهذا من آكد أدعية الصلاة[2].

وقال أيضا: فإذا أتى بها المصلِّي(أي الصلاة الإبراهيمية)أُمر أن يستعيذ بالله من مجامع الشر كله، فإن الشر إما عذاب الآخرة، وإما سببه. فليس الشر إلا العذاب وأسبابه. والعذاب نوعان: عذاب في البرزخ، وعذاب في الآخرة. وأسبابه الفتنة، وهي نوعان: كبرى وصغرى. فالكبرى فتنة الدجال وفتنة الممات، والصغرى فتنة الحياة التي يمكن تداركها بالتوبة، بخلاف فتنة الممات وفتنة الدجال، فإن المَفتون بهما لا يتداركهما[3].

قال الحافظ في(الفتح): وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم وما تأخر، وأجيب بأجوبة، **أحدها**: أنه قصد التعليم لأمته. **ثانيها**: أن المراد السؤال منه لأمته، فيكون المعنى هنا أعوذ بك لأمتي. **ثالثها**: سلوك طريق

(1) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (ص1004).

(2) بدائع الفوائد (ص713).

(3) كتاب الصلاة (ص376).

التواضع وإظهار العبودية وإلزام خوف الله وإعظامه والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقيق الإجابة لأن ذلك يحصِّل الحسنات ويرفع الدرجات، وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة.

وأما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه فلا إشكال فيه على الوجهين الأولين، وقيل على الثالث: يحتمل أن يكون ذلك قبل تحقيق عدم إدراكه، ودل عليه قوله في الحديث الآخر عند مسلم: **(إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه)**..... الحديث، والله أعلم. اهـ[1].

وقال في(شرح مسلم): قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعُصم، إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى، وإعظامه والافتقار إليه، ولتقتدي به أمته، وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه، والله أعلم[2].

فوائد:

01-جاء في روايةٍ عند الإمام مسلم رحمه الله قوله ﷺ: **(إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوَّذ بالله من أربع)**.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: هذه الزيادة تفيد مشروعية هذه الاستعاذة بالتشهد الأخير دون الأول خلافا لابن حزم في المحلى(3/ 271)، وتبعه ابن دقيق العيد، حيث قال: المختار أن يدعو في التشهد الأول، كما يدعو في التشهد الأخير لعموم الحديث الصحيح: **(إذا تشهد أحدكم، فليتعوّذ بالله من أربع...)**. قال الحافظ في التلخيص(3/ 507): وتعقّب بأنّه في الصحيح عن أبي هريرة بلفظ: **(إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير، فليتعوذ)**. وقال ابن القيم في(الزاد): ولا كان أيضا يستعيذ فيه - يعني: التشهد الأول - من عذاب القبر وعذاب النار... الخ. ومن استحب ذلك، فإنما فهمه من عمومات وإطلاقات قد صحّ تبيين موضعها، وتقييدها بالتشهد الأخير. ثم قال الحافظ في الفتح(2/ 253)-بعد أن ساق

(1) فتح الباري (3/ 65).

(2) شرح مسلم (5/ 99).

الحديث-: فهذا فيه تعيين هذه الاستعاذة بعد الفراغ من التشهد، فيكون سابقا على غيره من الأدعية، وما ورد الإذن فيه أن المصلي يتخير من الدعاء ما شاء يكون بعد هذه الاستعاذة وقبل السلام.

قلت(أي: الشيخ الألباني): وهذه الزيادة في آخر الحديث - (**ثم يدعو لنفسه بما بدا له**) - نصٌّ في ذلك. اهـ[1].

02-قال الإمام مسلم رحمه الله عقب الحديث: بلغني أن طاووسًا قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا. قال: أعد صلاتك، لأن طاووسًا رواه عن ثلاثة أو أربعة، أو كما قال.

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا كله يدل على **تأكيد** هذا الدعاء والتعوذ والحث الشديد عليه وظاهر كلام طاووس رحمه الله تعالى أنه حمل الأمر به على الوجوب فأوجب إعادة الصلاة لفواته وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب، ولعل طاووسًا أراد تأديب ابنه، وتأكيد هذا الدعاء عنده، لا أنه يعتقد وجوبه، والله أعلم. اهـ[2].

قلت: قوله ﷺ: (**فليتعوَّذ**) ظاهره **وجوب** الاستعاذة من هذه الأربع.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: قوله: (**فليتعوَّذ**) استدل بهذا الأمر على وجوب الاستعاذة، وقد ذهب إلى ذلك بعض الظّاهرية، وروي عن طاووس، وقد ادّعى بعضهم الإجماع على النّدب وهو لا يتمّ مع مخالفة من تقدّم، والحق **الوجوب** إن علم تأخر هذا الأمر عن حديث المسيء لما عرّفناك في شرحه. اهـ[3].

وقال في (إكمال المعلم): وقول طاووس لابنه إذ لم يتعوّذ، كما علّمهم النبي ﷺ من ذلك: (**أعِد صلاتك**)، وفي رواية: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يعلّمهم ذلك كما كان يعلّمهم السورة من القرآن. [4]. يدل أنّه حمل أمر النّبي صلّى الله عليه وسلم بذلك، وبقوله: (**عوذوا بالله**) الحديث على الوجوب. اهـ[5].

---

(1) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (ص998).

(2) شرح مسلم (5/ 99).

(3) نيل الأوطار (4/ 381).

(4) رواه مسلم برقم (590).

(5) إكمال المعلم (2/ 540).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: ظاهره يفيد **الوجوب**، وقد قال به بعض أهل الظاهر - ومنهم ابن حزم (3/ 271). قال الحافظ (2/ 256): وادَّعى بعضهم الإجماع على عدم الوجوب. وفيه نظر، فقد أخرج عبد الرزاق بإسناد صحيح عن طاووس ما يدل على أنه يرى وجوب هذه الاستعاذة، وذلك أنّه سأل ابنه: هل قالها بعد التشهد؟ فقال: لا. فأمره أن يعيد الصلاة. قلت: وقد روى هذا مسلم في صحيحه (2/ 94) بلاغا عن طاووس. ثم قال الحافظ: وأفرط ابن حزم فقال بوجوبها في التشهد الأول أيضا. وقال ابن المنذر: لولا حديث ابن مسعود: **(ثمَّ ليتخيَّر من الدعاء)**، لقلت بوجوبها. أقول: هذا التخيير لا يشمل الاستعاذة من هذه الأربع، بدليل أن التخيير جاء مقيدا بها بعد الفراغ من هذه الأربع -كما سبق-، فالحق **وجوبها**. والله أعلم. اهـ [1].

56-(2) **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ والمَغْرَمِ)**[2].

قوله: (**المأثم**): هو الأمر الذي يأثم به الإنسان، أو هو الإثم نفسه، وضعا للمصدر موضع الإسم. وكذلك (**المغرم**): ويريد به الدَّين، بدليل تمام الحديث: (قالت عائشة: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله. فقال: **(إن الرّجل إذا غرم، حدّث فكذب، ووعد فأخلف)**. [3].

قال الحافظ في(الفتح): قوله: (**والمغرم**) أي: الدَّين، يقال غرم بكسر الراء أي: أدان. قيل: والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز وفيما يجوز، ثم يعجز عن أدائه، ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذ ﷺ من غلبة الدَّين. وقال القرطبي: المغرم الغرم، وقد نبّه في الحديث على الضرر اللاحق من المغرم والله أعلم.

قوله: (ما أكثر) بفتح الراء على التعجب. [قوله: (**إن الرجل**) المراد الجنس، وغالب حاله، ومثله المرأة. (**إذا غرم**) بكسر الراء أي: استدان. (**حدّث**) أي أخبر عن ماضي

(1) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (ص998-999).

(2) رواه البخاري برقم (832)، ومسلم برقم (589).

(3) صفة الصلاة (ص184).

الأحوال لتمهيد عذره في التقصير **(فكذب)** الكذب: ضد الصدق، وهو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو. **(ووعد)** أي في المستقبل بأن يقول: أعطيك غدا، أو في المدة الفلانية **(فأخلف)** أي في وعده.]والمراد أن ذلك شأن من يستدين غالبا. اهـ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: جمع النبي ﷺ بين المأثم والمغرم، فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا[2].

57-(3)- **(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)**[3].

عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علّمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: (قل:...)..... الحديث.

قال الحافظ في(الفتح): قوله: **(اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا)** أي: بملابسة ما يستوجب العقوبة أو ينقص الحظ، وفيه أن الإنسان لا يعرى عن تقصير ولو كان صِدِّيقا.

قوله: **(ولا يغفر الذنوب إلا أنت)** فيه إقرار بالوحدانية واستجلاب للمغفرة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: 135]. فأثنى على المستغفرين، وفي ضمن ثنائه عليهم بالاستغفار لوَّح بالأمر به، كما قيل: إن كل شيء أثنى الله على فاعله فهو أمر به، وكل شيء ذم فاعله فهو ناه عنه.

قوله: **(فاغفر لي مغفرة من عندك)** قال الطيبي: دل التنكير على أن المطلوب غفران عظيم لا يدرك كنهه، ووصفه بكونه من عنده سبحانه وتعالى مريدا لذلك العظم، لأن الذي يكون من عند الله لا يحيط به وصف. وقال ابن دقيق العيد: يحتمل وجهين: أحدهما الإشارة إلى التوحيد المذكور كأنه قال: لا يفعل هذا إلا أنت فافعله لي أنت. والثاني -وهو أحسن- أنه إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن ولا غيره. انتهى. وبهذا الثاني جزم ابن الجوزي فقال: المعنى هب لي المغفرة تفضلا وإن لم أكن لها أهلا بعملي.

---

(1) فتح الباري (3/ 64-65)، البحر المحيط الثجاج (13/ 137).

(2) الفوائد (ص368).

(3) رواه البخاري برقم (834)، ومسلم برقم (2705).

قوله: (**إنك أنت الغفور الرحيم**) هما صفتان ذكرتا ختما للكلام على جهة المقابلة لما تقدم فالغفور مقابل لقوله: اغفر لي، والرحيم مقابل لقوله: ارحمني، وهي مقابلة مرتبة.

وفي هذا الحديث من الفوائد أيضا: استحباب طلب التعليم من العالم، خصوصا في الدعوات المطلوب فيها جوامع الكلم، ولم يصرح في الحديث بتعيين محله. وقد تقدم كلام ابن دقيق العيد في ذلك في أوائل الباب الذي قبله. قال: ولعله ترجح كونه فيما بعد التشهد لظهور العناية بتعليم دعاء مخصوص في هذا المحل. ونازعه الفاكهاني فقال: الأولى الجمع بينهما في المحلين المذكورين أي السجود والتشهد. وقال النووي: استدلال البخاري صحيح، لأن قوله: (في صلاتي) يعم جميعها ومن مظانه هذا الموطن. قلت: ويحتمل أن يكون سؤال أبي بكر عن ذلك كان عند قوله لما علمهم التشهد: (**ثم ليتخير من الدعاء ما شاء**) ومن ثمّ أعقب المصنف الترجمة بذلك. اهـ[1].

قال الحافظ في (الفتح): قال الكرماني: هذا الدعاء من الجوامع، لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير وطلب غاية الإنعام، فالمغفرة ستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات، ففي الأول طلب الزحزحة عن النار وفي الثاني طلب إدخال الجنة، وهذا هو الفوز العظيم.

وقال ابن أبي جمرة ما ملخصه: في الحديث مشروعية الدعاء في الصلاة، وفضل الدعاء المذكور على غيره، وطلب التعليم من الأعلى وإن كان الطالب يعرف ذلك النوع، وخص الدعاء بالصلاة لقوله ﷺ: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)، وفيه أن المرء ينظر في عبادته إلى الأرفع فيتسبب في تحصيله، وفي تعليم النبي ﷺ لأبي بكر هذا الدعاء إشارة إلى إيثار أمر الآخرة على أمر الدنيا، ولعله فهم ذلك من حال أبي بكر وإيثاره أمر الآخرة، قال: وفي قوله: (**ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت**) أي: ليس لي حيلة في دفعه فهي حالة افتقار، فأشبه حال المضطر الموعود بالإجابة، وفيه هضم النفس والاعتراف بالتقصير[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله معلقا على هذا الحديث: ولهذا لما سأل الصِّدِّيق النبي ﷺ دعاء يدعو به في صلاته، قال له: (**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا...**)

(1) فتح الباري (3/ 67).

(2) فتح الباري (14/ 334-335).

فأخبر عن ظلمه لنفسه مؤكِّدا له (بإن) المقتضية ثبوت الخبر وتحققه، ثم أكده بالمصدر النافي للتجوز والاستعارة، ثم وصفه بالكثرة المقتضية لتعدده وتكثره.

ثم قال: (**فاغفر لي مغفرة من عندك**) أي: لا ينالها عملي ولا سعيي، بل عملي يقصر عنها، وإنما هي من فضلك وإحسانك، لا بكسبي ولا باستغفاري وتوبتي.

ثم قال: (**وارحمني**) أي: ليس معولي إلا على مجرد رحمتك، فإن رحمتني وإلا فالهلاك لازم لي. فليتدبر اللبيب هذا الدعاء وما فيه من المعارف والعبودية، وفي ضمنه: إنك لو عذبتني لعدلت فيَّ ولم تظلمني، وإني لا أنجو إلا بمغفرتك ورحمتك. اهـ[1].

وقال أيضا: وسأله الصِّدِّيق رضي الله عنه أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته فقال: (**قل: اللهم إني ظلمت نفسي...**). فإذا كان هذا حال الصِّدِّيق الذي هو أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأفضل من الملائكة عند أهل السنة وهو يخبر بما هو صادق فيه من ظلم نفسه ظلما كثيرا، فما الظن بسواه؟ بل إنما صار صِدِّيقا بتوفية هذا المقام حقه الذي يتضمن معرفة ربه وحقه وعظمته وجلاله وما ينبغي له وما يستحقه على عبده ومعرفة تقصيره في ذلك، وأنه لم يقم به كما ينبغي فأقر على نفسه إقرارا هو صادق فيه أنه ظلم نفسه ظلما كثيرا وسأل ربه أن يغفر له ويرحمه. فسحقا وبعدا لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجة إليها، وليس وراء هذا الجهل بالله وعظمته وحقه غاية[2].

وقال أيضا: فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية. اهـ[3].

58-(4) (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ) [4].

قوله: (**اللهم اغفر لي ما قدَّمت**) أي: قبل هذا الوقت. (**وما أخَّرت**) عنه.

(1) طريق الهجرتين (ص623).

(2) مختصر الصواعق المرسلة (ص619).

(3) الوابل الصيب (ص229).

(4) رواه مسلم برقم (771).

قوله: (**وما أسررت، وما أعلنت**) أي: أخفيت وأظهرت، أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني. (**وما أسرفت**) الإسراف: مجاوزة الحد في كل شيء، أفاده الحافظ في (الفتح)، وقد تقدم.

قال في (النهاية): الإسراف هو: الإكثار من الذنوب والخطايا، واحتقاب الأوزار والآثام[1].

قوله: (**وما أنت أعلم به منِّي**) تعميم بعد تخصيص واعتراف بإحاطة علمه تعالى وإقرار بعجزه عن معرفة نفسه.

قال في (تحفة الذاكرين): وفي الحديث الإحاطة بمغفرة جميع الذنوب متقدّمها ومتأخرها، وسرّها وعلنها، وما كان منها على جهة الإسراف، وما علم به الداعي وما لم يعلم به. اهـ[2].

قوله: (**أنت المقدِّم**) لمن تشاء بالمعونة والتوفيق والسداد. (**وأنت المؤخِّر**) لمن تشاء بالحرمان والخذلان وعدم المعونة. (**لا إله إلا أنت**) لا بمعبود **بحقٍّ** إلا أنت.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: أي تُقدِّم من تشاء فتجعلهم أنبياء، وأولياء، وعلماء، وفضلاء. وتُؤخِّر من شئت فتجعله فرعون، وأبا جهل. أو: تملّك الملك من تشاء، وتنزع الملك ممّن تشاء، **وعلى الجملة فكل تقديم وتأخير منه**. اهـ[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومعلوم أنه لو قيل: اغفر لي كل ما صنعت، كان أوجز، ولكن ألفاظ الحديث في مقام الدعاء والتضرع وإظهار العبودية والافتقار واستحضار الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلا أحسن وأبلغ من الإيجاز والاختصار.

وهذا كثير في الأدعية المأثورة، فإن الدعاء عبودية لله تعالى وافتقار إليه، وتذلل بين يديه، فكلما كثَّره العبد، وطوَّله، وأعاده، وأبداه، ونوَّع جمله، كان ذلك أبلغ في عبوديته، وإظهار فقره، وتذلُّلِهِ وحاجته، وكان ذلك أقرب له من ربه، وأعظم لثوابه، وهذا بخلاف المخلوق، فإنك كلما كثَّرت سؤاله، وكرَّرت حوائجك إليه،

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص427).

(2) تحفة الذاكرين (ص149).

(3) المفهم (2/ 403).

أبرمته، وثَقُلْتَ عنده وهنْت عليه، وكلما تركت سؤاله كان أعظم عنده، وأحب إليه، والله سبحانه كلما سألته، كنت أقرب وأحب إليه، وكلما ألححت عليه في الدعاء أحبَّك، ومن لم يسأله يغضب عليه:

فالله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضب

فالمطلوب يزيد بزيادة الطلب، وينقص بنقصانه. اهـ[1].

59-(5) (**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ**)[2].

هذا الدعاء العظيم أوصى به النبي عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ وقال: (**يا معاذ والله إنِّي لأحبك، فلا تَدَعَنَّ أن تقول دُبر كل صلاة، اللهم أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**).

قوله: (أخذ بيدي رسول الله ﷺ) تأنيسا وتلطفا معه. وقال: (**يا معاذ والله**) أتى به للتأكيد المطلوب لأجله القسم. (**إني لأحبك**) وهذا الحديث أوفى شاهد على فضل معاذ وكمال استقامته واهتمامه بأمر ديانته حيث حصل له هذا المقام الأسنى من المصطفى ﷺ وذكره توطئة وبعثا له على امتثال أمره بعده. قال بعضهم لما صحَّت محبة معاذ للنبي ﷺ جاراه بأعلى منها كما هو عادة الكرام ولا أكرم منه ﷺ ولذا أكده بأن واللام، قاله ابن علان رحمه الله في دليل الفالحين (3/ 340).

وفيه من الفوائد: تلطف العالم أو طالب العلم قبل الموعظة أو الوصية، وفيه عِظم خُلُق النبي ﷺ ومحبته ونصحه لأصحابه رضوان الله عليهم، وفيه أن مَن أحبَّ أحدا يستحب له إظهار المحبة له، وقد ورد ذلك في بعض النصوص كقوله ﷺ: (**إذا أحبَّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**)[3]. والله الموفِّق.

قوله: (**فلا تَدَعَنَّ**): أي: فلا تتركنَّ. (**دُبر كل صلاة**) أي: عقبها وخلفها أو في آخرها.

---

(1) جلاء الأفهام (ص426).

(2) رواه أبو داود برقم (1522)، والنسائي برقم (1303)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) رواه أبو داود برقم (5124)، والترمذي برقم (2392)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده، وكان شيخنا يرجِّح أن يكون قبل السلام، فراجعته فيه فقال: دبر كل شيء منه، كدبر الحيوان[1].

قوله: (**اللهم أعِنِّي على ذكرك**) أَعِنِّي: من الإعانة أي: انصرني ووفقني، على إكثار ذكرك، والمداومة عليه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الربُّ تبارك وتعالى: الإعانة على مرضاته وهو الذي علّمه النبي ﷺ لِحِبِّه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: (**يا معاذ، والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**).

فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله روحه-:

تأملت أنفع الدعاء: فإذا هو سؤال العون على مرضاته. ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

قوله: (**وشكرك**) أي: شكر نعمك الظاهرة والباطنة الدنيوية والأخروية التي لا يمكن إحصاؤها.

قوله: (**وحسن عبادتك**) أي بالقيام بشرائطها وأركانها وسننها من خضوع وخشوع وإخلاص واستغراق وتوجه تام.

قال العلماء: هذا الحديث من جوامع الدعاء، لأن فيه طلب العون من الله تعالى على القيام بذكره وشكره وحسن عبادته، فجمع بين ما أوجبه الله تعالى من حق في اللسان والأركان والجنان، فشمل كل شيء، وفيه أيضا القسم على المحبة في الله تعالى[3].

فائدة حديثية: جاء في الحديث ذكر هذه الكلمة اللطيفة (**إني لأحبك**) قالها كل راوٍ من رواة الحديث، وهذا النوع المسمى في مصطلح الحديث بـ: (المسلسل) وهو:

---

(1) زاد المعاد (1/ 305).

(2) مدارج السالكين (1/ 90).

(3) شرح صحيح الأدب المفرد (2/ 349).

عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحدًا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة، وينقسم ذلك إلى ما يكون صفة للرواية أو التحمل، وإلى ما يكون صفة للرواة أو حالة لهم[1].

60-(6)- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)[2].

اشتمل هذا الدعاء على التعوُّذ بالله من **خمسة** أمور:

أحدها: قوله: **(اللهم إني أعوذ بك من البخل)** البخل ضد الكرم، وهو الشحُّ بالمال، لا يبذل المال بل يمسكه حتَّى في الأمور الواجبة، لا يقوم بها.

الثاني: قوله: **(وأعوذ بك من الجبن)** الجبن ضد الشجاعة، وهو الشحُّ بالنفس وألا يكون الإنسان شجاعا فلا يُقْدِم في محل الإقدام.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الجبن والبخل قرينان، لأنهما عدم النفع بالمال والبدن. اهـ[3].

وقال: الشحُّ والجبن أردأ صفتين في العبد، ولاسيما إذا كان شحه هالعا أي: مُلقٍ له في الهلع، وجبنه خالعا، أي: قد خلع قلبه من مكانه[4]. ، فلا سماحة ولا شجاعة، لا نفع بماله ولا ببدنه، كما يُقال: لا طعنة ولا جفنة، ولا يطرد ولا يشرد، بل قد قمعه وصغَّره وحقَّره ودسَّاه الشح والخوف والطمع والفزع[5].

والثالث: قوله: **(وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر)** أي: من الرد والرجوع، وأرذل العمر: هو الخرف، يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولة، ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم.

---

(1) علوم الحديث (ص275).

(2) رواه البخاري برقم (2822).

(3) بدائع الفوائد (ص714).

(4) في الحديث: **(شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع)** رواه أبو دود برقم (2511)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(5) عدة الصابرين (ص530).

قال في (تحفة الذاكرين): هو البلوغ إلى حدٍّ في الهرم يعود معه كالطفل في ضعف العقل، وقلة الفهم. اهـ[1].

والرابع: قوله: (**وأعوذ بك من فتنة الدنيا**) أي: بلذاتها وشهواتها، فتشغلني عمّا خلقتُ لأجله.

وفسّر بعض الرواة: (**فتنة الدنيا**) بالدجال. أفاده الحافظ في (الفتح) وقال: وفي إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة في الدنيا، وقد ورد ذلك صريحا في حديث أبي أمامة قال: (خطبنا رسول الله ﷺ) فذكر الحديث وفيه: (**إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال**) أخرجه أبو داود وابن ماجة[2].

والخامس: قوله: (**وعذاب القبر**) وهو ما يكون في البرزخ من العذاب لمن استحقَّ ذلك.

وفيه إشارة إلى مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات عذاب القبر ونعيمه خلافا لمن أنكره من أهل الضلال.

61-(7)- (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الجنَّةَ، وأَعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ**)[3].

والحديث جاء عن بعض أصحاب[4] النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ لرجل: (**كيف تقول في الصلاة؟**) قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسالك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: (**حولها ندندن**).

قوله: (**كيف تقول في الصلاة؟**) أي: ما تدعو في صلاتك.

قوله: (أتشهد) يريد تشهد الصلاة وهو التحيات، سُمِّي تشهدا لأن فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

---

(1) تحفة الذاكرين (ص156).

(2) فتح الباري (14/ 410).

(3) رواه أبو داود برقم (793)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(4) انظر الفائدة الحديثية في شرح الحديث رقم (210)، في الكلام عن جهالة الصحابي، فإنه مهم، والله الموفق.

قوله: (دندنتك ولا دندنة معاذ) قال في (النهاية): الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام يسمع نغمته ولا يفهم، وهو أرفع من الهيمنة قليلا، والضمير في حولهما للجنة والنار، أي: حولهما ندندن وفي طلبهما[1].

أي: لا أدري ما تدعو به أنت يا رسول الله وما يدعو به معاذ إمامنا ولا أعرف دعاءَك الخفي الذي تدعو به في الصلاة ولا صوت معاذ ولا أقدر على نظم ألفاظ المناجاة مثلك ومثل معاذ.

قوله: (**حولها ندندن**) أي: ما ندندن إلا حول طلب الجنة والتعوذ من النار. فكأن رسول الله ﷺ بقوله: (**حولها ندندن**) استحسن قول الرجل بقوله: (اللهم إني أسالك الجنة، وأعوذ بك من النار) يعني: كما أنك تسأل الجنة وتستعيذ من النار، فكذلك نحن في هذا السؤال[2].

62-(8)- (**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ؛أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لي، وتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، وأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الرِّضَا والغَضَبِ، وأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الغِنَى والفَقْرِ، وأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ، وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ، وأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**) [3].

قوله: (**اللهم بعلمك الغيب**) الباء للاستعطاف والتذلل أي: أنشدك بحق علمك ما خفي على خلقك مما استأثرت به. (**وقدرتك على الخلق**) أي: جميع المخلوقات من إنس، وجنٍّ، ومَلَك، وغيرها. وهذا فيه تفويض العبد أموره إلى الله، وطلب الخيرة في أحواله منه سبحانه متوسلا إليه سبحانه بعلمه الذي أحاط بكل شيء، وبقدرته النافذة في جميع الخلق.

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص314).

(2) العلم الهيب (ص306).

(3) رواه النسائي برقم (1305)، وأحمد (4/ 364)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (1301).

قوله: (**أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي**) عبَّر بـ (ما) في الحياة لاتصافه بالحياة حالا، وبـ (إذا) الشرطية في الوفاة لانعدامها حال الدعاء. أي: إذا كانت الوفاة بهذا الوصف فتوفني.

قوله: (**اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**) أي: أن أخشاك يا الله في السر والعلانية أو المشهد والمغيب، فإن خشية الله رأس كل خير. (**وأسألك كلمة الحق**) أي: أسألك النطق بالحق.

قوله: (**في الرضا والغضب**) أي: في حالتي رضا الخلق منِّي، وغضبهم عليّ فيما أقوله، فلا أداهن ولا أنافق، أو في حالتي رضاي وغضبي بحيث لا تلجئني شدة الغضب إلى النطق بخلاف الحق، ككثير من الناس إذا اشتد غضبهم أخرجه من الحق إلى الباطل.

قوله: (**وأسألك القصد**) أي: التوسط. (**في الغنى والفقر**) وهو الذي ليس معه إسراف ولا تقتير. قوله: (**وأسألك نعيما لا يَنْفَدُ**) أي: لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة.

قوله: (**وأسألك قرة عين**) يحتمل أن يكون المراد أن تقر عينه بتلذذه بطاعة مولاه سبحانه وتعالى، بالمحافظة على الصلاة كما جاء في الحديث الصحيح: (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**) [1]. ويحتمل أن يكون المراد أن تقرَّ عينه بكثرة نسله وأولاده بحيث يراهم مطيعين لله سبحانه وتعالى منيبين إليه كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: 74]. (**لا تنقطع**) بل تستمر حتَّى تتصل بنعيم الجنة.

قوله: (**وأسألك الرضا بعد القضاء**) أي: بما قدَّرته عليَّ في سابق علمك، حتى أتلقاه بوجه منبسط وقلب منشرح.

قوله: (**وأسألك برد العيش بعد الموت**) برد العيش: أي: الطيب الحسن. أي: برفع الروح إلى منازل السعداء، ودرجات المقربين، وفسح القبر، وجعله روضة من رياض الجنة.

وفيه إشارة إلى أن العيش في هذه الدار لا يبرد لأحد، بل هو مشوب بالنكد والكدر، وممزوج بالآلام الباطنة، والأسقام الظاهرة.

(1) رواه النسائي برقم (3940)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (3098).

قوله: (**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**) أي: الفوز بمشاهدة وجهك الكريم.

وفيه إشارة إلى أن المؤمن ينظر إلى وجهه الكريم في دار النعيم، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة22-23]. و قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: 26]. وقد فُسِّرت(الحسنى)في الآية بالنظر إلى وجهه الكريم سبحانه كما في صحيح مسلم[1]. والأدلة على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة **متواترة**.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة[2].

وأنشد بعضهم:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتا واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذي بعض

فالمراد بقوله: ورؤية: رؤية المؤمنين لربهم.

وقيد النظر باللذة، لأن النظر إلى الله تعالى إما نظر هيبة وجلال في عرصات يوم القيامة، أو نظر لطف وجمال في الجنة، إيذانا بأن المسؤول هذا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: إنّ أفضل نعيم الآخرة وأجلّه وأعلاه-على الإطلاق-: هو النظر إلى وجه الربِّ جلَّ وعلا، وسماع خطابه، كما في صحيح مسلم، عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: (**إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا... فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئا أحبَّ إليهم من النظر إليه**) [3]. [4].

قوله: (**والشوق إلى لقائك**) قال المجد اللغوي رحمه الله: الشوق: نزاع النفس، وحركة الهوى جمعه: أشواق، وقد شاقني حبُّها: هاجني. انتهى.

---

(1) رواه مسلم برقم (181).

(2) حادي الأرواح (ص625).

(3) رواه مسلم برقم (181).

(4) إغاثة اللهفان (1/ 79).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما الشوق: فهو سفر القلب إلى المحبوب، فهذه اللفظة من أسماء الحبِّ، قال في الصحاح: الشوق والاشتياق: نزاع النفس إلى الشيء[1].

قوله: (**في غير ضرَّاءَ مضِرَّة**) الضُّرُّ الذي لا يصبر عليه. أي: في غير مشقة مؤلمة.

قوله: (**ولا فتنة مضِلَّة**) أي: مُوقِعة في الحيرة، مفضية إلى الهلاك.

قوله: (**اللهم زيِّنَّا بزينة الإيمان**) هي: زينة الباطن، إذ لا معول إلا عليها، لأن الزينة زينتان: زينة البدن، وزينة القلب، وهي أعظمها قدرا، وإذا حصلت حصلت زينة البدن على أكمل وجه في العقبى. ولمّا كان كمال العبد في كونه عالما بالحقِّ، متَّبِعا له، معلِّما لغيره قال: (**واجعلنا هداة مهتدين**) وصف الهداة بالمهتدين، لأن الهادي إذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح هاديا لغيره، لأنه يوقع الناس في الضلال من حيث لا يشعر.

ملحوظة: معظم هذا الشرح مستفاد من كتاب (فيض القدير) للمناوي رحمه الله. وللحافظ ابن رجب رحمه الله شرح ماتع على هذا الحديث ضمن مجموع رسائله فارجع إليه تستفد وبالله التوفيق.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فجمع في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيب شيء في الآخرة وهو النظر إلى وجهه سبحانه.

ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفا على عدم ما يضرُّ في الدنيا، ويفتن في الدين، قال: (**في غير ضرَّاء مضرة، ولا فتنة مضِلَّة**).

ولما كان كمال العبد في أن يكون عالما بالحقِّ، متَّبعا له، معلِّما لغيره، مرشدا له، قال: (**واجعلنا هداة مهتدين**).

ولما كان الرضا النافع المحصِّل للمقصود -هو الرضا بعد وقوع القضاء، لا قبله، فإن ذلك عزم على الرضا، فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم-: سأل الرضا بعده، فإن المقدور يكتنفه أمران:

---

(1) روضة المحبين (ص49).

الاستخارة قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه، فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما، كما في المسند وغيره، عنه ﷺ، قال: (**إن من سعادة ابن آدم: استخارة الله، ورضاه بما قضى الله، وإن من شقاوة ابن آدم: تركه استخارة الله، وسخطه بما قضى الله تعالى**) [1].

ولما كانت خشية الله عزَّ وجلَّ رأس كل خير في المشهد والمغيب: سأله خشيته في الغيب والشهادة. ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحقِّ في رضاه، فإذا غضب أخرجه غضبه من الحق إلى الباطل، وقد يدخله أيضا رضاه في الباطل: سأل الله عز وجل أن يُوَفقه لكلمة الحقِّ في الغضب والرضا، ولهذا قال بعض السلف: لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق.

ولما كان الفقر والغِنى مِحنتين وبليتين، يبتلي الله بهما عبده، ففي الغنى يبسط يده، وفي الفقر يقبضها: سأل الله عز وجل القصد في الحالين، وهو التوسط الذي ليس معه إسراف ولا تقتير.

ولما كان النعيم نوعين: نوعا للبدن، ونوعا للقلب، وهو قرة العين، وكماله بدوامه واستمراره، جمع بينهما في قوله: (**أسألك نعيما لا ينفدُ وقرة عين لا تنقطع**).

ولما كانت الزينة زينتين: زينة البدن، وزينة القلب، وكانت زينة القلب أعظمهما قدرا، وأجلَّهما خطرا، وإذا حصلت حصلت زينة البدن على أكمل الوجوه في العقبى: سأل ربه الزينة الباطنة، فقال: (**زينا بزينة الإيمان**).

ولما كان العيش في هذه الدار لا يبرد لأحد كائنا من كان، بل هو محشو بالغصص والنكد، ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة: سأل برد العيش بعد الموت.

والمقصود أنه جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا، وأطيب ما في الآخرة[2].

63-(9) (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أللهُ بِأَنَّكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**)[3].

---

(1) انظر الضعيفة برقم (1906).

(2) إغاثة اللهفان (1/ 73-75).

(3) رواه أبو داود برقم (985)، والنسائي برقم (1301)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي.

عن محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول: (اللهم إني أسألك يا الله... الغفور الرحيم) قال: فقال: **(قد غفر له، قد غفر له)**، ثلاثا.

قوله: **(اللهم إني أسألك يا الله)** اللهم: أصله يا الله، وإنما كرره لإظهار الذلة والافتقار.

قوله: **(بأنك الواحد الأحد)** أي: الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

قوله: **(الصمد)** أي: السيد الذي كمل في سؤدده، المقصود في جميع الحوائج.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الصمد: السيد الذي كَمُلَ في سؤدده، ولهذا كانت العرب تسمِّي أشرافها بهذا الإسم، لكثرة الصفات المحمودة في المسمَّى به، قال شاعرهم:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

فإن الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة، وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له، ولهذا قال جمهور السلف، منهم عبد الله بن عباس: الصمد السيد الذي كَمُل سؤدده، فهو العالم الذي كَمُل علمه، القادر الذي كمُلت قدرته، الحكيم الذي كمُل حكمه، الرحيم الذي كمُلت رحمته، الجواد الذي كمُل جوده[1].

قوله: **(الذي لم يلد ولم يولد)** أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، نفي للأصل والفرع.

قوله: **(ولم يكن له كفوا أحد)** ولم يكن له شبيه ولا مثل، وقال آخرون: معنى ذلك أنه لم يكن له صاحبة. والكفؤ والكفيء والكفاء في كلام العرب واحد، وهو المِثل والشبه، أفاده الإمام ابن جرير رحمه الله في (تفسيره). وفيه التوسل بأسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلى.

قوله: **(أن تغفر لي ذنوبي)** أي تمحوها وتزيل أثرها وتقيني شرها. **(إنك أنت الغفور الرحيم)** أي لكونك متصفا بالمغفرة والرحمة، وأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

---

(1) الصواعق المرسلة (ص1024-1025).

قوله: (**قد غفر له، قد غفر له**) ثلاثا: أي قالها ثلاث مرات.

64-(10) (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ، المَنَّانُ، يَا بَدِيْعَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، يَا ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ**)[1].

قوله: (**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد**) أي: أسألك الخير كله متوسلا إليك بالثناء عليك بهؤلاء الكلمات. (**لا إله إلا أنت**) لا معبود بحقٍّ إلا أنت. (**وحدك**) تأكيد للإثبات. (**لا شريك له**) تأكيد للنفي.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: تأكيد بعد تأكيد لمزيد الاعتناء بمقام التوحيد[2].

قوله: (**المنّان**) أي: كثير العطاء من المنّة بمعنى النعمة. ولا منان على الإطلاق إلا الله وحده. قال الإمام الخطابي رحمه الله: وأما المنّان فهو كثير العطاء، والمنّ: العطاء لمن لا يستثيبه، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ [صٓ: 39][3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإذا وصل إلى القلب نور صفة المنّة، وشهد معنى اسمه (المنّان) وتجلَّى سبحانه على قلب عبده بهذا الاسم مع اسمه (الأوّل) ذهل القلب والنفس به، وصار العبد فقيرا إلى مولاه بمطالعة سبق فضله الأوّل، فصار مقطوعا عن شهود أمر أو حال ينسبه إلى نفسه، بحيث يكون بشهادته لحاله مفصوما مقطوعا عن رؤية عزة مولاه وفاطره وملاحظة صفاته. فصاحب شهود الأحوال منقطع عن رؤية منّة خالقه وفضله، ومشاهدة سبق الأولية للأسباب كلها، وغائب بمشاهدة عزّة نفسه عن عزّة مولاه. فينعكس هذا الأمر في حق هذا العبد الفقير، وتُشغِله رؤية عزّة مولاه ومنّته ومشاهدة سبقه بالأولية عن حال يعتزُّ بها العبد أو يشرف بها[4].

(1) رواه أبو داود برقم (1495)، والترمذي برقم (3544)، وابن ماجه برقم (3858)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(2) مرقاة المفاتيح (3/ 35).

(3) شأن الدعاء (ص100).

(4) بدائع الفوائد (ص282).

وقال أيضا: فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعا عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد، أشرنا إليه إشارة، وقد فُتح لمن بصّره الله[1].

قوله: (**بديع السموات والأرض**) أي: مبدعها، ومعنى المبدع: المنشئ والمحدِث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والإبداع إيجاد المبدع على غير مثال سبق. وكذلك مبدع الشيء وبديعه لا يصحُّ إطلاقه إلا على الربِّ[2].

قوله: (**يا ذا الجلال والإكرام**) أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه، وخواص خلقه بأنواع الإكرام الذي يكرمه أولياءه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه[3].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: وقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: 27]. فيه ثلاثة أقوال: **قيل**: أهل أن يُجَلَّ وأن يُكرم، كما يقال: إنه: ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ ۝٥٦﴾ [المدثر: 56]، أي: المستحق لأن يتقى. **وقيل**: أهل أن يجل في نفسه، وأن يكرم أهل ولايته وطاعته. **وقيل**: أهل أن يجل في نفسه وأن يكرم. ذكر الخطّابي الاحتمالات الثلاثة[4]. ونقل ابن الجوزي كلامه... قلت(أي شيخ الاسلام): القول الأول هو أقربها إلى المراد[5].

---

(1) بدائع الفوائد (ص282).

(2) شفاء العليل (ص269).

(3) مرقاة المفاتيح (3/ 35).

(4) قال في شأن الدعاء(ص91-92): والمعنى: أن الله عز وجل مستحق أن يجل ويكرم فلا يجحد، ولا يكفر به، وقد يحتمل أن يكون المعنى أنه يكرم أهل ولايته، ويرفع درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ويجلهم بأن يتقبل أعمالهم، ويرفع في الجنان درجاتهم، وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين وهو الجلال، مضافا إلى الله سبحانه بمعنى الصفة له، والآخر مضافا إلى العبد بمعنى الفعل منه كقوله سبحانه: ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾. [المدثر: 56]، فانصرف أحد الأمرين وهو المغفرة إلى الله سبحانه والآخر إلى العباد وهو التقوى. والله أعلم.اهـ

(5) مجموع الفتاوى (16/ 318).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأصح القولين في ذلك: أن الجلال هو التعظيم، والإكرام هو الحب، وهو سر قول العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، وهذا في مسند الإمام أحمد من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: (**ألظّوا بياذا الجلال والإكرام**)[1]. أي: الزموها والهجوا بها[2].

قوله: (**يا حيُّ يا قيوم**) اسمان من أسماء الله الحسنى. الحيُّ: معناه ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه. والقيوم: معناه القائم بنفسه المقيم لغيره، وفيه إثبات القيومية صفة لله جلَّ وعلا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: القيوم: هو الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد، وقام كل شيء به فكل ما سواه محتاج إليه بالذات، وليست حاجته إليه معللة بحدوث -كما يقول المتكلمون ولا بإمكان كما يقول الفلاسفة المشاؤون، بل حاجته إليه ذاتية وما بالذات لا يعلل[3].

وقال: القيام بالنفس صفة كمال، فالقائم بنفسه أكمل ممن لا يقوم بنفسه، ومن كان غناه من لوازم ذاته، فقيامه بنفسه من لوازم ذاته، وهذه حقيقة قيوميته سبحانه، وهو الحي القيوم، فالقيوم القائم بنفسه المقيم لغيره[4].

جاء في نهاية الحديث، قوله ﷺ: (**لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**). فيه أن هذا الدعاء فيه اسم الله الأعظم.

قوله: (**إذا سئل به أعطى الخ**) السؤال أن يقول العبد: أعطني الشيء الفلاني فيعطى، والدعاء أن ينادي ويقول: يا رب، فيجيب الرب تعالى ويقول: لبيك يا عبدي. ففي مقابلة السؤال الإعطاء وفي مقابلة الدعاء الإجابة، وهذا هو الفرق بينهما، ويذكر أحدهما مقام الآخر أيضا فتدبر.

---

(1) رواه الترمذي برقم (3525)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) جلاء الأفهام (ص296).

(3) مدارج السالكين (2/ 116).

(4) الصواعق المرسلة (ص1328).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، هو اسم الحي القيوم[1].

فائدة: اختلف العلماء في تعيين اسم الله الأعظم على أقوال: قال الإمام الشوكاني رحمه الله:

وقد اختُلف في تعيين الاسم الأعظم على نحو من أربعين قولا، قد أفردها السيوطي بالتصنيف. قال ابن حجر وأرجحها من حيث السند: (**الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**). وقال المصنف رحمه الله في شرحه، وعندي أن الاسم الأعظم: (**لا إله إلا هو الحي القيوم**)، وذكر ابن القيم في الهدي أنه: (**الحي القيوم**). فينظر في وجه ذلك[2].

65-(11) (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**) [3].

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: (**اللهم إني أسألك أني أشهد...**) فقال: (**لقد سألت الله بالإسم[الأعظم]الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب**). تقدم شرح ألفاظه قريبا. انظر الحديث رقم(63). ونضيف هنا بعض الفوائد:

قوله: (**اللهم إني أسألك...**) أي: أسألك متوسلا إليك بتوحيدك. (**أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت**) أي: أعتقد وأعترف وأقر لله بأنه هو المستحق للعبادة وحده دونما سواه، وأخبر وأعلم بأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة دون ما سواه[4].

قوله: (**الأحد**) أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير

---

(1) زاد المعاد (4/ 204).

(2) تحفة الذاكرين (ص71).

(3) رواه أبو داود برقم (1493)، والترمذي برقم (3475)، وابن ماجه برقم (3857) وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(4) انظر للفائدة شرح الحديث رقم (13).

له ولا مثيل. (**الصمد**) أي المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه ومن كماله أنه: (**لم يلد ولو يولد**) لكمال غناه (**ولم يكن له كفوا أحد**) لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله تبارك وتعالى. أفاده الشيخ السعدي رحمه الله في(تفسير سورة الاخلاص).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فهذا توسل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية، وثبوت صفاته المدلول عليها باسم(الصمد) وهو كما قال ابن عباس: (العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته) وفي رواية عنه: (هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد) وقال أبو وائل: (هو السيد الذي انتهى سؤدده) وقال سعيد بن جبير: (هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأقواله).

وبنفي التشبيه والتمثيل عنه بقوله: (ولم يكن له كفوا أحد) وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة.

والتوسل بالإيمان بذلك، والشهادة به هو الإسم الأعظم. اهـ[1].

(1) مدارج السالكين (1/ 31).

25 الأذكار بعد السَّلام من الصَّلاة

66-(1) (**أَسْتَغْفِرُ اللهَ - ثَلاثًا - اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ**) [1].

قال ثوبان رضي الله عنه: كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثا، وقال: (**اللَّهُمَّ أنت السَّلام...**)..... الحديث.

قال الإمام النووي رحمه الله: المراد بالانصراف السَّلام.

قوله: (**أستَغْفُر ثلاثا**) أي: ثلاث مرات.

قال الوليد-أحد رواة الحديث-فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله.

والحكمة من الإتيان بالاستغفار بعد الصلاة هي أن العبد لم يقم بحق الصلاة، ولم يأت بما ينبغي لها على التمام والكمال، بل لا بد أن يكون قد وقع في شيء من النقص والتقصير، فشرع له الاستغفار تداركا لذلك.

قوله: (**اللَّهُمَّ أنت السَّلام**) السلام اسم من أسماء الله تعالى ومعناه: ذو السلامة من كل نقص وآفة. قال الإمام الخطابي رحمه الله: الذي سَلِمَ من كل عيب، وبرىء من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين[2].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما السلام الذي هو اسم من أسماء الله، ففيه قولان:

أحدهما: أنه اسم مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه، والمعنى أنه ذو السلام وذو العدل، على حذف المضاف.

والثاني: أن المصدر بمعنى الفاعل هنا أي السالم كما سميت ليلة القدر سلاما، أي سالمة من كل شر بل هي خير لا شر فيها[3].

---

(1) رواه مسلم برقم (591).

(2) شأن الدعاء (ص41).

(3) بدائع الفوائد (ص607).

وقال في (النونية):

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان

قوله: **(ومنك السلام)** أي: السلامة. والمعنى أن السلامة ترجى وتستوهب منك وحدك.

قوله: **(تباركت)** أي: تعاظمت وكثرت خيراتك.

قوله: **(يا ذا الجلال)** يعني: ذا العظمة. **(والإكرام)** يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يقول: ذو العظمة والكبرياء. أفاده الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره. وقد تقدم نقل أقوال الأئمة عليهم رحمة الله في شرح هذه الكلمة في الحديث رقم (64). وبالله التوفيق.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في(المفهم): **(اللَّهُمَّ أنت السَّلام ومنكَ السَّلام)** السلام الأول: اسم من أسماء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: 23].

والسلام الثاني: السلامة، كما قال تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة: 91]. ومعنى ذلك: أن السلامة من المعاطب والمهالك إنما تحصل لمن سلمه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: 107]. وقوله: **(تباركت ذات الجلال والإكرام)** تباركت: تفاعلت، من البركة، وهي الكثرة والنماء، ومعناه: تعاظمت، إذ كثرت صفات جلالك وكمالك. و**(ذا الجلال)** ذا العظمة والسلطان. و**(الإكرام)** الإحسان وإفاضة النعم[1].

فائدة: قال في (المرقاة): قال الشيخ الجزري رحمه الله: وأما ما يزاد بعد قوله: **(ومنك السلام)** من نحو: **(وإليك يرجع السلام، فحينا ربنا بالسلام، وأدخلنا دار السلام)**، فلا أصل له، بل هو مختلق من بعض القصاص. انتهى[2].

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: الزيادة في: **(اللهم أنت السلام..)** نحو قولهم: **(فحينا ربنا بالسلام)** وقولهم: **(وإليك السلام)** وقولهم: **(وإليك يعود**

---

(1) المفهم (2/ 211).

(2) مرقاة المفاتيح (3/ 34).

السلام) والحديث فيها ضعيف، ورد في دعاء طلوع الشمس. رواه البزار بسند ضعيف كما في مجمع الزوائد(10/ 118).

وقولهم: (**وإليك السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام**). وقولهم: (**وعليك السلام**) وهي زيادة منكرة[1].

67-(2) (**لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ [ثلاثًا]، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، ولاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**) [2].

قوله: (**لا مانع لما أعطيت**) أي: لا مانع لما أردت إِعطاءَه.

قوله: (**ولا معطي لما منعت**) أي: لا معطي من أردت حرمانه من العطاء بحكمتك وعدلك.

قوله: (**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**) قال الإمام النووي رحمه الله: الجد: بفتح الجيم(وهو الصحيح المشهور) وهو الحظ والغنى والعظمة والسلطان، أي: لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه، أي: لا ينجيه حظه منك، وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: 46]. والجد: بكسر الجيم، قالوا: ومعناه: -على ضعفه- الاجتهاد. أي: لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده، إنما ينفعه وينجيه رحمتك. اهـ[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وهذا يتضمن أمورا: **أحدها**: أنه المتفرد بالعطاء والمنع. **الثاني**: أنه إذا أعطى لم يطق أحد منع من أعطاه، وإذا منع لم يطق أحد إعطاء من منعه. **الثالث**: أنه لا ينفع عنده، ولا يخلص من عذابه، ولا يدني من كرامته جدود بني آدم وحظوظهم من الملك والرئاسة، والغنى وطيب العيش، وغير ذلك إنما ينفعهم عنده التقرب إليه بطاعته، وإيثار مرضاته[4].

---

(1) تصحيح الدعاء (ص435).

(2) رواه البخاري برقم (844)، ومسلم برقم (593).

(3) شرح مسلم (4/ 216).

(4) كتاب الصلاة (ص358). وقد تقدم في الحديث رقم (40).

68- (3) **(لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيْـكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وهُـوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديـرٌ، لاَ حَـوْلَ وَلاَ قُـوَّةَ إلاَّ بـاللهِّ، لاَ إلَـهَ إلاَّ اللهُ، وَلا نَعْبُـدُ إلاَّ إيَّاه، لَـهُ النِّعْمَةُ ولَـهُ الفَضْلُ ولَهُ الثَّنَـاءُ الحَسَـنُ، لاَ إلَـهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَـهُ الدِّيْنَ ولَوْ كَرِهَ الكَافِـرُونَ)** [1].

قوله: **(ولا نعبد إلا إياه)** أي: لا يستحقُّ العبادة سواه.

قولـه: **(لـه النعمـة)** أي: مـا أنعـم بـه مـن عافيـة وصحـة وسـلامة في الأبـدان، ونـماء في الأمـوال، فمنـه وحده، هـو المنعِم بذلـك لا غيره. قـال تعـالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحـل: 53].

قولـه: **(ولـه الفضـل)** أي: أن كل خير ناله العبـاد في دينهم ودنياهم، فإنه مـن عنده ابتداء، وتفضـلا منـه عليهـم من غـير اسـتحقاق منهم ذلـك عليـه. قـال تعـالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفـال: 29].

قوله: **(وله الثناء الحسن)** والثناء يشمل أنواع المدح والحمد والشكر، و(الحسن)صفة له.

قولـه: **(لا إلـه إلا الله مخلصـين له الدين ولـو كره الكافـرون)** أي: نحن على هـذا التوحيد والإخـلاص، ولو كره الكفـار ذلك.

69-(4) **(سُـبْحَانَ الله، والحَمْـدُ لِله، واللهُ أَكْـبَرُ (ثَلاثًـا وثَلاثِـينَ) لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيْـكَ لَـهُ، لَهُ الـمُلْكُ ولَـهُ الحَمْدُ، وَهُـوَ عَـلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيـرٌ)** [2].

والحديـث بتمامـه عـن أبي هريـرة [رضي الله عنـه] عـن رسـول الله ﷺ: **(من سـبّح الله في دبـر كل صـلاة ثلاثـا وثلاثين، وحمـد الله ثلاثـا وثلاثين، وكـبَّر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسـعة وتسـعون، وقـال تمـام المئـة: لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له، لـه الملك وله الحمـد، وهو على كل شيء قديـر، غفـرت خطايـاه ولـو كانت مثل زبـد البحر)**.

قوله: **(من سبّح الله)** أي: قال: سبحان الله.

قولـه: **(دبـر كل صـلاة)** أي: عقـب كل صـلاة. قـال الإمام النـووي رحمـه الله: هو بضم الـدال، هـذا هو المشـهور في اللغـة، والمعـروف في الروايات.

وقـال العلامـة ابـن القيم رحمـه الله: ودبـر الصـلاة جزؤها الأخـير، كدبر الحيـوان، ودبر الحائط.

---

(1) رواه مسلم برقم (594).

(2) رواه مسلم برقم (597).

وقد يراد بدبرها ما بعد انقضائها، بقرينة تدل عليه كقوله: (**تسبحون الله، وتحمدونه، وتكبرونه، دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين**)[1]. فهنا دبرها بعد الفراغ منها[2].

قوله: (**وحمد الله**) أي: قال: الحمد لله. (**وكبّر الله**) أي: قال: الله أكبر.

قوله: (**غُفرت خطاياه**) مفرد خطيئة. وفي رواية: (**حُطَّت خطاياه**) مبني لما لم يُسمَّ فاعله، يعني وُضعت عنه ذنوبه، ومُحيت، وأُزيلت بالعفو والمغفرة.

قوله: (**ولو كانت مثل زبد البحر**) زبد البحر: رغوته. وهو كناية عن الكثرة.

فائدة: في ذكر الحالات الوارد فيها التسبيح والتحميد والتكبير دبر الصلاة:[3].

الأولى: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثا وثلاثين) ويختم بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير[4].

الثانية: سبحان الله (ثلاثا وثلاثين)، والحمد لله (ثلاثا وثلاثين)، والله أكبر (أربعا وثلاثين)[5].

الثالثة: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثا وثلاثين)[6].

الرابعة: سبحان الله (عشرا)، والحمد لله(عشرا)، والله أكبر (عشرا)[7].

الخامسة: سبحان الله (إحدى عشرة)، والحمد لله (إحدى عشرة)، والله أكبر (إحدى عشرة)[8].

السادسة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (خمسا وعشرين)[9].

---

(1) رواه البخاري برقم (843)، ومسلم برقم (595).

(2) كتاب الصلاة (ص378-379).

(3) انظر تصحيح الدعاء (ص432).

(4) رواه مسلم برقم (597).

(5) رواه مسلم برقم (596).

(6) رواه البخاري برقم (843)، ومسلم برقم (595).

(7) رواه البخاري برقم (6329).

(8) رواه مسلم برقم (43-595).

(9) رواه الترمذي برقم (3413)، والنسائي برقم (1350)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

فائدة: عندما يتعرض المسلم لظرف طارئ، يشغله عن تمام التسبيح، فليأت بعشر تسبيحات، ومثلها من التحميدات والتكبيرات، ويكون بذلك قد أصاب عين السنة، ولم ينشغل عما أصابه.

واعلم -علمني الله وإياك- أن تنوع الأذكار من نعمة الله سبحانه على الإنسان، ذلك لأنه يحصل بها عدة فوائد، منها: أن تنوع العبادات يؤدي إلى استحضار الإنسان ما يقول من الذكر، فإن الإنسان إذا دام على ذكر واحدا، صار يأتي به - كما يقولون آليا- بدون أن يحضر قلبه، فإذا تعمد وتقصد تنويعها، فإنه بذلك يحصل له حضور القلب. ومنها أن الإنسان يختار الأيسر منها، فالأيسر لسبب من الأسباب، فيكون بذلك تسهيلا عليه. ومنها: أن في كل جزء ما ليس في الآخر، فيكون بذلك زيادة ثناء على الله عز وجل. والحاصل: أن بعض الأذكار الواردة بعد الصلوات متنوعة، فبأي واحد منها أتى فقد أحسن، والأفضل أن يأتي بهذا مرة، وبهذا مرة[1].

70-(5) (بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. **بعد كل صلاة)** [2].

والحديث جاء بلفظ: **(أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوِّذات دبر كل صلاة).**

قال الحافظ في(الفتح): والمراد بالمعوِّذات أي: السوَر الثلاث، وذكر سورة الإخلاص معهما تغليبا. اهـ[3]. ومعنى تغليبا: أي أن المعوذتين أكثر.

(1) القول المبين في أخطاء المصلين (ص297).

(2) رواه أبو داود برقم (1523)، والترمذي برقم (2903)، والنسائي برقم (1336)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(3) فتح الباري (11/ 247).

قوله: (**دبر كل صلاة**) أي: عقب السلام من كل صلاة، والظاهر تعميم كلِّ صلاة، فريضة كانت أو نافلة. وفي هذا الحديث دلالة على استحباب قراءة المعوِّذات بعد السلام من الصلاة، وقيّده بعضهم بالفريضة[1].

قلت: نعم، أشار إلى هذا (أي: التقييد بالصلوات المفروضة)الحافظ في الفتح(3/ 80)فقال: وظاهر قوله: (**كل صلاة**) يشمل الفرض والنفل، لكن حمله أكثر العلماء على الفرض، وقد وقع في حديث كعب بن عجرة عند مسلم[2] التقييد بالمكتوبة، وكأنهم حملوا المطلقات عليها. اهـ

تفسير السور الثلاث من (تيسير الكريم الرحمن) للشيخ السعدي رحمه الله:

01-تفسير سورة الإخلاص:

﴿قُلْ﴾ قولا جازما به، معتقدا له، عارفا بمعناه. ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله تبارك وتعالى. فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات. اهـ[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإن في سورة الإخلاص من كمال التوحيد العلمي الاعتقادي، وإثبات الأحدية لله، المستلزمة نفي كل شركة عنه، وإثبات

---

(1) شرح سنن النسائي (15/ 342).

(2) برقم (596)،وفيه: (**معقبات لا يخيب قائلهن-أو فاعلهن-دبر كل صلاة مكتوبة:ثلاثة وثلاثون تسبيحة...**).

قال الإمام النووي في(شرح مسلم):قال الهروي:قال سمرة:معناه تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة وقال أبو الهيثم:

سميت معقبات لأنها تفعل مرة بعد أخرى وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ أي:ملائكة يعقب بعضهم بعضا.اهـ ووقع التقييد بالمكتوبة أيضا في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه الآتي برقم (71)،وفيه:(**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة،لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت**).والله أعلم.

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص896).

الصمدية المستلزمة لإثبات كل كمال له مع كون الخلائق تصمد إليه في حوائجها، أي: تقصده الخليقة، وتتوجه إليه، علويها وسفليها، ونفي الوالد والولد والكفء عنه المتضمن لنفي الأصل والفرع والنظير والمماثل مما اختصت به وصارت تعدل ثلث القرآن. ففي اسمه (الصمد) إثبات كل الكمال، وفي نفي الكفء التنزيه عن الشبيه والمثال. وفي الأحد نفي كل شريك لذي الجلال، وهذه الأصول الثلاثة هي مجامع التوحيد[1].

02-تفسير سورة الفلق:

﴿قُلْ) متعوِّذا ﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم. ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح. ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها، ثم خصَّ بعدما عمَّ فقال: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعنَّ على سحرهنَّ بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد: هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة تضمنت الإستعاذة من جميع أنواع الشر، عموما وخصوصا. ودلّت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله. اهـ[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ويندفع شر الحاسد عن المحسود **بعشرة أسباب:**

أحدها: التعوُّذ بالله من شره، والتحصُّن به واللجأ إليه وهو المقصود بهذه السورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ [سورة

(1) زاد المعاد (4/ 180).

(2) تيسير الكريم الرحمن (ص897).

الفلق]. والله تعالى سميع لاستعاذته، عليم بما يستعيذ منه. والسمع هنا المراد به: سمع الإجابة لا السمع العامُّ، فهو مثل قوله: (**سمع الله لمن حمده**) وقول الخليل: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٩﴾ [إبراهيم: 39]. ومرة يقرنه بالعلم، ومرة بالبصر لاقتضاء حال المستعيذ ذلك، فإنه يستعيذ به من عدوٍّ يعلم أن الله يراه ويعلم كيده وشره.

فأخبر الله تعالى هذا المستعيذ أنه سميع لاستعاذته، أي مجيب، عليم بكيد عدوِّه، يراه ويبصره لينبسط أمل المستعيذ، ويُقبل بقلبه على الدعاء.

وتأمل حكمة القرآن كيف جاء في الإستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السَّميع العليم في الأعراف وحم السجدة، وجاءت الإستعاذة من شر الإنس الذي يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير في سورة حم المؤمن فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٥٦﴾ [غافر: 56]. لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة تُرى بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم. فأمر بالإستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالإستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويُدرَك بالرؤية. والله أعلم.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تولى حفظه ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۝١٢٠﴾ [آل عمران: 120]. وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس: (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**)[1].

فمن حفظ الله حفظه الله، ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه، فممن يخاف وممن يحذر؟!

السبب الثالث: الصبر على عدوِّه، وأن لا يقابله ولا يشكوَه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا، فما نُصر على حاسده وعدوِّه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندا وقوة للمبغي عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي

---

(1) رواه الترمذي برقم (2516)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

دون آخره ومآله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: 60].

فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولًا، فكيف بمن لم يستوف شيئا من حقه بل بغي عليه وهو صابر!؟ وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم، وقد سبقت سنة الله: أنه لو بغى جبل على جبل جعل الباغي منهما دكّا.

السبب الرابع: التوكل على الله فـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: 03]، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه، أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضرُّه إلا أذًى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً. وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه.

قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجا من ذلك وكفاه ونصره.

وقد ذكرنا حقيقة التوكل وفوائده وعظم منفعته وشدة حاجة العبد إليه في كتاب: (الفتح القدسي) وذكرنا هناك فساد من جعله من المقامات المعلولة، وأنه من مقامات العوام، وأبطلنا قوله من وجوه كثيرة وبينا أنه من أجلّ مقامات العارفين، وأنه كلما علا مقام العبد كانت حاجته إلى التوكل أعظم وأشد، وأنه على قدر إيمان العبد يكون توكله، وإنما المقصود هنا ذكر الأسباب التي يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر والباغي.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له؛ فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا

من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه، بل انعزل عنه لم يقدر عليه، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر.

وهكذا الأرواح سواء، فإذا علق روحه وشبثها به، وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومناما لا يفتر عنه، وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا، فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى، عدم القرار، ودام الشر حتى يهلك أحدهما.

فإذا جبذ روحه عنه، وصانها عن الفكر فيه والتعلق به، وأن يخطره بباله، فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر، والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به، بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضا، فإن الحسد كالنار، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضا.

وهذا باب عظيم النفع لا يلقَّاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه، كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوِّه وتعلق روحه به، ولا يرى شيئا آلم لروحه من ذلك، ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة التي رضيت بوكالة الله لها، وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها، فوثقت بالله، وسكنت إليه، واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق، ووعده صدق، وأنه لا أوفى بعهده من الله، ولا أصدق منه قيلا، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها، ولا يقوى على هذا إلا بـ:

السبب السادس: وهو الإقبال على الله والإخلاص له، وجعل محبته وترضيه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها، تدبُّ فيها دبيب تلك الخواطر شيئا فشيئا حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محابِّ الربِّ والتقرب إليه، وتملقه وترضيه واستعطافه وذكره كما يذكر المحبّ التام المحبة لمحبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه فلا يستطيع قلبه انصرافا عن ذكره، ولا روحه انصرافا عن محبته، فإذا صار كذلك، فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه معمورا بالفكر في حاسده والباغي عليه والطريق إلى الانتقام منه والتدبير عليه؟ هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة

الله وإجلاله، وطلب مرضاته. بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه: إياك وحمى الملك! اذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حلَّ فيها ونزل بها. ما لك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليزك (كلمة فارسية معناها: طليعة الجيش، قاله محقق البدائع)، وأدار عليه الحرس، وأحاطه بالسور.

قال تعالى حكاية عن عدوِّه إبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: 82-83]. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: 42].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: 99-100].

وقال في حق الصِّدِّيق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: 24].

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن، وصار داخل اليزك، لقد أوى إلى حصن لا خوف على من تحصَّن به، ولا ضَيعة على من أوى إليه، ولا مطمع للعدوِّ في الدنو منه و: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: 4].

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلَّطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: 30]، وقال لخير الخلق-وهم أصحاب نبيه- دونه ﷺ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: 165].

فما سُلِّط على العبد من يؤذيه إلَّا بذنب يعلمه أو لا يعلمه. وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره.

وفي الدعاء المشهور: (**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**)[1].

فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سُلِّط عليه مؤذٍ إلا بذنب.

ولقيَ بعضَ السلف رجلٌ فأغلظ له، ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله وتضرع إليه، وتاب وأناب إلى ربه ثم

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (716)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد.

خرج إليه فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليّ.

وسنذكر إن شاء الله تعالى أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي من الذنوب عوفي من موجباتها، فليس للعبد إذا بُغيَ عليه وأوذي، وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح، وعلامة سعادته: أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها، فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به، بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولابد، فما أسعده من عبد وما أبركها من نازلة نزلت به، وما أحسن أثرها عليه، ولكن التوفيق والرشد بيد الله، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فما كل أحد يوفَّق لهذا، لا معرفة به، ولا إرادة له ولا قدرةً عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدِّق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معامَلا فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة.

فالمحسن المتصدِّق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية، وحصن حصين، وبالجملة فالشُّكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها.

ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن، فإنه لا يفتر ولا يَنِي ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود، فحينئذ يبرد أنينه وتنطفئ ناره -لا أطفأها الله- فما حرس العبد نعمة الله تعالى عليه بمثل شكرها، ولا عرَّضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفران المنعِم.

فالمحسن المتصدِّق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جند، ولا عسكر، وله عدوٌّ، فإنه يوشك أن يظفر به عدوُّه، وإن تأخرت مدة الظفر، والله المستعان.

السبب التاسع: -وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقِّها عليها ولا يوفَّق له إلَّا من عظم حظه من الله-وهو:

إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذًى وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددتَ إليه إحسانا، وله نصيحة، وعليه شفقةً، وما أظنك تُصدِّق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: 34-36].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: 54].

وتأمل حال النبي ﷺ الذي حكى عنه نبينا ﷺ أنه ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: **(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**[1].

كيف جمع في هذه الكلمات الأربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه:

أحدها: عفوه عنهم.

والثاني: استغفاره لهم.

الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: **(اغفر لقومي)**، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي، فهبه لي. واسمع الآن ما الذي يسهِّل هذا على النفس ويطيِّبه إليها وينعِّمها به:

اعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله تخاف عواقبها وترجوه أن يعفوَ عنها ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرَّد العفوِ والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك، ويجلب لك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله.

فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابِل به إساءَتك، فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءَتهم، ليعاملك الله تلك المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك

(1) رواه البخاري برقم (3477)، ومسلم برقم (1792).

وإساءتك جزاءً وفاقا، فانتقم بعد ذلك أو اعف، وأحسن أو اترك، فكما تدين تدان وكما تفعل مع عباده يُفعل معك.

فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره، هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه، هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعونته ومعيته الخاصة، كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال: (**لا يزال معك من الله ظهير ما دمتَ على ذلك**) [1]. هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسيء إليه، وجد قلبه ودعاءه وهِمَّتَه مع المحسِن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكرا لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعا ولا خبزا، هذا مع أنه لابد له مع عدوِّه وحاسده من إحدى حالتين:

إما أن يَمْلِكَهُ بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى من أحب الناس إليه. ، وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره، إن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة، والله هو الموفق المعين، بيده الخير كله لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنِّه وكرمه. وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد، في عاجله وآجله، سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

السبب العاشر: -وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب-وهو: **تجريد التوحيد** والترحُّل بالفكر في الأسباب إلى المسبِّبِ العزيز الحكيم.

والعلم بأن هذه آلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها، وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فهو الذي يمسُّ عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ١٠٧﴾ [يونس: 107].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك**)[2].

---

(1) رواه مسلم برقم (2558).

(2) رواه الترمذي برقم (2516)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي، وقد تقدم قريبا.

فإذا جرَّد العبد التوحيد، فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوُّه أهوَنَ عليه من أن يخافه مع الله تعالى، بل يفرد الله بالمخافة، وقد أمَّنه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد لله محبةً وخشيةً وإنابةَ وتوكلًا واشتغالًا به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوِّه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل. والله يتولى حفظه، والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمنا، فالله يدافع عنه ولابد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه، فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة، كما قال بعض السلف: من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملةً، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملةً، ومن كان مرة ومرة فالله مرة ومرة.

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي مَن دخله كان مِن الآمنين، قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

فهذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده، فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكِلَ إليه وخُذل من جهته، فمن خاف شيئا غير الله سُلط عليه، ومن رجا شيئا سوى الله خُذل من جهته وحُرم خيره، هذه سنة الله في خلقه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب: 62][1].

03-تفسير سورة الناس:

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة بربِّ الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أنه يوَسوِس في صدور الناس، فيحسِّن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وهو دائما بهذه الحالةِ يوَسوِس ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان به على دفعه.

فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلِّهم. وأن الخلق كلَّهم داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم

---

(1) بدائع الفوائد (ص764-776).ذكرته بطوله لنفساته فكلام العلامة ابن القيم رحمه الله دواء للقلوب فرحم الله الإمام ابن القيم.

لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوِّهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

والوسواس كما يكون من الجنِّ يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾. اهـ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملةً وتفصيلا، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعمُّ كل شرٍّ يستعاذ منه، سواء كان في الأجسام أوِ الأرواح، والاستعاذة من شر الغاسق وهو الليل، وآيته وهو القمر إذا غاب، تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار، فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر، انتشرت وعاثت.

والاستعاذة من شر النفاثات في العقَد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن.

والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها.

والسورة الثانية تتضمن الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر، ولهما شأن عظيم في الاحتراس والتحصُّن من الشرور قبل وقوعها، ولهذا أوصى النبي ﷺ عقبة بن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة، ذكره الترمذي في (جامعه)، وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة. وقال: ما تعوَّذ المتعوِّذون بمثلهما. وقد ذكر أنه ﷺ سُحر في إحدى عشرة عقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما فجعل كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة حتَّى انحلت العقَد كلُّها، وكأنما أنشط من عقال[2].

71-(6) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: 255]. (عقب كلِّ صلاةٍ)[3].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص897).

(2) زاد المعاد (4/ 181).

(3) رواه ابن السني برقم (125)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (100). وصححه الشيخ

والحديث جاء بلفظ: (**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلَّا الموت**).

قوله: (**من قرأ آية الكرسي**) سمِّيت بهذا الاسم لأن فيها ذكر كرسي الله عز وجل، ولم يرد ذكر الكرسي في آية غيرها.

قوله: (**دبر كل صلاة مكتوبة**) أي: عقب كل صلاة مفروضة. أي: بعد الفراغ منها .

قوله: (**لم يمنعه من دخول الجنة**) أي مانع. (**إلا الموت**) قال في(المرقاة): قال الطيبي: أي: الموت حاجز بينه وبين دخول الجنة، فإذا تحقق وانقضى حصل دخوله. ويمكن أن يقال المقصود:

أنه لا يمنع له من دخول الجنة شيء من الأشياء البتة، فإن الموت ليس بمانع من دخول الجنة، بل قد يكون موجبا لدخولها فهو من قبيل: *** ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم*** البيتَ..... وهذا ليس بعيب فلا عيب فيهم أصلا فيكون من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: ما كرهوا وعابوا ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ۝٨﴾ [البروج: 08][1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: يعني لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت[2].

وقال: بلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية قدَّس الله روحه أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة[3].

تفسير آية الكرسي:

قال الشيخ السعدي رحمه الله: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلُّها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا

الألباني في صحيح الجامع برقم (6464).

(1) مرقاة المفاتيح (3/ 49).

(2) الوابل الصيب (ص285).

(3) زاد المعاد (1/ 304).

ومساءً وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأنه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحقٍّ سواه، فهو الإله الحقُّ الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقا أن يكون عبدا لربه، ممتثلا أوامره مجتنبًا نواهيه، وكل ما سوى الله تعالى باطل، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقا ناقصا مدبرًا فقيرًا من جميع الوجوه فلم يستحقَّ شيئًا من أنواع العبادة، وقوله: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ هذان الإسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام به غيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتَّصف بها ربُّ العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما الإسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى ومن تمام حياته وقيوميته أنه ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ والسِّنة: النعاس. ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: هو المالك وما سواه مملوك وهو الخالق الرازق المدبر وغيره مخلوق مرزوق مدبَّر لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فلهذا قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذِن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن، ثم قال: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: ما مضى من جميع الأمور ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علَّمهم تعالى، ولهذا قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السموات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكلُّ الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها،

والـذي أودع فيها مـن الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسـك السـموات والأرض أن تـزولا مـن غير تعـب ولا نصـب، فلهـذا قـال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: يثقلـه. ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ بذاتـه فـوق عرشـه، العـلي بقهـره لجميـع المخلوقـات، العلي بقـدره لكمال صفاتـه. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الـذي تتضـاءَل عند عظمتـه جـبروت الجبابرة، وتصغـر في جانب جلالـه أنـوف الملـوك القاهـرة، فسـبحان مـن لـه العظمـة العظيمـة والكبرياء الجسـيمة والقهـر والغلبة لكل شيء، فقد اشـتملت هـذه الآية على توحيد الإلهيـة وتوحيد الربوبية وتوحيـد الأسـماء والصفات، وعـلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسـعة سـلطانه وجلاله ومجـده، وعظمتـه وكبريائـه وعلـوه عـلى جميـع مخلوقاته، فهـذه الآيـة بمفردهـا عقيدة في أسـماء الله وصفاتـه، متضمنـة لجميع الأسـماء الحسـنى والصفات العـلا. اهـ[1].

وقـال الحافـظ ابـن كثير رحمـه الله: هـذه آيـة الكـرسي، ولهـا شـأن عظيم، قـد صحَّ الحديـث عـن رسـول الله ﷺ بأنهـا أفضـل آيـة في كتـاب الله، وهـذه الآية مشـتملة على عشر جمـل مسـتقلة[2].

فوائد من شرح الآية:

01 - ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: (الله) لفـظ الجلالـة، عَلَـم على الباري جلَّ وعلا، لم يسـمَّى بـه غـيره، ولا يجـوز إطلاقـه على غـيره. قـال الكسـائي والفـراء: أصلـه الإلـه، حذفوا الهمـزة وأدغمـوا الـلام في الـلام، فصارتا لامـا واحدة مشـددة مفخمة.

قـال العلامـة ابن القيم رحمـه الله: الصحيح أنه مشـتق وأن أصله الإلـه، كما هو قول سـيبويه وجمهـور أصحابه إلا من شـذَّ. وهو الجامع لمعاني الأسـماء الحسـنى، والصفات العـلى. والذيـن قالوا بالإشـتقاق، إنـما أرادوا أنه دالٌّ عـلى صفة له تعالى، وهـي الإلهية، كسـائر أسـمائه الحسـنى، كالعليم، والقدير، والسـميع والبصير، ونحو ذلـك. فإن هذه الأسـماء مشـتقة مـن مصادرها بـلا ريب، وهـي قديمة. ونحـن لا نعني بالاشـتقاق إلا أنهـا ملاقيـة لمصادرهـا في اللفظ والمعنـى، لا أنها متولدة منـه تولد الفـرع من أصله.

وقـال: لهـذا الإسـم الشريـف عـشر خصائـص لفظيـة، وسـاقها ثـم قـال: وأمـا خصائصـه المعنويـة فقـد قـال أعلـم الخلـق ﷺ: **(لا أحصي ثنـاء عليك أنت كـما أثنيت**

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص110).

(2) تفسير القرآن العظيم (430-438).

على نفسك) وكيف نحصي خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عزّ وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبر فله ومنه، فما ذكر هذا الإسم في قليل إلا كثَّره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، لا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلَّقَ به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيَّده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضرَّه، ولا شريد إلا آواه. فهو الإسم الذي تكشف به الكربات وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات. وهو الإسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع. وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقَّتِ الحاقَّة، ووقعت الواقعة وبه وضعتِ الموازين القسط ونُصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد ربُّ العالمين وحُمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئا منه منتهيا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: 191]. إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى(1).

وقد ذهب جمع كبير من أهل العلم أن اسم الله الأعظم هو: **(الله)**(2).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: جملة خبرية عن تفرد الله سبحانه بالألوهية، ومعنى لا إله إلا الله: لا معبود **بحقٍّ** إلا الله، وبهذه الكلمة الطيبة المباركة أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: 25]. وقال سبحانه: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: 02]. فمن لقي الله سبحانه وتعالى بهذه الكلمة الطيبة دخل الجنة، ومن لقيه بغيرها دخل

---

(1) فتح المجيد (ص34).

(2) كالإمام ابن مندة في كتاب التوحيد، انظر فقه الأدعية والأذكار (1/ 154).

النار. قال ﷺ: (**من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار**)[1].

02- ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾: اسمان كريمان من أسماء الله عزَّ وجلَّ. **فالحيُّ**: معناه ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه. و**القيوم**: معناه القائم بنفسه المقيم لغيره.

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله في شرح (الطحاوية): فعلى هذين الإسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها. وقال: وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الإسمان صفات الكمال أتم انتظام[2].

03- ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾: السِّنة النعاس، وهي مقدمة النوم، والنوم معروف. قال ابن عباس رضي الله عنهما: السِّنة النعاس، والنوم هو النوم. ذكره ابن جرير -رحمه الله- في تفسيره.

والمراد بهذه الجملة كما ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله: أنه جلَّ جلاله لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية اهـ[3].

والنوم من صفات النقص، قال النبي ﷺ: (**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**)[4]. قال الإمام النووي رحمه الله: معناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام، وأنه يستحيل في حقِّه النوم، فإنّ النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس، والله تعالى منزَّه عن ذلك، وهو مستحيل في حقِّه جلَّ وعلا[5].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ومن تمام القيّومية أنه لا يعتريه سِنة ولا نوم[6].

---

(1) رواه مسلم برقم (93).

(2) شرح العقيدة الطحاوية (ص121)، وقد تقدم كلام العلامة ابن القيم رحمه الله.

(3) تفسير ابن كثير (2/ 439).

(4) رواه مسلم برقم (179).

(5) شرح مسلم (3/ 17).

(6) تفسير ابن كثير (2/ 439).

04- ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يعني جلَّ ثناؤه: أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد، وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود. وإنما يعني بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيء سواه، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكه، وليس له خدمة غيره إلا بأمره. يقول: فجميع ما في السموات والأرض ملكي وخلقي، فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه، لأنه لا ينبغي للعبد أن يخدم غير مالكه، ولا يطيع سوى مولاه[1].

05- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يعني جلَّ ثناؤه: من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يخلّيه ويأذن له بالشفاعة لهم.

وإنما قال ذلك جلَّ ثناؤه لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقرِّبونا إلى الله زلفى. فقال الله لهم: لي ما في السماوات وما في الأرض مع السماوات والأرض ملكا، فلا تنبغي العبادة لغيري، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقرِّبكم منّي زلفى، فإنها لا تنفعكم عندي، ولا تُغني عنكم شيئا، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي اياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي. اهـ

06- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ يعني جلَّ ثناؤه بذلك أنه المحيط بكلِّ ما كان وبكلِّ ما هو كائن علما، لا يخفى عليه شيء منه. اهـ[2].

07- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ أي: لا يطَّلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه. ويحتمل أن يكون المراد: لا يطَّلعون على علم شيء من علم ذاته وصفاته الا بما أطلعهم عليه كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: 110]. قاله ابن كثير[3].

وقال ابن جرير: فإنه يعني تعالى ذكره أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء، محيط بذلك كله، مُحْصٍ له دون سائر مَن دونه، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئا إلا ما شاء هو أن يعلمه وأراده فعلمه. وإنما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء

---

(1) تفسير ابن جرير(4/ 534).

(2) تفسير ابن جرير(4/ 535).

(3) تفسير ابن كثير(2/ 441).

جاهلا، فكيف يعبد من لا يعقل شيئا البتّة مِن وثن وصنم؟ يقول: فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها، يعلمها، لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها. اهـ[1].

08- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال الإمام البغوي رحمه الله في (تفسيره): وسع، أي: ملأ وأحاط به[2].

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: وسع: بمعنى شمل. والكرسي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إنه موضع قدمي الله عز وجل) [3].

وليس هو العرش، بل العرش أكبر من الكرسي، وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: **(أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة)** [4].

هذا يدل على عظم هذه المخلوقات وعظم المخلوق يدل على عظم الخالق[5].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: والحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويا، ففيه ردٌّ على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان كما جاء في بعض التفاسير، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه العلم، فلا يصح إسناده إليه[6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف، وقد نُقل عن بعضهم أن كرسيه علمه، وهو قول ضعيف[7].

---

(1) تفسير ابن جرير (4/ 536).

(2) معالم التنزيل (1/ 312).

(3) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة برقم (586)، وغيره وهو صحيح كما في مختصر العلوّ برقم (45).

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم(1/ 114)، وهو صحيح كما في السلسلة الصحيحة برقم(109).

(5) شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله (ص139).

(6) السلسلة الصحيحة (1/ 226).

(7) مجموع الفتاوى (6/ 584).

09- ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه[1].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: لا يُثقله ولا يَشقُّ عليه. يقال: آدني الشيء أي: أثقلني[2].

10- ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ اسمان كريمان من أسماء الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واسمه (**العلي**) يفسَّر بهذين المعنيين: **يفسَّر** بأنّه أعلى من غيره قدرا، فهو أحق بصفات الكمال، **ويفسّر** بأنّه العالي عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون. وهذا يتضمّن كونه خالقا لهم وربّا لهم.

وكلاهما يتضمن أنّه نفسه فوق كل شيء، فلا شيء فوقه[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإن من لوازم اسمه (العليّ) العلوَّ المطلق، بكل اعتبار، فله العلوُّ المطلق من جميع الوجوه: علوُّ القدر، وعلوُّ القهر، وعلوُّ الذات. فمن جحد علوَّ الذات فقد جحد لوازم اسمه (العلي)[4].

(**العظيم**): الذي له جميع معاني العظمة والجلال، وأنه لا يستحقُّ أحد التعظيم والتكبير والإجلال سواه.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: العظيم: ذو العظمة، الذي كلُّ شيء دونه، فلا شيء أعظم منه. وعن ابن عباس[رضي الله عنهما]: العظيم: الذي قد كمل في عظمته[5].

قال الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله: إن هذه الآية الكريمة متكوِّنة من عشر جمل، فيها من توحيد الله وتمجيده وتعظيمه وبيان تفرده بالكمال والجلال ما يحقق لمن قرأها الحفظ والكفاية وفيها من أسماء الله الحسنى خمسة أسماء، وفيها من صفات الله ما

---

(1) تفسير ابن كثير(2/ 444).

(2) معالم التنزيل (1/ 312).

(3) مجموع الفتاوى (16/ 358).

(4) مدارج السالكين (1/ 40).

(5) تفسير ابن جرير (4/ 544).

يزيد على العشرين صفة، وقد بدئت بذكر تفرد الله بالألوهية وبطلان ألوهية كلِّ مَن سواه، ثم ذكر حياة الله الكاملة التي لا يلحقها فناء، وذكر قيوميته سبحانه أي: قيامه بنفسه وقيامه بتدبير أمور خلقه، وذكر تنزهه سبحانه عن صفات النقص كالسِّنة والنوم وبيان سعة ملكه سبحانه، وأن جميع من في السموات والأرض عبيد له، داخلون تحت قهره وسلطانه، وذكر من أدلة عظمته أنه لا يمكن لأحد من الخلق أن يشفع عنده سبحانه إلا من بعد إذنه، وفيها إثبات صفة العلم لله سبحانه، وأن علمه سبحانه محيط بكل معلوم، فهو يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وفيها بيان عظمة الله سبحانه بذكر عظمة مخلوقاته، فإذا كان الكرسي وهو مخلوق من مخلوقاته وسع السموات والأرض فكيف بالخالق الجليل والرب العظيم، وفيها بيان كمال اقتداره سبحانه، وأنه سبحانه من كمال قدرته لا يؤوده أي: لا يثقله حفظ السموات والأرض، ثم ختمت الآية بذكر اسمين عظيمين لله، وهما: العلي العظيم، وفيهما إثبات علوِّ الله سبحانه ذاتا وقدرا وقهرا، وإثبات عظمته سبحانه بالإيمان، بأن له جميع معاني العظمة والجلال، وأنه لا يستحقُّ أحد التعظيم والتكبير والإجلال سواه[1].

72-(7) **(لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحيِي ويُميتُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ (عَشْرَ مرَّاتٍ بَعْدَ صلاةِ المَغْرِبِ والصُّبْحِ)**. [2].

وتمام الحديث هو قوله ﷺ: **(من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كتبت له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله)**.

وفي رواية أحمد من قال: **(من قال قبل أن ينصرف ويثني رجله من صلاة المغرب والصبح)**[3].

---

(1) آية الكرسي وبراهين التوحيد (ص14).

(2) رواه الترمذي برقم (3474)، وضعَّفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي، وحسَّنه لغيره في صحيح الترغيب برقم (472).

(3) رواه أحمد برقم (17990)، وقال محققو المسند: حسن لغيره.

قوله: (**من قال في دبر صلاة الفجر**) أي: عقب صلاة الفجر. يعني: بعد الفراغ منها.

قوله: (**قبل أن ينصرف**) أي: قبل أن ينصرف من مكان صلاته. وقيل: إلى بيته. (**ويثني**) كيرمي، أي: يقول، وهو على الهيئة التي عليها تشهّد في الصلاة.

قوله: (**وهو ثانٍ رجليه**) أي: قبل أن يصرف رجله عن حالتها التي هي عليها في التشهد[1].

قوله: (**في حرز**) أي: حفظ. (**من كل مكروه**) أي من الآفات. و(**وحرس**) بفتح المهملة وسكون الراء هو بمعنى الحرز والحفظ. (**من الشيطان**) تخصيص بعد تعميم لكمال الاعتناء.

قوله: (**ولم ينبغ**) أي: لم يجز، وفي رواية أحمد: (**لم يحلَّ**). (**لذنب أن يدركه**) أي: يهلكه ويبطل عمله. (**إلا الشرك بالله**) أي: إن وقع منه.

قال الطيبي: فيها استعارة ما أحسن موقعها، فإن الداعي إذا دعا بكلمة التوحيد، فقد أدخل نفسه حرما آمنا فلا يستقيم للذنب أن يحلَّ ويهتك حرمة الله، فإذا خرج عن حرم التوحيد أدركه الشرك لا محالة، والمعنى لا ينبغي لذنب أي ذنب أن يدرك القائل ويحيط به ويستأصله سوى الشرك[2].

73-(8) (**اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ عِلمًا نَافِعًا، ورِزْقًا طَيِّبًا، وعَمَلًا مُتَقَبَّلًا(بعد السَّلامِ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ)** [3].

عن أم سلمة رضي الله عنها، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم كان يقول-إذا صلّى الصبح حين يسلّم-: (**اللهم إني أسألك علما نافعا،...**). الحديثَ.....

قال السندي رحمه الله: قوله: (**نافعا**) بالعمل به فيكون حجة لي لا عليّ. (**طيّبا**) أي: حلالا، أفاده في حاشيته على سنن ابن ماجة.

ومن يتأمل هذا الدعاء العظيم يجد أن الإتيان به في هذا الوقت بعد صلاة الصبح في غاية المناسبة، لأن الصبح هو بداية اليوم ومفتتحه، والمسلم ليس له مطمع في

(1) النهاية في غريب الحديث (ص129).

(2) تحفة الأحوذي (9/ 444).

(3) رواه ابن ماجه برقم (925)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

يومه إلا تحصيل هذه الأهداف العظيمة والمقاصد الجليلة المذكورة في هذا الحديث، وهي العلم النافع، والرزق الطيب، والعمل المتقبل، وكأنه في افتتاحه ليومه بذكر هذه الأمور الثلاثة دون غيرها يحدد أهدافه ومقاصده في يومه، ولا ريب أن هذا أجمع لقلب الإنسان وأضبط لسيره ومسلكه، بخلاف من يصبح دون أن يستشعر أهدافه وغاياته ومقاصده التي يعزم على القيام بها في يومه، ونجد المعتنين بالتربية والآداب يوصون بتحديد الأهداف في كل عمل يقوم به الإنسان، وفي كل سبيل يسلكه، ليكون ذلك أدعى لتحقيق أهدافه، وأسلم من التشتت والارتباك، وأضبط له في مساره وعمله، وما من شك أن من يسير وفق أهداف محددة ومقاصد معينة أكمل وأضبط وأسلم ممن يسير دون تحديد أهداف ودون تعيين مقاصد.

وتأمل كيف بدأ النبي ﷺ هذا الدعاء بسؤال الله العلم النافع، قبل سؤاله الرزق الطيب والعمل المتقبل، وفي هذا إشارة إلى أن العلم النافع مقدَّم وبه يُبدأ، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ١٩﴾ [محمد: 19]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وفي البدء بالعلم النافع حكمة ظاهرة لا تخفى على المتأمل، ألا وهي أن العلم النافع به يستطيع المرء أن يميز بين العمل الصالح وغير الصالح، ويستطيع أن يميز بين الرزق الطيب وغير الطيب، ومن لم يكن على علم، فإن الأمور قد تختلط عليه، فيقوم بالعمل يحسبه صالحا نافعا وهو ليس كذلك، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤﴾ [الكهف: 103-104]، وقد يكتسب رزقا ومالا ويظنه طيبا مفيدا، وهو في حقيقته خبيث وضارّ، وليس للإنسان سبيل إلى التمييز بين النافع والضارّ والطيب والخبيث إلا بالعلم النافع، ولهذا تكاثرت النصوص في الكتاب والسنة وتضافرت الأدلة في الحثِّ على طلب العلم والترغيب في تحصيله وبيان فضل من سلك سبيله ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩﴾ [الزمر: 9].

وقوله ﷺ في الحديث: **(علما نافعا)** فيه دلالة على أن العلم نوعان، علم نافع وعلم ليس بنافع، وأعظم العلم النافع ما ينال به المسلم القرب من ربه والمعرفة بدينه والبصيرة بسبيل الحق الذي ينبغي أن يسير عليه، وتأمل في هذا قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ

ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: 15-16]، فحريٌّ بالمسلم في يومه أن يعتني بالقرآن الكريم وبمذاكرته ومدارسته، وأن يعتني بسنة النبي ﷺ المبينة له والشارحة لدلالته ومقاصده.

وقوله في الحديث: **(ورزقا طيبا)** فيه إشارة إلى أن الرزق نوعان: طيب وخبيث، والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وقد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: 51]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: 172]، وقد بعث الله نبيه ﷺ بتحليل الطيب وتحريم الخبيث كما قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157]، فحريٌّ بالمسلم في يومه أن يتحرَّى المال الطيب الحلال، والرزق السليم النافع، ويَحْذَرَ أشدَّ الحذَر من الأموال الخبيثة والمكاسب المحرَّمة.

وقوله في الحديث: **(وعملا متقبَّلا)** وفي رواية: **(وعملا صالحا)** فيه إشارة إلى أنه ليس كل عمل يتقرب به العبد إلى الله يكون متقبلا، بل المتقبل من العمل هو الصالح فقط، والصالح هو ما كان لله وحده وعلى هدي وسنة نبيه محمد ﷺ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾﴾ [الملك: 2]، قال الفضيل بن عياض في معنى الآية: أي: أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي وما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة(1).

فهذا دعاء عظيم النفع، كبير الفائدة، يحسن بالمسلم أن يحافظ عليه كل صباح تأسيا بالنبي الكريم ﷺ، ثم يُتْبِع الدعاء بالعمل، فيجمع بين الدعاء وبذل الأسباب، لينال هذه الخيرات العظيمة والأفضال الكريمة، والله وحده الموفق، والمعين على كل خير(2).

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الإخلاص والنية (ص50-51)، وأبو نعيم في الحلية (8/ 95).

(2) فقه الأدعية والأذكار(3/ 40-43).

26 دعاء صلاة الاستخارة

74- قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: (**إذا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَينِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيْضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهُمَّ إنِّي أسْتَخيرُكَ بعِلْمِكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأسْأَلُكَ مِنْ فضلِكَ العَظِيم، فإنَّكَ تَقْدِرُ ولا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أعْلَمُ، وأنْتَ عَلاَّمُ الغُيوبِ، اللهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أن هذَا الأمرَ** -ويُسمِّي حَاجَتَه- **خَيرٌ لي في دِيني ومَعَاشي وعَاقِبَةِ أمْري** -أو قالَ: عَاجِلِهِ وآجِلِهِ- **فاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لي، ثمَّ بَارِكْ لي فيهِ، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي ومَعَاشي وعَاقِبَةِ أمري** -أوْ قالَ: عَاجِلِهِ وآجِلِهِ- **فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، واقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرْضِنِي بِهِ**) [1].

وما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين المؤمنين، وتثبت في أمره، فقد قال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴿١٥٩﴾﴾ **[آل عمران: 159].**

قال العلماء: الاستخارة هي طلب خير الأمرين والتوفيق له.

قال الحافظ في (الفتح): الاستخارة هي استفعال من الخير أو الخِيَرة بكسر أوله وفتح ثانيه بوزن العنبة، اسم من قولك خار الله له، واستخار الله طلب منه الخيرة، وخار الله له أعطاه ما هو خير له، والمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما.

قوله: (كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها) قال ابن أبي جمرة: هو عامٌّ أريد به الخصوص، فإن الواجب والمستحبَّ لا يستخار في فعلهما والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما، فانحصر الأمر في المباح وفي المستحب إذا تعارض منه أمران أيهما يبدأ به ويقتصر عليه. قلت: وتدخل الاستخارة فيما عدا ذلك في الواجب والمستحب المخيَّر، وفيما كان زمنه موسعا ويتناول العموم العظيم من الأمور والحقير، فَرُبَّ حقير يترتب عليه الأمر العظيم.

قوله: (كما يعلِّمنا السورة من القرآن) قيل: وجه التشبيه عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة كعموم الحاجة إلى القراءة في الصلاة، ويحتمل أن يكون المراد

(1) رواه البخاري برقم (1162).

ما يقع في حديث ابن مسعود في التشهُّد: (علَّمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه) أخرجه البخاري في (الاستئذان)، وفي رواية الأسود بن يزيد عن ابن مسعود: (أخذت التشهد من في رسول الله كلمة كلمة) أخرجها الطحاوي، وفي حديث سلمان نحوه وقال: (حرفا حرفا)، أخرجه الطبراني. وقال ابن أبي جمرة: التشبيه في تحفظ حروفه وترتب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه والدرس له والمحافظة عليه، ويحتمل أن يكون من جهة الاهتمام به والتحقق لبركته والاحترام له ويحتمل أن يكون من جهة كون كلٍّ منهما عُلِم بالوحي. قال الطيبي: فيه إشارة إلى الاعتناء التامِّ البالغ بهذا الدعاء، وهذه الصلاة لجعلها تِلْوَيْنِ للفريضة والقرآن.

قوله: **(إذا همّ)** فيه حذف تقديره: يعلمنا قائلا إذا همَّ، وقد ثبت ذلك في رواية قتيبة: **(يقول: إذا همَّ)**، وزاد في رواية أبي داود عن قتيبة: **(لنا)**. قال ابن أبي جمرة: ترتيب الوارد على القلب على مراتب: الهمة، ثم اللمة، ثم الخطرة، ثم النية، ثم الإرادة، ثم العزيمة، فالثلاثة الأولى لا يؤاخذ بها بخلاف الثلاثة الأخرى، فقوله: **(إذا همّ)** يشير إلى أول ما يَرِدُ على القلب، يستخير فيظهر له ببركة الصلاة والدعاء ما هو الخير، بخلاف ما إذا تمكن الأمر عنده، وقويت فيه عزيمته وإرادته فإنه يصير إليه له ميل وحب فيخشى أن يخفى عنه وجه الأرشدية لغلبة ميله إليه.

قال: ويحتمل أن يكون المراد بالهمِّ **العزيمة**، لأن الخاطر لا يثبت فلا يستمر إلا على ما يقصد التصميم على فعله وإلا لو استخار في كل خاطر لاستخار فيما لا يعبأ به فتضيع عليه أوقاته، ووقع في حديث ابن مسعود: **(إذا أراد أحدكم أمرا فليقل)**.

قال بعض أهل العلم: الاحتمال الأول بعيد جدا عن معنى الحديث، بل الاحتمال الثاني هو المتعين، ويؤيده ما وقع في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المذكور.

قلت: وهو الذي ذكره صاحب(النهاية) فقال: مِن: همّ بالأمر يهمّ: إذا **عزم** عليه اهـ[1]. والله أعلم.

قوله: **(أحدكم بالأمر)** أي: من نكاح أو سفر أو غيرهما مما يريد فعله أو تركه.

قوله: **(فليركع ركعتين من غير الفريضة)** أي: فليصلِّ ركعتين من غير الصلوات المفروضة.

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص1012).

وقوله: (**من غير الفريضة**) فيه احتراز عن صلاة الصبح مثلا، ويحتمل أن يريد بالفريضة عينها وما يتعلق بها، فيحترز عن الراتبة كركعتي الفجر مثلا.

قوله: (**ثم ليقل**) ظاهره أن الدعاء يكون بعد الفراغ من الصلاة، أي بعد أن يسلم، ويؤكد هذا حرف(ثم)الذي يفيد الترتيب والتراخي، ويحتمل أن ذلك قبل السلام أي بعد الفراغ من أذكار الصلاة ودعائها والأولى الأول.

قال الحافظ في(الفتح): ثم نقول: هو ظاهر في تأخير الدعاء عن الصلاة، فلو دعا به في أثناء الصلاة احتمل الإجزاء. قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع ولا أنجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار اليه مآلا وحالا.

قوله: (**اللهم إني أستخيرك**) أي: أطلب أصلح الأمرين، (**بعلمك**) أي: بسبب علمك بكيفيات الأمور كلها.

قال الحافظ في(الفتح): قوله: (**اللهم إني أستخيرك بعلمك**) الباء للتعليل أي لأنك أعلم، وكذا هي في قوله: (**بقدرتك**)، ويحتمل أن تكون للاستعانة كقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا ﴿٤١﴾﴾ [هود: 41]، ويحتمل أن تكون للاستعطاف كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: 17].

قوله: (**وأَستقدرك**) أي أطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة، ويحتمل أن يكون المعنى أطلب منك أن تقدره لي، والمراد بالتقدير التيسير. وفي رواية النسائي: (**وأستعينك بقدرتك**) أي أطلب منك العون على ذلك-إن كان خيرا-متوسلا بقدرتك.

قوله: (**وأسألك من فضلك العظيم**) أي: أطلب منك أن تكرمني بفضلك، وتمنَّ عليَّ بعطائك، لأنك المتفضِّل وحدك والمنعِم لا شريك لك. وفيه إشارة إلى أن إعطاء الرب فضل منه، وليس لأحد عليه حقٌّ في نعمه كما هو مذهب أهل السنة.

قوله: (**فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب**) فيه الإيمان بقدرة الله عز وجل على كلِّ شيء، وأنه أحاط بكلِّ شيء علما، والاعتراف بضعف العبد وعجزه وافتقاره إلى سيده ومولاه. وفيه إشارة الى أن العلم والقدرة لله وحده، وليس للعبد من ذلك إلا ما قدر الله له.

قوله: (**اللهم**) أي: يا الله، وأعاد النداء وكرّره لما فيه من الرغبة إلى الله عز وجل وإظهار الذلة والافتقار. (**إن كنت تعلم أن هذا الأمر ويسمِّي حاجته**) أي: الأمر الذي يريده، ويسمِّيه بعينه إن كان زواجا أو سفرا أو غير ذلك. وفيه علم الله سبحانه بما كان وبما سيكون وبما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقوله: (**يسمِّي حاجته**) زاد في رواية: (**ثم يسمِّيه بعينه**) ظاهر سياقه أن ينطق به.

وقوله: (**إن كنت تعلم**) ليس للشك في علم الله تعالى، وإنما يرجع إلى عدم علم العبد بمتعلق علمه سبحانه وتعالى، إذ يستحيل أن يكون خيرا ولا يعلمه العليم الخبير. أفاده السندي على (النسائي).

قوله: (**خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجله وآجله**) أي: خير لي في ديني وحياتي، قدّم الدين، لأنه الأهمُّ في جميع الأمور، فإنه إذا سلِم الدين فالخير حاصل، وإذا اختل الدين فلا خير بعده.

قوله: (**ومعاشي**) زاد أبو داود: (**ومعادي**)، وهو يؤيد أن المراد بالمعاش الحياة، ويُحتمل أن يريد بالمعاش ما يعاش فيه ولذلك وقع في حديث ابن مسعود في بعض طرقه عند الطبراني في الأوسط: (**في ديني ودنياي**)، وفي حديث أبي أيوب عند الطبراني: (**في دنياي وآخرتي**)، زاد ابن حبان في رواية: (**وديني**)، وفي حديث أبي سعيد: (**في ديني ومعيشتي**).

قوله: (**وعاقبة أمري أو قال: عاجله وآجله**) هو شك من الراوي ولم تختلف الطرق في ذلك، قاله (الحافظ). وقيل: (أو) في الموضعين للتخيير أي أنك مخيَّرٌ، إن شئت قلت: (**معاشي وعاقبة أمري**) أو قلت: (**عاجله وآجله**). وفيه التحري في النقل والصدق من الرواة.

قوله: (**فاقدره لي ويسره لي**) أي: اجعله لي مقدرا وميسرا. قال الكرماني: معنى قوله: اجعله مقدورا لي أو قدّره، وقيل: معناه: يسّره لي، زاد معن: (ويسّره لي وبارك لي فيه).

قوله: (**ثم بارك لي فيه**) البركة النماء والزيادة. وهي الخير الكثير الثابت.

قوله: (**فاصرفه عنِّي واصرفني عنه**) أي: حتى لا يبقى قلبه بعد صرف الأمر عنه متعلقا به، وفيه دليل لأهل السنة أن الشر من تقدير الله على العبد، لأنه لو كان يقدر على اختراعه لقدر على صرفه ولم يحتج إلى طلب صرفه عنه.

قوله: (**ثم رضّني به**) بالتشديد. وفي رواية: (**ثم أرضني به**) أي: اجعلني به راضيا، وفي بعض طرق حديث ابن مسعود عند الطبراني في الأوسط: (**ورضّني بقضائك**)، وفي حديث أبي أيوب: (**ورضّني بقدرك**)، والسر فيه أن لا يبقى قلبه متعلقا به فلا يطمئن خاطره والرضا سكون النفس إلى القضاء.

وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. وفيه أن العبد لا يكون قادرا إلا مع الفعل لا قبله، والله هو خالق العلم بالشيء للعبد وهمِّه به واقتدارِه عليه، فإنه يجب على العبد رد الأمور كلها إلى الله والتبرِّي من الحَول والقوة إليه وأن يسأل ربه في الأمور كلها[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فقوله: (**إذا همّ أحدكم بالأمر**) صريح في أنه الفعل الاختياري المتعلق بإرادة العبد، وإذا علم ذلك فقوله: (**أستقدرك بقدرتك**) أي أسألك أن تقدرني على فعله بقدرتك.

ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التي هي سلامة الأعضاء وصحة البنية، وإنما سأل القدرة التي توجب الفعل، فعلم أنها مقدورة لله ومخلوقة له، وأكَّد ذلك بقوله: (**فإنك تقدر ولا أقدر**) أي تقدر أن تجعلني قادرا فاعلا ولا أقدر أن أجعل نفسي كذلك.

وكذلك قوله: (**تعلم ولا أعلم**) أي حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلها والنافع منها والضار عندك وليس عندي.

وقوله: (**يسِّره لي أو اصرفه عني**) فإنه طلب من الله تيسيره إن كان له فيه مصلحة وصرفه عنه إن كان فيه مفسدة، وهذا التيسير والصرف متضمن إلقاء داعية الفعل في القلب أو إلقاء داعية الترك فيه، ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل، وداعية الترك امتنع الفعل.

وقوله: (**ثم رضّني به**) يدل على أن حصول الرضا وهو فعل اختياري من أفعال القلوب أمر مقدور للرب تعالى وهو الذي يجعل نفسه راضيا.

وقوله: (**فاصرفه عني واصرفني عنه**) صريح في أنه سبحانه هو الذي يصرف عبده عن فعله الإختياري إذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى في حقِّ يوسفَ الصِّدِّيق:

---

(1) فتح الباري (14/ 416-419)، مع بعض الزيادات اليسيرة.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾. وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعي القلب وميله إليهما، فينصرفان عنه بصرف دواعيهما.

وقوله: (**واقدر لي الخير حيث كان**) يعمُّ الخير المقدور للعبد من طاعته وغير المقدور له، فعلم أن فعل العبد للطاعة والخير أمر مقدور لله إن لم يقدره الله للعبد لم يقع من العبد.

ففي هذا الحديث الشفاء في مسألة القدر. وأمر النبي ﷺ الداعي به أن يقدِّم بين يدي هذا الدعاء ركعتين عبوديةً منه بين يدي نجواه، وأن يكونا من غير الفريضة ليتجرد فعلهما لهذا الغرض المطلوب. ولما كان الفعل الاختياري متوقفا على العلم والقدرة والإرداة لا يحصل إلا بها، توسل الداعي إلى الله بعلمه وقدرته وإرادته التي يؤتيه بها من فضله، وأكد هذا المعنى بتجرده وبراءته من ذلك فقال: (**إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر**). وأمر الداعي أن يعلق التيسير بالخير والصرف بالشر. وهو علم الله سبحانه تحقيقا للتفويض إليه واعترافا بجهل العبد بعواقب الأمور كما اعترف بعجزه. ففي هذا الدعاء إعطاء العبودية حقها[وإعطاء الربوبية حقها] وبالله المستعان. اهـ[1].

وقال أيضا: وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: (**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم**) فهذا توكل وتفويض. ثم قال: (**فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب**) فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحَول والقوة، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون، ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلا، أو آجلا، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلا أو آجلا، فهذا هو حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضى بما يقضيه له. فقال: (**واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به**). فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، التي من جملتها: التوكل والتفويض قبل وقوع المقدور، والرضى بعده وهو ثمرة التوكل، والتفويض علامة صحته، فإن لم يرض بما قضي له، فتفويضه معلول فاسد[2]

---

(1) شفاء العليل (ص232-233).

(2) مدارج السالكين (2/ 128).

وقال أيضا: فعوّض رسول الله ﷺ أمّته بهذا الدعاء، عما كان عليه أهل الجاهلية، من زجر الطير والإستقسام بالأزلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها إخوان المشركين، يطلبون بها علم ما قُسِم لهم في الغيب، ولهذا سُمِّي ذلك إستقساما، وهو إستفعال من القسم، والسين فيه للطلب.

وعوَّضهم بهذا الدعاء الذي هو توحيد وافتقار، وعبودية وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله، الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو الذي إذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحد حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليه من التطير والتنجيم، واختيار الطالع ونحوه فهذا الدعاء هو الطالع الميمون السعيد، طالعُ أهلِ السعادة والتوفيق، الذين سبقت لهم من الله الحسنى، لا طالعُ أهلِ الشرك والشقاء والخذلان، الذين يجعلون مع الله إلها آخر، فسوف يعلمون. فتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه، والإقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدة نفسه، والتبري من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها، وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإلهه الحق..... والمقصود أن الإستخارة توكل على الله وتفويض إليه واستقسام بقدرته وعلمه وحسن اختياره لعبده، وهي من لوازم الرضا به ربا، الذي لا يذوق طعم الإيمان من لم يكن كذلك، وإن رضي بالمقدور بعدها فذلك علامة السعادة[1].

فوائد:

01-ماذا يفعل بعد الاستخارة؟

قال الإمام النووي رحمه الله: وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره والله أعلم[2].

ويوضحه كلام الإمام الشوكاني رحمه الله قال: ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان له فيه **هوى** قبل الإستخارة، بل ينبغي

(1) زاد المعاد (2/ 443-445).

(2) الأذكار (1/ 294).

للمستخير ترك اختياره رأسا، وإلا فلا يكون مستخيرا الله تعالى بل يكون مستخيرا لهواه وقد يكون غير صادق في طلب الخيرة وفي التبرِّي من العلم والقدرة وإثباتها لله تعالى، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه. اهـ[1].

02-هل تحصل صلاة الاستخارة بركعتين من السنن الرواتب وغيرها من النوافل؟

قال الإمام النووي رحمه الله في (الأذكار): والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب، وبتحية المسجد وغيرها من النوافل[2].

نقله الحافظ في(الفتح) وقال معقبا: كذا أُطلِق وفيه نظر، ويظهر أن يقال: إن نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معا أجزأ، بخلاف ما إذا لم ينوِ[3].

03-قال الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله: الأفضل أن يرفع يديه عند الدعاء، لأن رفعهما من أسباب إجابة الدعاء، ومن كان لا يحفظ الدعاء، وقرأ من كتاب فلا حرج عليه، وعليه أن يجتهد في إحضار قلبه والخشوع لله والصدق في الدعاء، ومن لم يكن حافظا للدعاء وليس بحضرته كتاب واحتاج إلى الإستخارة، فإنه يصلِّي ركعتين ويدعو بما تيسر له من معاني طلب الخيرة[4]

04-سمعت بعض أهل العلم يذكر فائدة جميلة في أنّ دعاء الاستخارة يكون بعد السلام وهي عند قوله ﷺ: **(فليركع ركعتين)**. قال: فالذي يقول الدعاء قبل السلام ما ثبت فيه هذا الوصف لأن المصلي لا يسمى قد صلَّى ركعتين حتى يختمها بالسلام لقول النبي ﷺ: **(تحريمها التكبير وتحليلها التسليم)** [5]. فلو أن إنسانا صلى ركعتين ثم لما بلغ التشهد قام وخرج هل يقال صلى ركعتين؟ لا، فلا يكون مصلِّيا ركعتين حتى يختمها بالسلام والله أعلم.

---

(1) نيل الأوطار (5/ 247).

(2) الأذكار (1/ 293).

(3) فتح الباري (14/ 419).

(4) فقه الأدعية والأذكار (3/ 182).

(5) رواه أبو داود برقم (61)، والترمذي برقم (03)، وابن ماجه برقم (275)، وصححه الشيخ الالباني في صحيح السنن.

وأما قول المصنف حفظه الله: وما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين المؤمنين، وتثبت في أمره، فقد قال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: 159]. فهذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذكره في (الكلم الطيب) [1]، ونقله تلميذه العلامة ابن القيم في (الوابل الصيب) [2].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره، منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله. ومنها: أن فيها تسميحا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس -إذا جمع أهل الرأي والفضل، وشاورهم في حادثة من الحوادث- اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبدٍّ عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم. بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه، وإن أطاعوه، فطاعة غير تامة. ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ، أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم. فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلا، وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فكيف بغيره؟ ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ عليه، اللاجئين إليه. اهـ[3].

(1) الكلم الطيب (ص73).

(2) الوابل الصيب (ص294).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص137).

27 أذكار الصباح والمساء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: 41-42]. والأصيل: قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه: أصل وآصال، وأصائل، كأنه جمع أصيلة. قال الشاعر:

لَعَمْري لأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ   وأقْعُدُ في أفْيَائِه بالأَصَائِلِ

ويجمع أيضا على أصلان، مثل بعير وبعران، ثمّ صغّروا الجمع فقالوا: أصيلان، ثـمّ أبدلوا من النون لاما، فقالوا: أصيلال. قال الشاعر:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالًا أَسَائِلُهَا   أعْيَت جَوَابًا وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: 55]. فالإبكار: أول النهار، والعشيّ: آخره. وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: 39]. وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: أن من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أن المراد به: قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر(1).

قال العلماء: والأمر واسع في ذلك إن شاء الله فيما لو نسي العبد ذلك، أو عرض له عارض فلا بأس أن يأتي بأذكار الصباح بعد طلوع الشمس وأذكار المساء بعد غروبها.

(الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده).

أراد المصنف حفظه الله أن يبدأ المسلم بالثناء على الله سبحانه لأن الحمد ثناء على المحمود مع محبته وتعظيمه، ثم يصلِّي على رسول الله ﷺ قبل أن يدخل في الذِّكر.

قال الإمام النووي رحمه الله: أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه ثم الصلاة على رسول الله ﷺ. وكذلك يختم الدعاء بهما. والآثار في هذا الباب كثيرة معروفة(2).

---

(1) الوابل الصيب (ص239-240).

(2) الأذكار (1/ 289).

75-(1) أعوذ بالله منَ الشيطان الرجيم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: 255][1].

والحديث بتمامه عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: أنه كان له جُرن من تمر، فكان ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، فسلّم عليه، فرد عليه السلام، فقال: ما أنت؟ جنّي أم إنسي؟ قال: جنّي. قال: فناولني يدك، فناوله يده، فإذا يده يد كلب، وشعره شعر كلب، قال: هذا خلق الجن؟ قال: قد علمت الجن أن ما فيهم رجلا أشد منِّي، قال: فما جاء بك؟ قال: بلغنا أنك تحب الصدقة فجئنا نصيب من طعامك. قال: فما ينجينا منكم؟ قال: هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، من قالها حين يمسي، أُجيرَ منا حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي. فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له فقال: **(صدق الخبيث)**.

قوله: (جرن من تمر) قال في (النهاية) الجرن: هو موضع تجفيف التمر، وهو له كالبيدر للحنطة، ويجمع على جرن بضمتين[2].

وقال المنذري رحمه الله في (الترغيب والترهيب): الجرن بضم الجيم وسكون الراء: هو البيدر، وكذلك الجرين[3].

قوله: (جنّي) الجن عالم غيبي غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان. وسمّوا جنًّا لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ٢٧﴾ [الأعراف: 27].

---

(1) رواه الحاكم (1/ 562)، وصححه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب برقم (953)، وقال: رواه النسائي والطبراني بإسناد جيد، واللفظ له.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص149).

(3) الترغيب والترهيب (1/ 299).

خلقهم الله سبحانه وتعالى من نار قال عزّ وجلّ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: 15]. وقال عزَّ مِن قائل: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: 27]. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: (**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجانُّ من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم**)[1].

وهم مكلفون كالإنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك... كالجهمية والمعتزلة، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك[2].

قوله: (فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم) أي: أنه رأى مخلوقا يشبه الغلام البالغ المدرك. ومنه الحديث: (**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**) أي: بالغ مدرك، أفاده في(النهاية). وفيه قدرة الجن على التشكل بأشكال الإنسان والحيوان.

قوله: (أُجيرَ) أي: حُفظ ووُقِيَ.

قال الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله: فقد دل هذا الحديث على قوة أثر هذه الآية في حفظ العبد وطرد الشياطين، والوقاية من كيدهم وشرورهم، وإذا قرئت على الأحوال الشيطانية أبطلتها كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه.

قال في كتاب (الفرقان): وإذا قرئت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا، فإن التوحيد يطرد الشيطان[3].

وقال في كتابه(قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة): يقرأ آية الكرسي بصدق، فإذا قرأها تغيب ذلك أو ساخ في الأرض أو احتجب[4].

(1) رواه مسلم برقم (2996).

(2) مجموع الفتاوى (19/ 10).

(3) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(ص146).

(4) قاعدة جليلة (ص28).

وقال أيضا: وهذه الأحوال الشيطانية تبطل أو تضعف إذا ذكر الله وتوحيده وقرئت قوارع القرآن لا سيما آية الكرسي، فإنها تبطل عامة هذه الخوارق الشيطانية[1] [2].

قلت: وقال أيضا: ومن أعظم ما يُنتصَر به عليهم آية الكرسي... فقد جرّب المجرِّبون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيرا عظيما في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين[3].

وقال: فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم، ولهذا يهربون من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، ويهربون من قراءة آية الكرسي وآخر سورة البقرة، وغير ذلك من قوارع القرآن[4].

تقدم شرح الآية قريبا، وسنذكر هنا بعض فضائلها:

01-آية الكرسي أعظم آية في القرآن:

أخبر الرسول الكريم ﷺ أن آية الكرسي أعظم آية في القرآن العظيم، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟**) **قال: قلت:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: (**والله ليهنك العلم أبا المنذر**)[5].

ومعنى ليهنك العلم: أي ليكن العلم هنيئا لك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي، وإنما ذكر الله في أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر عدة آيات لا آية واحدة[6].

---

(1) النبوات (1/ 283).

(2) آية الكرسي وبراهين التوحيد(ص12).

(3) مجموع الفتاوى (19/ 54-56).

(4) النبوات (ص1018).

(5) رواه مسلم برقم (810).

(6) جواب أهل العلم والإيمان ص (133).

02 -آية الكرسي فيها اسم الله الأعظم:

اشتملت آية الكرسي على اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب، فقد روى ابن ماجة في سننه وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور في القرآن في سورة البقرة، وآل عمران، وطه**)[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى: هو اسم الحي القيوم[2].

03 -ابتعاد الشيطان عن قارئ آية الكرسي:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه. فأصبحت، فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخلَّيتُ سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك، وسيعود). فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني، فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود. فرحمته فخلَّيت سبيله. فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟) قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخلَّيت سبيله. قال: (أما إنه قد كذبك، وسيعود). فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ماهن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]. حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله زعم أنه

(1) رواه ابن ماجه برقم (3856)، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (746).

(2) زاد المعاد (4/ 204)، وقد تقدم.

يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: (ما هي؟) قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: **(أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**) قال: لا. قال: **(ذاك شيطان)** [1].

04-قارئ آية الكرسي دبر الصلاة المكتوبة لا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت:

ومما ثبت في فضل آية الكرسي أن من قرأها دبر كل صلاة مكتوبة لا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت. روى الإمام النسائي وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت)**[2].

76-(2) (بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[3].

والحديث بتمامه عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلِّيَ لنا، فأدركناه فقال: **(قل)** فلم أقل شيئا، ثم قال: **(قل)** فلم أقل شيئا، ثم قال: **(قل)**: فقلت: ما أقول يا رسول الله؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **والمعوِّذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء)**.

---

(1) رواه البخاري برقم (2311)، وانظر شرحه في الحديث رقم (100).

(2) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (125)، وصححه الشيخ الألباني صحيح الجامع برقم (6464).

(3) رواه أبو داود برقم (5082)، والترمذي برقم (3575)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

قال ابن علان رحمه الله: قوله: (قل) أي: اقرأ. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي اقرأ هذه السور الثلاث قيل: وكأن قراءة سورة (الإخلاص) بمنزلة الثناء قبل الدعاء.

وقوله: (**ثلاث مرات**) أي فإن من أدب الدعاء الإلحاح، وأقله التثليث. اهـ[1].

قوله: (**تكفيك من كل شيء**) أي: من كل شر أو من كل ورد يُتعوَّذ به[2].

وقال الطيبي رحمه الله: أي: تدفع عنك كل سوء[3].

ففي هذا الحديث فضيلة قراءة هذه السور الثلاث، وأن من حافظ عليها ثلاث مرات كل صباح ومساء، كفته بإذن الله من كل شر وآفة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن تلاوة هذه السور عند المساء، وعند الصباح تكفي التالي من كل شيء يخشى منه، كائنا ما كان[4].

ملحوظة: تقدم تفسير هذه السور الثلاث وذكر بعض الفوائد المتعلقة بها من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله انظر شرح الحديث رقم (70) فإنه مهمٌّ جدًا.

77-(3) (**أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الـمُلْكُ للـهِ**[5]**، وَالحَمْدُ لِلَّـهِ، لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَـهُ، لَهُ الـمُلْكُ، ولَـهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَـذَا اليَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ**[6]**، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّ مَا فِي هَذَا اليَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وعَذَابٍ فِي القَبْرِ**)[7].

قوله: (**أصبحنا**) أي: دخلنا في الصباح. وقوله: (**أمسينا**) أي: دخلنا في المساء.

قوله: (**وأصبح الملك لله**) أي: وأصبح كل شيء لله عز وجل، وكله تحت ملكه وتصرفه. وكذلك القول في: (**وأمسى الملك لله**).

(1) الفتوحات الربانية (3/ 84-85).

(2) عون المعبود (13/ 427).

(3) تحفة الأحوذي (10/ 28).

(4) تحفة الذاكرين (ص83).

(5) وإذا أمسى قال: (**أَمْسَيْنَا وأَمْسَى الـمُلْكُ لِلَّـهِ**).

(6) وإذا أمسى قال: (**رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَـذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّ مَا فِي هَـذِهِ اللَّيْلَةِ وشَرِّ مَا بَعْدَهَا**).

(7) رواه مسلم برقم (2723).

قوله: (**رب أسالك خير ما في هذا اليوم -أو هذه الليلة-**) أي: أسالك خير ما أردت وقوعه في هذا اليوم -أو في هذه الليلة- لعبادك الصالحين مِنَ المنافع الدينية والدنيوية. (**وخير ما بعده -أو ما بعدها-**) أي: ما بعده من الأيام -أو ما بعدها- من الليالي.

قوله: (**وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم -أو هذه الليلة-**) أي: أعتصم وأَلتجأ بك من شر ما أردت وقوعه في هذا اليوم -أو في هذه الليلة- مِنَ الشرور.

قوله: (**رب أعوذ بك مِنَ الكسل وسوء الكِبر**) قال القاضي: رويناه (الكبر): بإسكان الباء وفتحها، فالإسكان: بمعنى التعاظم على الناس، والفتح: بمعنى الهرم والخرف والردِّ إلى أرذل العمر كما في الحديث الآخر. قال القاضي: وهذا أظهر وأشهر بما قبله. قال: وبالفتح ذكره الهروي. وبالوجهين ذكره الخطابي وصوّب الفتح وتعضده رواية النسائي: (**وسوء العُمُرِ**)[1] اهـ[2].

والكسل: هو عدم انبعاث النفس للخير مع ظهور القدرة عليه، فلا يكون الإنسان حينئذ معذورا بخلاف العاجز، فإنه يكون معذورا لعدم قدرته.

زاد في رواية: (**وفتنة الدنيا**) أي: بلذاتها وشهواتها.

قوله: (**رب أعوذ بك من عذابٍ في النار وعذابٍ في القبر**) أي: أعتصم وأَلتجأ بك من أن ينالني عذاب النار وعذاب القبر، وخصَّهما بالذِّكر لشدتهما، وعِظم شأنهما.

قال الطيبي رحمه الله: والتنكير في (**عذابٍ**) للتهويل والتفخيم[3].

78-(4) (اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وبِكَ أَمْسَيْنَا[4]، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وإِلَيْكَ النُّشُورُ)[5].

---

(1) برقم (5497)، وصححه لغيره الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي.

(2) شرح مسلم (17/ 47).

(3) الكاشف عن حقائق السنن (ص1872).

(4) وإذا أمسى قال: (**اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوْتُ، وَإِلَيْكَ الـمَصِيْرُ**).

(5) رواه أبو داود برقم (5068)، والترمذي برقم (3391)، وابن ماجه برقم (3868)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

كان رسول الله ﷺ يعلِّم أصحابه يقول: (**إذا أصبح أحدكم فليقل**:...) الحديثَ...

قوله: (**إذا أصبح أحدكم**) أي: دخل في الصباح.

قوله: (**اللهم بك أصبحنا**) الباء متعلق بمحذوف وهو خبر (أصبح) ولا بدَّ من تقدير مضاف أي: أصبحنا ملتبسين بحفظك، أو مغمورين بنعمتك، أو مشتغلين بذكرك، أو مستعينين باسمك، أو مشمولين بتوفيقك، أو متحركِّين بحَولك وقوتك، ومتقلبين بإرادتك وقدرتك. وهكذا المعنى في قوله: (**وبك أمسينا**).

قوله: (**وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت**) قيل: هو حكاية الحال الآتية، يعني يستمرُّ حالنا على هذا في جميع الأوقات وسائر الحالات.

قوله: (**وإليك النشور**) أي: البعث بعد الموت. [قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عبس: 22]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي بعثه بعد موته ومنه يقال: البعث والنشور. [1]].

قوله: (**وإليك المصير**) أي المرجع والمآب. [2].

فائدة: رواية أبي داود فيها (**النشور**) في الصباح، و(**النشور**) في المساء.

ورواية الترمذي فيها (**المصير**) في الصباح، و(**النشور**) في المساء.

ورواية ابن ماجة فيها الاقتصار على (**المصير**) في المساء فقط.

أما الرواية التي فيها (**النشور**) في الصباح، و(**المصير**) في المساء هي رواية النسائي في الكبرى برقم (10323)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (1199).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وهي أولى الروايات أن تكون محفوظة لأن الصباح والانتباه من النوم بمنزلة النشور وهو الحياة بعد الموت، والمساء والصيرورة إلى النوم بمنزلة الموت والمصير إلى الله. ولهذا جعل الله سبحانه في النوم والموت والانتباه بعده دليلا على البعث والنشور، لأن النوم أخو الموت، والإنتباه نشور وحياة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٢٣﴾ [الروم: 23]. ويدل عليه أيضا ما رواه البخاري في صحيحه عن حذيفة: (**أن النبي ﷺ كان إذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**). اهـ[3].

---

(1) تفسير ابن كثير (14/ 250).

(2) مرقاة المفاتيح (5/ 300).

(3) تهذيب السنن (ص2368).

79-(5) **(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأَنَا عَبْدُكَ، وأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ[1] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ)**[2].

والحديث بتمامه قوله عليه الصلاة والسلام: **(سيّد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي.... فَإِنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها مِنَ الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)**.

قوله: **(سيد الاستغفار)** قال الحافظ في(الفتح): قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يُقصد في الحوائج، ويُرجع إليه في الأمور.

قوله: **(أن يقول)** أي العبد، وثبت في رواية أحمد والنسائي: **(إنّ سيّد الاستغفار أن يقول العبد)** وللترمذي من رواية عثمان بن ربيعة عن شدّاد: **(ألا أدلّك على سيّد الاستغفار)**، وفي حديث جابر عند النسائي: **(تعلّموا سيّد الاستغفار)**. [3].

قوله: **(اللهم)** قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لا خلاف أن لفظة **(اللهم)** معناه: يا الله، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني[4].

وقال الحافظ في(الفتح): هذه كلمة كثر استعمالها في الدعاء وهي بمعنى: يا الله، والميم عوض عن حرف النداء، فلا يقال: اللهم غفور رحيم مثلا، وإنما يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ولا يدخلها حرف النداء إلا في نادر كقول الراجز:

إني إذا ما حادث ألما — أقول: يا اللهم يا اللهما[5]

قوله: **(أنت ربي)** أي: ليس لي ربٌّ سواك، والربُّ هو: الخالق الرازق المالك المدبِّر لشؤون خلقه. وفيه الإقرار بربوبية الله سبحانه وتعالى.

---

(1) أقر وأعترف.

(2) رواه البخاري برقم (6306).

(3) فتح الباري (14/ 282)

(4) جلاء الأفهام (ص236)، وقد تقدم.

(5) فتح الباري (14/ 372)، وقد تقدم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والربُّ هو: السيّد والمالك والمنعم والمربِّي والمصلح، والله تعالى هو الربّ بهذه الاعتبارات كلها، فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له. اهـ[1].

قوله: (**لا إله إلا أنت**) أي: لا معبود بحقٍّ إلا أنت. (**خلقتني**) أي: أنت ربِّي الذي خلقتني، ليس لي خالق سواك. (**وأنا عبدك**) أي: عابد لك، ومنقاد لشرعك، وفيه الاعتراف لله سبحانه بالعبودية. قال الطيبي: يجوز أن تكون مؤكدة، ويجوز أن تكون مقدرة، أي: أنا عابد لك، ويؤيده عطف قوله: (**وأنا على عهدك**). اهـ قال بعض أهل العلم: وإذا كان الذاكر امرأة قالت: (**وأنا أمتك**)[2].

قوله: (**وأنا على عهدك ووعدك**) سقطت الواو في رواية النسائي، قال الخطابي: يريد أنا على ما عهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك، وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك، ويحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدت إِليَّ من أمرِك ومتمسِّكٌ به ومنتجز وعدك في المثوبة والأجر، واشتراط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى.

وقال ابن بطّال: قوله: (**وأنا على عهدك ووعدك**) يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ فأقرُّوا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية وبالوعد ما قال على لسان نبيه: (**أنّ من مات لا يشرك بالله شيئا وأدّى ما افترض عليه أن يدخله الجنة**)، قلت: وقوله: وأدّى ما افترض عليه زيادة ليست بشرط في هذا المقام، لأنه جعل المراد بالعهد الميثاق المأخوذ في عالم الذر وهو التوحيد خاصة، فالوعد هو إدخال من مات على ذلك الجنة، قال: وفي قوله: (**ما استطعت**) إعلام لأمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله، ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم.

وقال الطيبي: يحتمل أن يراد بالعهد والوعد ما في الآية المذكورة، كذا قال: والتفريق بين العهد والوعد أوضح. قاله في(الفتح).

---

(1) بدائع الفوائد(ص1543)، وقد تقدم.

(2) انظر للفائدة مجموع الفتاوى (22/ 488).

قوله: (**ما استطعت**) أي: على قدر استطاعتي، وفيه اعتراف بالعجز والقصور، فإنه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: 286]. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: 16]. وقال ﷺ: (**ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**)[1].

قوله: (**أعوذ بك من شر ما صنعت**) أي: أعتصم وألتجأُ بك من شر الذي صنعته، من شر مغبته وسوء عاقبته، أو من العَوْد إلى مثله من شر الأفعال.

قوله: (**أبوء لك بنعمتك عليَّ**) سقط لفظ لك من رواية النسائي، وأبوء: بالموحدة والهمز ممدود معناه: أعترف. ، ووقع في رواية عثمان بن ربيعة عن شداد: (**وأعترف بذنوبي**) وأصله البواء ومعناه اللزوم، ومنه بوأه الله منزلا إذا أسكنه فكأنه ألزمه به.

فهذا اعتراف وإقرار بنعم الله تعالى على عبده وأنه وحده المنعم المتفضل، وأنه المستحق للحمد والشكر.

قوله: (**وأبوء بذنبي**) أي أعترف أيضا، وقيل معناه أحمله برغمي لا أستطيع صرفه عني، وقال الطيبي: اعترف أولا بأنه أنعم عليه، ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الإنعام، ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها، ثم بالغ فعده ذنبا مبالغة في التقصير وهضم النفس. قلت: ويحتمل أن يكون قوله: (**أبوء لك بذنبي**) أعترف بوقوع الذنب مطلقا ليصح الاستغفار منه، لا أنه عد ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنبا.

قوله: (**فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**) يؤخذ منه أن من اعترف بذنبه غفر له، وقد وقع صريحا في حديث الافك الطويل وفيه: (**العبد اذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه**).

وفيه الاعتراف بأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده. قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 135].

قوله: (**من قالها من النهار موقنا بها...**) أي مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها، لكونها من كلام الصادق المصدوق صلوات ربِّي وسلامه عليه.

---

(1) رواه البخاري برقم (7288)، ومسلم برقم (2380).

قوله: (**فهو من أهل الجنة**) في رواية النسائي: (**دخل الجنّة**)، وفي رواية عثمان بن ربيعة: (**إلا وجبت له الجنة**).

ختم النبي ﷺ هذا الدعاء ببيان الأجر العظيم الذي يناله من يحافظ عليه كل صباح ومساء وأن من قالها (أي هؤلاء الكلمات) من النهار مصدقا بها ومعتقدا لها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة.

قال الحافظ في (الفتح): قال ابن أبي جمرة: جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمَّى سيد الاستغفار، ففيه: الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جَنَى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: فتضمن هذا الاستغفارُ الاعترافَ مِنَ العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده، والاعترافَ بأنه خالقه، العالم به، إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه والاعترافَ بأنه عبده الذي ناصيته بيده، وفي قبضته لا مهرب له منه، ولا وليَّ له سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده -وهو أمره ونهيه- الذي عهده إليه على لسان رسوله، وأن ذلك بحسب استطاعتي لا بحسب أداء حقك، فإنه غير مقدور للبشر، وإنما هو جهد المقل وقدر الطاقة، ومع ذلك فأنا مصدق بوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيم على عهدك مصدق بوعدك، ثم أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تعذني من شره وإلا أحاطت به الهلكة، فإن إضاعة حقك سبب الهلاك، وأنا أقر لك وألتزم بنعمتك عليَّ، وأقر وألتزم وأبخع بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومنِّي الذنب والإساءة، فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي وأن تعفيني من شره، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فلهذا كان هذا الدعاء سيد الاستغفار،

---

(1) فتح الباري (14/ 284).

وهو متضمن لمحض العبودية، فأي حسنة تبقى للبصير الصادق، مع مشاهدته عيوب نفسه وعمله، ومنة الله عليه؟ فهذا الذي يعطيه نظره إلى نفسه ونقصه[1].

فائدة: قال الحافظ في (الفتح): ليس لشدّاد بن أوس رضي الله عنه في البخاري إلا هذا الحديث الواحد[2].

80-(6) **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ[3] أُشْهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، ومَلائِكَتَكَ، وجَمِيْعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ ورَسُولُكَ) (أَرْبَعَ مَرَّاتٍ)**[4].

قوله: **(أشهدك)** أي: أجعلك شاهدا على إقراري بوحدانيتك، وأنك المعبود بحقٍّ، وأن محمدا عبد من عبادك شرَّفته برسالتك.

قوله: **(وأشهد حملة عرشك)** جمع حامل أي: حاملي عرشك. وهم أملاك في غاية القوة. قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: 17].

قوله: **(وملائكتك)** بالنصب عطف على الحملة تعميما بعد تخصيص. والملائكة هم عالم غيبي، خلقهم الله سبحانه من نور، وجعل الله لهم أعمالا خاصة، كل منهم يعمل بما أمره الله به.

[وهم عباد من عباد الله، ليسوا ببنات لله سبحانه، وليسوا بأولاد له عز وجل، وإنما هم عباد مكرمون مطهَّرون، يَعبُدون ولا يُعبَدون، ليسوا بذوي نقص لا في خلقتهم ولا في خلقهم ولا في عبادتهم لربهم عز وجل].

قوله: **(وجميع خلقك)** تعميم آخر لأن جميع الخلق تتناول الملائكة وغيرهم.

وجاء في الحديث أن من قالها أربعا: **(أعتقه الله من النار)** [5].

---

(1) مدارج السالكين (1/ 244).

(2) فتح الباري (14/ 282).

(3) وإذا أمسى قال: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ)**.

(4) رواه أبو داود برقم (5069)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (1201)، وابن السني برقم (70)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (9)، وضعفه الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم (25).

(5) عون المعبود (13/ 408).

81-(7) **(اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي[1] مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ ولَكَ الشُّكْرُ)** [2].

قوله: **(ما أصبح بي)** أي: حصل لي في الصباح، (قاله القاري). وقيل: ما أصبح متصلا بي.

قوله: **(من نعمة)** دنيوية أو أخروية. **(فمنك)** أي: حاصل منك. **(وحدك لا شريك لك)** توكيد بعد توكيد. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: 53].

وجاء في الحديث أن من قالها حين يصبح فقد أدى شكر يومه ومن قالها حين يمسي فقد أدى شكر ليلته.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث فضيلة عظيمة، ومنقبة كريمة حيث تكون تأدية واجب الشكر بهذه الألفاظ اليسيرة القليلة، وإن قائلها صباحا قد أدى شكر يومه، وقائلها مساءً قد أدى شكر ليلته مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ وإذا كانت النعم لا يمكن إحصاؤها، فكيف يقدر العبد على شكرها، فلله الحمد ولله الشكر على هذه الفائدة الجليلة المأخوذة من معدن العلم ومنبعه[3].

82-(8) **(اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ) (ثَلاثَ مَرَّاتٍ)**[4].

قوله: **(اللهم عافني في بدني)** أي: يا الله سلِّمني من الأمراض والأسقام والآفات في بدني.

قوله: **(اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري)** خاص بعد عام، فالمعافاة في البدن شاملة لكل الجسم، وخص هاتين الحاستين لعظم شأنهما.

(1) وإذا أمسى قال: **(اللَّهُمَّ مَا أَمْسَى بِي)**.

(2) رواه أبو داود برقم (5073)، وابن السني برقم (42)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (7)، وضعفه الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم (26).

(3) تحفة الذاكرين (ص90).

(4) رواه أبو داود برقم (5090)، وابن السني برقم (70)، والنسائي برقم (22) كلاهما في عمل اليوم والليلة، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، وصحيح الأدب المفرد برقم (701).

قال في (المرقاة): خصّهما بالذكر لأن البصر يدرك آيات الله المثبتة في الآفاق، والسّمع لإدراك الآيات المنزلة على الرسل، فهما جامعان لدرك الأدلة النقلية والعقلية.

وفي تقديم السمع إيماء إلى أفضليته ومنه قوله ﷺ: **(اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعلها الوارث منا)** [1]. اهـ[2].

قوله: **(لا اله إلا أنت)** أي: لا معبود بحقٍّ إلا أنت.

قوله: **(اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر)** الظاهر -والله أعلم- أراد الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير، ولا ورع حتى يتورط بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي حالة تورط.

وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها[3].

قال المناوي رحمه الله: فلا يستعاذ من جميع المخاوف والشدائد إلا بك أنت، وقرن الفقر بالكفر لأنه قد يجر إليه. اهـ[4].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الفقر وقرنه بالكفر فقال: **(اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر)**، فإن الخير نوعان: خير الآخرة والكفر يضاده، وخير الدنيا والفقر يضاده، فالفقر سبب عذاب الدنيا، والكفر سبب عذاب الآخرة[5].

فائدة: حديث: **(كاد الفقر أن يكون كفرا)** حديث ضعيف ضعَّفه الشيخ الألباني رحمه الله في تخريج أحاديث مشكلة الفقر (ص19).

83-(9) **(حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) (سَبْعَ مَرَّاتٍ)**[6].

---

(1) رواه الترمذي برقم (3604)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) مرقاة المفاتيح (5/ 323).

(3) شرح سنن النسائي (15/ 381).

(4) فيض القدير (2/ 135).

(5) عدة الصابرين (ص503).

(6) رواه أبو داود برقم (5081)، وابن السني برقم (72)، وقد روي مرفوعا وموقوفا، وصححه الشيخ الألباني في الضعيفة تحت الحديث (5286) عن أبي الدرداء موقوفا، ومثله لا يقال بالرأي.

وتمام الحديث قوله ﷺ: **(من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله عز وجل همَّه من أمر الدنيا والآخرة)**.

قوله: **(حسبي الله)** أي: كافيني الله. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: 64]. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: أي: الله وحده كافيك، وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد[1].

قوله: **(عليه توكلت)** أي: اعتمدت، وفوضت جميع أموري إليه، فالتوكل هو الاعتماد والتفويض.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وسر التوكل وحقيقته هو: اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله مع اعتماده على غيره، وركونه إليه، وثقته به[2].

قوله: **(وهو رب العرش العظيم)** الذي هو أعظم المخلوقات. وإذا كان رب العرش العظيم الذي وسع المخلوقات، كان ربا لما دونه من باب أولى وأحرى.

قوله: **(كفاه الله عز وجل همَّه من أمر الدنيا والآخرة)** أي: في كل ما يهمُّه من أمر الدنيا والآخرة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا[3].

84-(10) **(اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعَافيةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعَافيةَ في ديني ودُنْيَاي، وأَهْلِي، ومَالي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتي، وآمِنْ رَوْعَاتي، اللهُمَّ احْفَظْني مِنْ بيْنِ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي، وعَنْ يَميني، وعَنْ شِمَالي، ومِنْ فَوْقِي، وأَعُوذُ بِعَظَمَتكَ أنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتي)**[4].

---

(1) زاد المعاد (1/ 35).

(2) الفوائد (ص89)، وانظر للفائدة شرح الحديث رقم (16).

(3) بدائع الفوائد (ص 766).

(4) رواه أبو داود برقم(5074)، وابن ماجه برقم (3871)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (**اللهم إني أسالك العفو...**) الحديثَ.....

قوله: (لم يكن رسول الله ﷺ يدع) أي: يترك.

قوله: (**اللهم إني أسالك العفو**) العفو، أي: التجاوز عن الذنوب. (**والعافية**) أي: السلامة من كل مكروه وآفة.

قال في(النهاية): فالعَفوُ: محو الذنوب، والعافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا، وهي الصحة وضِد المرض[1].

قال ﷺ: (**سلوا الله العافية فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية**) [2]. قوله: (**بعد اليقين**) أي: الايمان.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا ما سئل الرب شيئا أحب إليه من العافية، لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن، والباطن في الدين والدنيا والآخرة[4].

قوله: (**في ديني ودنياي وأهلي ومالي**) يندرج تحته الوقاية من كل مكروه، مما علمه المرء أو لا يعلمه، من شرور الدنيا والآخرة. وقدَّم ﷺ سؤال العافية في الدين على غيره لأنه الأهم، والمصيبة فيه من أعظم المصائب.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه[5].

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص627).

(2) رواه الترمذي برقم (3558)، وابن ماجه برقم (3849)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(3) شفاء العليل (ص234).

(4) شرح مسلم (12/ 54).

(5) زاد المعاد (4/ 216).

قولـه: (**اللهـم استر عـوراتي**) أي: عيـوبي وخلـلي وتقصـيري، والعـورة: سَـوْءة الإنسـان، وكل مـا يسـتحيا مـن ظهـوره.

قولـه: (**وآمـن روعـاتي**) من الـروع، أي: الفزع والخـوف. قال الإمام السـندي رحمه الله: ومعنـى (**آمـن روعـاتي**) أي: ادفـع عنّي خوفـا يقلقنـي ويزعجنـي، وكأن التقدير: وآمنّـي مـن روعـاتي، عـلى قيـاس: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾. انتهـى من(حاشـيته عـلى ابن ماجه).

والأمـن مـن المخـاوف من أكـبر النعـم الدنيويـة، الموجبة لشـكر الله تعـالى، قال عز وجـل ممتنا عـلى قريـش: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريـش: 04-05].

قولـه: (**اللهـم احفظنـي من بين يـدي**) أي: مـن أمامـي. (**ومن خلفي وعـن يميني وعـن شـمالي ومن فوقي وأعـوذ بعظمتـك أن أغتال من تحتـي**) أغتال: بصيغـة المجهول أي أوخـذ بغتـة وأهلـك غفلة. قال الراغب: الغـول: إهلاك الشيء مـن حيث لا يحس بـه. وقـال ابن عـلان رحمـه الله: والاغتيال أن يخـدع ويقتل في وضع لا يـراه أحد[1].

قولـه: (**مـن تحتي**) قـال وكيع أحـد رواة الحديـث: يعني الخسـف. أي يريـد النبي ﷺ الاغتيـال مـن الجهة التحتانية: الخسـف. قـال في (القاموس): خسـف الله بفـلان الأرض غيَّبـه فيهـا قال العلماء: اسـتوعب الجهات السـت بحذافيرهـا، لأن ما يلحق الإنسـان من نحـو نكبـة وفتنـة إنما يصله من أحدهـا. قال الطيبي: عـم الجهات لأن الآفـات منها وبالغ في جهـة السـفل لـرداءة الآفـة[2]. وهـذا الحديث مـن جوامـع الأدعية إذ أجمل السـؤال من كل خـير والاسـتعاذة من كل شر.

85-(11) (**اللَّهُـمَّ عَـالِمَ الغَيْـبِ والشَّـهَادَةِ، فَاطِـرَ السَّـموَاتِ والأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَلِيْكَـهُ، أَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إلاَّ أَنْـتَ، أَعُوذُ بِكَ مِـنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِـنْ شَرِّ الشَّـيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وأَنْ أَقْـتَرِفَ عَـلَى نَفْسِي سُـوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْـلِمٍ**)[3].

---

(1) الفتوحات الربانية (3/ 111).

(2) عون المعبود (13/ 415).

(3) رواه أبـو داود برقـم (5067)، والترمـذي برقـم (3392)، وصححـه الشـيخ الألبـاني في صحيـح سـنن أبي داود.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، قال: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: (**قل: اللهم عالم الغيب والشهادة...**) الحديثَ..... قال: (**قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**).

قوله: (**اللَّهُمَّ عالم الغيب والشهادة**) أي: ما غاب عن العباد وظهر لهم.

قوله: (**فاطر السموات والأرض**) أي: خالقها ومبدعها على غير مثال سابق. (**رب كل شيء ومليكه**) فلا يخرج شيء عن ربوبيته، وهو المالك لكل شيء.

قوله: (**أعوذ بك من شرِّ نفسي**) لأن شر النفس يولد الذنوب والمعاصي.

وإليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله في خطبة الحاجة: (**ونعوذ بك من شرور أنفسنا**).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فمن عرف حقيقة نفسه وما طُبعت عليه، علم أنها منبع كل شر ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها ففضل من الله منَّ به عليها لم يكن منها. اهـ[1].

وتقديم الاستعاذة من شر النفس على الاستعاذة من شر الشيطان فيه الإشارة إلى مزيد الاعتناء بتزكية النفس وإصلاحها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس 9-10].

قوله: (**وشرِّ الشيطان**) أي: وسوسته وإغوائه وإضلاله.

قوله: (**وشركه**) قال الإمام الخطابي رحمه الله: يروى هذا على وجهين. أحدهما: شركه بكسر الشين وسكون الراء، ومعناه: ما يدعو إليه الشيطان ويوسوس به من الإشراك بالله سبحانه. والوجه الآخر: وشركه بفتح الشين والراء، يريد: حبائل الشيطان ومصايده. [2].

قوله: (**وأن أقترف على نفسي سوءا**) أي: أكتسب. (**أو أجره إلى مسلم**) أي: أو أجر السوء. قوله: (**قلها**) أي هذه الكلمات إذا (**أصبحت وإذا أمسيت**). (**وإذا أخذت مضجعك**) أي عند النوم.

---

(1) مدارج السالكين (1/ 242).

(2) شأن الدعاء (ص122).قلت: والرواية الثانية أوسع لأن الشرِّك من جملة مكائد الشيطان ومصايده، والأفضل أن يأتي بهذا مرة وبهذا مرة ولا يجمع بينهما والله أعلم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولما كان الشر له سبب هو مصدره، ومورده ومنتهاه، وكان السبب إما من ذات العبد وإما من خارج، ومورده ومنتهاه، إما نفسه، وإما غيره، كان هنا أربعة أمور: شر مصدره من نفسه ويعود على نفسه تارة وعلى غيره أخرى، وشر مصدره من غيره وهو السبب فيه، ويعود على نفسه تارة وعلى غيره أخرى. جمع النبي ﷺ هذه المقامات الأربعة في هذا الدعاء الذي علَّمه الصِّدِّيق أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه. فذكر مصدرَيِّ الشر، وهما النفس والشيطان، وذكر موردَيه ونهايتَيه، وهما: عوده على النفس أو على أخيه المسلم، فجمع الحديث مصادر الشر وموارده في أوجز لفظ وأخصره وأجمعه وأبينه[1].

فائدة: يقال هذا الذكر في الصباح وفي المساء وعند النوم.

86-(12) **(بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيْمُ) (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)**.[2].

والحديث بتمامه عن أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بِسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السَّماء وهو السَّميع العليم، ثلاث مرات فيضره شيء**)، وكان أبان قد أصابه طرف فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر؟ أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله عليَّ قدره.

قوله: (**بسم الله**) أي: بسم الله أستعيذ. فكل فاعل يقدر فعلا مناسبا لحاله عندما يبسمل، فالآكل يقدر آكل، أي: بسم الله آكل، والذابح يقدر أذبح، أي: بسم الله أذبح وهكذا.

قوله: (**الذي لا يضر مع اسمه**) أي: مع ذكر اسمه باعتقاد حسن ونية خالصة، قاله في (المرقاة).

قوله: (**شيء في الأرض ولا في السماء**) أي: لا تضره مصيبة من جهة الأرض ولا جهة السماء. و(شيء)نكرة في سياق النفي تفيد العموم.

---

(1) بدائع الفوائد (ص717-718).

(2) رواه أبو داود برقم (5088)، والترمذي برقم (3388)، وابن ماجه برقم (3869)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

قوله: (**وهو السميع العليم**) أي: السميع لأقوال العباد، العليم بأفعالهم، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: السميع الذي يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلّطه المسائل، ولا يتبرّم من إلحاح الملحّين في سؤاله. [1].

وقال: العالم بكل شيء الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم، فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرّة إلا بإذنه، يعلم دبيب الخواطر في القلوب حيث لا يطلع عليها الملك، ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطلع عليها القلب. [2].

وجاء في الحديث: أن من قالها في صباح كل يوم ثلاث مرات، ومساء كل ليلة ثلاث مرات لم يضره شيء. وجاء في رواية أبي داود: (**لم تصبه فجأة بلاء**) بفتح الفاء وسكون الجيم، وفي بعض النسخ بضم الفاء ممدودا، وفاجأه مفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب[3].

قوله: (وكان أبان قد أصابه طرف فالج) الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولا، قاله في (المعجم الوسيط). وقال في (النهاية): هو داء معروف يرخي بعض البدن.

قوله: (فجعل الرجل) أي المستمع (ينظر إليه) أي إلى أبان تعجبا.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن هذه الكلمات تدفع عن قائلها كل ضر كائنا ما كان وأنه لا يصاب بشيء في ليله ولا في نهاره إذا قالها في الليل والنهار، وكان أبان بن عثمان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل الذي سمع منه هذا الحديث ينظر إليه، فقال له أبان ما تنظر أما إِن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضيَ اللهُ عليَّ قَدَرَه. [4].

---

(1) إغاثة اللهفان (1/ 34).

(2) طريق الهجرتين (ص270).

(3) عون المعبود (13/ 432).

(4) تحفة الذاكرين (ص81).

87-(13) (**رَضِيْتُ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِيْنًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبيًّا) (ثَلاثَ مَرَّاتٍ)**.[1].

جاء في الحديث: أن من قالها ثلاثا حين يصبح، وثلاثا حين يمسي، كان حقًّا على الله أن يرضيه يوم القيامة. وقد تقدم شرح ألفاظه في (أذكار الأذان) الحديث رقم (23).

88-(16) (**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)**[2].

استفتح النبي ﷺ هذا الذكر العظيم باسمين من أسماء الله الحسنى وهما(الحي القيوم)المجموعين في أعظم آية من آيات القرآن الكريم وهي آية الكرسي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

فالحيُّ: معناه ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه.

والقيوم: معناه القائم بنفسه المقيم لغيره.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة.

وأما القيوم، فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته.

فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى وبكل صفة من صفاته، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين أن تكون في مظنة تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإنالة الطلبات[3].

---

(1) رواه أبو داود برقم (5072)، والترمذي برقم (3389)، وضعفه الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم(24)، والضعيفة برقم (5020).

(2) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي(1/ 739) برقم (2052)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم(570)، وحسنه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب برقم (661).

(3) بدائع الفوائد (679).

وقال في (النونيه):

هذا ومن أوصافه القيوم والـ	**قيوم في أوصافه أمران**
إحداهما القيوم قام بنفسه	**والكون قام به هما الأمران**
فالأول استغناؤه عن غيره	**والفقر من كل إليه الثاني**
والوصف بالقيوم ذو شأن كذا	**موصوفه أيضا عظيم الشان**
والحي يتلوه فأوصاف الكما	**ل هما لأفق سمائها قطبان**
فالحي والقيوم لن تتخلف الـ	**أوصاف أصلا عنهما ببيان.**

قوله: (**برحمتك أستغيث**) أي: أطلب الإغاثة وأطلب الإعانة.

قال في(العلم الهيب): قوله: (**أستغيث**) أي: أطلب الغوث، وهو العون، وتأخير الفعل للاختصاص، أي: نخصك بالاستغاثة. [1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإن الرحمة هنا صفته تبارك وتعالى، وهي متعلَّق الاستغاثة، فإنه لا يستغاث بمخلوق، ولهذا كان هذا الدعاء من أدعية الكرب لما تضمنه من التوحيد والاستغاثة برحمة أرحم الراحمين، متوسلا إليه باسمين عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، وهو اسم الحي القيوم.[2].

قوله: (**أصلح لي شأني كله**) أي: أمري كله لإفادة العموم.

قوله: (**ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**) أي: لا تتركني إلى نفسي لحظة أو لمحة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فما هلك من هلك إلا حيث وُكِلَ إلى نفسه[3].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: والحديث من جوامع الكلم لأن صلاح الشأن كله يتناول جميع أمور الدنيا والآخرة، فلا يفز شيء منها فيفوز قائل هذا إذا تفضل الله عليه بالإجابة بخيري الدنيا والآخرة، مع ما في الحديث من تفويض الأمور إلى الرب سبحانه وتعالى، فإن ذلك من أعظم الإيمان وأجلِّ خصاله وأشرف أنواعه. اهـ[4].

---

(1) العلم الهيب (ص337).

(2) بدائع الفوائد (ص678).

(3) مدارج السالكين (1/ 242).

(4) تحفة الذاكرين (ص92).

89-(15) (**أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ الـمُلْكُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ**[1]، **اللَّهُمَّ إِنِّيَ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا اليَوْمِ**[2]: **فَتْحَهُ، ونَصْرَهُ، وَنُورَهُ، وبَرَكَتَهُ، وهُدَاهُ، وأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شرِّ مَا فِيْهِ وَشرِّ مَا بَعْدَهُ**).[3]

قوله: (**أصبحنا**) أي دخلنا في الصباح.

قوله: (**وأصبح الملك لله**) أي: وأصبح كل شيء لله عز وجل، وكله تحت ملكه وتصرفه.

قوله: (**رب العالمين**) أي خالقهم وسيدهم ومصلحهم ومربيهم. والعالمون: هم مَن سوى الله.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: الرب هو المربِّي جميع العالمين -وهم مَن سوى الله- بخلقه لهم وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامَّة وخاصَّة.

فالعامَّة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصَّة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصَّة.

فدل قوله: (**ربِّ العالمين**) على انفراده بالخلق والتدبير والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار[4].

قوله: (**اللهم إني أسألك خير هذا اليوم، فتحَه**) أي: الظفر على المقصود.

---

(1) وإذا أمسى قَال: (**أَمْسَيْنَا وأَمْسَى الـمُلْكُ للهِ رَبِّ العَالَمِيَن**).

(2) وإذا أمسى قَال: (**اللَّهُمَّ إِنِّيَ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَتْحَهَا، ونَصْرَهَا ونُوْرَهَا، وبَرَكَتَهَا، وَهُدَاهَا، وأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فيْهَا وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا**).

(3) رواه أبو داود برقم (5084)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(4) تفسير سورة الفاتحة.

قوله: (**ونصره**) أي: النصرة على العدوِّ.

قوله: (**ونوره**) أي: بتوفيق العلم والعمل.

قوله: (**وبركته**) أي: بتيسير الرزق الحلال الطيب.

قوله: (**وهداه**) أي: الثبات على متابعة الهدى ومخالفة الهوى.

وقال الطيبي: قوله: فتحَه وما بعده: بيان لقوله خير هذا اليوم، والفتح هو الظفر بالتسلط صحرا وقهرا والنصر الإعانة والإظهار على العدو، وهذا أصل معناهما ويمكن التعميم فيهما يعني فيفيد التأكيد. [أي: بأن يراد بالفتح ما فتح الله لعبده على وفق قصده، والنصر الإعانة على العدو الظاهري والباطني، والنور تنبيه للعبد حتى يبصر به طريق الحق فيعمل به، والبركة دوام الطاعة، والهدى الهداية إلى طريق الإستقامة على المداومة إلى حسن الخاتمة.]

قوله: (**وأعوذ بك من شر ما فيه**) أي في هذا اليوم. (**وشر ما بعده**) واكتفى به عن سؤال خير ما بعده إشعارا بأن درء المفاسد أهم من جلب المنافع. (ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك)بأن يقول أمسينا وأمسى الملك وخير هذه الليلة ويؤنث الضمائر[1].

والمعنى: أعتصم وألتجأ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده من الأيام. أو من شر ما في هذه الليلة ومن شر ما بعدها من الليالي.

قال ابن علان رحمه الله في(الفتوحات): وكأن وجه الاستعاذة من شر ما بعد اليوم دون سؤال خيره أن الإعتناء بدفع المفاسد أهم منه بجلب المصالح، ومن قواعدهم درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. اهـ[2].

90-(16) (**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ**[3]**، وعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلاصِ، وعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّم، وعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفًا مُسْلِمًا ومَا كَانَ مِنَ الـمُشْرِكِينَ**)[4].

---

(1) مرقاة المفاتيح (5/ 322-323).

(2) الفتوحات الربانية (3/ 115).

(3) وإذا أمسى قال: (**أَمْسَينا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ**).

(4) رواه أحمد برقم (15360)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (35)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (1)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (4674).

قوله: (**أصبحنا**) أي دخلنا في الصباح. وهكذا المعنى في قوله: (**أمسينا**).

قوله: (**فطرة الإسلام**) أي: دين الإسلام الذي فطر الله الناس عليه. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: 30].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فبيّن سبحانه أن إقامة الوجه-وهو إخلاص القصد وبذل الوسع لدينه المتضمّن محبّته وعبادته حنيفا مقبلا عليه معرضا عمّا سواه-هو فطرته التي فطر عليها عباده، فلو خلّوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك، ولا اختاروا سواه[1].

قوله: (**كلمة الإخلاص**) أي: كلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نُصبت الموازين ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خُلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القِبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى بتحقيق(**لا إله إلا الله**)معرفة وإقرارا وعملا. وجواب الثانية بتحقيق(**أن محمدا رسول الله**)معرفة وإقرار، وانقيادا وطاعة. [2].

قوله: (**وعلى دين نبينا محمد** ﷺ) الذي رضيه الله لعباده دينا، وبعث به نبيه محمدا ﷺ، وقال فيه سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة: 3]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85]. وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

---

(1) مفتاح دار السعادة (2/ 503).

(2) زاد المعاد (1/ 34)، وانظر لفضائل هذه الكلمة العظيمة رسالة الحافظ ابن رجب رحمه الله (كلمة الاخلاص) فهي فريدة من نوعها.

قوله: (**وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين**) أي: وأصبحنا(أو أمسينا) على هذه الملة المباركة، ملة إبراهيم الخليل وهي الحنيفية المسلمة المائلة عن الشرك إلى التوحيد قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: 130].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن طريقته ومنهجه، فيخالفها ويرغب عنها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره، بتركه الحق إلى الضلال. [1].

91-(17) (**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) (**مِئَةَ مَرَّةٍ**). [2].

وتمام الحديث هو قوله ﷺ: (**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مئة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**).

قوله: (**سبحان الله**) معناه تنزيه الله عمّا لا يليق به من كل عيب ونقص.

قال الإمام النووي رحمه الله: قال أهل العربية وغيرهم: التسبيح: التنزيه، وقولهم: (**سبحان الله**) منصوب على المصدر. يقال: سبّحت الله تسبيحا وسبحانا، فسبحان الله معناه: براءة وتنزيها له من كل نقص وصفة للمحدث.

قالوا: وقوله: (**وبحمدك**) أي: وبحمدك سبَّحتك، ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبَّحتك، لا بحولي وقوتي، ففيه: شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى، وأن كل الأفعال له، والله أعلم. [3].

قوله: (**مئة مرة**) تعيين المئة لحكمة أرادها الشارع، وخفي وجهها علينا.

قوله: (**بأفضل مما جاء به**) أي: بشيء أفضل مما جاء به هذا القائل.

قوله: (**أو زاد عليه**) يدل على أن الزيادة لا تضر في تعيين العدد، بخلاف النقصان.

قال العلماء: وفيه دليل على أنه لو قال هذا التسبيح أكثر من مائة مرة كان له هذا الأجر المذكور في الحديث على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة،

---

(1) تفسير ابن كثير(2/ 98).

(2) رواه مسلم برقم (2692).

(3) شرح مسلم (4/ 222).

وليس هذا من الحدود التي نهي عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها وأن زيادتها لا فضل فيها، أو تبطلها كالزيادة في عدد الطهارة وعدد ركعات الصلاة، ويحتمل أن يكون المراد بالزيادة من أعمال الخير لا من نفس التسبيح، ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة، سواء كانت من التسبيح أو من غيره أو منه ومن غيره، وهذا الاحتمال أظهر، والله أعلم. وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور في هذا الحديث لمن قال هذا التسبيح مائة مرة في يومه، سواء قالها متوالية، أو متفرقة في مجالس أو بعضها أول النهار، وبعضها آخره، لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار، لتكون حرزا له في جميع نهاره. [1].

92-(18) (**لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**). [عشر مرات][2]. أو (مرة واحدة عند الكسل)[3].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (**من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحد لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير -عشر مرات- كتب الله له بهن عشر حسنات ومحا بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكنَّ له عدل عتاقة أربع رقاب، وكنَّ له حرسا حتى يمسي، ومن قالهن إذا صلى المغرب دبر صلاته، فمثل ذلك حتى يصبح**).

قوله: (**من قال إذا أصبح**) قال الشيخ الألباني رحمه الله: أي: إذا صلى الصبح، ففي حديث أبي هريرة: (**بعدما يصلي الغداة**) عند الحسن بن عرفة والخطيب بسند صحيح، ويؤيده قوله الآتي في الحديث: (... **ومن قالهن إذا صلى المغرب**...). اهـ[4].

قوله: (**وكنَّ له عدل عتاقة أربع رقاب**) وفي رواية: (**وكنَّ له عدل عشر رقاب**)[5].

---

(1) مستفاد من شرح مسلم (17/ 21).

(2) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (24)، وصححه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب (1/ 225) برقم (650).

(3) رواه أبو داود برقم (5077)، وابن ماجه برقم (3867)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ولم أقف على قول المصنف حفظه الله: (**مرة واحدة عند الكسل**)، والله أعلم.

(4) التعليق على الترغيب والترهيب (1/ 225).

(5) الصحيحة برقم (114).

العدل: بالكسر وفتحه لغة: هو المثل، وقال بعضهم(العدل)بالكسر: ما عادل الشيء من جنسه، وبالفتح: ما عادله من غير جنسه. [1].

والعتق بكسر المهملة إزالة الملك. قال الأزهري: وهو مشتق من قولهم: عتق الفرس، إذا سبق، وعتق الفرخ إذا طار، لأن الرقيق يتخلص بالعتق ويذهب حيث شاء[2].

قال في (النهاية): يقال: أعتقت العبد أعتقه عِتقا وعَتاقة، فهو معْتَق وأنا معْتِق، وعَتق هو فهو عَتيق أي: حررته فصار حرًا. [3].

فضله: قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ...﴾ [البلد: 11-16].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(أيما رجل أعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار)**[4].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدَّقه، فله أجران. وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده، فله أجران. ورجل كانت له أمَة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران)**[5].

والمعنى أنه من قال هذا الذكر إذا صلى الصبح(عشر مرات)، وإذا صلى المغرب(عشر مرات) أو(مرة واحدة)إذا أصبح و(مرة واحدة)إذا أمسى نال هذا الأجر العظيم، فتكتب له عشر حسنات، وتمحى عنه عشر سيئات، ويرفعه الله عشر درجات، وكان له أجر مثل إعتاق عشر رقاب، وكان في حرز من الشيطان. والله الموفق.

---

(1) الترغيب والترهيب (1/ 225).

(2) فتح الباري (6/ 335).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص591).

(4) رواه البخاري برقم (2517)، ومسلم برقم (1509).

(5) رواه البخاري برقم (97)، ومسلم برقم (154).

93-(19) (**لَا إِلَـهَ إلاَّ اللهُ، وَحْـدَهُ لا شريـكَ لـهُ، لَـهُ المُلْـكُ ولَـهُ الحَمْدُ، وهُـوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديـرٌ**). (**مئةَ مَـرَّةٍ إذَا أصْبَـحَ**).[1].

وتمـام الحديـث هو قوله عليه الصلاة والسـلام: (**من قال: لا إلـه إلا الله وحد لا شريك لـه، لـه الملـك وله الحمـد، وهو عـلى كل شيء قديـر في يوم مائة مـرة، كانت لـه عدل عشر رقـاب، وكتبـت لـه مائة حسـنة، ومحيـت عنه مائـة سـيئة، وكانت له حـرزا من الشـيطان يومـه ذلـك حتـى يمسي، ولم يـأت أحـد بأفضل مما جـاء به إلا أحـد عمل أكثر مـن ذلك**) وهذا لفـظ الإمام البخـاري رحمه الله.

قولـه: (**عـدل**) بفتح العين، قال الفـراء: العدل بالفتـح ما عدل الشيء من غير جنسـه، وبالكـسر المثل.[2]. وقد تقـدم قريبا قول الإمام المنـذري رحمه الله.

قولـه: (**حـرزا**) أي: حفظا وصَونا. قـال في(النهايـة): في حديث يأجـوجَ ومأْجوج[3]: (**فحَرِّزْ عِبادِي إلى الطُّـور**) أي: ضُمَّهُـم إليه، واجْعَلْـه لهم حِـرْزًا. يقال: أحْرَزْتُ الشيءَ، أُحْـرِزُه إحْـرازًا، إذا حَفِظْتَـه، وضَمَمْتَـه إليـك، وصُنْتَه عـن الأخذِ. ومنه حديـث الدعاء: (**اللهـمَّ اجْعَلنا في حِـرْزٍ حَارِزٍ**) أي: كهـف منيع. اهـ[4].

قولـه: (**كانـت لـه عـدل عـشر رقـاب، وكتبـت لـه مائـة حسـنة،...**) قـال الإمـام القرطبـي رحمـه الله: يعني أن ثـواب هذه الكلـمات بمنزلة ثواب من أعتـق عشر رقاب، وقـد تقـدم في العتـق: أن مـن أعتـق رقبـة واحدة أعتـق الله بـكل عضو منها عضـوا منه مـن النـار، ثـم يـزاد مـع ذلك كتـب مئة حسـنة، ومحـو مئة سـيئة، يجمـع ذلك كلـه له، وكل واحـد مـن هذه الحسـنات مضاعفة بعـشر، كما قال تعـالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعـام: 160].

قوله: (**وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي**) يعني أن الله تعالى يحفظه من الشيطان في ذلك اليوم فلا يقدر منه على زلة، ولا وسوسة ببركة تلك الكلمات.

قلـت (أي الإمـام القرطبـي): وهـذه الأجـور العظيمـة، والعوائـد الجمـة إنـما تحصل كاملـة لمـن قام **بحـق** هذه الكلـمات، فأحـضر معانيهـا بقلبه، وتأملهـا بفهمـه، واتضحت

---

(1) رواه البخاري برقم (3293)، ومسلم برقم (2691).

(2) فتح الباري (14/ 446).

(3) رواه مسلم برقم (2937).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص199).

له معانيها، وخاض في بحار معرفتها ورتع في رياض زهرتها، ووصل فيها إلى عين اليقين، فإن لم يكن، فإلى علم اليقين، وهذا هو الإحسان في الذكر، فإنه من أعظم العبادات. وقد قال ﷺ فيما قدمناه في الإحسان: **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**. [1].

قوله: (ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك) قال الإمام النووي رحمه الله: هذا فيه دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم، كان له هذا الأجر المذكور في الحديث على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة. وليس هذا من الحدود التي نهى عن اعتدائها، ومجاوزة أعدادها، وأن زيادتها لا فضل فيها، أو تبطلها.

وظاهر إطلاق هذا الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور في هذا الحديث من قال هذا التهليل مائة مرة في يومه، سواء قاله متوالية، أو متفرقة في مجالس، أو بعضها أول النهار وبعضها آخره لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار، ليكون حرزا له في جميع نهاره. اهـ[2].

وفي الحديث فضل هذا الذِّكر العظيم وأن من قاله في يوم مائة مرة نال هذا الأجر العظيم.

فائدة: جاء في إحدى روايات هذا الحديث: (من قال في يوم مائتي مرّة[مائة إذا أصبح، ومائة إذا أمسى]: **(لا إله إلا الله...)** الحديثَ..... أخرجها النسائي برقم(576/ 577)، وابن السني برقم(73)، كلاهما في عمل اليوم والليلة، وحسّنها الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم(2762). **وقال:** واعلم أن هذا العدد(المائة) هو أكثر ما وقفت عليه فيما صح من الذِّكر. وأما عدد الألف، فلم أره إلا في هذه الرواية المنكرة، (ذكرها الشيخ رحمه الله أثناء تخريج الحديث)، وفي حديث آخر في التسبيح بسند ضعيف خرّجته في الكتاب الآخر (أي الضعيفة) برقم: (5296).

94-(20) **(سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ) (ثلاثَ مَرَّاتٍ إذَا أَصْبَحَ)**. [3].

---

(1) المفهم (7/ 19-20).

(2) شرح مسلم (17/ 21)، وقد تقدم قريبا.

(3) رواه مسلم برقم (2726).

والحديث بتمامه عنِ ابن عباس رضي الله عنهما، عن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرةً حين صلَّى الصبح، وهي في مسجدها. ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة. فقال: (**ما زلتِ على الحال التي فارقتكِ عليها؟**) قالت: نعم. قال النبي ﷺ: (**لقد قلت بعدكِ أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**).

قوله: (خرج من عندها بكرةً) بالتنوين أي في (بكرة) من البكر.

قوله: (وهي في مسجدها) أي: موضع صلاتها.

قوله: (ثم رجع) أي: عاد إلى منزلها (بعد أن أضحى) أي: دخل في وقت الضحى.

قوله: (**ما زلتِ على الحال التي فارقتكِ عليها؟**) أي: من التوجه للذكر.

قوله: (**بعدكِ**) بكسر الكاف لأن الخطاب لجويرية بنت الحارث أم المؤمنين -رضي الله عنها- ومعنى بعدكِ: أي: بعد مفارقتكِ وخروجي من عندكِ.

قوله: (**لو وزنت**) بالبناء للمفعول أي: قوبلت (**بما قلت**) من الأذكار. (**لوزنتهن**) أي: لساوتهن في أجرهن وقابلتهن في فضلهن. و**قيل**: لرجحت عليهن في الوزن.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في(المفهم): أي لرجحت عليهن في الثواب. وهو دليل على أن الدعوات والأذكار الجوامع يحصل عليهن من الثواب أضعاف ما يحصل على ما ليست كذلك. ولذلك كان ﷺ يحب الدعوات الجوامع. اهـ[1].

قوله: (**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه**) أي: تسبيحا عدد خلقه. وكذا في قوله: (**ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**).

قوله: (**ورضا نفسه**) أي: ذاته المقدسة العلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ونفسه هي ذاته المقدسة. اهـ[2].

وقال أيضا: ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، كما يقال: رأيت زيدا نفسه وعينه، وقد قال تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾، وفي الحديث الصحيح، أنه قال لأم المؤمنين: (**لقد قلت بعدك أربع كلمات، لو وزن بما قلتيه**

---

(1) المفهم (7/ 51).

(2) مجموع الفتاوى (14/ 196).

لوزنتهن: **سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**). وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي ﷺ: (**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم**) فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ. اهـ[1].

قوله: (**وزنة عرشه**) أصل زنة: وزن، كعدة أصلها وعد بكسر الواو وسكون الزاي. والمراد: زنة ما لا يعلم قدر وزنه إلا الله وهو العرش.

قوله: (**ومداد كلماته**) بكسر الميم مصدر المد بمعنى المدد وهو ما كثرت به الشيء، والمراد: ما يكتب به كالحبر، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ١٠٩﴾ [الكهف: 109]. أي: لو كان ماء البحر مدادا تكتب به كلمات الله تعالى لنفذ ماء البحر ولم تنفذ كلمات الله، لأن كلمات الله لا منتهى لها. والمراد بـ(كلماته): كلامه وقوله سبحانه وتعالى الذي لا نفاد له، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد، فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر بعد معرفة هذا الذكر وفهمه.

فإن قول المسبح: (**سبحان الله وبحمده عدد خلقه**) تضمن إنشاء وإخبارا:

تضمن إخبارا عما **يستحقه** الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان، وهو كائن، إلى ما لا نهاية له فتضمن الإخبار عن تنزيهه وتعظيمه والثناء عليه هذا العدد العظيم، الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون.

وتضمن إنشاء العبد لتسبيح هذا شأنه، لا أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره وعدده، بل أخبر أن ما يستحقه الرب سبحانه وتعالى من التسبيح: هو تسبيح يبلغ هذا العدد الذي لو كان في العدد ما يزيد لذكره، فإن تجدد المخلوقات لا ينتهي عداده، ولا يحصى لحاصر.

(1) مجموع الفتاوى (9/ 292-293).ر

وكذلك قوله: **(ورضا نفسه)** وهو يتضمن أمرين عظيمين:

أحدهما: أن يكون المراد تسبيحا هو في العظمة والجلال مساوٍ لرضا نفسه، كما أنه في الأول مخبر عن تسبيح مساوٍ لعدد خلقه، ولا ريب أن رضا نفس الرب أمر لا نهاية له في العظمة والوصف، والتسبيح ثناء عليه سبحانه يتضمن التعظيم والتنزيه.

فإذا كانت أوصاف كماله ونعوت جلاله لا نهاية لها ولا غاية، بل هي أعظم من ذلك وأجل، كان الثناء عليه بها كذلك، إذ هو تابع لها إخبارا وإنشاء، وهذا المعنى ينتظم بالمعنى الأول من غير عكس.

وإذا كان إحسانه وثوابه وبركته وخيره لا منتهى له، وهو من موجبات رضاه وثمرته، فكيف بصفة الرضا؟

والرضا يستلزم المحبة والإحسان والجود والبر والعفو والصفح والمغفرة والرحمة.

والخلق يستلزم العلم والقدرة والإرادة والحياة والحكمة.

وكل ذلك داخل في رضا نفسه، وصفة خلقه.

وقوله: **(وزنة عرشه)** فيه إثبات العرش، وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيء أثقل منه لوزن به التسبيح، وهذا يرد على من يقول: إن العرش ليس بثقيل ولا خفيف. وهذا لم يعرف العرش، ولا قدره حق قدره.

فالتضعيف الأول: للعدد والكمية. والثاني: للصفة والكيفية.

والثالث: للعظم والثقل وكبر المقدار.

وقوله: **(ومداد كلماته)** هذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها، فإن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره، ولا لصفته، ولا لعدده. قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: 109]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: 27].

ومعنى هذا أنه لو فرض البحر مدادا، وبعده سبعة أبحر تمده، كلها مدادا، وجميع أشجار الأرض أقلاما-وهو من قام منها على ساق من النبات والأشجار المثمرة،

وغير المثمرة-والأقلام تستمد بذلك المداد فتفنى البحار والأقلام، وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفذ. (**فسبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**).

فأين هذا من وصف من يصفه بأنه ما تكلم، ولا يتكلم، ولا يقوم به كلام أصلا؟

وقول من وصف كلامه بأنه معنًى واحد لا ينقضي ولا يتجزأ، ولا له بعض ولا كل، ولا هو سور وآيات، ولا حروف وكلمات.

والمقصود أن في هذا التسبيح من صفات الكمال، ونعوت الجلال ما يوجب أن يكون أفضل من غيره، وأنه لو وزن غيره لوزن به، وزاد عليه. وهذا بعض ما في هذه الكلمات من المعرفة بالله، والثناء عليه بالتنزيه والتعظيم، مع اقترانه بالحمد المتضمن لثلاثة أصول:

أحدها: إثبات الكمال له سبحانه، والثناء عليه. والثاني: محبته والرضا به.

فإذا انضاف هذا الحمد إلى التسبيح والتنزيه على أكمل الوجوه، وأعظمها قدرا وأكثرها عددا، وأجزلها وصفا، واستحضر العبد ذلك عند التسبيح، وقام بقلبه معناه: كان له من المزية والفضل ما ليس لغيره، وبالله التوفيق. [1].

توضيح مهم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقول النبي ﷺ لأم المؤمنين جويرية[رضي الله عنها]: (**لقد قلت بعدك أربع كلمات.....**). **فمعناه**: أنه -سبحانه- **يستحق** التسبيح بعدد ذلك، كقوله ﷺ: (**ربنا ولك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد**)، ليس المراد أنه سبّح تسبيحا **بقدر** ذلك.

فالمقدار تارة يكون وصفا لفعل العبد، وفعله محصور، وتارة يكون لما يستحقه الرب، فذاك الذي يعظم قدره، وإلا فلو قال المصلي في صلاته: سبحان الله عدد خلقه، لم يكن قد سبّح إلا مرة واحدة. ولما شرع النبي ﷺ أن يسبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، ويحمد ثلاثا وثلاثين، ويكبر ثلاثا وثلاثين. فلو قال: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، عدد خلقه، لم يكن قد سبّح إلا مرة وحدة. [2].

---

(1) المنار المنيف (ص17-20).

(2) مجموع الفتاوى (33/ 12)، وقد أشار إليه العلامة ابن القيم في شرحه للحديث.

95-(21) **(اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نافِعًا، ورِزْقًا طَيِّبًا، وعَملًا مُتقَبَّلًا) (إذا أَصْبَحَ)**[1].

تقدم شرحه، انظر الحديث رقم (73).

96-(22) **(أستَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إليهِ) (مِئَةَ مَرَّةٍ في اليَوْمِ)**[2].

قوله: **(أستغفر الله)** أي: أطلب مغفرته. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الاستغفار هو محو الذنب وإزالة أثره، ووقاية شره[3].

(وأتوب إليه) أي: أرجع إليه. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا. [4].

قال الحافظ في(الفتح): ظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل أن يكون المراد: يقول هذا اللفظ بعينه، ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: **(أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة)**. [5].

فائدتانِ: 01-كثيرا ما تأتي التوبة في النصوص مقرونة بالاستغفار، وفي هذا دلالة على عظم التلازم بينهما وشدة احتياج العبد إليهما.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى: فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى فالاستغفار منه: طلب وقاية شره. وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل[6].

02-ذكر أهل العلم وجوها متعددة في استغفار النبي ﷺ وتوبته وهو معصوم منها: أنه كان يستغفر لما كان يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر، وهو الذي

(1) رواه ابن ماجه برقم (925)، وابن السني برقم (55)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(2) رواه البخاري برقم (6307)، ومسلم برقم (2702).

(3) مدارج السالكين (1/ 334)، وقد تقدم.

(4) مدارج السالكين (1/ 333)، وقد تقدم.

(5) فتح الباري (14/ 285).

(6) مدارج السالكين (1/ 335)، وقد تقدم.

فسّر به(الغين). ومنها: أنه تعليم لأمته لتستن به... الخ. وانظر للفائدة شرح الحديث رقم (253).

97-(23) **(أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) (ثَلاثَ مَرَّاتٍ إِذَا أَمْسَى)**[1].

وجاء في الحديث: **(أن من قالها حين يمسي ثلاث مرات لم تضره حُمَة تلك الليلة)**.

قوله: **(أعوذ بكلمات الله التامات)** قال الإمام الخطابي رحمه الله: فأما قول النبي ﷺ: **(أعوذ بكلمات الله التامات)** فإن كلمته القرآن، ووصفه بالتمام تنزيها له عن أن يلحقه نقص أو عيب، كما يوجد ذلك في كلام الآدميين[2]. وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: قال الهروي وغيره: الكلمات هي القرآن، والتامات قيل هي الكاملات، والمعنى أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس، وقيل: هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوذ منه[3].

قوله: **(من شر ما خلق)** قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قد دخل في قوله: **(من شر ما خلق)** الاستعاذة من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره، إنسيا كان أو جنيا، أو هامة أو دابة، أو ريحا أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع البلاء[4].

قوله: **(لم تضره حُمة تلك الليلة)** الحُمة بالتخفيف: لدغة كل ذي سم كالعقرب ونحوها. ويخطأ البعض فيضبطها: حُمَّة بتشديد الميم، والحُمَّة والحُمَّى بمعنى واحد، وهو: ارتفاع حرارة الجسم من مرض وعلّة، فتنبَّه.

قال في(النهاية): الحمة-بالتخفيف-: السّمّ، وقد يشدّد، وأنكره الأزهري، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السّم منها يخرج. ومنه حديث الدجال: **(وتنزع حمة كل دابّة)** أي: سمّها. اهـ[5].

---

(1) رواه الترمذي برقم(3604)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (6427).

(2) غريب الحديث (1 / 252).

(3) تحفة الذاكرين (ص82).

(4) بدائع الفوائد (ص726).

(5) النهاية في غريب الحديث (ص235).

فالحديث فيه دلالة على فضل هذا الدعاء، وأن من قاله حين يمسي ثلاث مرات لم يضره لدغ عقرب أو حية أو نحو ذلك.

لطيفة: أورد الترمذي عقب الحديث عن سهيل بن أبي صالح -أحد رواة الحديث- أنه قال: (فكان أهلنا تعلموها، فكانوا يقولونها كل ليلة، فلدغت جارية منهم، فلم تجد لها وجعا).

فائدة: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: احتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلمات الله غير مخلوقة بأن النبي ﷺ استعاذ بها بقوله: **(أعوذ بكلمات الله التامات)** وهو ﷺ لا يستعيذ بمخلوق أبدا[1].

98-(24) **(اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُـحَمَّدٍ) (عَشْرَ مَرَّاتٍ)**[2].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: **(مَنْ صلَّى عليَّ حين يصبح عشرا، وحين يمسي عشرا، أدركته شفاعتي يوم القيامة)**.

تقدم في الحديث رقم (20)، معنى الصلاة على النبي ﷺ، وتقدم في الحديث رقم (24)معنى الشفاعة، فارجع إلى شرح هذه الأحاديث تستفد، وانظر أيضا باب(فضل الصلاة على النبي ﷺ) والله ولي التوفيق.

---

(1) بدائع الفوائد (ص708).

(2) قال المنذري: أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد، وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (5788).

28 أذكار النوم

99-(1) (يَجْمَعُ كَفَّيْهِ ثُمَّ يَنْفُثُ فيهما فيَقْرأ فِيْهِمَا: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ؛ يَبْدأُ بِهِمَا عَلَى رَأسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ). (يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ)[1].

جاء في أول الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقال:....

قولها: (كان إذا أوى إلى فراشه) أي: إذا رجع إليه وضمَّه فراشُه، ودخل فيه.

قولها: (كل ليلة) فيه دلالة على محافظة النبي ﷺ على هذا التعوُّذ في جميع لياليه.

قولها: (جمع كفيه) أي: ضم يديه وألصق إحداهما بالأخرى، وهما مفتوحتان إلى جهة الوجه، ليباشر النفث فيهما.

قولها: (ثم نفث فيهما) أي: اليدين. قال أهل اللغة: النّفث: نفخ لطيف بلا ريق. قال في (النهاية): وهو شبيه بالنّفخ، وهو أقل من التّفل، لأن التفل لا يكون الا ومعه شيء من الريق[2].

قولها: (ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده) (يفعل ذلك ثلاث مرات) فيه دليل على أن السنة أن يمسح بيديه ما استطاع من بدنه، يبدأ على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، ثم ينتهي إلى ما أدبر منه، يفعل ذلك ثلاث مرات.

---

(1) رواه البخاري برقم (5017)، ومسلم برقم (2192).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص929).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: هذا وفي الحديث: أن **السنة** أن ينفث في كفيه أولا، ثم يقرأ، ثم يمسح، هذا ظاهر جدا فيه.... [1].

فائدة: لم يثبت عنه ﷺ مسح الوجه إلا في هذا الموطن، فلا يصح أن يعمم في كل ذكر ودعاء، فتنبَّه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما مسحه وجهه بيديه فليس عنه فيه إلا حديث أو حديثان لا تقوم بهما حجة[2].

100-(2) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: 255][3].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه. فأصبحت، فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك، وسيعود). فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود. فرحمته فخليت سبيله. فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟) قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخليت سبيله. قال: (أما إنه قد كذبك، وسيعود). فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ماهن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

(1) السلسلة الصحيحة (7/ 282)، وقد ذكر الشيخ جملة من الفوائد أنصحك بأن تطّلع عليها فهي من النفائس.

(2) مجموع الفتاوى (12/ 519)، فقه الأدعية والأذكار (3/ 54).

(3) رواه البخاري برقم (2311)، وقد تقدم.

﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]. حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلّمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: (**ما هي؟**) قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: (**أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**) قال: لا. قال: (**ذاك شيطان**).

قوله: (**فجعل يحثو من الطعام**) يقال: حثا يحثو وحثي يحثي، والمراد أنه كان يأخذ منه.

قوله: (**لأرفعنك**) أي: لأذهبن بك أشكوك، يقال: رفعه إلى الحاكم إذا أحضره للشكوى.

قوله: (**إني محتاج وعليَّ عيال**) أي: نفقة عيال أو (**عليَّ**) بمعنى لي.

قوله: (**فرصدته**) أي: رقبته.

قوله: (لن يزال عليك من الله حافظ) أي: من عند الله أو من جهة أمر الله أو من بأس الله ونقمته.

قوله: (**وكانوا**) أي الصحابة (**أحرص شيء على الخير**) فيه التفات، إذ السياق يقتضي أن يقول: وكنا أحرص شيء على الخير، ويحتمل أن يكون هذا الكلام مدرجا من كلام بعض رواته، وعلى كل حال فهو مسوق للاعتذار عن تخلية سبيله بعد المرة الثالثة حرصا على تعلُّم ما ينفع.

قوله: (**ذاك شيطان**) أي: شيطان من الشياطين.

قوله: (**وهو كذوب**) من التتميم البليغ الغاية في الحسن، لأنه أثبت له الصدق فأوهم له صفة المدح، ثم استدرك ذلك بصفة المبالغة في الذم بقوله (**وهو كذوب**).

وفي الحديث من الفوائد:

أن الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن، وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فيُنتفع بها، وأن الشخص قد يعلم الشيء ولا يعمل به، وأن الكافر

قد يصدق ببعض ما يصدق به المؤمن ولا يكون بذلك مؤمنا، وبأن الكذاب قد يصدق، وبأن الشيطان من شأنه أن يكذب، وأنه قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]. مخصوص بما إذا كان على صورته التي خُلق عليها، وأن من أقيم في حفظ شيء سمِّي وكيلا، وأن الجن يأكلون من طعام الإنس، وأنهم يظهرون للإنس لكن بالشرط المذكور، وأنهم يسرقون ويخدعون، **وفيه فضل آية الكرسي**[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم، ولهذا يهربون من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، ويهربون من قراءة **آية الكرسي** وآخر سورة البقرة، وغير ذلك من قوارع القرآن. [2].

فائدة: مما سبق ذكره في الأحاديث المتقدمة بشأن هذه الآية العظيمة يتبين لنا استحباب قراءتها ثمان مرات في كل يوم وليلة، **خمس** مرات أدبار الصلوات المكتوبات، **ومرتين** في الصباح والمساء، **ومرة** عند النوم وبالله التوفيق.

101-(3) ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: 285-286]. [3].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: **(من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)** ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: 285-286].

قال الحافظ في (الفتح): قوله: **(كفتاه)**: أي: أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن، وقيل: أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقا سواء كان داخل الصلاة أو خارجها، وقيل: معناه أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال

(1) فتح الباري (6/ 102).

(2) النبوات (ص1018)، وقد تقدم.

(3) رواه البخاري برقم (4008).

إجمالا، وقيل: معناه كفتاه كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل: معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وقال النووي: قيل: معناه كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، ويحتمل من الجميع، هذا آخر كلامه.

وعلى هذا فأقول(أي الحافظ): يجوز أن يراد جميع ما تقدم والله أعلم. اهـ[1].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: أي أغنتاه عن قيام تلك الليلة بالقرآن، أو أجزأتاه عن قراءة القرآن أو أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملت عليه من الإيمان والأعمال إجمالا، أو وقتاه من كل سوء ومكروه، أو كفتاه شر الشياطين، أو شر الثقلين، أو شر الآفات كلها، أو كفتاه بما حصل له من الثواب عن ثواب غيرها، ولا مانع من إرادة هذه الأمور جميعها، ويؤيد ذلك ما تقرر في علم المعاني والبيان من أن حذف المتعلق مشعر بالتعميم، فكأنه قال: كفتاه من كل شر أو من كل ما يخاف، وفضل الله واسع. [2].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: الصحيح أن معناها: كفتاه من شر ما يؤذيه، وقيل كفتاه من قيام الليل وليس بشيء. [3].

تفسير الآيتين:

قال الشيخ السعدي رحمه في تفسيره: يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل، وتنزيهه عن التمثيل والتعطيل وعن جميع صفات النقص، ويتضمن الإيمان بالملائكة الذين نصَّت عليهم الشرائع جملة وتفصيلا، وعلى الإيمان بجميع الرسل والكتب أي: بكل ما أخبرت به الرسل وتضمنته الكتب من الأخبار والأوامر والنواهي، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، بل يؤمنون بجميعهم، لأنهم وسائط بين الله وبين عباده، فالكفر ببعضهم

(1) فتح الباري (11/ 238).

(2) تحفة الذاكرين (ص105).

(3) الوابل الصيب (ص249).

كفر بجميعهم بل كفر بالله، ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ ما أمرتنا به ونهيتنا ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ لك في ذلك، ولم يكونوا ممن قالوا: سمعنا وعصينا، ولما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق الله تعالى وهو محتاج إلى مغفرته على الدوام، قالوا: ﴿غُفۡرَانَكَ﴾ أي: نسألك مغفرةً لما صدر منا من التقصير والذنوب، ومحو ما اتصفنا به من العيوب ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: المرجع لجميع الخلائق فتجزيهم بما عملوا من خير وشر.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ﴾ شقَّ ذلك على المسلمين لما توهموا أن ما يقع في القلب من الأمور اللازمة والعارضة المستقرة وغيرها مؤاخذون به، فأخبرهم بهذه الآية أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها أي: أمرا تسعه طاقتها، ولا يكلفها ويشق عليها كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر، فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحسانا، ومع هذا إذا حصل بعض الأعذار التي هي مظنة المشقة حصل التخفيف والتسهيل، إما بإسقاطه عن المكلف، أو إسقاط بعضه كما في التخفيف عن المريض والمسافر وغيرهما، ثم أخبر تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر فلا تزر وازرة وزر أخرى ولا تذهب حسنات العبد لغيره...، وأخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق وتسعه قوتنا، أخبر عن دعاء المؤمنين بذلك، وقد أخبر النبي ﷺ أن الله قال: قد فعلت. إجابة لهذا الدعاء، فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ والفرق بينهما:

أن النسيان: ذهول القلب عمَّا أمر به فيتركه نسيانا، والخطأ: أن يقصد شيئا يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله. فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة ما يقع بهما رحمة بهم وإحسانا.

﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ أي: تكاليف مشقة. ﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ وقد فعل تعالى، فإن الله خفف عن هذه الأمة في الأوامر من الطهارات وأحوال العبادات ما لم يخففه على غيرها. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ وقد فعل وله الحمد.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ فالعفو والمغفرة يحصل بهما دفع المكاره والشرور، والرحمة يحصل بها صلاح الأمور.

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ أي: ربنا ومليكنا وإلهنا الذي لم تزل ولايتك إيانا منذ أوجدتنا وأنشأتنا فنعمك دارة علينا متصلة عدد الأوقات، فنسألك يا ربنا ومولانا تمام نعمتك بأن تنصرنا على القوم الكافرين، الذين كفروا بك وبرسلك، فانصرنا عليهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان. [1].

102-(4) (باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وإِنْ أَرْسَلْتَهَا فاحْفَظْهَا، بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ). [2].

جاء في أول الحديث قوله ﷺ: **(إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت...).**

وجاء في رواية: **(إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بِصِنْفَة إزاره...).**

قوله: **(إذا أوى أحدكم إلى فراشه)** أي: إذا رجع إليه، وضمَّه فراشُه، ودخل فيه، ومنه المأوى وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان.

قوله: **(فلينفض فراشه بداخلة إزاره)** والمراد بالداخلة: طرف الإزار الذي يلي الجسد. قال مالك: داخلة الإزار ما يلي داخل الجسد منه، قاله في (الفتح). [3].

قال في (النهاية): وإنما أمره بداخلته دون خارجته، لأن المؤتزر يأخذ إزاره بيمينه وشماله، فيلزق ما بشماله على جسده، وهي داخلة إزاره، ثم يضع ما بيمينه فوق داخلته، فمتى عاجله أمر وخشي سقوط إزاره أمسكه بشماله، ودفع عن نفسه بيمينه، فإذا صار إلى فراشه فحل إزاره، فإنما يحل بيمينه خارجة الإزار، وتبقى الداخلة معلقة وبها يقع النفض، لأنها غير مشغولة باليد. اهـ[4].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص120).

(2) رواه البخاري برقم (6320)، ومسلم برقم (2714)

(3) فتح الباري (14/ 325).

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص300)، ونقله الحافظ في(الفتح).

قوله: (**فإنه لا يدري ما خلفه عليه**) بتخفيف اللام أي: حدث بعده فيه. يعني: لعل هامَّةً دنت فصارت فيه بعده.

قال الإمام النووي رحمه الله: ومعناه أنه يستحب أن ينفض فراشه قبل أن يدخل فيه، لئلا يكون فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، ولينفض ويده مستورة بطرف الإزار لئلا يحصل في يده مكروه إن كان هناك.[1].

قوله: (**ثم يقول**) أي: بعد النفض ووضع الجنب كما تدل عليه رواية: (**ثم ليضطجع ثم ليقل**). قوله: (**باسمك ربي وضعت جنبي**) الباء للاستعانة، والمعنى أنام مستعينا بك. (**وبك أرفعه**) أي حين أرفعه فلا أستغني عنك بحال.

قوله: (**فإن أمسكت نفسي**) أي: قبضت روحي في النوم. وفي رواية: (**إن أمتها**). (**فارحمها**) أي: بالمغفرة والتجاوز عنها. وفي رواية: (**فاغفر لها**).

قوله: (**وإن أرسلتها**) أي: أبقيتها في الدنيا. بأن رددت الحياة إليّ وأيقظتني من النوم. (**فاحفظها**) أي: من المعصية والمخالفة ومن كل ما يضر. (**بما تحفظ به**) أي: بما تقي وتعصم به. (**عبادك الصالحين**) أي: القائمين بحقوق الله وحقوق عباده.

قال الحافظ في(الفتح): قال الكرماني: الإمساك كناية عن الموت، فالرحمة أوِ المغفرة تناسبه والإرسال كناية عنِ استمرار البقاء والحفظ يناسبه. قال الطيبي: هذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**) الآيةَ..... قلت: ووقع التصريح بالموت والحياة في رواية عبد الله بن الحارث عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول: (**اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها**). أخرجه النسائي وصححه ابن حبان[2].

قال ابن بطال: في هذا الحديث أدب عظيم، وقد ذكر حكمته في الخبر وهو خشية أن يأوي إلى فراشه بعض الهوامِّ الضارة فتؤذيه. اهـ[3].

---

(1) شرح مسلم (17/ 42).

(2) قلت: أخرجه كذلك مسلم برقم (2712)، والعزوُ إليه أولى والله أعلم.

(3) فتح الباري (14/ 327).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: هذا الحديث يتضمن الإرشاد إلى مصلحتين: إحداهما معلومة ظاهرة وهي: أن الإنسان إذا قام على فراشه لا يدري ما دبَّ عليه بعده من الحيوانات ذوات السموم، فينبغي له إذا أراد أن ينام عليه أن يتفقده، ويمسحه، لإمكان أن يكون فيه شيء يخفى من رطوبة أو غيرها، فهذه مصلحة ظاهرة، وأما اختصاص هذا النفض بداخلة الإزار فمصلحة لم تظهر لنا، بل: إنما ظهرت تلك للنبي ﷺ بنور النبوة، وإنما الذي علينا نحن الامتثال. [1].

103-(5) **(اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ)**. [2].

قوله: **(اللهم إنك خلقت نفسي)** أي: أوجدتها من العدم وأسبغت عليها النعم. **(وأنت توفاها)** إما بالوفاة الكبرى وفاة الموت بانقضاء الأجل، أو الوفاة الصغرى وهي النوم.

قوله: **(لك مماتها ومحياها)** قال الإمام النووي رحمه الله: أي: حياتها وموتها وجميع أمورها لك، وبقدرتك وفي سلطانك. [3].

قوله: **(إن أحييتها فاحفظها)** أي: إن أبقيتها على حياتها فاحفظها وقها من كل ما يضر.

قوله: **(وإن أمتها فاغفر لها)** أي: فارقتها عن بدني، فاسترها وتجاوز عنها.

قوله: **(اللهم إني أسألك العافية)** أي: السلامة من كل مكروه وآفة، والعافية: كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه.

وفي هذه الأحاديث دلالة واضحة على أن روح الإنسان بيد الله سبحانه وتعالى، فهو الذي أوجدها من العدم وخلقها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا، وهو سبحانه الذي إن شاء أمسكها حال نوم الإنسان فيصبح في عداد الأموات، وإن شاء أرسلها فيبقى الإنسان بذلك على قيد الحياة قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: 42].

(1) المفهم (7/ 43).

(2) رواه مسلم برقم (2712).

(3) شرح مسلم (17/ 40).

104-(6) (**اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ، يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**)[1].

وجاء في بداية الحديث عن حفصة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: (**اللهم قني عذابك، يوم تبعث عبادك**).

قولها: (كان إذا أراد أن يرقد) أي: ينام.

قوله: (**قني عذابك**) أي: احفظني منه. (**يوم تبعث عبادك**) يعني يوم القيامة.

قال الإمام السندي رحمه الله: فيه أنه ينبغي للعاقل أن يجعل النوم وسيلة لذكر الموت والبعث الذي بعده[2].

في هذا الحديث ثلاثة آداب تُستحب للمسلم عندما يأوي إلى فراشه:

الأول: الاضطجاع على الشق الأيمن.

الثاني: وضع الكف اليمنى تحت الخد الأيمن.

والثالث: أن يقول: (**رب قني عذابك يوم تبعث عبادك**) أي: أسألك يا رب أن تقيني عذابك يوم تبعث عبادك للحساب. [3].

105-(7) (**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا**). [4].

كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: (**باسمك اللهم أموت وأحيا**).

وفي لفظ: (كان إذا أوى إلى فراشه) أي: دخل فيه، وفي لفظ آخر: (كان إذا أخذ مضجعه) معناه: إذا أراد أن ينام في مضجعه والمضجع بفتح الميم. وكلها بمعنًى واحدٍ.

قوله: (**باسمك اللهم أموت وأحيا**) أي: باسمك يا الله، والباء للاستعانة، والمعنى أنام مستعينا بك، طالبا حفظك. قال الإمام النووي رحمه الله: قيل: معناه:

---

(1) رواه أبو داود برقم (5045). والترمذي برقم(3398)، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود بدون ذكر الثلاث، وإنما يقولها مرة واحدة، انظر الصحيحة برقم (2754).

(2) حاشية السندي على ابن ماجه (4/ 288).

(3) شرح الشمائل (ص286).

(4) رواه البخاري برقم (6312)، ومسلم برقم (2711).

بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، وقيل: معناه: بك أحيا، أي: أنت تحييني وأنت تميتني، والإسم هنا هو المسمى.

قال العلماء: وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله[1].

106-(8) (**سُبْحَانَ اللهِ** (**ثَلاثًا وثَلاثِينَ**) والـ**حَمْدُ للهِ** (**ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**) و**اللهُ أَكْبَرُ** (**أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ**))[2].

والحديث بتمامه عن علي -رضي الله عنه-، أن فاطمة -رضي الله عنها-، شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي ﷺ تسأله خادما فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة -رضي الله عنها-، فلما جاء أخبرته، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم فقال: (**مكانك**) فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: (**ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما-أو أخذتما مضاجعكما-فكبرا أربعا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم**).

قوله: (شكت ما تلقى في يدها من الرحى) أي: ما تقاسيه من الطحن.

قوله: (فأتت النبي ﷺ تسأله خادما) أي: جارية تخدمها. والخادم يطلق على الذكر والأنثى.

قولها: (فذهبت أقوم)، وفي رواية: (فذهبنا نقوم).

قوله: (**مكانك**)، وفي رواية: (**مكانكما**) وهو بالنصب أي الزما مكانكما.

قوله: (**ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟**) وهذا من تمام نصحه عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ في (الفتح): وقد اختلف في معنى الخيرية في الخبر فقال عياض: ظاهره أنه أراد أن يعلمهما أن عمل الآخرة أفضل من أمور الدنيا على كل حال، وإنما اقتصر على ذلك لما لم يمكنه إعطاء الخادم، ثم علمهما إذ فاتهما ما طلباه ذكرا يحصل لهما أجرا أفضل مما سألاه. وقال القرطبي: إنما أحالهما على الذكر ليكون

---

(1) شرح مسلم (17/ 40).

(2) رواه البخاري برقم (3705)، ومسلم برقم (2727).

عوضا عن الدعاء عند الحاجة،... وقال المهلب: علَّم ﷺ ابنته من الذِّكر ما هو أكثر نفعا لها في الآخرة...[1].

قوله: (**إذا أويتما إلى فراشكما -أو أخذتما مضاجعكما-**) هما بمعنى واحد. (**فكبرا أربعا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم**) أي: تقولان: الله أكبر أربعا وثلاثين مرة، وسبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة، والحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة، فيكون مجموع ذلك مائة.

جاء في رواية: قال علي -رضي الله عنه-: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين.

قال الإمام النووي رحمه الله: معناه لم يمنعني منهن ذلك الأمر والشغل الذي كنت فيه، وليلة صفين هي ليلة الحرب المعروفة بصفين وهي: موضع بقرب الفرات كانت فيه حرب عظيمة بينه وبين أهل الشام[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الذِّكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذِّكر ما لم يطيق فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في مشيته، وكلامه وإقدامه، وكتابته، أمرا عجيبا فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرا عظيما. وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليا رضي الله تعالى عنهما أن يسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين، ويحمدا ثلاثا وثلاثين، ويكبرا أربعا وثلاثين، لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلَّمها ذلك، وقال: (**إنه خير لكما من خادم**). فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في بدنه مغنية عن خادم. اهـ[3].

وقال أيضا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره[4].

---

(1) فتح الباري (14/ 322).

(2) شرح مسلم (17/ 51).

(3) الوابل الصيب (ص185-186).

(4) الوابل الصيب (ص250).

قال الحافظ في(الفتح)معلقا على كلام شيخ الإسلام: وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب والله أعلم[1].

107-(9) (**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، ورَبَّ الأَرْضِ، ورَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا ورَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فالِقَ الحَبِّ والنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ والفُرْقَانِ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيتِهِ، اللَّهُمَّ أنْتَ الأوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وأنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وأنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وأنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ**)[2].

قوله: (**اللهم ربّ السّموات السّبع، وربّ الأرض، وربّ العرش العظيم**) أي: يا خالق ومالك هذه الكائنات العظيمة، وخصَّ هذه المخلوقات بالذِّكر لعظمها. وعظم المخلوق يدل على عظمة الخالق جلَّ وعلا. وفيه إشارة إلى أن كلا من هذه المخلوقات مربوب، وكل مربوب مخلوق.

قوله: (**وربّ العرش العظيم**) فيه دلالة على عظمة العرش، وأنه أعظم المخلوقات. وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: (**أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة**)[3].

والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: 23]. وليس هو فلكا، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبّة على العالم، وهو سقف المخلوقات[4].

---

(1) فتح الباري (14/ 323)، وقد ذكر رحمه الله جملة عطرة من فوائد الحديث فارجع إليه تستفد وبالله التوفيق.

(2) رواه مسلم برقم (2713).

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم(1/ 114)، وهو صحيح كما في السلسلة الصحيحة برقم(109).

(4) شرح الطحاوية (ص278).

قوله: (**ربّنا وربّ كل شيء**) تعميم بعد تخصيص.

قولـه: (**فالـق الحـبّ والنّـوى**) من الفلـق وهو الشـق أي: شـاق الحبة فيخـرج منها سـنبلة، والنـواة فيخـرج منها نخلـة. قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: 95].

قـال الإمـام ابـن جرير رحمـه الله: يعنـي: شـقّ الحبّ مـن كلّ مـا ينبت مـن النّبات، فأخـرج منـه الـزرع، والنّـوى مـن كلّ مـا يغـرس ممـا لـه نـواة، فأخـرج منـه الشـجر. و(الحبّ)جمـع الحبّـة، و(النّوى)جمـع النّـواة. [1].

قولـه: (**ومنـزل التـوراة والإنجيل والفرقان**) فيه توسـل إلى الله عز وجـل بإنزاله لهذه الكتـب العظيمـة المشـتملة على هداية النـاس وفلاحهم وسـعادتهم في الدنيـا والآخرة، وقـد خـص هـذه الكتـب الثلاثـة، لأنها أعظـم كتـب أنزلهـا الله، وذكرهـا مرتبـة ترتيبا زمنيـا، فذكـر أولا التـوراة التـي أنزلـت على موسـى عليـه السـلام، ثم الإنجيـل الذي أنـزل عـلى عيسـى عليـه السـلام، ثـم الفرقان-وهـو القـرآن الكريم-الذي أنـزل على محمد ﷺ.

وفي هــذا دلالــة عــلى أن هــذه الكتــب مــن كلام الله، وأنّهــا منزّلــة مــن عنــده سـبحانه، وأنهـا غـير مخلوقـة ولهـذا فـرّق في هـذا الدعـاء بينهـا، ففـي المخلوقـات قـال: (**ربّ**) و(**فالـق**)، وفي كلامـه ووحيـه قـال: (**منـزل**)، وفي هـذا رد عـلى أهـل البـدع والأهـواء الذيـن يقولـون ان كلام الله مخلـوق، تعـالى الله عـمّا يقولـون، وسـبحان الله عـما يصفـون.[2].

قولـه: (**أعـوذ بـك**) أي: ألتجـئ وأعتصـم بـك. (**مـن شر كل شيء**) أي: مـن كل شر في أي مخلـوق قـام بـه الـشر مـن حيـوان أو غـيره، إنسـيا كان أو جنيـا... الـخ. وفي روايـة: (**مـن شر كل دابّـة**) والدّابـة هـي كل مـا يدب عـلى الأرض، وهو يشـمل الذي يمـشي عـلى بطنـه، أو عـلى رجلـين أو عـلى أربـع. (**أنت آخـذ بناصيتـه**) فيـه دلالة على أنّ المخلوقـات كلّهـا في سـلطانه وتحـت قهـره وهو آخـذ بنواصيهـا. والناصيـة: مقدم الـرأس. قـال تعـالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴿٥٦﴾﴾ [هـود: 56].

---

(1) تفسير ابن جرير (9/ 420).

(2) فقه الأدعية والأذكار (3/ 76).

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: فإنّه ليس من شيء يدبّ على الأرض، إلا والله مالكه، وهو في قبضته وسلطانه، ذليل له خاضع. فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، فخص بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد؟

قيل: لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها مَن وصفته بالذلة والخضوع، فتقول: ما ناصية فلان إلا بيد فلان. أي: إنّه له مطيع يصرّفه كيف شاء. وكانوا إذا أسِروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه جزّوا ناصيته، ليعتدّوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة، فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم، والمعنى ما ذكرت. اهـ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومتى شهد العبد أنّ ناصيته، ونواصي العباد كلّها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء، لم يَخَفهم بعد ذلك، ولم يرجُهم، ولم ينزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم سواهم، والمدبِّر لهم غيرهم. فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره وضرورته إلى ربه وصفًا لازما له، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم، ولم يعلق أمله ورجاءه بهم، فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته. ولهذا قال هود لقومه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود: 56]. [2].

قوله: (**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**) فسَّر النبي ﷺ (الأول) بأنه الذي ليس قبله شيء، يعني: أن الله عز وجل سبق كل شيء، فكل شيء بعده عز وجل إنما صدر عنه، وهو الخالق له، وهو الذي جعله شيئا مذكورا. وأوليته سبحانه بمعنى الأزلية، يعني أنه عز وجل لم يزل.

قوله: (**وأنت الآخر فليس بعدك شيء**) فسّر النبي ﷺ (الآخر) بأنه الذي ليس بعده شيء، يعني: الذي يبقى بعد ذهاب الأشياء، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ٨٨﴾ [القصص: 88].

قوله: (**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**) فسّر النبي ﷺ (الظاهر) بأنه الذي ليس فوقه شيء، والمراد بالظهور هنا العلوُّ والفوقية.

---

(1) تفسير ابن جرير (12/ 449).

(2) الفوائد (ص48).

قوله: (**وأنت الباطن فليس دونك شيء**) فسّر النبي ﷺ (الباطن) بأنه الذي ليس دونه شيء، وهو يدل على قرب الله عز وجل، قرب الإحاطة، والعلم، والقدرة، ونحو ذلك. فهذا مقتضى تفسير النبي ﷺ، ولا تفسير أكمل من تفسيره، وإن تحذلق المتحذلقون.

قوله: (**اقض عنّا الدَّين**) أي: أدّ عنا الدَّين. والمراد بالدَّين هنا حقوق الله وحقوق العباد من جميع الأنواع. قال بعض السلف: ما دخل همُّ الدَّين قلبا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه.

قوله: (**وأَغننا من الفقر**) الغنى: هو عدم الحاجة. والفقر: خلوُّ ذات اليد.

108-(10) (**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وسَقَانَا، وكَفَانَا، وآوَانا؛فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِيَ**)[1].

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه قال: (**الحمد لله الذي أطعمنا...**) الحديثَ.....

قوله: (كان إذا أوى إلى فراشه) أي: انضمَّ إليه ودخل فيه. قال النووي: إذا أوى إلى فراشه وأويت مقصور، وأمّا آوانا فممدود، هذا هو الصحيح الفصيح المشهور، وحُكي القصر فيهما وحُكي المدُّ فيهما انتهى. قاله في(التحفة).

قوله: (**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا**) أي: أشبعنا وأروانا. ففيه حمد الله عز وجل على نعمة الطعام والشراب اللذين بهما قوام البدن.

قوله: (**وكفانا**) أي: دفع عنا شر المؤذيات أو كفى مهماتنا، وقضى حاجاتنا.

قوله: (**وآوانا**) أي: رزقنا مساكن وهيأ لنا المآوى.

قوله: (**فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي**): أي: لا راحم له ولا عاطف عليه. وقيل: معناه: لا موطن ولا مسكن يأوي إليه ويسكنه، فهو ضائع الأمر[2].

قال في (التحفة): أي: فكم شخص لا يكفيهم الله شر الأشرار بل تركهم وشرهم حتى غلب عليهم الأعداء، ولا يهيئ لهم مأوى، بل تركهم يهيمون في البوادي، ويتأذون بالحر والبرد. اهـ[3].

---

(1) رواه مسلم برقم (2715).

(2) إكمال المعلم (8/ 211).

(3) تحفة الأحوذي (9/ 340).

109-(11)- (**اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَلَيْكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، ومِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءً، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ**)[1].

تقدم شرحه، انظر الحديث رقم (85).

110-(12) (**يَقْرَأُ ﴿الٓمٓ ۞ تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ، وتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الـمُلْكَ**)[2].

عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بـ: (تنزيل) السجدة، وبـ: (تبارك).

قوله: (**يَقْرَأُ ﴿الٓمٓ ۞ تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ**)، أي: سورة السجدة.

قوله: (**وتبارك الذي بيده الملك**) أي: سورة الملك.

قال الطيبي: يحتمل أن يكون المعنى: إذا دخل وقت النوم لا ينام حتى يقرأهما، وأن يكون لا ينام مطلقا حتى يقرأهما، والمعنى: لم يكن من عادته النوم قبل القراءة فتقع القراءة قبل دخول وقت النوم أي وقت كان، ولو قيل: كان النبي ﷺ يقرأهما بالليل لم يفد هذه الفائدة انتهى[3].

جاء في رواية عند البخاري في (الأدب المفرد): قال أبو الزبير (وهو أحد رواة الحديث): فهما تفضُلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة، ومن قرأهما كتب له بهما سبعون حسنة، ورُفع له بهما سبعون درجة، وحُطَّ بهما عنه سبعون خطيئة. اهـ

قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح من قول أبي الزبير، فهو مقطوع موقوف[4].

قال في (التحفة): قال القاري: هذا لا ينافي الخبر الصحيح أن البقرة أفضل سور القرآن بعد الفاتحة إذ قد يكون في المفضول مزية لا توجد في الفاضل، أو له خصوصية بزمان أو حال كما لا يخفى... ، أما ترى أن قراءة سبّح والكافرون والإخلاص في الوتر أفضل من غيرها، وكذا سورة السجدة والدهر بخصوص فجر الجمعة أفضل من غيرهما. اهـ[5].

---

(1) رواه أبو داود برقم (5067)، والترمذي برقم (3392)، وابن ماجه برقم (3632)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(2) رواه الترمذي برقم(2892) و(3404)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (585).

(3) تحفة الأحوذي (9/ 350).

(4) الأدب المفرد برقم (1207).

(5) تحفة الأحوذي (8/ 202).

111-(13) **(اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)**[1].

وجاء في بداية الحديث قوله ﷺ: **(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل:...)**.

قوله: **(إذا أتيت مضجعك)** معناه: إذا أردت النوم في مضجعك فتوضأ والمضجع بفتح الميم.

قوله: **(فتوضأ وضوءك للصلاة)** قال الحافظ في(الفتح): الأمر فيه للندب، وله **فوائد**:

منها: أن يبيت على طهارة لئلا يبغته الموت فيكون على هيئة كاملة، ويؤخذ منه الندب إلى الإستعداد للموت بطهارة القلب، لأنه أولى من طهارة البدن. ويتأكد ذلك في حق المحدِث ولا سيما الجنب وهو أنشط للعود، وقد يكون منشطا للغسل فيبيت على طهارة كاملة، ومنها أن يكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به.

قال الترمذي: ليس في الأحاديث ذكر الوضوء عند النوم إلا في هذا الحديث.

قوله: **(ثم اضطجع على شقك الأيمن)** بكسر المعجمة وتشديد القاف أي الجانب، وخصَّ الأيمن **لفوائد: منها**: أنه أسرع إلى الإنتباه، **ومنها**: أن القلب متعلق إلى جهة اليمين فلا يثقل بالنوم، **ومنها**: قال ابن الجوزي: هذه الهيئة نص الأطباء على أنها أصلح للبدن، قالوا: يبدأ بالاضطجاع على الجانب الأيمن ساعة ثم ينقلب إلى الأيسر، لأن الأول سبب لانحدار الطعام، والنوم على اليسار يهضم لاشتمال الكبد على المعدة. اهـ[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأنفع النوم أن ينام على الشق الأيمن، ليستقر الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقرارا حسنا، فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلا، ثم يتحول إلى الشق الأيسر قليلا ليسرع الهضم بذلك لاستمالة المعدة على الكبد، ثم يستقر نومه على الجانب الأيمن، ليكون الغذاء أسرع انحدارا عن المعدة، فيكون النوم على الجانب الأيمن بداءة نومه ونهايته، وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه، فتنصب إليه المواد.

---

(1) رواه البخاري برقم (6315)، ومسلم برقم (2710).

(2) فتح الباري (14/ 299-300).

وقد قيل: إن الحكمة في النوم على الجانب الأيمن، أن لا يستغرق النائم في نومه، لأن القلب فيه ميل إلى جهة اليسار، فإذا نام على جنبه الأيمن، طلب القلب مستقره من الجانب الأيسر، وذلك يمنع من استقرار النائم واستثقاله في نومه، بخلاف قراره في النوم على اليسار، فإنه مستقره فيحصل بذلك الدعة التامة، فيستغرق الإنسان في نومه ويستثقل، فيفوته مصالح دينه ودنياه[1].

قوله: (**اللهم أسلمت نفسي إليك**) أسلمت أي: استسلمت وانقدت، والمعنى: جعلت نفسي منقادة لك تابعة لحكمك إذ لا قدرة لي على تدبيرها ولا على جلب ما ينفعها إليها ولا دفع ما يضرها عنها.

قوله: (**وفوضت أمري إليك**) أي: توكلت عليك في أمري كله.

قوله: (**ووجهت وجهي إليك**) أي: وجهتي وتوجهي وقصد قلبي.

قوله: (**وألجأت ظهري إليك**) أي: اعتمدت في أموري عليك لتعينني على ما ينفعني، لأن من استند إلى شيء تقوى به واستعان به، وخصَّه بالظهر لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه.

قوله: (**رغبة ورهبة إليك**) أي: رغبة في رفدك وثوابك، (**ورهبة**) أي: خوفا من غضبك ومن عقابك.

قوله: (**لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك**) أي: لا ملاذ ولا مهرب ولا مخلص من عقوبتك إلا بالفزع إليك والاعتماد عليك.

قوله: (**آمنت بكتابك الذي أنزلت**) يحتمل أن يريد به القرآن، ويحتمل أن يريد اسم الجنس فيشمل كل كتاب أنزل.

قوله: (**وبنبيك الذي أرسلت**) وهو محمد ﷺ عبد الله ورسوله وخِيرَته من خلقه المبعوث رحمة للعالمين، الذي أرسلته إلى كافة الخلق أجمعين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

ثم قال النبي ﷺ مبينا **فضيلة** هذا الدعاء: (**فإن متَّ متَّ على الفطرة**) أي: على **الإسلام**. قال الحافظ في(الفتح): وقوله: (**على الفطرة**) أي على الدين القويم ملّة إبراهيم، فإنه عليه السلام أسلم واستسلم، قال الله تعالى عنه: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وقال

---

(1) زاد المعاد (4/ 240-243).

عنه: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾، وقال ابن بطّال وجماعة: المراد بالفطرة هنا دين الاسلام. اهـ[1].

وجاء في بعض روايات الحديث أنه قال: (**وإن أصبحت أصبت خيرا**) أي: حصل لك ثواب هذه السنن، واهتمامك بالخير، ومتابعتك أمر الله ورسوله ﷺ[2].

وقيل: أي: صلاحا في المال وزيادة في الأعمال، قاله في(الفتح). وقيل: أي: صلاحا في ذلك وزيادة في أجرك وأعمالك، قاله في(المفهم).

قال الحافظ في (الفتح): قال الطيبي: في نظم هذا الذكر عجائب لا يعرفها إلا المتقن من أهل البيان فأشار بقوله: (**أسلمت نفسي**) إلى أن جوارحه منقادة لله تعالى في أوامره ونواهيه، وبقوله: (**وجهت وجهي**) إلى أن ذاته مخلصة له بريئة من النفاق، وبقوله: (**فوَّضت أمري**) إلى أن أموره الخارجة والداخلة مفوَّضة إليه لا مدبِّر لها غيره، وبقوله: (**ألجأت ظهري**) إلى أنه بعد التفويض يلتجأ إليه مما يضره ويؤذيه من الأسباب كلها، قال: وقوله: رغبة ورهبة منصوبان على المفعول له على طريق اللف والنشر، أي فوضت أموري إليك رغبة، وألجأت ظهري إليك رهبة. اهـ[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث ثلاث سنن مهمة **مستحبة** ليست بواجبة، **إحداها**: الوضوء عند إرادة النوم، فإن كان متوضئا كفاه ذلك الوضوء، لأن المقصود النوم على طهارة مخافة أن يموت في ليلته، وليكون أصدق لرؤياه، وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه وترويعه إياه. **الثانية**: النوم على الشق الأيمن، لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الإنتباه. **الثالثة**: ذكر الله تعالى ليكون خاتمة عمله[4].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: قوله: (**أسلمت نفسي إليك**) أي: جعلتها مسلمة لك تسليم العبد المملوك نفسه إلى سيده ومالكه، وتوجيه وجهه إليه يتضمن إقباله بالكلية على ربه، وإخلاص القصد والإرادة له، وإقراره بالخضوع والذل والانقياد، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ

(1) فتح الباري (14/ 302).

(2) شرح مسلم (17/ 38).

(3) فتح الباري (14/ 301-302).

(4) شرح مسلم (17/ 37).

﴿ٱتَّبَعَنِ ۝٢٠﴾ [آل عمران: 20]. وذكر الوجه إذ هو أشرف ما في الإنسان، ومجمع الحواس، وأيضا ففيه معنى التوجه والقصد من قوله:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

وتفويض الأمر إليه رده إلى الله سبحانه، وذلك يوجب سكون القلب وطمأنينته، والرضى بما يقضيه ويختاره له مما يحبه ويرضاه، والتفويض من أشرف مقامات العبودية، ولا علة فيه، وهو من مقامات الخاصَّة خلافا لزاعمي خلاف ذلك. وإلجاء الظهر إليه سبحانه يتضمن قوة الاعتماد عليه، والثقة به، والسكون إليه، والتوكل عليه، فإن من أسند ظهره إلى ركن وثيق لم يخف السقوط. ولما كان للقلب قوتان: قوة الطلب، وهي الرغبة، وقوة الهرب، وهي الرهبة، وكان العبد طالبا لمصالحه، هاربا من مضاره، جمع الأمرين في هذا التفويض والتوجه، فقال: رغبة ورهبة إليك، ثم أثنى على ربه، بأنه لا ملجأ للعبد سواه، ولا منجا له منه غيره، فهو الذي يلجأ إليه العبد لينجيه من نفسه، كما في الحديث الآخر: (**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**)، فهو سبحانه الذي يعيذ عبده وينجيه من بأسه الذي هو بمشيئته وقدرته، فمنه البلاء، ومنه الإعانة، ومنه ما يطلب النجاة منه، وإليه الالتجاء في النجاة، فهو الذي يلجأ إليه في أن ينجي مما منه، ويستعاذ به مما منه، فهو رب كل شيء، ولا يكون شيء إلا بمشيئته: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۝١٨﴾ [الأنعام: 17]. ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۝١٧﴾ [الأحزاب: 17]، ثم ختم الدعاء بالإقرار بالإيمان بكتابه ورسوله الذي هو ملاك النجاة، والفوز في الدنيا والآخرة، فهذا هديه في نومه.

لو لم يقل إني رسول لكان شاهد في هديه ينطق[1]

فائدة: جاء في آخر الحديث قول البراء رضي الله عنه: فرددتهن لأستذكرهن فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت. قال[أي النبي ﷺ]: (**قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت**).

قال الحافظ في(الفتح): وأولى ما قيل في الحكمة في ردِّه ﷺ على من قال (الرسول) بدل (النبي) أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا اختيار المازري، قال: فيقتصر

(1) زاد المعاد (4/ 244).

فيه على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحى إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها[1].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: فيه تنبيه قوي على أن الأذكار والأوراد توقيفية، فإن لفظ (الرسول) أعم من لفظة (النبي) ومع ذلك رده النبي ﷺ، مع أن البراء رضي الله عنه قاله سهوا لم يتعمده، فأين منه أولئك المبتدعة الذين لا يتحرجون من أي زيادة في الذكر، أو نقص منه؟ فهل من معتبر[2].

فائدة أخرى: روى أحمد برقم (23807)، وأبو داود برقم (5055)، والترمذي برقم (3403)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود. عن فروة بن نوفل الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لنوفل: (**اقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك**). ومعنى قوله: (**نم على خاتمتها**) أي: على خاتمة هذه السورة. (**فإنها براءة من الشرك**) أي: تبرئ صاحبها من الشرك. وقد كان بعض السلف يسميها: المقشقشة، يقال: قشقش فلان، إذا برئ من مرضه، فهي تبرئ صاحبها من الشرك.

قال في (لسان العرب): يقال لسورتي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، المقشقشتان، سميتا مقشقشتين لأنهما تبرئان من الشرك والنفاق إبراء المريض من علّته. قال أبو عبيدة: إذا برأ الرجل من علّته قيل: قد تقشقش[3].

قلت: وأيّ فضل بعد هذا أن ينام العبد وقد برئ من الشرك، فما أجزل هذه العطية! اللهم ارزقناها. وكم تمنيت أن لو زاد المصنف حفظه الله هذا الذكر في كتابه، وبالله التوفيق.

---

(1) فتح الباري (14/ 304).

(2) الترغيب والترهيب (1/ 273).

(3) لسان العرب مادة (قشش).

29 الدعاء إذا تقلب ليلا

112 - (**لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللهُ الوَاحِـدُ القَهَّـارُ، ربُّ السَّـمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَا العَزِيْـزُ الغَفَّـارُ**). [1].

قوله: (**لا إله إلا الله**) أي: لا معبود **بحقٍّ** إلا الله.

(**لا**) نافيـة للجنـس، وخبرهـا محـذوف تقديره(حـق)، أي: لا معبـود **بحـقٍّ** إلا الله، فـلا بد مـن كلمة (حـق) وتقدير الخـبر بكلمة (حـق) هو المتعـين خلافا لما عليـه النحاة وأهـل الـكلام المذمـوم وغيرهـم حيـث قدروا الخـبر بكلمة (موجـود) أو بشـبه الجملة (في الوجـود)، فقالـوا: لا إلـه في الوجـود أو لا إله موجود.

قـال الشـيخ ابـن بـاز رحمـه الله معلقـا عـلى(شرح الطحاويـة): مـا قالـه صاحـب المنتخـب ليـس بجيـد وهكـذا مـا قالـه النحـاة وأيـده الشـيخ أبـو عبـد الله المـرسي من تقديـر الخـبر بكلمـة (في الوجود) ليس بصحيـح، لأن الآلهة المعبودة مـن دون الله كثيرة وموجـودة، وتقديـر الخبر بلفـظ (في الوجـود) لا يحصـل بـه المقصـود من بيـان أحقية ألوهيـة الله سـبحانه وبطـلان مـا سـواها، لأن لقائـل أن يقول: كيـف تقولـون: (لا إله في الوجـود إلا الله)؟ وقـد أخـبر الله سـبحانه عـن وجود آلهـة كثيرة للمشركـين، كما في قولـه سـبحانه: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ وقولـه سـبحانه: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ﴿٢٨﴾ ﴾ الآيـةَ.....

فـلا سـبيل إلى التخلـص من هـذا الاعتراض وبيـان عظمة هـذه الكلمـة وأنها كلمة التوحيـد المبطلـة لآلهـة المشركين وعبادتهـم مـن دون الله، إلا بتقدير الخبر بغـير ما ذكره النحـاة، وهـو كلمـة (**حـق**) لأنهـا هي التـي توضِّح بطـلان جميـع الآلهة وتبـين أن الإله الحـق والمعبـود بالحـق هـو الله وحـده كما نبه عـلى ذلك جمـع من أهـل العلـم، منهم أبو العبـاس ابـن تيمية وتلميـذه العلامة ابـن القيم وآخـرون رحمهم الله.

---

(1) أخرجـه الحاكـم وصححـه، ووافقـه الذهبـي(1/ 540)، والنسـائي في عمـل اليـوم والليلـة برقـم (864)، وابـن السـني في عمـل اليـوم والليلـة برقـم (759)، وصححـه الشـيخ الألبـاني في صحيـح الجامـع برقـم (4693).

ومن أدلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: 62]، فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات واتضح بذلك أنه المعبود بالحق وحده، ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم، لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق عن غير الله سبحانه، ولهذا قالوا جوابا لنبينا محمد ﷺ لما قال لهم: (**قولوا لا إله إلا الله**). ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: 5]، وقالوا أيضا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: 36]. وما في معنى ذلك من الآيات، وبهذا التقدير يزول جميع الإشكال ويتضح الحق المطلوب. والله ولي التوفيق[1].

قوله: (**الواحد**) اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، دالٌّ على أحدية الله ووحدانيته، أي: أنه سبحانه هو المتفرد بصفات المجد والجلال، المتوحد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته لا شبيه له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير، وواحد في ألوهيته فليس له ند في المحبة والتعظيم والذل والخضوع، وهو الواحد الذي عظمت صفاته حتى تفرد بكل كمال، وتعذر على جميع الخلق أن يحيطوا بشيء من صفاته أو يدركوا شيئا من نعوته فضلا عن أن يماثله أحد في شيء منها.

قوله: (**القهار**) القهار صيغة مبالغة من القاهر، ومعناه: الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا. وكونه تبارك وتعالى قهارا مستلزم لكمال حياته وكمال عزته وكمال قدرته[2].

قال في (النهاية): في أسماء الله تعالى: ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾، هو: الغالب جميع الخلائق، يقال: قهره يقهره قهرا فهو قاهر، وقهار للمبالغة. وأقهرت الرجل إذا وجدته مقهورا، أو: صار أمره إلى القهر. اهـ[3]. وقال العلامة ابن القيم في (النونية):

---

(1) تعليق الشيخ ابن باز رحمه الله على شرح الطحاوية (ص109).

(2) فقه الأسماء الحسنى (ص107-254).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص780).

وكذلك القهار من أوصافه ... فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حيا عزيزا قادرا ... ما كان من قهر ولا سلطان

قوله: (**رب السموات والأرض وما بينهما**) أي: خالقها ومربيها ومدبرها بجميع أنواع التدبير. قوله: (**العزيز**) قال في (النهاية): في أسماء الله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾، هو: الغالب القوي الذي لا يغلب والعزة في الأصل: القوة والشدة والغلبة. تقول: عز يعز - بالكسر-: إذا صار عزيزا، وعز يعز -بالفتح-: إذا اشتد. اهـ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والعزة: يراد بها ثلاثة معان: عزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر، والرب تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاث[2].

وقال في (النونية):

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه ... كالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وجه عادم النقصان

قوله: (**الغفار**) قال في(النهاية): الغفار والغفور وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغفر: التغطية. يقال: غفر الله لك غفرا وغفرانا ومغفرة، والمغفرة: إلباس الله تعالى العفو للمذنبين[3].

فائدة: إن العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى من أجلِّ العلوم وأشرفها، وهو أصل للعلم بكل معلوم، وهو سبب لمعرفة الله ومحبته والأنس به، وسبب لسعادة العبد في الدنيا والآخرة، وهو من الأسس العظام التي قامت عليها دعوة المرسلين.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: إحصاء الأسماء الحسنى **والعلم** بها أصل للعلم بكل معلوم[4].

(1) النهاية في غريب الحديث (ص612).

(2) مدارج السالكين (3 / 268).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص674).

(4) بدائع الفوائد (ص286).

وقال أيضا: من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة[1].

وقال أيضا: فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب وفتحه عجب، صاحبه قد سبق السعاة، وهو مستلقٍ على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه[2].

وقال أيضا: إن دعوة الرسل تدور على ثلاثة أمور: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله...[3].

فائدة أخرى: هذا الحديث مثل قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (صٓ): ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: 65-66].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: ما أحد يؤله ويعبد بحق إلا الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ هذا تقرير لألوهيته بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهاران متساويين في قهرهما أبدا، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده، كما كان قاهرا وحده.

وقرر ذلك أيضا بتوحيد الربوبية فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ أي: خالقها ومربيها ومدبرها بجميع أنواع التدبير ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي له القوة، التي بها خلق المخلوقات العظيمة ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لجميع الذنوب، صغيرها وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع منها.

فهذا الذي يجب ويستحق أن يعبد دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئا، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار. اهـ[4].

---

(1) مدارج السالكين (3/ 18).

(2) طريق الهجرتين (ص470).

(3) الصواعق المرسلة (ص1489).

(4) تيسير الكريم الرحمن (ص716).

30 دعاء الفزع في النوم، ومن بلي بالوَحشة

قال في (النهاية): الفزع: الخوف[1]. والوَحشة: الخلوة والهمُّ، وهي ضد الأنس. اهـ[2].

وقال ابن علان رحمه الله: الوَحشة وقوع شيء من الخوف في القلب وهو الإيحاش. اهـ[3].

113 - **(أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وأنْ يَحْضُرُونِ)**[4].

قوله: **(أعوذ)** أعتصم والتجئ.

قوله: **(بكلمات الله)** قال الإمام الخطابي رحمه الله: فأما قول النبي ﷺ: **(أعوذ بكلمات الله التامات)** فإن كلمته القرآن، وصفه بالتمام تنزيها له عن أن يلحقه نقص أو عيب، كما يوجد ذلك في كلام الآدميين[5].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: قال الهروي وغيره: الكلمات هي القرآن، والتامات، قيل: هي الكاملات، والمعنى أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس، وقيل: هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يُتعوَّذ منه[6].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: قيل معناه: الكاملات اللاتي لا يلحقها نقص ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه: الشافية الكافية، وقيل: الكلمات -هنا- هي: القرآن، فإن الله تعالى قد أخبر عنه بأنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى[7].

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص705).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص962).

(3) الفتوحات الربانية (4/ 30).

(4) رواه أبو داود برقم (3893)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(5) غريب الحديث (1 / 252)، وقد تقدم.

(6) تحفة الذاكرين(ص82)، وقد تقدم.

(7) المفهم (7/ 36).

قوله: (**من غضبه وعقابه**) الغضب صفة فعلية ثابتة لله تبارك وتعالى، وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله ﷺ في سنته، وهو جلَّ وعلا يغضب ويرضى ويحبُّ ويبغض، وله صفات فعلية كثيرة وردت في الكتاب والسنة، ومنهج أهل السنة -وهو المنهج الحق الذي ينبغي أن يكون عليه كل مسلم- تجاه هذه الصفات أنهم يثبتونها لله كما أثبتها سبحانه لنفسه وكما أثبتها له رسوله ﷺ دون أن يخوضوا في شيء منها بتحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

قوله: (**وشر عباده**) أي: من كل شر في أي عبد من عبادك قام به الشر، والعبودية هنا المراد بها العبودية العامة، إذ المخلوقات كلها معبدة مذللة لله خاضعة له سبحانه، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: 93].

قوله: (**ومن همزات الشياطين**) همزات جمع: همزة، والهمز في اللغة: النخس والدفع.

والمقصود هنا: وساوس الشيطان، وجميع إصاباتهم وأَذاهم لبني آدم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والهمزات: جمع همزة -كتمرات وتمرة- وأصل الهمز: الدفع. قال أبو عبيد عن الكسائي: همزته، ولمزته، ولهزته، ونهزته: إذا دفعته.

والتحقيق أنه دفع بنخز، وغمز يشبه الطعن، فهو دفع خاصٌّ، فهمزات الشياطين: دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب.

قال ابن عباس والحسن: (همزات الشياطين): نزغاتهم ووساوسهم. وفسرت همزاتهم بنفخهم ونفثهم، وهذا قول مجاهد.

وفسرت بخنقهم، وهو الموتة التي تشبه الجنون. وظاهر الحديث أن الهمز نوع غير النفخ والنفث.

وقد يقال-وهو الأظهر-: إن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصاباتهم لابن آدم، وإذا قرنت بالنفخ والنفث: كانت نوعا خاصًّا كنظائر ذلك. [1].

(1) إغاثة اللهفان (1/ 187-188).

قوله: (**وأن يحضرون**) أي: وأن يحضر الشياطين عندي في كل الأحوال والأوقات، أو في شيء من أموري. وأن يصيبوني بسوء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ثم قال: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ وقال ابن زيد: في أموري. وقال الكلبي: عند تلاوة القرآن. وقال عكرمة: عند النزع والسياق.

فأمره أن يستعيذ من نوعي شرهم: إصابتهم بالهمز، وقربهم ودنوِّهم منه.

فتضمنت الاستعاذة أن لا يمسوه ولا يقربوه. اهـ[1].

فائدة: جاء في آخر الحديث: وكان عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه.

قلت: هاهنا تنبيهان:

الأول: قال الشيخ الألباني رحمه الله في (سنن أبي داود) عند تخريج الحديث: حسن دون قوله: وكان عبد الله بن عمرو....

الثاني: قوله: (ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه) وهذه مسألة تعليق التمائم التي من القرآن، وأسماء الله وصفاته، وهي من المسائل التي اختلف فيها السلف.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في (فتح المجيد):

اعلم أن العلماء -من الصحابة والتابعين فمن بعدهم- اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، وأسماء الله وصفاته.

فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما روى عن عائشة. وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمد في رواية. وحملوا الحديث على التمائم، التي فيها شرك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابن مسعود، وابن عباس. وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر وابن عكيم. وبه قال جماعة من التابعين، ومنهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه. وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه.

---

(1) إغاثة اللهفان (1/ 188).

قلت: وهذا هو الصحيح، لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي، ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق، بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك. اهـ [1].

---

(1) فتح المجيد (ص148-149).

31 ما يفعل من رأى الرؤيا أو الحُلُمَ

114-(1) (يَنْفُثُ عَنْ يَسارِهِ) (ثَلاثًا).

(2)- (يستعيذُ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ، ومِنْ شَرِّ مَا رَأَى). (ثَلاثَ مَرَّاتٍ).

(3)- (لَا يُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا). [1].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا فَكَرِهَ منها شيئا فلينفث عن يساره، وليتعوَّذ بالله من الشيطان، لا تضره ولا يخبر بها أحدا، فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر، ولا يخبر إلا من يحب).

وفي رواية: (الرؤيا من الله، والحُلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات، وليتعوَّذ بالله من شرها، فإنها لن تضره).

(4)- (يتحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ الذي كَانَ عَلَيْهِ). [2].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه).

115-(5) (يَقومُ يُصَلِّي إنْ أَرَادَ ذَلِكَ). [3].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدِّث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصلِّ، ولا يحدِّث بها الناس).

قال في (النهاية): الرؤيا والحُلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحُلم على ما يراه من

---

(1) هذه الفقرات الثلاث عند البخاري برقم (7044)، ومسلم برقم (2261).

(2) رواه مسلم برقم (2262).

(3) رواه مسلم برقم (2263).

الشر والقبيح. ومنه قوله تعالى: ﴿أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ﴾، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، وتضم لام الحلم وتسكن. اهـ[1].

قوله: **(الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان)** قال الإمام القرطبي رحمه الله: الرؤيا: مصدر رأى في المنام رؤيا، على وزن فعلى، وألفه للتأنيث، ولذلك لم ينصرف. والرؤية: مصدر رأى بعينه في اليقظة رؤيا. هذا المعروف من لسان العرب، وقال بعض العلماء: إن الرؤيا قد تجيء بمعنى الرؤية... والحلم -بضم الحاء، وسكون اللام- مصدر حلمت -بفتح الحاء واللام- إذا رأى في منامه رؤيا، وتجمع على أحلام...، وهو في الأصل عبارة عما يراه الرائي في منامه حسنا كان أو مكروها. وأراد به النبي ﷺ هنا ما يكره، أو ما لا ينتظم.

وقد اختلف الناس في كيفية الرؤيا قديما وحديثا، فقال غير المتشرعين أقوالا كثيرة مختلفة وصاروا فيها إلى مذاهب مضطربة قد عريت عن البرهان فأشبهت الهذيان. وسبب ذلك التخليطِ العظيم: الإعراضُ عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم. وبيان ذلك: أن حقيقة الرؤيا إنما هي من إدراكات النفس، وقد غُيِّبَ عنا علم حقيقتها، وإذا لم يعلم ذلك لعدم الطريق الموصل إليه، كان أحرى وأولى ألا نعلم ما غُيِّبَ عنا من إدراكاتها، بل نقول: إنا لا نعلم حقيقة كثير مما قد انكشفت لنا جملته من إدراكاتها، كحسِّ السمع، والعين، والأذن، وغير ذلك، فإنا إنما نعلم منها أمورا جملية لا تفصيلية، وأوصافا لازمة أو عرضية، لا حقيقية. وسبيل العاقل: ألا يطمع في معرفة ما لم ينصب له عليه دليل عقلي، ولا حسِّي، ولا مركَّب منهما، إلا أن يخبر بذلك صادق، وهو الذي دلَّ الدليل القطعي على صدقه، وهو الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- فإنهم دلت على صدقهم دلائل المعجزات.

وإن كان كذلك: فسبيلنا أن نعرض عن أحوال المعرضين، ونتشاغل بالبحث عن ذلك في كلام الشارع والمتشرعين.

قال الإمام أبو عبد الله: المذهب الصحيح ما عليه أهل السنة، وهو: أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان. وهو تبارك اسمه يفعل ما يشاء، وما يمنعه من فعله نَوم، ولا يقظة، وكأنه سبحانه جعل هذه الاعتقادات عَلَـمًا على أمور أخر يخلقها في ثاني حال، أو كان قد خلقها.

(1) النهاية في غريب الحديث (ص229).

وقال غيره: إن لله تعالى مَلَكًا موكلا يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صورا محسوسة، فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون أمثلة لِمعانٍ معقولة غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مبشرة ومنذرة.

قلت: وهذا مثل الأول في المعنى، غير أنه زاد فيه قضية الملك، ويحتاج في ذلك إلى توقيف من الشرع، إذ يجوز أن يخلق الله تعالى تلك التمثيلات من غير ملك.

قوله: (**الرؤيا من الله**) أي: بشرى من الله، أو تحذير وإنذار.

قوله: (**والحلم من الشيطان**) يعني به: ما يلقيه مما يهول، أو يخوِّف، أو يُحزن به.

وهذا النوع هو المأمور بالاستعاذة منه، لأنه من تخييلات الشيطان وتشويشاته، فإذا استعاذ الرائي منه صادقا في التجائه إلى الله تعالى، ونفث عن يساره ثلاثا، وتحول عن جنبه كما أمره النبي ﷺ في هذا الحديث، وصلَّى، أذهب الله عنه ما أصابه، وما يخافه من مكروه ذلك، ولم يصبه منه شيء ببركة صدق الالتجاء إلى الله تعالى، وامتثال أوامر رسوله ﷺ، وعلى هذا فيكون قوله: (**فإذا رأى أحدكم ما يكره**) إنما يعني به: ما يكون سببه الشيطان.

وفائدة أمره بالتحول عن جنبه الذي كان عليه ليتكامل استيقاظه، وينقطع عن ذلك المنام المكروه.

وفائدة الأمر بالصلاة أن تكمل الرغبة، وتصح الطلبة، فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. ثم إن النبي ﷺ قد ذكر أنواع الرؤيا هنا. وفيما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**الرؤيا ثلاث: فرؤيا حقّ، ورؤيا يحدِّث بها المرء نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان...**)[1]. وذكر الحديث.

فرؤيا الحقّ: هي المنتظِمة التي لا تخليط فيها، وقد سمَّاها في رواية أخرى (الصادقة). وفي أخرى (الصالحة)، وهي التي يحصل بها التنبيه على أمر في اليقظة صحيح، وهي -التي إذا صدرت من الإنسان الصالح- جزء من أجزاء النبوة. أي: خصلة من خصال الأنبياء التي بها يعلمون الوحي من الله تعالى.

وأما الثانية: فهي التي تكون عن أحاديث نفس متوالية، وشهوات غالبة، وهموم لازمة، ينام عليها فيرى ذلك في نومه، فلا التفات إلى هذا.

---

(1) رواه الترمذي برقم (2280)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وكذلك الثالثة: فإنها تحزين، وتهويل، وتخويف، يُدخِل كلَّ ذلك الشيطانُ على الإنسان في نومه ليشوش يقظته.

وقد يجتمع هذان السببان، أعني هموم النفس، وألقيات الشيطان في منام واحد، فتكون أضغاث أحلام لاختلاطها. والضغث: هي القبضة من الحشيش المختلط. [1].

قوله: (**فلينفث عن يساره ثلاث مرات**) وجاء في رواية: (**فليتفل**)، وفي أخرى: (**فليبصق**).

قال الإمام النووي رحمه الله: فحاصله ثلاثة: أنه جاء: (فلينفث) و(فليبصق) و(فليتفل) وأكثر الروايات (فلينفث)، ولعل المراد بالجميع النفث، وهو: نفخ لطيف بلا ريق، ويكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا. [2].

قال الحافظ في (الفتح): وأما (التفل) فقال عياض: أمر به طردا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا، وخُصَّت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها. قلت: والتثليث للتأكيد. [3].

قوله: (**وليتحوَّلْ عن جنبه الذي كان عليه**) التحوُّل عمل بدني يدفع العبد لنوع من النشاط والحركة، وقد تقدم كلام الإمام القرطبي رحمه الله في فائدة أمره بالتحوُّل عن جنبه الذي كان عليه فقال: ليتكامل استيقاظه، وينقطع عن ذلك المنام المكروه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وأما التحوُّل، فللتفاؤل بتحوُّل تلك الحال التي كان عليها. [4].

وقال ابن علان رحمه الله: وحكمة التحوُّل التفاؤل بتحوُّل الحال. [5].

قوله: (**فإنها لا تضرُّه**) قال الإمام النووي رحمه الله: معناه: أن الله تعالى جعل هذا سببا لسلامته من مكروه يترتب عليها، كما جعل الصدقة وقايةً للمال، وسببا لدفع

---

(1) المفهم (6/ 5-10).

(2) شرح مسلم (15/ 24).

(3) فتح الباري (16/ 309).

(4) فتح الباري (16/ 309).

(5) الفتوحات الربانية (3/ 187).

البلاء، فينبغي أن يجمع بين هذه الروايات ويعمل بها كلها، فإذا رأى ما يكرهه نفث عن يساره ثلاثا قائلا: أعوذ بالله من الشيطان ومن شرها، وليتحوَّل إلى جنبه الآخر، وليصلِّ ركعتين، فيكون قد عمل بجميع الروايات. قوله: (**ولا يحدِّث بها أحدا**) قال الإمام النووي رحمه الله: وأما قوله في الرؤيا المكروهة: (**ولا يحدِّث بها أحدا**) فسببه أنه ربما فسّرها تفسيرا مكروها على ظاهر صورتها، وكان ذلك محتملا فوقعت كذلك بتقدير الله تعالى، فإن الرؤيا على رجل طائر[1].

قوله: (**ولا يخبر إلا من يحب**) قال الحافظ في (الفتح): الحكمة فيه أنه إذا حدَّث بالرؤيا الحسنة من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب، إما بغضا وإما حسدا، فقد تقع عن تلك الصفة، أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا، فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك. اهـ[2].

قوله: (**فليقم فليصلِّ**) قال العلماء: بالصلاة تكمل الرغبة، وتصح الطلبة، فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، واعلم أن الأمر بالصلاة زيادة ينبغي إضافتها للحلول المتقدمة، بل لعلها من أعظم الحلول أثرا ومنفعة، والله أعلم.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: لأنه إذا صلى تضمن فعله للصلاة جميع تلك الأمور، لأنه إذا قام إلى الصلاة تحوَّل عن جنبه، وإذا تمضمض نفث وبصق، وإذا قام إلى الصلاة تعوَّذ ودعا، وتفرغ لله تعالى في ذلك في حال هي أقرب الأحوال إجابة، والله تعالى أعلم[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأمر من رأى ما يكرهه أن يتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه، وأمره أن يصلي. فأمره **بخمسة أشياء**:

أن ينفث عن يساره، وأن يستعيذ بالله من الشيطان، وأن لا يخبر بها أحدا، وأن يتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه، وأن يقوم يصلِّي، ومتى فعل ذلك، لم تضره الرؤيا المكروهة، بل هذا يدفع شرها[4].

---

(1) الفتوحات الربانية (3/ 187).

(2) فتح الباري (16/ 406).

(3) المفهم (6/ 19).

(4) زاد المعاد (2/ 458).

وأما قوله: (**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب**) قال الإمام الخطابي رحمه الله وغيره: قيل المراد إذا قارب الزمان أن يعتدل ليله ونهاره.

وقيل: المراد إذا قارب القيامة، والأول أشهر عند أهل غير الرؤيا، وجاء في حديث[1] ما يؤيد الثاني، والله أعلم[2].

قوله: (**وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا**) قال الإمام النووي رحمه الله: ظاهره أنه على إطلاقه، وحكى القاضي عن بعض العلماء: أن هذا يكون في آخر الزمان عند انقطاع العلم، وموت العلماء والصالحين، ومن يستضاء بقوله وعمله، فجعله الله تعالى جابرا وعِوَضًا ومنبِّها لهم، والأول أظهر، لأن غير الصادق في حديثه يتطرق الخلل إلى رؤياه وحكايته إياها[3].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: إنما كان ذلك لأن: من كثر صدقه تنوَّر قلبه، وقوِي إدراكُه، فانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة والاستقامة، وأيضا فإن من كان غالب حاله الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه، فلا يرى إلا صدقًا، وعكس ذلك: الكاذب والمخلِّط يفسد قلبه، ويظلم فلا يرى إلا تخليطا وأضغاثا. هذا غالب حال كل واحد من الفريقين. اهـ[4].

قوله: (**ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة**) جاءت عدة روايات صحيحة صريحة تنوعت فيها ذكر الأجزاء المذكورة.

قال الحافظ في(الفتح): فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه أقلها (جزء من ستة وعشرين) وأكثرها (من ستة وسبعين)، وبين ذلك: أربعين، وأربعة وأربعين، وخمسة وأربعين، وستة وأربعين، وسبعة وأربعين، وتسعة وأربعين، وخمسين، وسبعين، أصحها مطلقا الأول ويليه السبعين. اهـ[5].

---

(1) وهو ما رواه الترمذي برقم (2291)، وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (**في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب**). وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) شرح مسلم (15/ 25).

(3) شرح مسلم (15/ 25).

(4) المفهم (6/ 11).

(5) فتح الباري (16/ 296).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله:... فاختلفت الرواية فيه من ستة وعشرين إلى سبعين، وأكثرها في الصحيحين، وكلها مشهور فلا سبيل إلى أخذ أحدها وطرح الباقي. اهـ[1].

قال العلماء: والصواب أنه ليس في هذا الاختلاف تعارض أوِ اضطراب يسقطها، وأن الرؤى الصالحة تنال من أجزاء النبوة على قدر صدقها وصلاح رائيها.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في(التمهيد): اختلاف آثار هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا من النبوة، ليس ذلك عندي باختلاف تضاد وتدافع، والله أعلم، لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة مِن بعض مَن يراها، على ستة وأربعين جزءا، أو خمسة وأربعين جزءا، أو أربعة وأربعين جزءا، أو خمسين جزءا، أو سبعين جزءا، على حسب ما يكون الذي يراها من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدين المتين، وحسن اليقين، فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا، تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، فمن خلصت له نيته في عبادة ربه ويقينه، وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب، كما أن الأنبياء يتفاضلون، والنبوة كذلك، والله أعلم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ٥٥﴾ [الإسراء: 55]. اهـ[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قال القاضي: أشار الطبري إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرائي، فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءا من ستة وأربعين جزءا، والفاسق جزءا من سبعين جزءا. اهـ[3].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: هذا الاختلاف راجع على الرائي، فكلما كان صالحا كانت النسبة أعلى[4].

وقال أيضا: وقد ذكر العلماء أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف الرائي، فكلما كان صالحا كان جزؤه من عدد أقل، والله أعلم[5].

---

(1) المفهم (6/ 14).

(2) موسوعة شروح الموطأ (22/ 754).

(3) شرح مسلم (15/ 28).

(4) السلسلة الصحيحة (4 / 487).

(5) حاشية مختصر صحيح مسلم (ص400).

32 دعاء قنوت الوتر

القنوت يطلق على معانٍ، والمراد به هنا: الدعاء في الصلاة في محلٍّ مخصوص مِنَ القيام[1].

116-(1) (**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ، وعَافِنِي فِيْمَنْ عَافَيْتَ، وتَولَّنِي فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيْمَا أعْطَيْتَ، وقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛فَإنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ، إنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، [وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ]، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**). [2].

قال الإمام الترمذي رحمه الله عقبه: ولا نعرف عِن النبي ﷺ في القنوت في الوتر شيئا أحسن مِن هذا. اهـ

قال سِبط رسول الله ﷺ وريحانته الحسن بن علي رضي الله عنهما: علَّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر:... الحديثَ.....

قوله: (علَّمني رسول الله ﷺ كلمات) أي: جملا، فهو من إطلاق اسم الجزء على الكلِّ. (أقولهن) أي: أدعو بهنَّ.

قوله: (في الوتر) قال الحافظ في(الفتح): الوتر بالكسر الفرد، وبالفتح الثأر، وفي لغة مترادفان[3].

قوله: (**اللهم اهدني**) أي: دُلَّني على الحق ووفقني لسلوكه.

قوله: (**فيمن هديت**) أي: في جملة من هديتهم.

قوله: (**وعافني**) أي: عافني من أمراض القلوب والأبدان.

قوله: (**فيمن عافيت**) أي: في جملة من عافيتهم.

قوله: (**تولني**) أي: كن وليا لي ولاية خاصَّة تقتضي العناية والحفظ والتأييد.

(1) انظر زاد المعاد(1 / 276)، فتح الباري (3 / 340)

(2) رواه أبو داود برقم (1425)، والترمذي برقم (464)، والنسائي برقم (1745)، وابن ماجه برقم (1178) وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(3) فتح الباري (3/ 321).

قوله: (**فيمن توليت**) أي: في جملة من توليتهم.

قوله: (**وبارك**) البركة النماء والزيادة، والتبريك الدعاء بذلك. وهي الخير الكثير الثابت.

قوله: (**فيما أعطيت**) من كل شيء، من علم، ومال، وولد، ومسكن... الخ

قوله: (**وقني شر ما قضيت**) أي: شر الذي قضيته، فإن الله تعالى قد يقضي بالشر لحكمة بالغة، والشر واقع في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، فإن فعله وخلقه خير كله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: هو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله. وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تنزَّه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محلِّه، فإذا وُضع في محلِّه لم يكن شرا، فعلم أن الشر ليس إليه.

قال: فإن قلت: فلم خلقه وهو شر؟

قلت: خلقه له، وفعله خير لا شر، فإن الخلق والفعل قائم به سبحانه، والشر يستحيل قيامه به واتصافه به، وما كان في المخلوق من شر فلعدم إضافته ونسبته إليه، والفعل والخلق يضاف إليه فكان خيرا. اهـ[1].

قوله: (**إنك تقضي ولا يُقضَى عليك**) فالله تعالى يقضي على كل شيء، لأن له الحكم التام الشامل. فلا يقضي عليه أحد، فالعباد لا يحكمون على الله، والله يحكم عليهم.

قوله: (**إنه لا يذل مَن واليتَ، ولا يعزُّ مَن عاديتَ**) فإذا تولى الله سبحانه الإنسان، فإنه لا يذل، وإذا عادى الله الإنسان، فإنه لا يعزُّ. ولا يُطلب نيلُ العزِّ، والوقايةُ مِنَ الذلِّ إلا منه سبحانه.

قوله: (**تباركت ربنا**) أي: تعاظمت وكثرت خيراتك. (**وتعاليتَ**) من التعالي وهو العلوُّ. والمعنى: أن لك العلوَّ المطلق ذاتا وقدرا وقهرا، فهو سبحانه العلي بذاته، قدِ استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله، والعلي بقدره، وهو علوُّ صفاته وعظمتها، والعليُّ بقهره حيث قهر كل شيء ودانت له الكائنات بأسرها.

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل (ص359-362). وقد تقدم في الحديث رقم (29).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث:

قوله: (**اهدني**) سؤال للهداية المطلقة التي لا يتخلف عنها الاهتداء.

وقوله: (**فيمن هديتَ**) فيه فوائد أحدها أنه سؤال له أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم ورفقتهم. الثانية توسل إليه بإحسانه وإنعامه، أي يا رب، قد هديت من عبادك بشرا كثيرا فضلا منك وإحسانا فأحسن إليَّ كما أحسنت إليهم. الثالثة أن ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم ولا بأنفسهم، وإنما كان منك فأنت الذي هديتهم.

وقوله: (**وعافني فيمن عافيت**) إنما يسأل ربه العافية المطلقة وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والإعراض وفعل ما لا يحبه وترك ما يحبه، فهذا حقيقة العافية، ولهذا ما سئل الرب شيئا أحب إليه من العافية، لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه.

وقوله: (**وتولني فيمن توليت**) سؤال للتولي الكامل ليس المراد به ما فعله بالكافرين من خلق القدرة وسلامة الآلة وبيان الطريق، فإن كان هذا هو ولايته للمؤمنين فهو ولي الكفار كما هو ولي المؤمنين، وهو سبحانه يتولى أولياءه بأمور لا توجد في حق الكفار من توفيقهم وإلهامهم وجعلهم مهديين مطيعين. ويدل عليه قوله: (**إنه لا يذل من واليت**) فإنه منصور عزيز غالب بسبب توليك له، وفي هذا تنبيه على أن ما حصل له ذل في الناس فهو بنقصان ما فاته من تولي الله، وإلا فمع الولاية الكاملة ينتفي الذل كله ولو سلط عليه بالأذى مَن في أقطارها، فهو العزيز غير الذليل. وقوله: (**وقني شر ما قضيت**) يتضمن أن الشر بقضائه، فإنه هو الذي يقي منه[1].

فوائد:

01-ثبت في رواية زيادة: (**ولا منجا منك إلا إليك**). [2]. ومعناها: لا ملاذ ولا مهرب ولا مخلص من عقوبتك إلا بالفزع إليك والاعتماد عليك.

02-قال الشيخ الألباني رحمه الله: زاد النسائي في آخر القنوت: (**وصلى الله على النبي الأمي**) وإسنادها ضعيف، وقد ضعفها الحافظ ابن حجر والقسطلاني

(1) شفاء العليل (ص 233-234).

(2) صفة الصلاة (ص181).

والزرقاني وغيرهم،... قال العز بن عبد السلام: ولم تصح الصلاة على رسول الله ﷺ في القنوت... ثم استدركت فقلت: قد ثبت في حديث إمامة أُبيٍّ بن كعب الناس في قيام رمضان أنه كان يصلي على النبي ﷺ في آخر القنوت، وذلك في عهد عمر رضي الله عنه. رواه ابن خزيمة في صحيحه (1097)... فهي زيادة مشروعة لعمل السلف بها. اهـ[1].

03-قال الشيخ الألباني رحمه الله: وكان ﷺ **(يقنت في ركعة الوتر) أحيانا و(يجعله قبل الركوع)**. وإنما قلنا أحيانا لأن الصحابة الذين رووا الوتر لم يذكروا القنوت فيه، فلو كان ﷺ يفعله دائما، لنقلوه جميعا عنه، نعم رواه عنه أُبيٌّ بن كعب وحده، فدلَّ على أنه كان يفعله أحيانا، ففيه دليل على أنه غير واجب، وهو مذهب جمهور العلماء. [2]

04-هل يستحبُّ رفع اليدين في القنوت؟

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه وجهان: الثاني: يستحب، وهذا هو الصحيح عند الأصحاب وفي الدليل، واحتج له البيهقي بما رواه بإسناد له صحيح أو حسن عن أنس رضي الله عنه في قصة القراء الذين قُتِلوا رضي الله عنهم قال: **(لقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة يرفع يديه يدعو عليهم، يعني على الذين قتلوهم)**. قال البيهقي رحمه الله تعالى: ولأن عددا من الصحابة رضي الله عنهم رفعوا أيديهم في القنوت. اهـ[3].

05-في حكم مسح الوجه باليدين في دعاء القنوت؟

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما مسح الوجه ففيه وجهان، الثاني: لا يمسح، وهذا هو الصحيح، صححه البيهقي والرافعي وآخرون من المحققين. قال البيهقي: لست أحفظ في مسح الوجه هنا عن أحد من السلف شيئا. اهـ[4].

---

(1) صفة الصلاة (ص180).

(2) صفة الصلاة (ص179).

(3) المجموع شرح المهذب (3 / 479).

(4) المجموع شرح المهذب (3/ 480).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: كان ﷺ إذا أراد أن يدعُوَ في القنوت يرفع يديه، وأما مسح الوجه بهما فلم يرِد في هذا الموطن، فهو بدعة، وأما خارج الصلاة فلم يصح، وكل ما روي في ذلك ضعيف وبعضه أشد ضعفا من بعض. اهـ[1].

117-(2) **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)**[2].

تقدم شرحه، انظر الحديث رقم (47).

118-(3) **(اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، ولَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، ونَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالكَافِرِينَ مُلْحَقٌ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، ونَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الخَيْرَ، وَلا نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنخْضَعُ لَكَ، وَنخْلَعُ مَنْ يَكْفُرُكَ)**[3].

هذا أثر من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قوله: **(اللهم إياك نعبد)** أي: يا الله نخصُّك وحدك بالعبادة. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 05].

قوله: **(ولك نصلي ونسجد)** أي: لك لا لغيرك نصلي ونسجد. قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: 02]. قال الإمام ابن جرير رحمه الله: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك. اهـ[4].

قوله: **(وإليك نسعى)** السعي: الإسراع في المشي. **(ونحفد)** أصل الحفد الخدمة والعمل. أي: نسرع في العمل والخدمة. والمراد العمل لله سبحانه بطاعته.

قوله: **(نرجو رحمتك)** أي: نرغب ونطمع في رحمتك. قال العلماء: الرجاء عبادة قلبية حقيقتها الطمع والرغبة بالحصول على شيء مرجوٍّ.

---

(1) صفة الصلاة (ص179).

(2) رواه مسلم برقم (486).

(3) رواه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 211)، وقال الشيخ الألباني في الإرواء (2/ 170): وهذا إسناد صحيح.

(4) تفسير ابن جرير (24/ 696).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وحقيقة الرجاء الخوف والرجاء. فيفعل ما أمر به على نور الإيمان، راجيا للثواب. ويترك ما نهى عنه على نور الإيمان خائفا من العقاب[1].

قوله: (**ونخشى عذابك**) أي: نخافه. فالخشية بمعنى الخوف إلا أن الخشية أخص. لأنها مبنية على علم بعظمة من يخشاه.

قال الرّاغب الأصفهاني: الخشية خوف يشوبه تعظيم. وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه. ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۝٢٨﴾ [فاطر: 28][2].

قوله: (**إن عذابك بالكافرين ملحق**) بكسر الحاء أي: لاحق. والفتح صواب. والمعنى أنه واقع لا محالة.

قوله: (**اللهم إنا نستعينك**) أي: نطلب إعانتك، فالاستعانة: طلب العون.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والاستعانة بالله تتضمن ثلاثة أمور: كمال الذل له، مع الثقة به، والاعتماد عليه، ومَنِ استعان بغير الله محققا هذه المعاني الثلاثة، فقد أشرك مع الله غيره[3].

قوله: (**ونستغفرك**) أي: نطلب مغفرتك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الاستغفار هو محوُ الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره[4].

قوله: (**ونثني عليك الخير**) من الثناء وهو المدح. (**ولا نكفرك**) أي: لا نكفر نعمتك. بمعنى: لا نجحدك نعمتك بعدم الشكر عليها.

قوله: (**ونؤمن بك**) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

---

(1) مدارج السالكين (1/ 538).

(2) المفردات (ص283).

(3) مدارج السالكين (1/ 74).

(4) مدارج السالكين (1/ 334)، وقد تقدم.

الثاني: الإيمان بربوبيته. ومعناه: أن تؤمن بأن الله تعالى وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير.

الثالث: الإيمان بألوهيته. ومعناه: أن تؤمن بأن الله تعالى وحده المستحق للعبادة دون ما سواه.

الربع: الإيمان بأسمائه وصفاته. ومعناه: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: 11].

قوله: (**ونخضع لك**) من الخضوع وهو الذل والانكسار.

قوله: (**نخلع**) أي: نترك، من خلع الفرس رسنه إذا ألقاه وطرحه. والمعنى: أنّا نترك من يفجرك ويعصيك ويخالفك.

فائدة: قال الشيخ الألباني رحمه الله: هذه الروايات عن عمر في قنوت الفجر، والظاهر أنه في قنوت النازلة كما يشعر به دعاؤه على الكفار، ولم أقف على رواية عنه في أنه كان يقنت بذلك في الوتر والله أعلم[1].

(1) إرواء الغليل (2/ 172).

33 الذِّكر عقب السلام من الوتر

119- (**سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ**) (**ثَلاثَ مَرَّاتٍ، والثَّالِثَةُ يَجْهَرُ بِهَا ويَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ يَقُولُ: [رَبِّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ]**)[1].

والحديث بتمامه عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يوتر بثلاث ركعات، كان يقرأ في الأولى بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وفي الثانية بـ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثة بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ويقنت قبل الركوع، فإذا فرغ، قال عند فراغه: (**سبحان الملك القدوس**) ثلاث مرات، يطيل في آخرهنَّ.

قوله: (فإذا فرغ، قال عند فراغه) أي: بعد التسليم.

قوله: (**سبحان الملك**) معناه تنزيه الله تعالى عن كل ما ينافي كمال ملكه وما يقتضيه من الأقوال والأفعال.

(**القدوس**) قال الطيبي: هو الطاهر المنزَّه عن العيوب والنقائص، وفعول من أبنية المبالغة. قوله: (ثلاث مرات) أي: يقوله ثلاث مرات. ففيه مشروعية التسبيح بهذه الصيغة بعد الفراغ من الوتر ثلاث مرات.

قوله: (يطيل في آخرهن) أي: يرفع صوته بهذا التسبيح في المرة الثالثة.

قوله: (**رب الملائكة**) أي: مالكهم، وخالقهم، ورازقهم، أي: مصلح أحوالهم. (**والروح**) والروح هنا جبريل عليه السلام، كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: 193-194]. وخصّه بالذكر وإن كان من الملائكة تشريفا وتخصيصا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: 98]. فخصّهما تشريفا لهما[2].

(1) رواه النسائي برقم (1699)، وأبو داود برقم (1430)، وابن ماجه برقم (1171)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي. وزيادة: (**رب الملائكة والروح**) رواها الدارقطني (2/ 31. ص: 175) وإسنادها صحيح انظر زاد المعاد (1/ 337).

(2) المفهم (2/ 91).

وقال الإمام النووي رحمه الله: قيل: الروح ملك عظيم، وقيل: يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام، وقيل: خلق لا تراهم الملائكة، كما لا نرى نحن الملائكة. والله سبحانه وتعالى أعلم[1].

ففيه ذكر ربوبية الله للملائكة عموما، ثم خص بالذكر جبريل عليه السلام الروح الأمين، لكونه أفضل الملائكة، وهو الموكَّل بالوحي، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: 192-193]. وسمّي جبريل روحا، لأنه كان ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب.

وقد تقدم شرح ألفاظه، في الحديث رقم (35).

(1) شرح مسلم (4/ 226).

34 دعاء الهمِّ والحُزْن

120-(1) **(اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيْعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وجَلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي)**[1].

جاء في بداية الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: **(ما أصاب عبدا همٌّ ولا حُزْنٌ، فقال:...)**. الحديثَ.....

قال العلماء: الهمُّ كالحُزْن إلا أن الهمَّ إنما يكون في الأمر المتوقَّع، والحُزْن فيما قد وقع.

قوله: **(اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك)** إظهار التذلل والخضوع، والاعتراف بالعبودية، ولم يكتف بقوله: **(إني عبدك)** بل زاد فيه: **(ابن عبدك، ابن أمتك)** لأن هذا أبلغ وآكد في إظهار التذلل والعبودية، لأن من ملك رجلا ليس مثل من ملكه مع أبويه.

قوله: **(ناصيتي بيدك)** [الناصية: مقدّم الرأس]، وهي كناية عن نفوذ حكمه فيه، وأنه تحت قدرته وقهره.

قوله: **(ماضٍ فيَّ حكمك)** يعني: نافذ فيَّ حكمك.

قوله: **(عدل فيَّ قضاؤك)** يعني: كل ما تحكم فيَّ فهو عدل، لأن العدل صفتك، والظلم محال عليك، والعدل: وضع الشيء في محله، والظلم خلافه.

قوله: **(أسألك...)** إلى آخره، شروع في الدعاء بعد إظهار التذلل والخضوع، وهذا من آداب السائلين، وهذه الحالة أقرب إلى إجابة السؤال، لا سيما إذا كان المسؤول منه كريما، والله تعالى أكرم الأكرمين، إذا تضرع إليه عبده، وتذلل له، وأظهر الخضوع والخشوع، ثم سأل حاجته ينفذها في ساعته على ما هو اللائق بكرمه وجوده.

---

(1) رواه أحمد في المسند برقم (3712)، وابن السني برقم (341)، وصححه الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم (125)، والصحيحة برقم (199).

قوله: (**بكل اسم**) أي: بحق كل اسم.

قوله: (**هو لك**) احترز به عن غير اسم الله، لأنه لما أقسم بكل اسم، وهو عام لجميع الأسماء، أخرج عنه ما هو اسم لغيره بقوله: (**هو لك**) لأن القسم بغير اسم الله لا يجوز.

قوله: (**سمّيت به نفسك**) أي: ذاتك.

قوله: (**أو أنزلته في كتابك**) يعني: أنزلته على أحد من أنبيائك في كتابك الكريم.

قوله: (**أو علَّمته أحدا من خلقك**) أي: من الأنبياء والملائكة.

قوله: (**أوِ استأثرت به في علم الغيب عندك**) أي: أو خصَّصت به نفسك في علم الغيب، بحيث أنه لا يعرفه إلا أنت، ولا يطَّلع عليه غيرك، وهذا كله تقسيم لقوله: (**بكل اسم هو لك**) يعني: الاسم الذي يكون لله تعالى، لتفريج هذه الأمور، إما أنزله في كتابه، أو علَّمه أحدا من خلقه، أوِ استأثر به في علم الغيب، وقدِ استُفيد من هذا أن لله أسماء خلاف ما ذكر في القرآن، وعلى لسان الرسول ﷺ، ولم يكن قوله عليه السلام: (**إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدة**) للحصر.

قوله: (**أن تجعل القرآن**) مفعول لقوله: (**أسألك**).

قوله: (**ربيع قلبي**) يعني فرح قلبي وسروره، وجعله ربيعا له، لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان، ويميل إليه، ويخرج من الهمِّ والغمِّ، ويحصل له النشاط والابتهاج والسرور.

قوله: (**ونور صدري**) أي: انشراح صدري، لأن الصَّدر إذا كان منشرحا يكون منوَّرا، مثل البيت إذا كان فيه نور فينشرح القاعدون فيه.

قوله: (**وجلاء حزني**) أي: انكشاف حزني، ومنه: انجلت الشمس إذا انكشفت.

قوله: (**وذهاب همِّي وغمِّي**) أي: زوال همِّي وغمِّي[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: قوله: (**إني عبدك**) التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة، وامتثال أمر سيده واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه واللجأ إليه والاستعانة به، والتوكل عليه، وعياذ العبد به، ولياذه به،

(1) مستفاد من العلم الهيب (ص343).

وأن لا يتعلق قلبه بغيره، محبةً وخوفًا ورجاءً. ثم قال: **(ناصيتي بيدك)** أي: أنت المتصرف فيَّ، تصرفني كيف تشاء، لست أنا المتصرف في نفسي.

(ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك) تضمن هذا الكلام أمرين:

أحدهما: مضاء حكمه في عبده.

والثاني: يتضمن حمده وعدله، وهو سبحانه له الملك وله الحمد.

وفرق بين الحكم والقضاء، وجعل المضاء للحكم، والعدل للقضاء، فان حكمه سبحانه يتناول حكمه الديني الشرعي، وحكمه الكوني القدري، والنوعان نافذان في العبد ماضيان فيه، وهو مقهور تحت الحكمين قد مضيا فيه ونفذا فيه شاء أم أبى، لكن الحكم الكوني لا يمكنه مخالفته، وأما الديني الشرعي فقد يخالفه. ولما كان القضاء هو الإتمام والإكمال قال: **(عدل فيَّ قضاؤك)** أي: الحكم الذي أكملته وأتممته ونفذته في عبدك: عدل منك فيه.

وقوله: **(أسألك بكل اسم هو لك...)** إلى آخره توسل إليه بأسمائه كلها، ما علم العبد منها وما لم يعلم، وهذه أحب الوسائل إليه، فإنها وسيلة بصفاته وأفعاله، التي هي مدلول أسمائه.

وقوله: **(أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري)** الربيع: المطر الذي يحيي الأرض، شبه القرآن به لحياة القلوب به، وكذلك شبهه الله بالمطر، وجمع بين الماء الذي تحصل به الحياة والنور الذي تحصل به الإضاءة والإشراق... فتضمن الدعاء أن يحيي قلبه بربيع القرآن، وأن ينوّر به صدره، فتجتمع له الحياة والنور.

وقوله: **(وجلاء حزني وذهاب همِّي وغمِّي)** ولما كان الحُزن والهمُّ والغمُّ يضاد حياة القلب واستنارته، سأل أن يكون ذهابها بالقرآن، فإنها أحرى أن لا تعود، وأما إذا ذهبت بغير القرآن، من صحة، أو دنيا، أو جاه، أو زوجة، أو ولد، فإنها تعود بذهاب ذلك. والمكروه الوارد على القلب: إن كان من أمر ماضٍ، أحدث الحُزنَ، وإن كان من مستقبل أحدث الهمَّ، وإن كان من أمر حاضر أحدث الغمَّ، والله أعلم[1].

وقال أيضا: وأما في حديث ابن مسعود: **(اللهم إني عبدك ابن عبدك)** ففيه من المعارف الإلهية، وأسرار العبودية ما لا يتسع له كتاب، فإنه يتضمن الاعتراف

---

(1) الفوائد (47/ 54)، باختصار.

بعبوديته وعبودية آبائه وأمهاته، وأن ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء، فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، لأنه من ناصيته بيد غيره، فليس إليه شيء من أمره، بل هو عانٍ في قبضته ذليل تحت سلطان قهره.

وقوله: (**ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك**) متضمن لأصلين عظيمين عليهما مدار التوحيد، أحدهما: إثبات القَدَر، وأن أحكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه، لا انفكاك له عنها، ولا حيلة له في دفعها.

والثاني: أنه -سبحانه- عدل في هذه الأحكام، غير ظالم لعبده، بل لا يخرج فيها عن موجب العدل والإحسان، فإن الظلم سببه حاجة الظالم، أو جهله، أو سفهه، فيستحيل صدوره ممن هو بكل شيء عليم.... ثم توسل إلى ربه بأسمائه التي سمَّى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا. ومنها: ما استأثره في علم الغيب عنده، فلم يُطْلِع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، وهذه الوسيلة أعظم الوسائل، وأحبها إلى الله، وأقربها تحصيلا للمطلوب.

ثم سأله أن يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، وأن يجعله شفاء همِّه وغمِّه، فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والأصدية، وغيرها، فأحرى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يزيل عنه داءه، ويعقبه شفاء تامًّا، وصحة وعافية، والله الموفِّق[1].

وقال أيضا: فقد دلَّ هذا الحديث الصحيح على أشياء:

منها: أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب:

فالهمُّ يكون على مكروه يُتوقَّع في المستقبل يهتمُّ به القلب.

والحُزن على مكروه ماضٍ من فوات محبوب أو حصول مكروه إذا تذكره أحدث له حُزنا.

والغمُّ يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغمَّ.

فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه، وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تباينا لا يحصيه إلا الله، بل

(1) زاد المعاد (4 / 206).

كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهَّم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة، كمن يتداوى منها باللهو واللعب، والغناء وسماع الأصوات المطربة وغير ذلك، فأكثر سعي بني آدم أو كله إنّما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور، متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره، وأعظم أجزاء هذا الدواء هو: **التوحيد والاستغفار**، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾.

وفي الحديث: (**فإن الشيطان يقول: أُهلك بني آدم بالذنوب وأَهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء**). فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولذلك كان الدعاء المفرِّج للكرب محض التوحيد، وهو: (**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا هو رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم**). وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: (**دعوة أخي ذي النون ما دعاها مكروب إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**). فالتوحيد يدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع، ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه.

فإذا وصل القلب إليه زال عنه همُّه وغمُّه وحُزنه، وإذا انقطع عنه حصرته الهموم والغموم والأحزان، وأتته من كل طريق، ودخلت عليه من كل باب، فلذلك صدّر هذا الدعاء المذهِب للهمِّ والغمِّ والحُزن بالاعتراف له بالعبودية حقًّا منه، ومن آبائه.

ثم أتبع ذلك باعترافه بأنه في قبضته وملكه وتحت تصرفه، بكون ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء، كما يقاد من أمسك بناصيته شديد القوى لا يستطيع إلا الانقياد له.

ثم أتبع ذلك بإقراره له بنفاذ حكمه فيه وجريانه عليه شاء أم أبى، وإذا حكم فيه بحكم لم يستطع غيره ردّه أبدا، وهذا اعتراف لربّه بكمال القدرة عليه واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف، فكأنه قال: أنا عبد ضعيف مسكين يحكم فيه قويٌّ قاهر غالب، وإذا حكم فيه بحكم مضى حكمه فيه ولا بد.

ثم أتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل قضية ينفذها فيه هذا الحاكم، فهي عدل محض منه لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه، فقال: (**ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك**)، وهذا يعمُّ جميع أقضيته سبحانه في عبده، قضاءَه السابق فيه قبل إيجاده، وقضاءَه فيه المقارن لحياته، وقضاءَه فيه بعد مماته، وقضاءَه فيه يوم معاده، ويتناول قضاءه فيه بالذنب، وقضاءه فيه بالجزاء عليه، ومن لم يثلج صدره لهذا ويكون له كالعلم الضروري، لم يعرف ربّه وكماله، ونفسه وعينه، ولا عدل في حكمه بل هو جهول ظلوم، فلا علم ولا إنصاف.....

ثم قوله بعد ذلك: (**عدل فيَّ قضاؤك**) دليل على أن الله سبحانه عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله، خيره وشره حلوه ومره فعله وجزائه، فدل الحديث على الايمان بالقدر، والايمان بأن الله عادل فيما قضاه، فالأول: التوحيد، والثاني: العدل..... والمقصود أنه أعدل العادلين في قضائه بالسبب وقضائه بالمسبب، فما قضى في عبده بقضاء إلا وهو واقع في محله الذي لا يليق به غيره، إذ هو الحكم العدل الغني الحميد.....

وقد دلَّ الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه، ولهذا لم يقل: بكل اسم خلقته لنفسك، ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها، فإن الله لا يقسَم عليه بشيء من خلقه، فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم، وأيضا فإن أسماءه مشتقة من صفاته، وصفاته قديمة به فأسماؤها غير مخلوقة.....

فقوله في الحديث: (**سمّيت به نفسك**) ولم يقل: خلقته لنفسك، ولا قال: سمَّاك به خلقك، دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه، كما سمى نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة بأسمائه. وقوله: (**أوِ استأثرت به في علم الغيب عندك**) دليل على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره، وعلى هذا فقوله: (**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**) لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال: لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدها للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسماءه

تنحصر في هذا العدد. وقد دل الحديث على أن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه، وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث.....

وقوله: **(أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري)** يجمع أصلين:

الحياة والنور، فإن الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فينبت الزرع، فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحا للعالمين ونورا وحياة لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيي به الأرض، ونورا له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض، والحياة والنور جماع الخير كله.....

وقوله: **(وجلاء حُزني وذهاب همِّي وغمِّي)** إن جلاء هذا يتضمن إزالة المؤذي الضار، وذلك يتضمن تحصيل النافع السار.

فتضمن الحديث طلب أصول الخير كله، ودفع الشر، وبالله التوفيق[1].

فائدة: استدل العلماء بهذا الحديث على أن أسماء الله الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تُحَدُّ بعدد. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: قوله: **(أسألك بكل اسم هو لك)** الحديثَ.... الخ. أقول: فيه دليل على أن لله سبحانه وتعالى أسماء غير التسعة والتسعين الإسم المتقدم ذكرها. اهـ[2].

وأما قوله ﷺ: **(إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدا، مَن أحصاها دخل الجنة)**[3]. فالكلام جملة واحدة. وقوله: **(من أحصاها دخل الجنة)** صفة لا خبر مستقبل. والمعنى: له أسماء متعددة، من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة. وهذا لا ينفي أن يكون له تعالى أسماء غيرها. وهذا كما تقول: لفلان مئة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه. ومعنى (أحصاها): إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاؤه بها. أفاده العلامة ابن القيم رحمه الله في (البدائع).

---

(1) شفاء العليل (ص537-543)، باختصار، ولولا خشية الاطالة لنقلت كلامه كاملا لأنه يشفي العليل حقًّا وصدقا بل ويروي الغليل أيضا. ورحم الله الإمام الشوكاني إذ قال عنه في البدر الطالع (2/ 144): وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب...اهـ

(2) تحفة الذاكرين (255)، وقد تقدم قبل قليل كلام العلامة ابن القيم رحمه الله في (شفاء العليل).

(3) رواه البخاري برقم (2736)، ومسلم برقم (2677).

قلت: وبهذا يتبين خطأ كثير من الناس اليوم ممن ظن بأن المراد بإحصاء أسماء الله هو عد ألفاظها، واستظهارها بغير فهم لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فأنشدوها وجعلوها في لوحات للزينة وعلّقوها على الجدران في البيوت والمساجد وغيرها، والأدهى من ذلك أن يكون من بين هذه الأسماء مما لم تثبت التسمية به في القرآن ولا في السنة كاسم (الستار) مثلا فإن الثابت الصحيح هو (الستير) قال ﷺ: **(إن الله حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)**[1]. والله أعلم.

121-(2) **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ وغَلَبَةِ الرِّجَالِ)**[2].

قوله: **(الهمِّ والحزن)** قال الإمام الخطابي رحمه الله: أكثر الناس لا يفرِّقون بين الهمِّ والحزن، وهما على اختلافهما في الاسم يتقاربان في المعنى، إلا أن الحزن يكون على أمر قد وقع، والهمُّ إنما هو فيما يُتوقَّع ولم يكن بعد.

قوله: **(والعجز والكسل)** العجز -بسكون الجيم- وهو ضد القدرة، وأصله التأخر عن الشيء، مأخوذ مِنَ العجز، وهو مؤخر الشيء، وللزوم الضعف والقصور عن الإتيان بالشيء، استُعمِل في مقابلة القدرة واشتهر فيها. والكسل هو التثاقل عنِ الشيء مع وجود القدرة عليه والداعية إليه، قاله القسطلاني. [3].

قال الحافظ في (الفتح): والفرق بين العجز والكسل أن الكسل ترك الشيء مع القدرة على فعله والعجز عدم القدرة عليه. [4].

قوله: **(والبخل والجبن)** البخل ضد الكرم، وهو الشحُّ بالمال، لا يبذل المال بل يمسكه حتى في الأمور الواجبة، لا يقوم بها، والجبن ضد الشجاعة، وهو الشح بالنفس وألا يكون الإنسان شجاعا فلا يقدم في محلِّ الإقدام.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق، وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله، وأهل الشجاعة والجود هم أهل حسن الظن

(1) رواه أبو داود برقم (4012)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) رواه البخاري برقم (6363).

(3) إرشاد الساري (9/ 208).

(4) فتح الباري (7/ 89).

بالله... والشجاعة جُنَّة للرجل من المكاره والجبن إعانة منه لعدوِّه على نفسه، فهو جند وسلاح يعطيه عدوَّه ليحاربه به...[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل لما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد. وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له. قال العلماء: واستعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشَرَعَه أيضا تعليما[2].

قوله: (**وضَلَع الدَّين**) أصل الضَّلَع وهو بفتح المعجمة واللام الاعوجاج، يقال ضَلع بفتح اللام يضلع أي مال، والمراد به هنا ثقل الدَّين وشدته وذلك حيث لا يجد مَن عليه الدَّين وفاءً ولا سيما مع المطالبة. وقال بعض السلف: ما دخل همُّ الدَّين قلبا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه.

قوله: (**وغلبة الرجال**) أي: قهرهم وشدة تسلطهم عليه، واستعاذ ﷺ من أن يغلبه الرجال لما في ذلك من الوهن في النفس.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: استعاذ من **ثمانية** أشياء كل اثنين منها قرينان:

فالهمُّ والحزن قرينان، وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما أن الهمَّ توقع الشر في المستقبل، والحزن التألم على حصول المكروه في الماضي أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب يَرِدُ على الروح، فإن تعلق بالماضي سُمِّي حزنا، وإن تعلق بالمستقبل سُمِّي همًّا.

والعجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم، لأنهما يستلزمان فوات المحبوب، فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته، فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به، والتذاذها بإدراكه لو حصل.

والجبن والبخل قرينان، لأنهما عدم النفع بالمال والبدن، وهما من أسباب الألم، لأن الجبان تفوته محبوبات ومفرِحات وملذوذات عظيمة لا تُنال إلَّا بالبذل

(1) الفروسية (ص491).

(2) شرح مسلم (17/ 34).

والشجاعة فالبخل يحول بينه وبينها أيضا، فهذان الخُلُقان من أعظم أسباب الآلام.

وضَلع الدَّين وقهر الرجال قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذِّبان لها، أحدهما قهر بحقٍّ وهو ضَلَع الدَّين. والثاني قهر بباطل وهو غلبة الرجال، وأيضا فضَلَع الدَّين قهر بسبب مِنَ العبد في الغالب وغلبة الرجال قهر بغير اختياره.[1].

وقال الحافظ في(الفتح): قال الكرماني: هذا الدعاء من جوامع الكلم، لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى بحسب القوى التي للإنسان وهي ثلاثة: العقلية والغضبية والشهوانية، فالهمُّ والحزن يتعلق بالعقلية، والجبن بالغضبية، والبخل بالشهوانية، والعجز والكسل بالبدنية، والثاني يكون عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقوى، والأول عند نقصان عضو ونحوه، والضَّلَع والغلبة بالخارجية، فالأول مالي والثاني جاهي، والدعاء مشتمل على جميع ذلك. اهـ[2].

(1) بدائع الفوائد (ص714).

(2) فتح الباري (14/ 401).

35 دعاء الكَرْب

122-(1) (لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ العَظِيـمُ الحَلِيـمُ، لا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ العَـرْشِ العَظِيمُ، لَا إِلَهَ إلا اللهُ رَبُّ السَّـمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَـرْشِ الكَرِيْمِ). [1].

جـاء عـنِ ابن عبـاس رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ كان يقول عنـد الكرب، وفي روايـة: كان إذا حَزَبَـه أمر قـال: وذكر الحديثَ.

قولـه: (يقـول عنـد الكـرب) أي: عنـد حلـول الكـرب. و**الكَـرْب**: بفتـح الـكاف وسـكون الـراء بعدهـا موحـدة هـو مـا يدهـم المرء ممـا يأخـذ بنفسـه فيغمه ويحزنـه[2]. والفـرق بـين الكَـرْب والحـزن أن الكـرب حـزن مع شـدة.

وقولـه: (إذا حزبـه أمـر) وهو بفتـح المهملة والـزاي وبالموحـدة أي: هجـم عليه أو غلبـه، قالـه الحافظ وقـال النـووي: أي: نابـه وألَمَّ به أمر شـديد.

قوله: (**لا إله إلا الله**) لا معبود بحقٍّ إلا الله.

قولـه: (**العظيـم**) اسـم مـن أسـماء الله عـزَّ وجـلَّ، ومعنـاه: الـذي لـه جميع معـاني العظمـة والجـلال، كالقوة والعزة، وكـمال القدرة، وسـعة العلم، وكمال المجـد، وأنه لا يسـتحقُّ أحـد التعظيـم والتكبير والإجـلال والتمجيـد غيره.

قـال العلامـة ابـن القيم رحمـه الله: فالعظيـم منِ اتصـف بصفات كثـيرة من صفات الكمال[3].

وقال في (النونية):

وهو العظيم بكلِّ معنى يوجب التعـــــظيم لا يحصيـه مــن إنســان

قولـه: (**الحليـم**) اسـم من أسـماء الله عـزَّ وجلَّ ومعنـاه: الـذي لا يعجل عـلى عباده بعقوبتهـم عـلى ذنوبهـم ومعاصيهـم، يـرى عبـاده وهـم يكفـرون بـه ويعصونـه، وهو يحلـم عليهـم فيؤخـر وينظـر ويؤجـل ولا يعجل.

---

(1) رواه البخاري برقم (6346)، ومسلم برقم (2730).

(2) فتح الباري (14/ 356).

(3) بدائع الفوائد (1 / 282)،وقد تقدم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومنها شهود حلم الله سبحانه وتعالى في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل، فيحدث له معرفة ربه سبحانه باسمه الحليم[1]. وقال في (النونية):

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان

والحلم خصلة من الخصال العظيمة التي ينبغي للمؤمنين أن يأخذوا بحظهم منها.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: فمن الواجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى حتى يكون حليما، فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه، ويرفع الانتقام عمَّن أساء إليه، بل يتعوَّد الصفح حتَّى يعود الحلم له سجية[2]. قوله: (**رب العرش العظيم**) فيه إشارة إلى أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق[3].

قوله: (**رب العرش الكريم**) كرر ذكر العرش مرتين لأنه أعظم المخلوقات، وأعلى الموجودات تنبيها على عظمة شأنه، وعلى عظم خالقه[4].

قال في(الفتوحات الربانية): ومن وسعت ربوبيته العرش الذي وسع المخلوقات بأسرهم جدير بأن يزيل الكروب ويرفع اللغوب[5].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فلهذا كان حديث ابن عباس في دعاء الكرب مشتملا على توحيد الإلهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم، وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة، والإحسان والتجاوز، ووصفه بكمال ربوبيته للعالم العلوي والسفلي، والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها. والربوبية التامة تستلزم توحيده، وأنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء

(1) عدة الصابرين (ص422).

(2) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (1/ 97)، عن منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى رسالة ماجستير للأخ مشرف الغامدي وهي رسالة قيمة في بابها استفدت منها فجزاه الله خيرا.

(3) انظر فتح الباري (17 / 392).

(4) العلم الهيب (ص336).

(5) الفتوحات الربانية (4/ 4).

والإجلال والطاعة إلا له. وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له، وسلب كل نقص وتمثيل عنه. وحلمه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه[1].

وقال الحافظ في (الفتح): قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة، والعظيم الذي لا شيء يعظم عليه، والكريم المعطي فضلا. قال الطيبي: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما أصل الأوصاف الإكرامية. اهـ[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: حديث ابن عباس حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة. قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب، فإن قيل: هذا ذكر وليس فيه دعاء، فجوابه من وجهين مشهورين: أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء. والثاني: جواب سفيان بن عيينة فقال: أما علمت قوله تعالى: **(من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)**[3]. وقال الشاعر:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء. اهـ[4]

لطيفة: قال ابن بطال: حدثني أبو بكر الرازي قال: كنت بأصبهان عند أبي نعيم أكتب الحديث، وهناك شيخ يقال له أبو بكر بن عليٍّ، عليه مدار الفتيا، فسعي به عند السلطان فسُجن، فرأيت النبي ﷺ في المنام وجبريل عن يمينه يحرِّك شفتيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لي النبي ﷺ: قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه، قال فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليلا حتى أخرج انتهى[5].

---

(1) زاد المعاد (4/ 203).

(2) فتح الباري (14/ 359).

(3) رواه الترمذي برقم (2926)، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم (1335)، وضعيف الجامع برقم (6435).

(4) شرح مسلم (17/ 52).

(5) فتح الباري (14/ 358).

123-(2) **(اللَّهُـمَّ رَحْمَتَـكَ أَرْجُـو، فَـلا تَكِلنـي إِلَى نَفْـسِي طَرْفَـةَ عَـيْنٍ، وَأَصْلِـحْ لِي شَـأْنِي كُلَّـهُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْـتَ)**[1].

قولـه: **(اللَّهـم رحمتَـك أرجـو)**: في تأخـير الفعل **(أرجـو)** دلالة عـلى الاختصاص، أي نخصّـك وحـدك برجـاء الرحمـة منـك، فلا نرجوهـا مِن أحدٍ سـواك.

قولـه: **(فـلا تكلنـي)**: أي: لا تتركنـي. **(إلى نفـسي طرفـة عـين)** أي: لحظـة أو لمحة. وهـذا فيـه شـدة الافتقار والاحتيـاج إلى خالقـه ومولاه عز وجـل، وأنه لا غنًـى له عن ربـه طرفـة عـين في كل شـأن مـن شـؤونه. قولـه: **(وأصلـح لي شـأني كلـه)** أي: أمري كلـه. وهـذا فيه سـؤال اللهَّ تعـالى أن يصلـح كل أحواله وشـؤونه وأمـوره في كل جزئية مـن جزئياتـه، وكل جانـب مـن جوانبـه في حياته، وبعـد مماته كـما دل قولـه: **(كله)**.

قـال الإمـام الشـوكاني رحمه الله: الشـأن يطلـق على الحـال والأمر والخطـب، وجمعه شـؤون، والمـراد هنـا إصلاح حالـه وما يحتـاج إليه مـن أمـره في حياته وبعـد موته[2].

قولـه: **(لا إلـه إلا أنـت)** ختمـه بهذه الكلمـة الطيبـة، إشـارة إلى أن الدعـاء إنما ينفع المكـروب ويزيـل كربـه، إذا كان مـع حضـور وشـهود، ومـن شـهد للهَّ تعـالى بالتوحيد والجـلال، مـع جمع الهمّة وحضـور البال، فهو حري بـزوال الكرب في الدنيـا، والرحمة، ورفـع الدرجـات في العقبى. أفـاده في(فيض القديـر). [3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفي قوله: **(اللهم رحمتــك أرجــو فلا تكلنـي إلى نفسـي طرفــة عـين، وأصلح لي شـأني كلـه، لا إله إلا أنـت)** من تحقيـق الرجاء لمن الخـير كله بيديه والاعتـماد عليـه وحـده، وتفويض الأمـر إليه، والتـضرع إليـه، أن يتولَّى إصلاح شـأنه، ولا يَكِلَـه إلى نفسـه، والتوسـل إليـه بتوحيده مما لـه تأثير قـوي في دفع هذا الـداء. اهـ[4].

وقــال أيضـا: **فالتوحيـد** ملجــأ الطالبيـن، ومفـزع الهاربيــن، ونجـاة المكروبيـن، وغيــاث الملهوفيــن، وحقيقتـه إفـراد الـربِّ سـبحانه بالمحبـة والإجـلال والتعظيـم، والـذل والخضـوع[5].

---

(1) رواه أبو داود برقم (5090)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (3388).

(2) تحفة الذاكرين (253).

(3) فيض القدير (3/ 526).

(4) زاد المعاد (4/ 206).

(5) إغاثة اللهفان (2/ 844).

ودلَّ هذا الدعاء المبارك على أهمية التوسل بصفات اللهَّ تعالى في كل ما يرجوه العبد ويخافه وخاصة صفة الرحمة؛فإن لها تأثيرا عظيما في تفريج الهموم والغموم. والله الموفق.

124-(2) (**لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**). [1].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**).

قوله: (**دعوة ذي النون**) أي: دعاؤه، وذو النون يعني صاحب النون، والنون الحوت، وإنما عنى بذي النون: يونس بن متى عليه السلام.

قوله: (**لا إله إلا أنت**) أي: لا معبود بحقٍّ إلا أنت.

قوله: (**سبحانك**) فيه إثبات تنزيه الله سبحانه وتعالى من كل سوء ونقص.

قوله: (**إني كنت من الظالمين**) فيه اعتراف بذنبه، وبحقيقة حاله، وهو يتضمن طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى. فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل سوء ونقص وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته.

قوله: (**لم يدع بها**) أي: بتلك الدعوة، أو بهذه الكلمات. (**في شيء قط**) أي: في شيء من الأشياء.

قوله: (**إلا استجاب الله له**) أي: الشدة التي وقع فيها. وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغمٍّ، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل بيونس عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: 87-88].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما دعوة ذي النون، فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهمِّ والغمِّ وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج، فإن التوحيد والتنزيه

(1) رواه الترمذي برقم (3505)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

يتضمنان إثبات كل كمال لله وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه. والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته وافتقاره إلى ربه. فهاهنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية والاعتراف[1].

125-(3) (**اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**)[2].

عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (**ألا أعلمكِ كلمات تقولينَهنَّ عند الكرب -أو في الكرب-: اللهُ اللهُ ربِّي لا أشرك به شيئا**).

قوله: (**عند الكرب**) بفتح الكاف وسكون الراء، هو ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه فيغمّه ويحزنه.

قوله: (**اللهُ اللهُ**) هو بالرفع فيهما، على أن الأول مبتدأ، والثاني تأكيد لفظي له، إشارة إلى عظم المقام وأهمية الأمر، وخبر المبتدإِ هو قوله: (**ربِّي**).

قوله: (**لا أشرك به شيئا**) أي: لا أتخذ معه شريكا في العبادة كائنا من كان، فقوله: (**شيئا**) نكرة في سياق النفي تفيد العموم.

والشرك هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله سبحانه، سواء في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات وهو أعظم ذنب عُصِيَ به الرحمن جلَّ وعلا، وصاحبه إن لم يتب منه فهو خالد مخلَّد في نار جهنم.[3].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاتِه في بعض ما يستحقُّه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به. اهـ[4].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: **التوحيد** مفزع أعدائه وأوليائه:

فأما أعداؤه: فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها، ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: 65].

---

(1) زاد المعاد (4/ 208).

(2) رواه أبو داود برقم (1525)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) انظر للفائدة مدارج السالكين (1/ 368).

(4) الاستقامة (1/ 344).

وأما أولياؤه: فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل، فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة. ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك، وإدراك الغرق لم ينفعه، لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل، هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل **التوحيد**، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرَّج الله كربه بالتوحيد. فلا يُلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها، وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق[1].

فائدة: قال العلماء: لا دليل في هذا الحديث على جواز إفراد اسم الله تعالى بالذكر المفرد سواء كان مظهرا، أو مضمرا كما تفعله مُبْتَدِعةُ الصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فأما الإسم المفرد مظهرا مثل: (الله، الله) أو مضمرا مثل: (هو، هو)، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين[2].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: إنّ الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا، ولا مفيد شيئا، ولا هو كلام أصلا، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان، ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة. فلو قال الكافر (الله، الله) من أوّل عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلما، فضلا عن أن يكون من جملة الذكر، أو يكون أفضل الأذكار.

وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر!

فالذكر بقوله: (هو هو) أفضل من الذكر بقولهم: (الله، الله). وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات. فهذا فساد هذا البناء الهائر.

---

(1) الفوائد (ص44-45).

(2) مجموع الفتاوى (10/ 556).

وأمّا فساد المبنيّ عليه فإنّهم ظنّوا أن قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: قل هذا الاسم، فقل: الله الله. وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله، فإنّ اسم الله هنا جواب لقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: 91]. إلى أن قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: قل: الله أنزله، فإنّ السؤال يعاد في الجواب فيتضمّنه فيحذف اختصارا، كما تقول: من خلق السماء والأرض؟ فيقال: الله. أي: الله خلقهما، فيحذف الفعل لدلالة السؤال عليه. فهذا معنى الآية الذي لا تحتمل غيره. اهـ[1].

(1) طريق الهجرتين (ص739).

36 دعاء لقاء العدوِّ وذي السلطان

هذا الفصل أو الباب في بيان الدعاء عند لقاء العدوِّ، وعند لقاء ذي السلطان، أي: ذي القوة والقدرة، وهو كل من له يد قاهرة على الناس.

126-(1) **(اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)**[1].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوما قال: ... الحديثَ.....

قوله: (كان إذا خاف قوما) أي: شرَّ قوم.

قوله: **(نجعلك في نحورهم)** النحور جمع نحر، وهي الحفرة في أسفل العنق. وهذا كناية عن التوكل على الله في ردِّ كيد العدوِّ إليه وجعل الدائرة تدور عليه.

قال في (العلم الهيب): قوله: **(اللهم إنا نجعلك في نحورهم)** يقال: جعلت فلانا في نحر العدوِّ، أي: قبالته وحذاءه، وتخصيص النحر بالذكر لأن العدوَّ يستقبل بنحره عند المناهضة للقتال. و**المعنى**: نسألك أن تتولانا في الجهة التي يريدون أن يأتونا منها، ونتوقى بك عما يواجهوننا به، فأنت الذي تدفع شرورهم، وتكفينا أمرهم، وتحول بيننا وبينهم، ولعله اختار هذا اللفظ تفاؤلا بنحر العدوِّ، يعني: قتلهم فيما أراد من المعنى الذي ذكرنا.

فإن قلت: النبي عليه-[الصلاة]والسلام-محفوظ من شر الانس والجن بحفظ الله إياه، ومؤيد بالملائكة، فكيف يجوز أن يخاف قوما، وهم أعداء الله تعالى؟ قلت: هنا ثلاثة أجوبة:

الأول: إن الطبيعة البشرية من خواصِّها الخوف مع قطع النظر عنِ العارض.

والثاني: يجوز أن يكون خوفه على صحابته.

والثالث: إن هذا تعليم لأمته أنهم إذا خافوا قوما يدعون بهذا الدعاء. اهـ[2].

127-(2) **(اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وأَنْتَ نَصِيري، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ)**[3].

---

(1) رواه أبو داود برقم (1537)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) العلم الهيب (ص346).

(3) رواه أبو داود برقم (2632)، والترمذي برقم (3584)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا غزا قال: .... الحديثَ.....

قوله: (**اللهم أنت عضدي**) أي: عوني ومعتمدي، فلا أعتمد على غيرك. والعضد: ما بين الكتف والمرفق. والعضد: القوة، لأن الانسان إنما يقوى بعضده فسمّيت القوة به. وفي التنزيل: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ قال الزجاج: أي: سنعينك بأخيك. قال: ولفظ العضد على جهة المثل، لأن اليد قوامها عضدها. وكل معين، فهو عضد. [1].

قوله: (**وأنت نصيري**) أي: معيني ومغيثي، عطف تفسيري.

قوله: (**بك أحول**) أحول بمعنى: أحتال. أي: أصرف كيد العدوِّ وأحتال لدفع مكرهم. قال الخطابي: وفيه وجه آخر، وهو أن يكون معناه المنع والدفع، من قولك: حال بين الشيئين إذا منع أحدهما عن الآخر، فمعناه: لا أمنع ولا أدفع إلا بك[2].

قوله: (**وبك أصول**) أي: أحمل على العدوِّ حتى أغلبه وأستأصله، ومنه الصولة بمعنى الحملة.

قوله: (**وبك أقاتل**) أي: بحولك وقوتك وعونك ونصرتك أقاتل أعداءَك.

قال الأمير الصنعاني رحمه الله: قوله: (**بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل**) فالكل من الأفعال مستعان فيه تعالى فهو الآمر بقتال العدوِّ، ومنه تطلب الإعانة على قتاله. اهـ[3].

128-(3) (**حَسْبُنَا اللهُ، ونِعْمَ الوَكِيلُ**). [4].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 173].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فكل من النبيينِ قال: حسبي الله، فلم يشرك بالله غيره في كونه حسبه، فدل على أن الله وحده حسبه ليس معه غيره[5].

---

(1) انظر لسان العرب (ص2983).

(2) معالم السنن (2/ 267).

(3) التنوير شرح الجامع الصغير (8/ 426).

(4) رواه البخاري برقم (4563).

(5) منهاج السنة (7/ 204).

لما رجع النبي ﷺ من أُحُد إلى المدينة، وسمع أن أبا سفيان ومن معه مِنَ المشركين قد همُّوا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج فخرجوا -على ما بهم من الجراح- استجابةً لله ولرسوله، وطاعة لله ولرسوله، فوصلوا إلى (حمراء الأسد)، وجاءهم مَن جاءهم وقال لهم: (إن الناس قد جمعوا لكم) وهمّوا باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بالله واتكالا عليه. **(وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)**.

قوله: **(حسبنا الله)** أي: الله وحده كافينا كلنا.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: 64]. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: أي: الله وحده كافيك، وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد[1].

وقال: ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا[2].

قوله: **(ونِعم الوكيل)** قال الإمام ابن جرير رحمه الله: أي: نِعم المولى لمن وليه، وكفله.

وإنما وصف تعالى نفسه بذلك، لأن (الوكيل) في كلام العرب: هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات، قد كانوا فوّضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونِعم الوكيل الله تعالى لهم[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمِّن خوفَ الخائف، ويجير المستجير، وهو نِعم المولى ونِعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاه وحفظه وحرسه

(1) زاد المعاد (1 / 35)، وقد تقدم.

(2) بدائع الفوائد (ص766)، وقد تقدم.

(3) تفسير ابن جرير (6/ 245).

وصانه، ومن خافه واتقاه أمَّنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ۝٣﴾ [الطلاق: 2-3]، فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته، فإن الله بالغ أمره، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، لا يتقدم عنه ولا يتأخر[1].

(1) بدائع الفوائد (ص763).

37 دعاء من خاف ظلم السلطان

129-(1) (**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَواتِ السَّبْعِ، ورَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلاَنِ بْنِ فُلانٍ وأحْزَابِهِ مِنْ خَلائِقِكَ؛أنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أحدٌ مِنْهُمْ أوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، ولا إِلَهَ إلاَّ أنْتَ**)[1].

قوله: (**اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم**) أي: يا خالق ومالك هذه الكائنات العظيمة، وخصَّ هذه المخلوقات بالذكر لعظمها.

قوله: (**ورب العرش العظيم**) فيه إشارة إلى أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق.[2].

قوله: (**كن لي جارا**) جارا: أي: مجيرا ومعينا. (**من فلان بن فلان**) أي: يسمِّيه باسمه. (**وأحزابه من خلائقك**) أي: أعوانه وأنصاره من خلقك.

قوله: (**أن يفرط عليَّ أحد منهم أو يطغى**) أي: يعجِّل عليَّ بالعقوبة ويجاوز الحد في الإساءة. كقوله عز وجل في حق موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾ [طه: 45].

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره: قال موسى وهارون: ربّنا إنّنا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجِّل علينا بالعقوبة. وهو من قولهم: فرط منِّي إلى فلان أمر. إذا سبق منه ذلك إليه، ومنه فارط القوم، وهو المتعجّل المتقدم أمامهم إلى الماء أو المنزل، كما قال الراجز:

قد فرط العلج علينا وعجل[3].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعجِّل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجَّل بمكروه، وفرط منه أمر أي: بدر وسبق، ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ أي: يجاوز الحد في الإساءة إلينا[4].

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (707)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(2) انظر فتح الباري (17 / 392)،وقد تقدم.

(3) تفسير ابن جرير (16/ 76).

(4) معالم التنزيل (5/ 276).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي: يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا، ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أي: يتمرد عن الحق، ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه[1].

قوله: (عزَّ جارك) العزُّ في الأصل: القوة والشدة والغلبة. جارك: أي: من استجارك ولجأ إليك. والمعنى: من استجار بك ولجأ إليك، فقد قوي وغلب واستغنى بك عن سواك.

قوله: (وجلَّ ثناؤك) عظم الثناء عليك.

130-(2) (اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وأَحْذَرُ، أَعُوذُ باللهِ الذِي لَا إِلَهَ إلاَّ هُوَ، المُمْسِكِ السَّمواتِ السَّبْعِ أَنْ يَقَعْنَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بِإذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فُلانٍ، وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وأَشْيَاعِهِ، مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَعَزَّ جَارُكَ، وتَبَارَكَ اسْمُكَ: وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ) (ثَلاثَ مَرَّاتٍ)[2].

قوله: (الله أكبر) أي: الله أكبر من كل شيء. والتكبير: فيه تعظيم الله جلَّ وعلا.

قوله: (الله أعزُّ من خلقه جميعا) العزُّ في الأصل: القوة والشدة والغلبة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٦٥﴾﴾ [يونس: 65]. أي: الذي له العزة بجميع معانيها.

والمعنى: مهما كبر مقام السلطان وعظمت قوته، فالله عز وجل أكبر وأعز وأعظم منه ومن الخلق كلهم، فهو رب العالمين، وهو رب الناس ملك الناس إله الناس.

قوله: (الله أعز) أي: أقوى وأعظم. (مما أخاف وأحذر) أي: من السلطان وأعوانه.

قوله: (أعوذ بالله) أي: أعتصم وألتجأ بالله. (الذي لا إله إلا هو) أي: لا معبود بحق إلا هو.

قوله: (الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه). قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: 41].

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص506).

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (708)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره: إن الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنها، ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾. يقول: ولو زالتا، ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِۦٓ﴾. يقول: ما أمسكهما أحد سواه[1].

قوله: (**من شر عبدك فلان**) أي: يسمِّيه باسمه.

والمعنى: أستجير وأعتصم بالله الذي لا يعبد بحقٍّ إلَّا هو، الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه، فكما أمسكتَها من الوقوع، فأمسك عنِّي شرَّ هذا السلطان، والله أعلم.

قوله: (**وجنوده وأتباعه وأشياعه، من الجن والإنس**) الأشياع جمع شيعة، والمراد هنا الأتباع والأنصار.

قوله: (**اللهم كن لي جارا من شرهم**) أي: مجيرا ومعينا.

قوله: (**جلَّ ثناؤك**) أي: عظم الثناء عليك. (**وعزَّ جارك**) أي: من استجارك بك ولجأ إليك. والمعنى: منِ استجار بك ولجأ إليك، فقد قوي وغلب واستغنى بك عن سواك.

قوله: (**وتبارك اسمك**) أي: كثرت بركة اسمك إذ وجد كل خير من ذكر اسمك. (**ولا إله غيرك**) أي: لا معبود بحقٍّ غيرك[2].

---

(1) تفسير ابن جرير (19/ 390).

(2) شرح صحيح الأدب المفرد (2/ 388-389)، مع بعض الزيادات.



38 الدعاء على العدوِّ

131- **(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وزَلْزِلْهُمْ)**[1].

قوله: **(اللهم منزل الكتاب)** أي: القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أنزلته على عبدك ورسولك نبينا محمد ﷺ. ويحتمل أن يريد اسم الجنس فيشمل كل كتاب أنزل. زاد في رواية: **(ومجري السحاب)**.

قوله: **(سريع الحساب)** يعني به: يعلم الأعداد المتناهية وغيرها في آن واحد، فلا يحتاج في ذلك إلى فكر ولا عقد كما يفعله الحسّاب منّا. وقوله: **(منزل الكتاب، ومجري السحاب، سريع الحساب)** دليل على جواز السّجع في الدعاء إذا لم يتكلف. أفاده في (المفهم).

قوله: **(اهزم الأحزاب)** والأحزاب: جمع حزب. وهم الجمع والقطعة من الناس. ويعني بهم الذين تحزبوا عليه في المدينة فهزمهم الله تعالى بالريح.

قوله: **(اللهم اهزمهم وزلزلهم)** قال الإمام النووي رحمه الله: أي: أزعجهم وحركهم بالشدائد. قال أهل اللغة: الزلزال والزلزلة الشدائد التي تحرك الناس[2].

وقال في(النهاية): الزلزلة في الأصل: الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض، وهو هاهنا كناية عن التخويف والتحذير، أي: اجعل أمرهم مضطربا متقلقلا غير ثابت[3].

قال الحافظ في(الفتح): والمراد الدعاء عليهم إذا انهزموا أن لا يستقر لهم قرار. وقال الداودي: أراد أن تطيش عقولهم، وترعد أقدامهم عند اللقاء فلا يثبتوا[4].

وقال: أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم:

---

(1) رواه البخاري برقم (2933)، ومسلم برقم (1742).

(2) شرح مسلم (12/ 56).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص400).

(4) فتح الباري (7/ 202).

فبالكتاب إلى قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: 14].

وبمجري السحاب إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب حيث يحرك الريح بمشيئة الله تعالى. وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الريح، وحيث تمطر تارة وأخرى لا تمطر، فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم، وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يتفق قتلهم، وبعدمه إلى هزيمتهم حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم، وكلها أحوال صالحة للمسلمين .

وأشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة، وإلى تجريد التوكل، واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل، وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث، فإن بإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية وهي الإسلام، وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية وهي الرزق، وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين، وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما فأبقهما[1].

(1) فتح الباري (7/ 280).



39 ما يقول من خاف قوما

132 - (اللَّهُمَّ اكْفِنِيْهِمْ بِمَا شِئْتَ)[1].

جاء هذا الدعاء في قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام المشهورة، وهو بتمامه عن صهيب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كَبِر قال للملك: إني قد كبِرتُ، فابعث إلي غلاما أعلِّمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ، فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّة عظيمة قد حبستِ الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدَّابة، حتى يمضي الناس فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بنيَّ، أنت اليوم أفضل منِّي، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتلَى، فإن ابتليت فلا تدلَّ عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرَك؟ قال: ربِّي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربِّي وربُّك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتَّى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بنيَّ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا،**

(1) رواه مسلم برقم (3005).

فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذُروتَه، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله، رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فَأُتِيَ الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السِّكك فخُدَّت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّه، اصبري، فإنك على الحقِّ).

قوله: (**اللهم اكفينيهم بما شئت**) قال ابن علان رحمه الله: أي: بمشيئتك، فـ (ما) مصدرية أو موصولة أي: بالذي شئت من أنواع الكفاية إما بإهلاكهم أو بغيره[1].

والمعنى: امنعني واحفظني بالذي تشاء ولم يعين.

شرح بعض غريب الحديث:

قوله: (**الأكمه**) الذي خلق أعمى.

قوله: (**ذروة الجبل**) أي: أعلاه وهي بضم الذال وكسرها.

قوله: (**فرجف بهم الجبل**) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

---

(1) دليل الفالحين (1/ 193).

قولـه: (**فاحملـوه في قرقور**) القرقور بضم القافين: السـفينة الصغـيرة وقيل: الكبيرة، واختـار القاضي الصغيرة.

قوله: (**فانكفأت**) أي: انقلبت.

قوله: (**تجمع الناس في صعيد واحد**) أي: الأرض البارزة.

قوله: (**كبد القوس**) مقبضها عند الرمي.

قوله: (**فوقع السهم في صدغه**) الصدغ: ما بين العين إلى شحمة الأذن.

قوله: (**نزل بك حذرك**) أي: ما كنت تحذر وتخاف.

قوله: (**فأمر بالأخدود**) هو الشق العظيم في الأرض وجمعه: أخاديد.

قوله: (**في أفواه السِّكك**) السِّكك: الطرق. وأفواهها: أبوابها.

قولـه: (**فأحمـوه فيهـا**) هكـذا هـو في عامة النسـخ: فأحمـوه، بهمـزة قطـع بعدها حاء سـاكنة، ونقـل القاضي اتفاق النسـخ عـلى هذا، ووقع في بعض نسـخ بلادنـا، فأقحموه بالقـاف وهـذا ظاهـر ومعنـاه: اطرحوه فيهـا كرهـا، ومعنى الروايـة الأولى أرمـوه فيها مـن قولهم حميـت الحديـدة وغيرهـا إذا أدخلتها النـار لتحمى.

قولـه: (**فتقاعسـت**) أي: توقفـت ولزمـت موضعهـا وكرهـت الدخـول في النـار، وبـالله التوفيق.

هـذا الحديـث فيه إثبـات كرامات الأوليـاء، وفيه جواز الكذب في الحـرب ونحوها، وفيـه إنقـاذ النفس من الهلاك سـواء نفسـه أو نفس غيره ممن لـه حرمة[1].

(1) شرح مسلم (18/ 126).

40 دعاء مَن أصابه شكٌّ في الإيمان

133-(1) (يَسْتَعِيْذُ بِاللَّهِ).

(2) (يَنْتَهِي عَمَّا شَكَّ فِيهِ)[1].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: **(يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)**.

قوله: **(فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)** قال الحافظ في (الفتح): أي عن الاسترسال معه في ذلك، بل يلجأ إلى الله في دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها، قال الخطابي: وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك، فاستعاذ الشخص بالله منه وكفَّ عن مطاولته في ذلك اندفع... وقال الطيبي: إنما أمر بالاستعاذة والاشتغال بأمر آخر ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج، لأن العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد أمر ضروري لا يقبل المناظرة، ولأن الاسترسال في الفكر في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة، ومَن هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله تعالى والاعتصام به. اهـ[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وأما قوله: **(فليستعذ بالله ولينته)** فمعناه إذا عرض له هذا الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شره عنه، وليعرض عن الفكر في ذلك، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان، وهو إنما يسعى بالفساد والإغواء، فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها والله أعلم. اهـ[3].

134-(3) يقول: **(آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ)**[4].

قال الإمام النووي رحمه: وأما قوله ﷺ: **(فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله)**، وفي الرواية الأخرى: **(فليستعذ بالله ولينته)** فمعناه: الإعراض عن هذا الخاطر

(1) رواه البخاري برقم (3276)، ومسلم برقم (134).

(2) فتح الباري (7/ 568-596).

(3) شرح مسلم (2/ 173-174).

(4) رواه مسلم برقم (134).

الباطل والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه. قال الإمام المازري رحمه الله: ظاهر الحديث انه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها، قال: والذي يقال في هذا المعنى أن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير أصل دفع بغير نظر في دليل، إذ لا أصل له ينظر فيه، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة، فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها، والله أعلم[1].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: احتوى هذا الحديث على أنه لا بدَّ أن يلقي الشيطان هذا الإيراد الباطل: إما وسوسة محضة، أو على لسان شياطين الإنس وملاحدتهم وقد وقع كما أخبر، فإن الأمرين وقعا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم بصيرة هذا السؤال الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يلقون هذه الشبهة التي هي أبطل الشبه، ويتكلمون عن العلل وعن موادِّ العالم بكلام سخيف معروف.

وقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم إلى دفع هذا السؤال بأمور ثلاثة: بالإنتهاء، والعوذ من الشيطان، وبالإيمان.

أما الانتهاء -وهو **الأمر الأول**-: فإن الله تعالى جعل للأفكار والعقول حدا تنتهي إليه ولا تتجاوزه. ويستحيل لو حاولت مجاوزته أن تستطيع، لأنه محال، ومحاولة المحال من الباطل والسفه، ومن أمحل المحال التسلسل في المؤثرين والفاعلين، فإن المخلوقات لها ابتداء ولها انتهاء وقد تتسلسل في كثير من أمورها حتى تنتهي إلى الله الذي أوجدها وأوجد ما فيها من الصفات والمواد والعناصر ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: 42].

فإذا وصلت العقول إلى الله تعالى وقفت وانتهت، فإنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، فأوليته تعالى لا مبتدأ لها مهما فرضت الأزمان والأحوال، وهو الذي أوجد الأزمان والأحوال والعقول التي هي بعض قوى الإنسان. فكيف يحاول العقل أن يتشبث في إيراد السؤال الباطل. فالفرض عليه المحتم في هذه الحال: الوقوف، والإنتهاء.

---

(1) شرح مسلم (2/ 173).

الأمر الثاني: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن هذا من وساوسه وإلقائه في القلوب، ليشكك الناس في الإيمان بربهم، فعلى العبد إذا وجد ذلك: أن يستعيذ بالله منه، فمن تعوذ بالله بصدق وقوة أعاذه الله وطرد عنه الشيطان، واضمحلَّتْ وساوسه الباطلة.

الأمر الثالث: أن يدفعه بما يضادُّه من الإيمان بالله ورسله، فإن الله ورسله أخبروا بأنه تعالى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه تعالى المتفرد بالوحدانية، وبالخلق والإيجاد للموجودات السابقة واللاحقة.

فهذا الإيمان الصحيح الصادق اليقيني يدفع جميع ما يضاده من الشبه المنافية له، فإن الحق يدفع الباطل، والشكوك لا تعارض اليقين.

فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ تبطل هذه الشبه التي لا تزال على ألسنة الملاحدة يلقونها بعبارات متنوعة، فأمر بالانتهاء الذي يبطل التسلسل الباطل، وبالتعوذ من الشيطان الذي هو الملقي لهذه الشبهة، وبالإيمان الصحيح الذي يدفع كل ما يضاده من الباطل والحمد لله.

فبالانتهاء: قطع الشر مباشرة.

وبالاستعاذة: قطع السبب الداعي إلى الشر.

وبالإيمان: اللجأ والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني الذي يدفع كل معارض.

وهذه الأمور الثلاثة هي جماع الأسباب الدافعة لكل شبهة تعارض الإيمان، فينبغي العناية بها في

كل ما عرض للإيمان من شبهة واشتباه يدفعه العبد مباشرة بالبراهين الدالة على إبطاله، وإثبات ضده وهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، وبالتعوذ بالله من الشيطان الذي يدفع إلى القلوب فتن الشبهات، وفتن الشهوات، ليزلزل إيمانهم ويوقعهم بأنواع المعاصي، فبالصبر واليقين ينال العبد السلامة من فتن الشهوات، ومن فتن الشبهات، والله هو الموفِّق الحافظ.[1]

135-(4) يقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3][2].

---

(1) بهجة قلوب الأبرار (ص21-23).

(2) رواه أبو داود برقم (5110)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

هذا أثرٌ عنِ ابنِ عباس رضي الله عنهما.

قال أبو زميل: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا أحد من ذلك، حتى أنزل الله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: 94]. قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئا، فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فسَّر النبي ﷺ الأسماء التي وردت في الآية بقوله: (**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**)[1]. وقد تقدم شرحها، انظر الحديث رقم (107).

قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فمعرفة هذه الأسماء الأربعة -وهي: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن- هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه.

واعلم أن لك أنت أولا وآخرا وباطنا وظاهرا، بل كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس، وأدنى من ذلك وأكبر.

فأولية الله عزَّ وجلَّ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية ما سواه، فأوليته سَبْقُه لكل شيء وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيتُه وعلوُّه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلوَّ، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه. وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء، وبحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحبِّ من حبيبه. هذا لون وهذا لون.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان:

زمانية ومكانية، فأحاطت أوليته وآخريته بالقَبل والبَعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا الله فوقه، وما من

---

(1) رواه مسلم برقم (2713).

باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قِدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوُّه وعظمته، والباطن قربه ودنوُّه. [1].

فائدة: في العطف بالواو في الأسماء الأربعة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما في أسماء الرَّبِّ تبارك وتعالى، فأكثر ما يجيء في القرآن بغير عطف، نحو ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ إلى آخرها، وجاءت معطوفة في موضعين.

أحدهما: في أربعة أسماء، وهي: ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۝٣﴾ [الحديد: 03].

والثاني: في بعض الصفات بالاسم الموصول مثل قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ [الأعلى: 2-4]. ونظيره: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ۝١٢﴾ [الزخرف: 10-12]. فأما ترك العطف في الغالب، فلتناسب معاني تلك الأسماء وقرب بعضها من بعض، وشعور الذهن بالثاني منها عند شعوره بالأول. ألا ترى أنك إذا شعرت بصفة المغفرة انتقل ذهنك منها إلى الرحمة، وكذلك إذا شعرت بصفة السمع انتقل الذهن إلى البصر، وكذلك: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۝٢٤﴾ [الحشر: 24].

وأما تلك الأسماء الأربعة، فهي ألفاظ متباينة المعاني، متضادة الحقائق في أصل موضوعها، وهي متفقة المعاني متطابقة في حق الرَّبِّ تعالى، لا يبقى منها معنًى لغيره، بل هو أول كما أنه هو آخر وظاهر كما أنه باطن. ولا يناقض بعضها بعضا في حقه، فكان دخول الواو صرفا لوهم المخاطب - قبل التفكر والنظر- عن توهم المحال واجتماع الأضداد، لأن الشيء لا يكون ظاهرا باطنا من وجه واحد، وإنما يكون ذلك باعتبارين، فكان العطف هاهنا أحسن من تركه لهذه الحكمة، هذا جواب السهيلي.

وأحسن منه أن يقال: لما كانت هذه الألفاظ دَالَّةً على معانٍ متباينةٍ، وأن الكمال في الاتصاف بها على تباينها أتى بحرف العطف الدَّالِّ على التغاير بين المعطوفات، إيذانا بأن هذه المعاني مع تباينها فهي ثابتة للموصوف بها.

---

(1) طريق الهجرتين (ص46-47).

ووجه آخر وهو أحسن منهما وهو: أن الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم وتقريره، فيكون في الكلام متضمنا لنوع من التأكيد من مزيد التقرير، وبيان ذلك بمثال نذكره مرقاة إلى فهم ما نحن فيه: إذا كان لرجل -مثلا- أربع صفات هو: عالم وجواد وشجاع وغني، وكان المخاطب لا يعلم ذلك أو لا يقر به، ويعجب مِن اجتماع هذه الصفات في رجل، فإذا قلت: زيد عالم، وكأن ذهنه استبعد ذلك، فتقول: وجواد، أي: وهو مع ذلك جواد، فإذا قدرت استبعاده لذلك، قلت: وشجاع، أي: وهو مع ذلك شجاع وغني، فيكون في العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه، تدرأ به توهم الإنكار.

وإذا عرفت هذا، فالوهم قد يعتريه إنكار لاجتماع هذه المقابلات في موصوف واحد. فإذا قيل: هو الأول، ربما سرى الوهم إلى أن كونه أولا يقتضي أن يكون الآخر غيره، لأن الأولية والآخرية من المتضايفات. وكذلك **(الظاهر والباطن)** إذا قيل: هو الظاهر ربما سرى الوهم إلى أن الباطن مقابله، فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدَّالِّ على أن الموصوف بالأولية هو الموصوف بالآخرية، فكأنه قيل: هو الأول وهو الآخر، لا غيره، وهو الظاهر وهو الباطن، لا سواه، فتأمل ذلك فإنه من لطيف العربية ودقيقها. اهـ [1].

وقال أيضا: وأرشد من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين، إذا قيل له: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟ أن يقرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 03]. كذلك قال ابن عباس لأبي زميل سماك بن الوليد الحنفي وقد سأله: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قال: قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قلت: بلى، فقال لي: ما نجا من ذلك أحد، حتى أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۝٩٤﴾ [يونس: 94]. قال: فقال لي: فإذا وجدت في نفسك شيئا، فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فأرشدهم بهذه الآية إلى بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلى أول ليس قبله شيء، كما تنتهي في آخرها إلى آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء، وبطونه هو الإحاطة

(1) بدائع الفوائد (ص331-333).

التي لا يكون دونه فيها شيء، ولو كان قبله شيء يكون مؤثرا فيه، لكان ذلك هو الرَّبُّ الخلَّاق، ولا بد أن ينتهي الأمر إلى خالق غير مخلوق، وغني عن غيره، وكل شيء فقير إليه، قائم بنفسه، وكل شيء قائم به، موجود بذاته، وكل شيء موجود به. قديم لا أول له، وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه، باقٍ بذاته، وبقاء كل شيء به، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء. اهـ[1].

(1) زاد المعاد (2/ 461).

41 دعاء قضاء الدَّين

136-(1) (**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**)[1].

والحديث بتمامه عن عليٍّ رضي الله عنه أن مكاتبا جاءه فقال: إنّي قد عجزت عن مكاتبتي فأعنّي. قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صِيرٍ دَينا أدّاه الله عنك، قال: (قل: **اللهم اكفني بحلالك**...) الحديثَ.....

قوله: (مكاتبا) أي: لغيره وهو عبد علَّق سيدُه عتقَه على إعطائه كذا من المال.

قوله: (إنّي قد عجزت عن مكاتبتي) الكتابة المال الذي كاتب به السيد عبده يعني بلغ وقتُ أداء مال الكتابة وليس لي مال.

قال في (النهاية): المكاتبة والكتابة: أن يكاتب السيد عبده على مال يؤديه إليه منجَّما، فإذا أداه صار حرًّا وسميت كتابة لمصدر كتب، كأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه له عليه العتق. وقد كاتبه مكاتبة. والعبد مكاتب.[2].

قوله: (فأعنّي) أي: بالمال أو بالدعاء بسعة المال.

قوله: (ألا أعلمك كلمات) قال الطيبي: طلب المكاتب المال، فعلَّمه الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده من المال ليعينه فردَّه أحسن ردٍّ عملا بقوله تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ﴾ أو أرشده إشارة إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها ولا يتَّكِلْ على الغير، وينصر هذا الوجه قوله: (**واغنني بفضلك عمَّن سواك**)[3].

قوله: (لو كان عليك مثل جبل صِيرٍ دَينا) بكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وهو جبل لطيء(أي ببلاد طيء)، ويروَى صَبِير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وسكون التحتية (وهو جبل باليمن) كذا في (النهاية). وذكره خرج مخرج المبالغة **يعني** مهما كان ذلك الدَّين، حتَّى ولو فُرِض أنه مثل الجبل.

قوله: (أدَّاه الله عنك) أي: قضاه عنك وأعانك على تسديده.

---

(1) رواه الترمذي برقم (3563)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) النهاية في غريب الحديث (ص791).

(3) تحفة الأحوذي (10/ 8).

قوله: (**اللهم اكفني**) اكفني: من قولهم: كفى الشيء يكفي كفاية، فهو كافٍ إذا حصل به الاستغناء عن غيره، واكتفيت بالشيء: استغنيت به أو قنعت به. و**المعنى**: ارزقني الكفاية من الحلال والاستغناء عنِ الحرام.

قوله: (**بحلالك عن حرامك**) أي: متجاوزا أو مستغنيا عنِ الحرام، يعني: قِنِي واحفظني بالحلال عنِ الوقوع في الحرام.

قوله: (**وأَغنني بفضلك**) أي اجعلني غنيًّا بفضلك ورزقك. (**عمّن سواك**) منَ الخلق.

فائدة: لمزيد من فوائد الحديث انظر مقال: تنوير الحوالك في الكلام على حديث: (**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك**)، للشيخ الفاضل عمر الحاج الجزائري حفظه الله ضمن مجلة الإصلاح (الجزائرية) العدد التاسع عشر، والله الموفق.

137-(2) (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلعِ الدَّيْنِ وغَلَبَةِ الرِّجَال**)[1].

تقدم شرحه، انظر الحديث رقم (121).

---

(1) رواه البخاري برقم (6363).

42 دعاء الوسوسة في الصَّلاة والقراءة

138 - (**أَعُوذُ بِاللـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، واتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثًا**)[1].

والحديث بتمامه هو قول عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها عليَّ، فقال رسول ﷺ: (**ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسستَه فتعوَّذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا**) قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عنّي.

قال الإمام النووي رحمه الله: أما خنزب، فبخاء معجمة مكسورة، ثم نون ساكنة، ثم زاي مكسورة ومفتوحة. ويقال أيضا: بفتح الخاء والزاي، حكاه القاضي، ويقال أيضا: بضم الخاء وفتح الزاي، حكاه ابن الأثير في النهاية، وهو غريب.

وفي هذا الحديث: استحباب التعوُّذ مِنَ الشيطان عند وسوسته مع التفل عنِ اليسار ثلاثا، ومعنى: (**يلبسها**) أي: يخلطها، ويشككني فيها، وهو بفتح أوله وكسر ثالثه، ومعنى: (**حال بيني وبينها**) أي: نكدني فيها، ومنعني لذتها، والفراغ للخشوع فيها. اهـ [2].

قوله: (**واتفل على يسارك**) إنما أمر باليسار، لأن الشيطان يأتي من قبل اليسار، لأن القلب أقرب إلى اليسار، ولا يقصد الشيطان إلا القلب. (**ثلاثا**) أي ثلاث مرات.

والتفل هو: نفخ معه أدنى بزاق، وهو أكثر من النفث، قاله في (النهاية).

قال العلماء: والالتفات يكون بالرأس فقط دون سائر الجسد.

قوله: (**ففعلت ذلك**) أي ما ذكر من الاستعاذة والتفل على اليسار (**فأذهبه الله عنّي**).

---

(1) رواه مسلم برقم (2203).

(2) شرح مسلم (14/ 212).

43 دعاء مَن استصعب عليه أمرٌ

أي ما يقوله إذا صعب عليه أمر واشتدَّ وأراد تسهيله وتيسيره.

139- (**اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وأنْتَ تَجْعَلُ الحَزْنَ إذَا شِئْتَ سَهْلًا**)[1].

قوله: (**اللهمَّ لا سهْلَ إلَّا ما جعلتَه سهلا**) أي: يا الله لا شيء سهل ميسر إلَّا ما جعلتَه سهلا ميسرا.

قوله: (**وأنت تجعل الحَزْنَ**) الحَزْنَ: بفتح الحاء المهملة وإسكان والزاي، وهو غليظ الأرض وخشنها، قاله الإمام النووي رحمه الله في (الأذكار)[2].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: الحَزْنَ: بفتح الحاء المهملة المفتوحة والزاي المعجمة الساكنة والنون: المكان الخشن والصعب والوعر، وهو ضد السهل، ويطلق على كل شيء لا سهولة فيه من عَينٍ أو معنًى.

قوله: (**إذا شئت سهلا**) أي: إذا أردت تسهيله.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث الدعاء بأن الله سبحانه وتعالى يجعل كل صعب من الأمور سهلا يمكن الوصول إليه بلا صعوبة[3].

فائدة: يخطأ البعض فيضبط (الحَزْنَ) بفتح الحاء والزاي، فيُحيلون المعنى عن وجهه المراد، لأن الحَزَن كالحُزْن، وهو: الهم والغم، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: 34]. والله أعلم.

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (970)، وابن السني في العمل برقم (352)، وصححه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (4/ 25)، والشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2886).

(2) الأذكار (1/ 305).

(3) تحفة الذاكرين (ص258).

44 ما يقول ويفعل من أذنب ذنبا

140- (مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ إلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ)[1].

والحديث بتمامه عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعني الله منه بما شاء، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته، وإنه حدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له**). ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ إلى آخر الآية.

قوله: (نفعني الله منه) أي: بالمبادرة إلى العمل به حتى أعمل به، قاله السندي.

قوله: (وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته) الظاهر أن مراده بذلك زيادة التوثيق بالخبر والاطمئنان به، ومعنى صدّقته أي على وجه الكمال، والله أعلم.

قوله: (وصدق أبو بكر) أي علمت صدقه في ذلك على وجه الكمال بلا حلف، وقال ابن حجر: بيَّن بها عليٌّ رضي الله عنه جلالة أبي بكر رضي الله عنه ومبالغته في الصدق حتى سماه رسول الله ﷺ صِدِّيقا.

قوله: (**ما من عبد**) سواء كان ذكرا أم أنثى.

قوله: (**يذنب ذنبا**) أي ذنب كان.

قوله: (**فيحسن الطُّهور**) برفع الطاء المشددة أي: التطهر. والمعنى: يحسن الوضوء فيأتي به على أكمل وجه.

قوله: (**ثم يقوم فيصلي ركعتين**) بحضور قلب وخشوع وطمأنينة.

قوله: (**ثم يستغفر الله**) أي: لذلك الذنب. والمراد بالاستغفار التوبة بالندامة والإقلاع والعزم على أن لا يعود إليه أبدا، وأن يتدارك الحقوق إن كانت هناك.

---

(1) رواه أبو داود برقم (1521)، والترمذي برقم(406 و3006)، وابن ماجه برقم (1395)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

قوله: (ثم قرأ هذه الآية) أي: النبي ﷺ استشهادا واعتضادا أو قرأ أبو بكر تصديقا وتوفيقا[1].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: 135].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أي: صدر منهم أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، بادروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلهذا قال: ﴿ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[2].

---

(1) تحفة الأحوذي (2/ 442-443).

(2) تيسير الكريم الرحمن (ص 149).



45 دعاء طرد الشيطان ووساوسه

141-(1) (**الاسْتِعَاذَةُ باللهِ مِنْهُ**)[1].

أي تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ونحوها، وَرَدَ ذلك في مجموعة منَ الأحاديث، وللاستعاذة عدة صيغ منها:

الصيغة الأولى: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ورَدَت في القرآن العظيم كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: 98].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أي: فإذا أردت القراءة لكتاب الله، الذي هو أشرف الكتب وأجلّها، وفيه صلاح القلوب، والعلوم الكثيرة، فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها ومعانيها.

فالطريق إلى السلامة من شره، الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من شره، فيقول القارئ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)متدبرا لمعناها، معتمدا بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهدا في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة، مجتهدا على السبب الأقوى في دفعه، وهو التحلي بِحِلية الإيمان والتوكل[2].

الصيغة الثانية: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه) وردت في السنة.

الصيغة الثالثة: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه) وردت كذلك في السنة[3].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

---

(1) رواه أبو داود برقم (775)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود. وانظر ارواء الغليل رقم (342).

(2) تيسير الكريم الرحمن (ص 449).

(3) انظر تخريجها مفصّلة مع ذكر الفوائد في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (ص270).

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره[1]

ومعنى: **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)**: أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله[2].

وقال في(المرقاة): يعني: اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله، فإنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة[3].

قال العلامة ابن القيم: فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز به منه وذلك في **عشرة أسباب**:

أحدها: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت: 36]، وفي موضع آخر: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: 200]. وقد تقدم أن السمع المراد به هاهنا سمع الإجابة لا مجرد السمع العام... وفي صحيح البخاري عن عدي بن ثابت، عن سليمان بن صرد قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: **(إنِّي لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد)**[4]..... [5].

---

(1) ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله البيتين في البداية والنهاية (15/ 278) وقال: وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد ابن تيمية-رحمه الله-أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة (في مخلوق) ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله عزّ وجلّ. وأخبرني العلامة شمس الدين بن القيم-رحمه الله-أنه سمع الشيخ (تقي الدين المذكور) يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود (أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع).اهـ.

(2) تفسير ابن كثير (1/ 175).

(3) مرقاة المفاتيح (2/ 425)، وقد تقدم.

(4) رواه البخاري برقم (3282)، ومسلم برقم (2610).

(5) بدائع الفوائد (ص809).

لطيفة: حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها، أو منعك مِنَ العبور، ما تصنع؟ قال: أكابده، وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم، يكفه عنك[1].

شبهة وجوابها: يقول بعض الناس إننا نستعيذ بالله ومع ذلك فإننا نحسُّ بالشيطان يوسوس لنا ويحرِّضنا على الشر؟ !

والجواب ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله، قال: والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح **بضاربه**، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تامًّا لا آفة فيه، والساعد ساعد قوي، والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدوِّ، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة، تخلف التأثير.

فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثَمَّ مانع مِنَ الإجابة، لم يحصلِ الأثر. اهـ[2].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: واعلم أن مَثَل إبليس مع المتقي والمخلّط (بكسر اللام) كرجل جالس بين يديه طعام ولحم، فمرّ به كلب، فقال له: اخسأ. فذهب، فمر بآخر بين يديه طعام ولحم، فكلما أخسأه[أي: طرده]، لم يبرح، فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان، فيكفيه في طرده الذكر، والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان، لمكان تخليطه، نعوذ بالله مِنَ الشيطان. اهـ[3].

142 -(2) **(الأَذَانُ)**.

روى البخاري ومسلم في صحيحَيْهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قُضِيَ التأذين أقبل، فإذا ثُوِّب بالصلاة أدبر، فإذا قُضِيَ التثويب أقبل،**

---

(1) تلبيس إبليس (ص51).

(2) الداء والدواء (ص26).

(3) تلبيس إبليس (ص51).

حتى يخطر بين المرء ونفسه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى)[1].

قوله: **(إذا نودي بالصلاة)** وفي رواية: **(للصلاة)** أي: أذّن لأجل الصلاة. قال الحافظ في(الفتح): يمكن حملها على معنًى واحدٍ[2].

قوله: **(أدبر الشيطان)** الإدبار: نقيض الإقبال، يقال: دبر الرجل، وأدبر: إذا ولّى، أفاده في(القاموس).

قوله: **(وله ضُراط)** الضُراط بالضم اسم من ضرط يضرط، وهو ريح له صوت يخرج من دبر الإنسان وغيره. وجاء في رواية عند مسلم: **(وله حُصاص)** قال الإمام النووي رحمه الله: هو بحاء مهملة مضمومة وصادين مهملتين أي: ضراط كما في الرواية الأخرى، وقيل: الحُصاص شدة العدوِ، قالهما أبو عبيد والأئمة مِن بعده[3].

قال الحافظ في(الفتح): قال عياض: يمكن حمله على ظاهره لأنه جسم متغذ يصح منه خروج الريح، ويحتمل أنها عبارة عن شدة نفاره، ويقويه رواية لمسلم: **(له حُصاص)** بمهملات مضموم الأول، فقد فسره الأصمعي وغيره بشدة العدوِ، قال الطيبي: شبه شغل الشيطان نفسه عن سماع الآذان بالصوت الذي يملأ السمع ويمنعه عن سماع غيره، ثم سماه ضراطا تقبيحا له. اهـ[4].

قال العلماء: الصواب حمل النص على ظاهره كما قال عياض، وأن الضراط ثابت كما أثبته هذا الحديث الصحيح، وأي مانع يمنع منه، حتى يصرف النص الصريح عن ظاهره.

قوله: **(حتى لا يسمع التأذين)** أي إنما يفعل ذلك ليشغل نفسه عن سماع الأذان.

وقد اختلف العلماء في الحكمة من هروب الشيطان عند سماع الأذان والإقامة دون سماع القرآن والذكر في الصلاة على أقوال نذكر منها:

(1) رواه البخاري برقم (608)، ومسلم برقم (389).

(2) فتح الباري (2/ 405).

(3) شرح مسلم (4/ 104).

(4) فتح الباري (2/ 405).

قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: وإنما أدبر الشيطان عند الأذان لئلا يسمعه فيضطر إلى أن يشهد له بذلك يوم القيامة لقول النبي ﷺ: **(لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)**.

وقيل: إنما يدبر الشيطان لعظم أمر الأذان لما اشتمل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شعائر الإسلام وإعلانه، وقيل: ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد. اهـ[1].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: على الأذان هيبة يشتد انزعاج الشيطان بسببها، لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به، بخلاف الصلاة فإن النفس تحضر فيها فيفتح لها الشيطان أبواب الوسوسة. وقد ترجم عليه أبو عوانة(الدليل على أن المؤذن في أذانه وإقامته منفي عنه الوسوسة والرياء لتباعد الشيطان منه)[2].

قوله: **(فإذا قُضِيَ التأذين)** قُضي: بضم أوله، والمراد بالقضاء الفراغ أو الانتهاء.

قوله: **(أقبل)** زاد مسلم في رواية أبي صالح عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: **(فوسوس)**.

قوله: **(فإذا ثُوِّب بالصلاة)** بضم المثلثة وتشديد الواو المكسورة قال الجمهور: المراد بالتثويب هنا الإقامة، وبذلك جزم أبو عوانه في صحيحه، والخطابي، والبيهقي، وغيرهم[3].

قوله: **(حتى يخطر)** قال الإمام النووي رحمه الله: هو بضم الطاء وكسرها، حكاهما القاضي عياض في المشارق، قال: ضبطناه عن المتقنين بالكسر، وسمعناه من أكثر الرواة بالضم، قال: والكسر هو الوجه ومعناه: يوسوس، وأما بالضم فمن السلوك والمرور أي: يدنو منه فيمر بينه وبين قلبه فيشغله عما هو فيه، وبهذا فسره الشارحون للموطإ وبالأول فسره الخليل. اهـ[4].

(1) شرح مسلم (4/ 104).

(2) فتح الباري (2/ 408).

(3) فتح الباري (2/ 406).

(4) شرح مسلم (4/ 104).

قوله: (**بين المرء ونفسه**) أي: قلبه، قال الباجي: المعنى أنه يحُول بين المرء وبين ما يريده من إقباله على صلاته وإخلاصه فيها، قاله في (الفتح).

قوله: (**فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا**) زاد مسلم في رواية: (**فهناه ومناه وذكره من حاجاته ما لم يكن يذكر**).

قوله: (**لِما لم يكن يذكر**) أي لشيء لم يكن على ذكره قبل دخوله في الصلاة.

قوله: (**حتى يظلَّ الرجل لا يدري كم صلى**) أي أنه يوسوس للرجل حتى يصير لا يدري كم صلى من الركعات، أثلاثا أم أربعا.

فائدة: قال الحافظ في (الفتح): قال ابن بطال: يشبه أن يكون الزجر عن خروج المرء من المسجد بعد أن يؤذن المؤذن من هذا المعنى، لئلا يكون متشبها بالشيطان الذي يفر عند سماع الآذان. والله أعلم.

تنبيه: قال الحافظ في(الفتح): وردت في فضل الأذان أحاديث كثيرة ذكر المصنف بعضها في مواضع أخرى، واقتصر على هذا هنا، لأن هذا الخبر تضمن فضلا لا ينال بغير الأذان، بخلاف غيره من الأخبار فإن الثواب المذكور فيها يدرك بأنواع أخرى من العبادات، والله أعلم[1].

143 -(3) **(الأَذْكَارُ وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ)**.

روى الإمام أحمد، والترمذي، من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (**إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا ﷺ بخمس كلمات، أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها...**، - وذكر منها -: (**وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مَثل ذلك مَثل رجل خرج العدوُّ في إثره سراعا، حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**)[2].

قوله: (**خرج العدوُّ في إثره**) قال في (القاموس): خرج في أثره وإثره، أي: بعده.

قوله: (**سراعا**) بكسر السين: حال من العدوِ، أي: مسرعين.

---

(1) فتح الباري (2/ 409).

(2) رواه أحمد في المسند برقم (17170)، والترمذي برقم (2863)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

قوله: (**حتى إذا أتى على حصن حصين**) الحصن بالكسر: كل مكان محمى منيع لا يوصل إلى جوفه، والحصين مِنَ الأماكن المنيع، يقال درع حصين: أي مُحكمة. وحصن حصين للمبالغة.

قوله: (**فأحرز نفسه منهم**) أي حفظها منهم. [1]. قال ابن منظور: الحرز: الموضع الحصين. يقال: هذا حرز حريز. والحرز: ما أحرزك من موضع وغيره. تقول: هو في حرز لا يوصل إليه[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن العبد لا يحرز نفسه مِنَ الشيطان إلا بذكر الله، وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس، والخناس الذي إذا ذكر العبد الله انخنس وتجمع وانقبض، وإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب، وألقى إليه الوساوس التي هي مبادئ الشر كله، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل[3].

وقال: فقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح العظيم الشأن - الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله - ما ينجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه[4].

وقال أيضا: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوِّه إلا بالذِّكر، ولا يدخل عليه العدوُّ إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدوُّ الله وتصاغر وانقمع، حتى يكون كالوصع[الصغير من العصافير، قاله محقق الكتاب في الحاشية]وكالذباب، ولهذا سمِّي الوسواس الخناس، أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس، أي: كفَّ وانقبض.

---

(1) تحفة الأحوذي (8/ 162).

(2) لسان العرب (ص832).

(3) بدائع الفوائد (ص815).

(4) الوابل الصيب (ص38)، وقد شرح العلامة ابن القيم رحمه الله هذا الحديث شرحا وافيا شافيا لا تكاد تجده عند غيره في كتابه العجاب (الوابل الصيب).

وقال ابن عباس [رضي الله عنهما]: (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوَس، فإذا ذكر الله تعالى خنس)[1].

وقال أيضا: الشياطين قدِ احتوشت العبد، وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قدِ احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظا، وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى. ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل. [2].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مئة حسنة، ومُحِيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزا مِنَ الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضلَ مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك)**[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فهذا حرز عظيم النفع، جليل الفائدة، يسير سهل على من يسَّره الله تعالى عليه[4].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر مِنَ البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)**[5].

قوله: **(لا تجعلوا بيوتكم مقابر)** أي خالية عنِ الذكر والطاعة فتكون كالمقابر وتكونون كالموتى فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أي: لا تعطِّلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور[6].

(1) الوابل الصيب (ص83).

(2) الوابل الصيب (ص199).

(3) رواه البخاري برقم (3293)، ومسلم برقم (2691)، وقد تقدم برقم (93).

(4) بدائع الفوائد (ص814).

(5) رواه مسلم برقم (780).

(6) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 172).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: أي: لا تتركوا الصلاة في بيوتكم، حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلى فيها[1].

قوله: (**إن الشيطان ينفر مِنَ البيت**) قال الإمام النووي رحمه الله: هكذا ضبطه الجمهور (**ينفر**)، ورواه بعض رواة مسلم (**يفر**) وكلاهما صحيح[2].

قوله: (**الذي تقرأ فيه سورة البقرة**) وقد جاء في فضل هذه السورة العظيمة عدة أحاديث صحيحة، ولو لم يكن في فضلها إلا هذا وحده لكفى بها فضلا وشرفا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم، ولهذا يهربون من البيت الذي تقرأ فيه **سورة البقرة**، ويهربون من قراءة آية الكرسي وآخر سورة البقرة، وغير ذلك من قوارع القرآن[3].

وروى مسلم أيضا في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (**ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُرَ مثلهن قط؟** : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[4].

قوله: (**لم يُرَ مثلهن قط**) أي لم يُبصر مثلهن فيما جاء مِنَ التعوذ.

قال الإمام النووي رحمه الله: وفيه بيان عظم فضل هاتين السورتين. [5].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعمُّ كل شر يُستعاذ منه، سواء كان في الأجسام أو في الأرواح والاستعاذة من شر الغاسق وهو الليل، وآيته وهو القمر إذا غاب، تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار، فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر، انتشرت وعاثت.

والاستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن.

---

(1) تهذيب السنن (ص730).

(2) شرح مسلم (6/ 79).

(3) النبوات (ص1018)، وقد تقدم.

(4) رواه مسلم برقم (814).

(5) شرح مسلم (6/ 110).

والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها.

والسورة الثانية: تتضمن الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر، ولهما شأن عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها، ولهذا أوصى النبي ﷺ عقبة بنَ عامر بقراءتهما عقب كل صلاة، ذكره الترمذي في (جامعه). وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور مِنَ الصلاة الى الصلاة. وقال: ما تعوَّذ المتعوِّذون بمثلهما.

وقد ذكر أنه ﷺ سُحر في احدى عشرة عقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما، فجعل كلّما قرأ آية منهما انحلّت عقدة، حتّى انحلّت العقد كلّها، وكأنما أنشط من عقال. اهـ[1].

وقد مر معنا في أذكار النوم والاستيقاظ منه، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار الصباح والمساء، وغير ذلك من الأذكار المشروعة في طرد الشيطان ووساوسه، ويستفاد منها جميعا أن ذكر الله عز وجل وقراءة القرآن من أعظم ما ينجي العبد من الشيطان، وبالله التوفيق.

ثم اعلم رحمك الله أن الشيطان حريص كل الحرص على إغواء ابن آدم وإضلاله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: 118-119]. وقال أيضا: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [صٓ: 82-83]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. وقال ﷺ: **(إنّ الشّيطان قعد لابن آدم بأطرقه)**[2]. قال في(النهاية): قوله: **(بأطرقه)** هي جمع طريق على التأنيث، لأن الطريق تذكَّر وتؤنَّث، فجمعه على التذكير: أطرقة، كرغيف وأرغفة، وعلى التأنيث أطرق، كيمين وأيمن. اهـ[3].

---

(1) زاد المعاد (4/ 181)، وقد تقدم.

(2) رواه النسائي برقم (3134)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي.

(3) النهاية في غريب الحديث (ص562).

والمعنى أن الشيطان قعد لابن آدم في كل طريق يسلكه سواء كان طريق خير أو طريق شر، فإن كان طريق خير قعد له فيه ليصرفه ويثبطه عنه، وإن كان طريق شر قعد له فيه ليشجعه على المضي فيه، فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعيذنا وجميع المسلمين منه.

46 الدعاء حينما يقع ما لا يرضاه أو غُلب على أمره

144- **(قَدَرُ اللَّـهِ ومَا شَاءَ فَعَلَ)**.[1].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)**.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)** أي: القوي البدن والنفس، الماضي العزيمة، الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات مِنَ الصَّوم، والحجِّ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عنِ المنكر، والصبر على ما يصيبه في ذلك، وغير ذلك مما يقوم به الدين، وتنهض به كلمة المسلمين، فهذا هو الأفضل والأكمل، وأما من لم يكن كذلك مِنَ المؤمنين، ففيه خير من حيث كان مؤمنا، قائما بالصلوات، مكثرا لسواد المسلمين، ولذلك قال ﷺ: **(وفي كلٍّ خير)** لكنه قد فاته الحظ الأكبر، والمقام الأفخر.

قوله: **(احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز)** أي: استعمل الحرص، والاجتهاد في تحصيل ما تنتفع به في أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك، وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه متكلا على القدر، فتنسب للتقصير، وتلام على التفريط شرعا وعادة. ومع إنهاء الاجتهاد نهايته، وإبلاغ الحرص غايته، فلا بد من الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والالتجاء في كل الأمور إليه، فمن سلك هذين الطريقين، حصل على خير الدارين.

قوله: **(وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل)** يعني: إن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله، والرضا بما قدره الله تعالى، والإعراض عنِ الالتفات لما مضى وفات، فإنِ افتكر فيما فاته من ذلك وقال: لو أني فعلت كذا لكان كذا جاءته وساوس الشيطان،

---

(1) رواه مسلم برقم (2664).

ولا تزال به حتى تُفضي به إلى الخسران، وهذا هو عمل الشيطان الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: (**فلا تقل: لو، فإن لو تفتح عمل الشيطان**). ولا يفهم من هذا: أنه لا يجوز النطق بـ (لو) مطلقا إذ قد نطق بها النبي ﷺ فقال: (**لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسقِ الهديَ، ولجعلتها عمرة**)[1]. و(**لو كنت راجما أحدا بغير بينة لرجمت هذه**)[2].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: (لو أن أحدهم نظر إلى رجليه لرآنا) ومثله كثير. لأن محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيها إذا أطلقت في معارضة القدر، أو مع اعتقاد: أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور، فأما لو أَخبر بالمانع على جهة أن تتعلق به فائدة في المستقبل، فلا يُختلف في جواز إطلاقه، إذ ليس في ذلك فتح في عمل الشيطان، ولا شيء يفضي إلى ممنوع، ولا حرام، والله تعالى أعلم. اهـ[3].

قوله: (**قَدرُ الله وما شاء فعل**) قال الشيخ العثيمين رحمه الله: أي هذا قدر الله، أي تقدير الله وقضاؤه، وما شاء الله عزّ وجلّ فعله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: 107]. لا أحد يمنعه أن يفعل في ملكه ما يشاء، ما شاء فعل عزّ وجلّ. ولكن يجب أن نعلم أنه سبحانه وتعالى لا يفعل شيئا إلا لحكمة، خفيت علينا أو ظهرت لنا، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: 30]، فبيّن أنّ مشيئته مقرونة بالحكمة والعلم. اهـ[4].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله معلقا على هذا الحديث[5]:

فتضمن هذا الحديث الشريف **أصولا عظيمة** من أصول الإيمان:

أحدها: أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف

---

(1) رواه البخاري برقم (2506)، ومسلم برقم (1211).

(2) رواه البخاري برقم(7238)، ومسلم برقم(1497).

(3) المفهم (6/ 682).

(4) شرح رياض الصالحين (2/ 83).

(5) شفاء العليل (ص37).

يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين. ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض. ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته مِنَ الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع، ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته، فأمره بأن يعبده وأن يستعين به، ثم قال: (**ولا تعجز**) فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أَزِمَّة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه، فإن فاته ما لم يُقدَّرْ له فله حالتان: حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى (لو) ولا فائدة في (لو)هنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عنِ افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القَدَر وملاحظته وأنه لو قُدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القَدَر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده، فلهذا قال: (**فإن غلبك أمر فلا تقل: لو أنِّي فعلت كذا وكذا ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل**).

فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول مطلوبه وحالة فواته، فلهذا كان هذا الحديث مما **لا يستغني عنه** العبد أبدا بل هو أشد شيء إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القَدَر والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي حصول المطلوب وعدمه، وبالله التوفيق. اهـ

47 تهنئة المولود له وجوابه

145 - (**بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي الـمَوْهُوبِ لَكَ، وَشَكَرْتَ الوَاهِبَ، وبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ**) ويَرُدُّ عَلَيْهِ الـمُهَنَّأُ فَيَقُولُ: (**بَارَكَ اللهُ لَكَ، وبَارَكَ عَلَيْكَ، وجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، ورَزَقَكَ اللهُ مِثْلَهُ، وأَجْزَلَ ثَوَابَكَ**) [1].

روى هذا الأثر الإمام النووي رحمه الله في(الأذكار)، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما والعلامة ابن القيم رحمه الله في(تحفة المودود)، عن الحسن البصري رحمه الله، وعزاه إلى الأوسط لابن المنذر. قال محققه: والنص المذكور ليس في المطبوع من كتاب الأوسط لابن المنذر. والله أعلم.

قال ابن علان رحمه الله في (الفتوحات الربانية): هكذا هو فيما وقفت عليه من نسخ الأذكار الحسين بضم الحاء وفتح السين المهملتين يعني ابن علي رضي الله عنهما ولم يذكر مخرجه، والذي ذكره غيره أنه الحسن بفتح المهملتين مكبرا، فقال السيوطي في (وصول الأماني بأصول التهاني): أخرج ابن عساكر عن كلثوم بن جوشن قال: جاء رجل عند الحسن وقد ولد له مولود، فقيل له: يهنيك الفارس، قال الحسن: وما يدريك أفارس هو؟ قال: كيف نقول يا أبا سعيد؟ قال: تقول بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب ورزقت بره وبلغ أشده[2].

قلت: وهذا على فرض ثبوته عن الحسن، فإن السند يحتاج إلى معرفة صحته، فلا يرقى إلى سنة تحفظ وتقال وتعتبر كذكر من الأذكار بهذه المناسبة والله أعلم.

قال شيخنا محمد علي فركوس حفظه الله: لا يعرف في السنة شيء من ذلك لكن نُقل عن بعض التابعين كالحسن البصري، تهنئة الوالد بقوله: (**بارك الله لك في المولود لك، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره**)، ويرد الوالد: (**أجزل الله ثوابك**) ونحو ذلك.

(1) النووي في الأذكار(2/ 630)، وابن القيم في تحفة المودود(ص34).

(2) الفتوحات الربانية (6/ 108).

واستُحبَّ هذا القول لدخوله تحت الكلمة الطيبة كما في قوله ﷺ: **(اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبالكلمة الطيبة)**[1].

وكما في رواية أخرى: **(والكلمة الطيبة صدقة)**[2].

والأصل كما هو معروف، إدخال السرور والغبطة على قلب المسلم لتقوية عرى الأخوة وتمتين أواصر المحبة، ونشر الألفة بين المسلمين، فإن المسلم يَألف ويُؤْلف لذلك يستحب للمسلم أن يبادر إلى مسرَّة أخيه وإعلامه بما يفرحه ولا يقصر بتهنئته والدعاء له ولوليده، ويؤيده ما ثبت إسناده مقطوعا عن معاوية بن قرة قال: لما ولد إياس دعوت نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأطعمتهم فدعوا، فقلت: إنكم قد دعوتم فبارك الله فيما دعوتم وإنّي إنْ أدعو بدعاء فأمِّنوا قال: فدعوت له دعاء كثيرا في دينه وعقله[3]. اهـ[4].

وجاء في صحيح البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ، وكان أكبر ولد أبي موسى رضي الله عنه[5].

وفي صحيح البخاري أيضا عن أسماء رضي الله عنها قالت: حملت بعبد الله بن الزبير، فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ، فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرَّك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام[6]. قولها: (وأنا متم) بكسر المثناة أي شارفت تمام الحمل.

وبوَّب الإمام الطبراني رحمه الله في(كتاب الدعاء): **باب كيف التهنئة بالمولود قال:**

---

(1) رواه البخاري برقم (6540)، ومسلم برقم (1016).

(2) رواه البخاري برقم (2707)، ومسلم برقم (1009).

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (1255)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد

(4) 40 سؤالا في أحكام المولود(ص51-53).

(5) صحيح البخاري (5467).

(6) صحيح البخاري (5469).

حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، ثنا عمرو بن الربيع بن طارق، ثنا السري بن يحيى أن رجلا (ممن) كان يجالس الحسن ولد له ابن فهنأه رجل فقال: ليهنك الفارس، فقال الحسن: وما يدريك أنه فارس؟ لعله نجار، لعله خياط، قال: فكيف أقول؟ قال: قل: جعله الله مباركا عليك وعلى أمة محمد ﷺ. قال محققه: إسناده حسن، وهو موقوف على الحسن البصري.

وقال أيضا: حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، ثنا خالد بن خداش، ثنا حماد بن زيد قال: كان أيوب (أي السختياني) إذا هَنَّأَ رجلا بمولود قال: جعله الله مباركا عليك، وعلى أمة محمد ﷺ[1].

فخلاصة القول أن الذي ثبت في هذا المقام الدعاء والتبريك دون تخصيص بصيغة معينة، والله أعلم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولما كانتِ البشارة تسر العبد وتُفرحه، استُحبَّ للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه، وإعلامه بما يفرحه... فإن فاتته البشارة استُحبَّ له **تهنئته**، والفرق بينهما أن البشارة إعلام له بما يسره، والتهنئة **دعاء له بالخير** فيه بعد أن علم به[2].

قوله: (بارك الله لك) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: البركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله وبارك فيه، وبارك عليه وبارك له، فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له، وزيادته، هذا حقيقة البركة[3].

قوله: (في الموهوب لك) أي المولود لك ذكرًا كان أم أنثى.

قوله: (وشكرت الواهب) أي الله سبحانه وتعالى فهو الوهّاب المعطي كثير الهبة والمنَّة والعطية ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الشورى 49-50].

والشكر مرتبة عظيمة من مراتب الدين.

(1) كتاب الدعاء برقم (945-946).

(2) تحفة المودود (ص58).

(3) جلاء الأفهام (ص431)، وقد تقدم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ منزلة الشكر وهي من أعلى المنازل وهي فوق منزلة(الرضى) وزيادة. فالرضى مندرج في الشكر. إذ يستحيل وجود الشكر بدونه. وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله ووصف به خواصَّ خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببا للمزيد من فضله، وحارسا وحافظا لنعمته، وأخبر أن أهله همُ المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسما من أسمائه، فإنه سبحانه هو (الشكور) وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورا، وأهله هم القليل من عباده.

والشكر مبني على **خمس قواعد**: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة. اهـ[1].

قوله: (وبلغ أشُده) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قال ابن عباس -في رواية عطاء عنه-: الأشُد: الحلم، وهو اختيار يحيى بن يعمر، والسدي... وقد أحكم الأزهري تفسير اللفظة، فقال: بلوغ الأشُد يكون من وقت بلوغ الإنسان مبلغ الرجال إلى الأربعين سنة. قال: فبلوغ الأشُد الأول محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك، فبلوغ الأشُد مرتبة بين البلوغ وبين الأربعين، ومعنى اللفظة مِنَ الشدة، وهي: القوة والجلادة، والشديد: الرجل القوي، فالأشُد القوي[2].

قوله: (ورزقت بره) في النهاية البر بالكسر الإحسان، وهو في حق الأبوين والأقربين ضد العقوق، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم، يقال: بر يبر فهو بار، وجمعه بررة[3].

فائدة: يُروى حديث مرفوع إلى النبي ﷺ في هذا الباب أي: **(باب التهنئة بالمولود)**، وهو ما أخرج الإمام البزار بسنده قال: حدثنا أحمد بن منصور، نا يونس بن محمد، نا حرب بن ميمون، عن النظر بن أنس قال: جاءت أم سليم إلى أبي أنس فقالت: قد جئت اليوم بما تكره فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند

(1) مدارج السالكين (2/ 252-254).

(2) تحفة المودود (ص481-482).

(3) مرقاة المفاتيح (9/ 131).

هـذا الأعـرابي. قال: كان أعرابيـا اصطفاه الله واختـاره وجعله نبيا قـال: ما الذي جئت بـه؟ قالـت: حرمـت الخمـر، هذا فـراق بينـي وبينك، فـمات مـشركا، وجاء أبـو طلحة إلى أم سـليم فقالـت: مـا جـاء بك يا أبـا طلحة؟ قـال: جئـت خاطبا قالت: أسـلمت؟ قـال: لا قـال: مـا تسـألين عـن إسـلامي؟ قالت: لم أكـن أتزوجـك وأنت مـشرك قال: لا والله مـا هـذا دهـرك قالت: فـما دهري؟ قـال: دهـرك في الصفـراء والبيضـاء قالت: فإني أشـهدك وأشـهد نبـي الله ﷺ أنك إن أسـلمت فقـد رضيت بالإسـلام منك، قال: فمـن لي بهـذا؟ قالـت: يـا أنس، قـم فانطلـق مع عمـك. فقام فوضـع يده عـلى عاتقي، فانطلقنـا حتـى كنَّـا قريبـا مـن نبـي الله ﷺ فسـمع كلامنـا فقـال: (**هـذا أبـو طلحة بين عينيـه غـرة الإسـلام**). حتى جاء فسـلَّم على نبـي الله ﷺ فقال: أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدا عبده ورسـوله، فزوَّجه رسـول الله ﷺ على الإسـلام. فولـدت له غلاما، ثم إن الغـلام درج وأعجـب بـه أبـوه فقبضه الله تبارك وتعـالى إليه، فجاء أبـو طلحة فقال: مـا فعـل ابني يـا أم سـليم؟ قالت: خـير ما كان قالـت: ألا تتغـدى، قد أخـرت غداءك اليـوم؟ قـال: فقربـت إليه غـداءه فتغدى حتـى إذا فـرغ من غدائـه قالـت: يا أبـا طلحة عاريـة اسـتعارها قـوم وكانت العاريـة عندهم مـا قـضى الله، وإن أهل العارية أرسـلوا إلى عاريتهـم فقبضوهـا، ألهـم أن يجزعـوا عليـه؟ قـال: لا، قالـت: فـإن ابنك قـد فارق الدنيـا، قـال: فأيـن هـو؟ قالت: هـا هـو ذا في المخدع، فدخل فكشـف عنه واسـترجع، فذهـب إلى رسـول الله ﷺ فحدثه بقول أم سـليم قال: (**والذي بعثنـي بالحق، لقد قذف الله تبـارك وتعـالى في رحمهـا ذكـرا لصبرهـا عـلى ولدها**) قـال: فوضعتـه، فقـال نبي الله ﷺ: (**اذهـب يـا أنـس إلى أمـك فقل لهـا: إذا قطعـت سرار ابنك فـلا تذيقيه شـيئاً حتى ترسـلي بـه إلي**). قـال: فوضعتـه على ذراعـي حتى أتيت بـه رسـول الله ﷺ فوضعته بين يديـه فقـال: (**ائتنـي بثلاث تمـرات عجوة**). قـال: فجئته بهـن فقذف نواهن ثـم قذفه في فيـه فلاكـه، ثـم فتح فـا الغـلام فجعلـه في فيـه، فجعـل يتلمظ فقـال: (**أنصـاري يحب التمـر**) فقـال: (**اذهـب إلى أمك فقـل: بـارك الله لك فيـه وجعله برا تقيـا**)[1].

قـال الهيثمي في المجمـع برقـم(14528): رواه البزار، ورجاله رجـال الصحيح، غير أحمـد بن منصـور الرمادي، وهو ثقـة. وفي رواية للبـزار أيضا: قالت لـه: أتزوجك وأنت تعبد خشـبة يجرهـا عبدي فلان. قلـت: فذكر الحديـث ورجاله رجـال الصحيح. اهـ

(1) مسند البزار برقم (7310).

قلت: وهذه الفائدة(**إن صح الحديث**)تساوي رحلة، لكن لمن يعرف قدرها. فالحمد لله المنان بفضله، ونسأله تمام نعمته.

تحذير وتذكير: إيَّاك يا أخي الكريم ويا أختي الفاضلة، بارك الله فيكما، والتشبه بأهل الجاهلية الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل 58-59]. وقد قال عليه الصلاة والسلام: (**لا تكرهوا البنات فإنّهن المؤنسات الغاليات**)[1].

وبوَّب الإمام البخاري رحمه الله في(الأدب المفرد)باب من حمد الله عند الولادة إذا كان سويا ولم يبال ذكرا أو أنثى، ثم ذكر أثر عائشة رضي الله عنها قال: كانت عائشة رضي اللهُ عنها إذا وُلد فيهم مولود(يعني في أهلها)لا تسأل: غلاما ولا جارية، تقول: خُلق سويا؟ فإذا قيل: نعم، قالت: الحمد لله ربِّ العالمين. [2]. وفي الباب نصوص كثيرة ولكن نكتفي بهذا القدر وانظر إن شئت باب (كراهية تسخط البنات) من (تحفة المودود) فإنه مهمٌّ، والله وليُّ التوفيق.

(1) رواه أحمد برقم (17373)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (3206).

(2) الأدب المفرد برقم (1256)، وقال الشيخ الألباني حسن الإسناد موقوفا.

48 ما يُعوَّذ به الأولاد

146- كانَ رَسُولُ اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم يَعُوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (**أُعِيذُكُمَا بِكَلِماتِ اللهَّ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**)[1].

جاء في بداية الحديث قوله ﷺ: (**إن أباكما كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق**: ...).

قوله: (**إن أباكما**) يريد إبراهيم عليه السلام وسمَّاه (أبا) لكونه جدًّا أعلى.

قوله: (**كان يعوّذ بها**) قال ابن منظور: يقال: عوّذت فلانا بالله وأسمائه وبالمعوّذتين، إذا قلت: أعيذك بالله وأسمائه من كلّ ذي شرّ وكلّ داء وحاسد وعين[2].

قوله: (**بكلمات الله**) قيل: هي القرآن، وقيل: هي الكلمات الكونية القدرية. (**التّامة**): أي التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: فأما قول النبي ﷺ: (**أعوذ بكلمات الله التّامات**) فإن كلمته القرآن، وصفه بالتمام تنزيها له عن أن يلحقه نقص أو عيب، كما يوجد ذلك في كلام الآدميين[3].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: قال الهروي وغيره: الكلمات هي القرآن، والتّامات قيل: هي الكاملات، والمعنى أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس، وقيل: هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يُتعوَّذ منه. [4].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: كان أحمد بن حنبل يستدلُّ بقوله: (**بكلمات الله التّامة**) على أن القرآن غير مخلوق وهو أن رسول ﷺ لا يستعيذ بمخلوق. وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص والموصوف منه بالتمام هو غير المخلوق، وهو كلام الله سبحانه[5].

---

(1) رواه البخاري برقم (3371).

(2) لسان العرب (ص3163).

(3) غريب الحديث (1/ 252)، وقد تقدم.

(4) تحفة الذاكرين (ص82)، وقد تقدم.

(5) معالم السنن (4/ 332-333).

قوله: (**من كل شيطان**) يدخل تحته شياطين الإنس والجِنِّ.

قوله: (**وهامَّة**) بالتشديد، واحدة الهوام: ذوات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام، وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء.

قوله: (**ومن كل عين لامَّة**) قال الخطابي: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل، وقال أبو عبيد: أصله من ألممت إلماما، وإنما قال (**لامَّة**) لأنه أراد أنها ذات لمم، وقال ابن الأنباري: يعني أنها تأتي في وقت بعد وقت. وقال: لامّة ليؤاخي لفظ هامّة لكونه أخفَّ على اللسان[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: الهامّة: بتشديد الميم، وهي كل ذات سمٍّ يقتل، كالحية وغيرها، والجمع: الهوامُّ. قالوا: وقد يقع الهوامُّ على ما يدبُّ مِنَ الحيوان، وإن لم يقتل، كالحشرات ومنه حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: (**أيؤذيك هوامُّ رأسك؟**) أي: القمل. وأما (**العين اللامّة**) بتشديد الميم، وهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء[2].

(1) فتح الباري (7/ 676-677).

(2) الأذكار(1/ 316).

49 الدعاء للمريض في عيادته

147-(1) (**لا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ**)[1].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: ... الحديثَ.....

قوله: (يعوده) أي: يزوره، فالفاعل عائد وجمعه عوّاد، كذا في المصباح. وقال ابن الأثير: العيادة الزيارة ثم اشتهرت في زيارة المريض حتَّى صار كأنّه مختص به[2].

قوله: (**لا بأس طهور**) دعاء له، أي: لا مشقَّةَ ولا تعب عليك من هذا المرض بالحقيقة، لأنه مطهرك مِنَ الذنوب. (**إن شاء الله**) للتبرك أو للتفويض أو للتعليق، فإن كونه طهورا مبني على كونه صبورا شكورا.

قال الحافظ في(الفتح): قوله: (**لا بأس**) أي أن المرض يكفِّر الخطايا، فإن حصلتِ العافيةُ، فقد حصلتِ الفائدتان، وإلَّا حصل ربح التكفير.

قوله: (**طهور**) هو خبر مبتدإٍ محذوف أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة.

قوله: (**إن شاء الله**) يدل على أن قوله: (**طهور**) دعاء لا خبر. اهـ[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكان إذا دخل على المريض يقول له: (**لا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ**). وربما كان يقول: (**كفارة وطهور**)[4].

148-(2) (**أَسَأَلُ اللهَ العَظِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، أنْ يَشْفِيَكَ**) (**سَبْعَ مَرَّاتٍ**)[5].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (**ما من عبد مسلم يعود مريضا لم يحضره أجله فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم، أن يشفيك، إلَّا عوفي**).

---

(1) رواه البخاري برقم (3616).

(2) فيض القدير (4/ 366).

(3) فتح الباري (13/ 31).

(4) زاد المعاد (1/ 495).

(5) رواه أبو داود برقم (3106)، والترمذي برقم (2083)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم(5766).

قوله: (**يعود مريضا**) أي: يزوره في مرضه.

قولـه: (**لم يحـضره أجلـه**) أي: إذا لم يحـضر أجله وكتـب الله له حيـاة، فالحديث مقيد بعـدم حضـور الأجل، فـإذا كان قد حـضر، فكما قال الشـاعر:

وإذا المنيـة أنشـبت أظفارهـا ألفيـت كل تميمـة لا تنفـع

وأحسـن منـه قولـه تعـالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعـراف: 34]. وقولـه جلّ وعـلا: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقـون: 11].

قولـه: (**سـبع مـرات**) هـذا العـدد مـن أسرار النبـوة، فليس لأحـد أن يطلـب العلة لذلـك أو يبحـث عـن السـبب، وهكـذا كل عـدد يرد عـن الشـارع ﷺ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: في السبع خاصية لا توجد في غيرها[2].

قولـه: (**أسـأل الله العظيـم**) أي: في ذاتـه وصفاتـه. (**رب العـرش العظيـم**) فيـه بيان عظـم العـرش. قولـه: (**أن يشـفيَك**) بفتـح اليـاء، أي: يعافيك ويسـلمك مـن المرض. (**إلّا عـوفي**) أي: مـن مرضه.

فائـدة: مِـنَ السـنة للعائـد أن يجلـس عنـد رأس المريـض كـما جـاء في روايـة لهـذا الحديـث عنـد البخـاري في الأدب المفـرد: (كان رسـول الله ﷺ إذا عـاد المريض جلس عنـد رأسـه، ثـم قـال سـبع مـرار: (**أسـأل الله العظيـم رب العـرش العظيـم...**)[3].

قـال العلامـة ابـن القيم رحمـه الله: كان ﷺ يعود مـن مرض من أصحابـه، ... وكان يدنـو مـن المريـض، ويجلس عند رأسـه، ويسـأله عن حالـه، فيقول: كيف تجـدك؟ [4].

---

(1) تحفة الذاكرين (ص284).

(2) زاد المعاد (4/ 188)، وانظر للفائدة شرح الحديث (243).

(3) الأدب المفرد برقم (536)، وصححه الشيخ الألباني.

(4) زاد المعاد (1/ 494).

50 فضلُ عيادةِ المريض

149- قال ﷺ: (**إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ**)[1].

ورواه الإمام مسلم رحمه الله بلفظ: (**من عاد مريضًا لم يزل في خُرفة الجنة**)، قيل: يا رسول الله: وما خرفة الجنة؟ قال: (**جَنَاها**)[2].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله: (**لم يزل في خُرفة الجنة**) هو بضم الخاء المعجمة وسكون الراء، وقد فسَّرها النبي ﷺ بما هو المعروف في اللغة فقال: هو جَناها أي: ما يُجتنى منها. وفي الصحاح: الخرفة -بالضم- ما يُجتنى مِنَ الفواكه. وأما رواية من رواها: مخرفة بفتح الميم وسكون الخاء، وفتح الراء: فهو البستان.

ومعنى هذا الحديث: أن عائد المريض بما يناله من أجر العيادة وثوابها الموصل إلى الجنة كأنه يجتني ثمرات الجنة. وعيادة المريض من أعمال الطاعات الكثيرة الثواب، العظيمة الأجر. اهـ[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله: أي يَؤُولُ به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها، واتفق العلماء على فضل عيادة المريض[4].

وقال في (النهاية): قوله: (**مشى في خرافة الجنة**) أي: في اجتناء ثمرها. اهـ [5].

قوله: (**غمرته الرحمة**) أي: عَلَته وغطَّته.

قوله: (**غدوة**) أي: أول النهار.

---

(1) رواه الترمذي برقم (969)، وابن ماجه برقم (1442)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) رواه مسلم برقم (2568).

(3) المفهم (6/ 549-550).

(4) شرح مسلم (16/ 134).

(5) النهاية في غريب الحديث (ص260).

قوله: (**صلى عليه**) أي: دعا له بالمغفرة.

قوله: (**سبعون ألف ملك حتى يمسي**) من الإمساء. والمعنى أنهم لا يزالون يدعون له بالمغفرة حتى يأتي وقت المساء.

قوله: (**وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح**) أي: لا يزالون يدعون له بالمغفرة حتى يأتي وقت الصباح. وهذه فضيلة تكل الأقلام عن وصفها ولا تبلغ الأفهام كنهها، تحث كل مؤمن عامل بكلام رسول الله ﷺ أن لا يدع عيادة المرضى على أية حال، والله وحده المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

51 دعاء المريض الذي يئس من حياته

قوله: (يئس من حياته): أي: انقطع أمله ورجاؤه منها وانتفى طمعه فيها.

150-(1) (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وارْحَمْنِي، وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأعْلَى**)[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله ﷺ: (**اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق**) وفي رواية: (**الرفيق الأعلى**) الصحيح الذي عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى: الأنبياء الساكنون أعلى عليين، ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾. وقيل: هو الله تعالى يقال: الله رفيق بعباده، مِنَ الرفق والرأفة، فهو فعيل بمعنى فاعل وأنكر الزهري هذا القول. وقيل: أراد مرتفق الجنة[2].

فائدة وتنبيه: قال العلماء لا يُدعى بهذا الدعاء إلا عند تحقق نزول الموت بالعبد وعلم أنه في الاحتضار، لما ورد في النهي عن تمني الموت والدعاء به. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدْع به من قبل أن يأتيه**)[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: ومفهومه أنه إذا حلَّ به لا يمنع من تمنيه رضا بلقاء الله، ولا من طلبه مِنَ الله لذلك، وهو كذلك، ولهذه النكتة عقب البخاري حديث أبي هريرة بحديث عائشة: (**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى**). إشارةً إلى أن النهي مختصٌّ بالحالة التي قبل نزول الموت، فلله دره، ما كان أكثر استحضاره وإيثاره للأخفى على الأجلى شحذا للأذهان، وقد خفي صنيعه هذا على من جعل حديث عائشة في الباب معارضا لأحاديث الباب(باب تمني المريض الموت) أو ناسخا لها. اهـ[4].

---

(1) رواه البخاري برقم (4440)، ومسلم برقم (2444).

(2) شرح مسلم (15/ 227).

(3) رواه البخاري برقم (5673)، ومسلم برقم(2682) واللفظ له.
وجاء في رواية أنس رضي الله عنه عند البخاري برقم(5671)، ومسلم برقم(2680)، قال: قال النبي ﷺ: (**لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي**).

(4) فتح الباري(13/ 48).

151-(2) **(جعل النبي ﷺ عند موته يُدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكراتٍ)**[1].

قوله: **(عند موته)** أي: وهو ملتبس به.

قوله: **(يُدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه)** دفعا لحرارة الموت أو دفعا للغشيان وكربه.

قال في(المرقاة): وإِيرادها بلفظ التثنية اشعار بنهاية حرارته وايماء إلى إِظهار عجزه وعبوديته. قيل: وسببه أنه كان يُغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق. ويؤخذ منه أنه ينبغي فعل ذلك لكل مريض، فإن لم يفعله فُعِل به لأن فيه نوع تخفيف الكرب كالتجريع، بل يجب التجريع إذا اشتدت حاجة المريض إليه[2].

قوله: **(لا إله إلَّا الله)** أي لا معبود بحقٍّ إلا الله. **(إن للموت سكراتٍ)** أي: شدائد، جمع: سكرة بسكون الكاف وهي شدة الموت.

قال في(المرقاة): بفتحات جمع سكرة، أي شدائد ومشقات عظيمات من حرارات ومرارات طبيعيات حتى للأنبياء وأرباب الكمالات، فاستعدوا لتلك الحالات واطلبوا من الله تهوينه للأموات[3].

152-(3) **(لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ لَهُ الـمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ)**[4].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: **(من قال: لا إله إلا الله والله أكبر صدّقه ربّه فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده قال: يقول الله: لا إله إلا أنا**

(1) رواه البخاري برقم (4449).

(2) مرقاة المفاتيح (11/ 105).

(3) مرقاة المفاتيح (11/ 105).

(4) رواه الترمذي برقم (3430)، وابن ماجه برقم (3794)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله قال الله: لا إله إلا أنا ولا حَوْل ولا قوة إلا بي، وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار).

قوله: **(لا إله إلَّا الله)** أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله. **(والله أكبر)** أي: الله أكبر من كل شيء، فالتهليل فيه توحيده وإخلاص الدين له، والتكبير فيه تعظيمه سبحانه وأنه لا شيء أكبر منه. و**(لا إله إلا الله)** فيها ركنان عظيمان هما: النفي والإثبات: النفي في قوله: **(لا إله)** وهو نفي للعبودية عن كل مَن سوى الله. والإثبات في قوله: **(إلا الله)** وهو إثبات للعبودية بكل معانيها لله عزَّ وجلَّ. وقد أكّد هذين الأمرين بقوله: **(وحده لا شريك له)**، فقوله: **(وحده)** فيه تأكيد للإثبات، وقوله: **(لا شريك له)** فيه تأكيد للنفي. وقوله: **(له الملك وله الحمد)** هذه براهين التوحيد ودلائله، فالذي له التوحيد الخالص هو المالك للملك المستحقُّ للحمد، ومَن سواه لا يستحقُّ مِنَ العبادة شيئا. وقوله: **(ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله)** فيه تفويض الأمر إلى الله عزَّ وجلَّ وتبرؤٌ مِنَ الحَوْل والقوة إلَّا به، وأن العبد لا يملك من أمره شيئا، لا حيلة له في دفع شر، ولا قوة له في جلب خير إلا بإرادته سبحانه.

قوله: **(صدّقه ربه فقال)** أي: وقال الرَّبُّ بيانا لتصديقه أي قرّره بأن قال: **(لا إله إلا أنا وأنا أكبر)** وهذا أبلغ من أن يقول: صدقتَ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن فوائد الذِّكر أنه سبب لتصديق الرَّبِّ عزَّ وجلَّ عبدَه، فإنه خبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربه، ومن صدَّقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين، ورجي له أن يُحشر مع الصادقين. اهـ[1].

قوله: **(وإذا قال)** أي: العبد. **(قال: يقول الله)** أي: قال النبي ﷺ: يقول الله تصديقا لعبده وحذف (صدَّقه ربه) هنا للعلم به مما قبله وعبَّر هنا بـ: (يقول) وفيما يأتي (يقال) تفنُّنًا.

(1) الوابل الصيب (ص190).

قولـه: **(وكان يقـول)** أي: النبـي ﷺ. **(مـن قالهـا)** أي: هـذه الكلـمات مـن دون الجوابـات. **(ثـم مـات)** أي: مـن ذلـك المـرض. **(لم تطعمـه النار)** قـال الطيبـي: أي: لم تأكلـه، اسـتعار الطعـم للإحـراق مبالغـة[1].

قـال الإمـام الشـوكاني رحمـه الله: وجـه هـذا أن هـذه الكلـمات قـدِ اشـتملت عـلى **التوحيـد** خمـس مرات، وقـد ثبـت في الأحاديث الصحيحـة أن من مـات لا يشرك بالله شـيئا دخل الجنـة[2].

---

(1) تحفة الأحوذي (9/ 389).

(2) تحفة الذاكرين (ص285).



52 تلقين المحتضر

153- (**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، دَخَلَ الجَنَّة**)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: (**لَقِّنُوا مَوتَاكُم: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**)[2].

وروى هذا الحديث ابن حبان أيضا بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلمته: لا إله إلا الله عند الموت، دخل الجنة يوما مِنَ الدَّهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**)[3].

قوله: (**لقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله**) قال الإمام القرطبي رحمه الله: أي: قولوا لهم ذلك، وذكِّروهم به عند الموت، وسمّاهم ﷺ موتى لأن الموت قد حضرهم، وتلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامه: لا إله إلا الله، فيُختم له بالسعادة وليدخل في عموم قوله ﷺ: (**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة**). ولينبِّه المحتضر على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضِر ليفسد عليه عقيدته، فإذا تلقنها المحتضَر، وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه، لئلا يتضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار عليه مِنَ التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها، أو فهم عنه ذلك، وفي أمره عليه الصلاة والسلام بتلقين الموتى ما يدل: على تعيُّنِ الحضور عند المحتضَر، لتذكيره وإغماضه، والقيام عليه، وذلك من حقوق المسلم على المسلمين، ولا خلاف في ذلك. اهـ[4].

والمراد بـ: (موتاكم) موتَى المسلمين، وأمَّا موتى غيرهم فيعرضُ عليهمُ الإسلام كما عرضهُ ﷺ على عمِّه عند السياقِ، وعلى الذميِّ الذي كان يخدمه فعادَهُ وعرضَ عليه الإسلام فأسلم، وكأنه خصَّ في الحديث موتى أهل الإسلام، لأنهم الذين يقبلون ذلك، ولأن حضور أهل الإسلام عندهم هو الأَغلبُ بخلاف الكفار، فالغالب أنه لا يحضر موتاهم إلا الكفار[5].

---

(1) رواه أبو داود برقم (3116)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) رواه مسلم برقم (916).

(3) التعليقات الحسان برقم (2993).

(4) المفهم (2/ 569).

(5) سبل السلام (3/ 252).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: فيه مشروعية تلقين المحتضَر شهادة التوحيد، رجاء أن يقولها فيفلح والمراد بـ: (**موتاكم**): من حضره الموت، لأنه لا يزال في دار التكليف، ومِنَ الممكن أن يستفيد من تلقينه، فيتذكر الشهادة فيقولها، فيكون من أهل الجنة. وأما تلقينه بعد الموت، فمع أنه بدعة لم ترِد في السنة، فلا فائدة منه لأنه خرج من دار التكليف إلى دار الجزاء، ولأنه غير قابل للتذكُّر، ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[1].

وقال أيضا: وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه، بل هو أمره بأن يقولها خلافا لما يظن البعض، والدليل حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ عاد رجلا مِنَ الأنصار، فقال: (**يا خال، قل لا إله إلا الله**)، فقال: (أخال أم عم؟) فقال: (**بل خال**) فقال: (فخير لي أن أقول: لا إله إلا الله؟) فقال النبي ﷺ: (**نعم**)[2].

قال في (عون المعبود): قال العيني: قال الكرماني: قوله: (**لا إله إلا الله**) أي: هذه الكلمة، والمراد هي وضميمتها محمد رسول الله[ﷺ]انتهى. وقال الحافظ في (الفتح): والمراد بقول: لا إله إلا الله، في هذا الحديث وغيره كلمتا الشهادة، فلا يرد إشكال ترك ذكر الرسالة. قال الزين بن المنير: قول لا إله إلا الله لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعا. انتهى[3].

قلت: ذكر بعض أهل العلم أن الاقتصار على (**لا إله إلا الله**) هو الراجح عملا **بظاهر النَّصِّ** والله تعالى أعلم[4].

لطيفة: جاء في (السِّيَر): قال أبو جعفر محمد بن علي، وراق أبي زرعة، حضرنا أبا زرعة بماشهران، وهو في السَّوْق[أي: النزع]وعنده أبو حاتم، وابن وارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين: (**لقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله**) واستحيوا من أبي زرعة أن يلقِّنوه فقالوا: تعالوا نذكر الحديثَ. فقال ابن

---

(1) السلسلة الصحيحة (1/ 837).

(2) أحكام الجنائز (ص20).

(3) عون المعبود (8/ 385).

(4) البحر المحيط الثجاج (18/ 136).

وارة: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح وجعل يقول: ابن أبي، ولم يجاوزه. وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر[عن صالح]، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السَّوْق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: (**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة**). وتوفي رحمه الله[1].

فائدة: في حكم قراءة سورة يس عند المحتضر وتوجيهه نحو القبلة؟

قال الشيخ الألباني رحمه الله: وأما قراءة سورة (يس) عنده[أي عند المحتضر]، وتوجيهه نحو القبلة فلم يصح فيه حديث، بل كره سعيد بن المسيب توجيهه إليها، وقال: أليس الميت امرأ مسلما؟[2].

وقال ابن الحاج في المدخل(3/ 240): أنكر الإمام مالك رحمه الله القراءة عند الميت بسورة يس والأنعام، وعلّل ذلك بأنه لم يكن من عمل الناس [3].

فائدة أخرى: في تلقين الميت بعد دفنه:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم، وأما الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: (**إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان؟ فإنه يسمعه ولا يجيب...**) فهذا حديث لا يصح رفعه[4].

وقال في سبل السلام (3/ 319): ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، والعمل به بدعة، ولا يغتر بكثرة من يفعله. اهـ

(1) سير أعلام النبلاء(13/ 76).

(2) أحكام الجنائز (ص20).

(3) سبل السلام (حاشية) (3/ 255).

(4) زاد المعاد (1/ 522).

53 دعاء من أُصيب بمصيبة

154 - **(إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أجُرْنِي فِي مُصِيْبَتِي، وأخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا)**[1].

جاء في الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، ...، إلا أخلف الله له خيرا منها**) قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثمّ إني قلتها. فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

قوله: (**ما من مسلم تصيبه مصيبة**) أي: أيّ مصيبة كانت، فالتنوين للتنكير. فكل شيء ساء المؤمن، فهو مصيبة.

قوله: (**فيقول ما أمره الله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون**) قال الإمام النووي رحمه الله: **فيه** فضيلة هذا القول، **وفيه** دليل للمذهب المختار في الأصول أن المندوب مأمور به، لأنه ﷺ مأمور به، مع أن الآية الكريمة تقتضي ندبه وإجماع المسلمين منعقد عليه. اهـ[2].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: هذا تنبيه على قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: 155] الآيةَ..... مع أنه ليس فيها أمر بذلك القول، وإنما تضمّنت مدح من قاله، فيكون ذلك القول مندوبا، والمندوب مأمور به، أي: مطلوب ومقتضى. وإن سُوِّغ تركُه. وقال أبو المعالي: لم يختلف الأصوليون أن المندوب مقتضى ومطلوب، وإنما اختلفوا هل يسمى مأمورا به؟ قلت: وهذا الحديث يدل على أنه يسمّى بذلك. وقوله: (**إنا لله وإنا إليه راجعون**) كلمة اعتراف بالملك لمستحقِّه، وتسليم له فيما يجريه في ملكه، وتهوين للمصيبات بتوقع ما هو أعظم منها، وبالثواب المرتب عليها، وتذكير المرجع والمآل الذي حكم به ذو العزة والجلال. اهـ[3].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله مبيِّنا معنى هذه الكلمة العظيمة: قوله: (**إنّا لله**) أي: مملوكون لله مدبَّرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء،

---

(1) رواه مسلم برقم (918).

(2) شرح مسلم (6/ 250).

(3) المفهم (2/ 570).

فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمُجازٍ كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفرا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر. اهـ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وهذه الكلمة(أي كلمة الاسترجاع)من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلَّى عن مصيبته **أحدهما**: أن العبد وأهله وماله ملك لله عزَّ وجلَّ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه مِنَ المستعير، وأيضا فإنه محفوف بعدمين: عدم قبله، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه، حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يبقي عليه وجوده، فليس له فيه تأثير، ولا ملك حقيقي، وأيضا فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهي، لا تصرف الملاك ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خُوِّله ونهايته، فكيف يفرح بموجود، أو يأسى على مفقود، ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: 22-23][2].

(1) المفهم (2/ 570).

(2) زاد المعاد (4/ 189).

قولـه: (**أجـرني في مصيبتي**) هو مـن الأجر، وهو الثـواب. قال الإمـام النووي رحمه الله: قـال القـاضي: أجـرني بالقصر والمـد، حكاهما صاحـب الأفعال. وقـال الأصمعي وأكثـر أهـل اللغة: هـو مقصـور لا يُمد، ومعنـى أجره الله: أعطـاه أجره وجـزاء صبره وهَمِّـه في مصيبته.

وقولـه: (**واخلـف لي**) هـو بقطـع الهمـزة وكـسر الـلام. قـال أهـل اللغة: يقـال لمن ذهـب لـه مال أو ولـد أو قريـب أو شيء يتوقع حصول مثلـه **أخلف** الله عليـك أي: ردَّ عليـك مثلـه، فـإن ذهـب مـا لا يتوقع مثله بـأن ذهـب والد أو عـم أو أخ لمـن لا جد له ولا والـد لـه قيـل: **خلف** الله عليـك بغـير ألـف أي: كان الله خليفة منـه عليك[1].

(قالـت): أم سـلمة رضي الله عنها(فلـما مات أبو سـلمة)تعني زوجهـا. (قلت) أي: في نفسي، أو باللسـان استـغرابا لوجـود مثل ذلك(أيّ المسـلمين خير من أبي سـلمة؟). (أول بيـت هاجـر إلى رسـول الله ﷺ) أي: إلى المدينة.

قـال الأبيّ: تعجبـت أم سـلمة لاعتقادهـا أنـه لا خـير مـن أبي سـلمة، ولم تطمـع أن يتزوجهـا رسـول الله ﷺ، فهـو خـارج مـن هذا العمـوم، وتعنـي بقولها: (مَـن خير مِن أبي سلمة)بالنسـبة إليهـا، فـلا يكـون خـيرا مـن أبي بكر، لأن الخير في ذاته قـد لايكون خـيرا لهـا... اهـ. تقـول: (ثمّ إني قلتها) أي: كلمة الاسـترجاع والدعـاء المذكور بعدها. (فأخلـف الله لي رسـول الله ﷺ) أي: بـأن جعلنـي زوجتـه، وكان عـوض خـير لي مـن زوجـي أبي سـلمة رضي الله عنه[2].

---

(1) شرح مسلم (6/ 251).

(2) البحر المحيط الثجاج (18/ 146).بتصرف وارجع إن شئت إلى **البحر** تستفد أكثر والله الموفق.

54 الدعاء عند إغماض الميت

155- **(اللَّهُـمَّ اغْفِرْ لِفُلانٍ (باسْـمِهِ)، وارْفَـعْ دَرَجَتَهُ فِي الـمَهْدِيِّيْنَ، واخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِيْـنَ واغْفِرْ لَـنَا ولَهُ يَا رَبَّ العَالَـمِيْنَ، وافْسَـحْ لَـهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَـهُ فِيْهِ)**[1].

عـن أم سـلمة رضي الله عنهـا، قالـت: دخـل رسـول الله ﷺ عـلى أبي سـلمة وقـد شـقَّ بـصرُه، فأغمضـه، ثـم قـال: **(إن الـروح إذا قُبـض تبعـه البـصر)** فضـجّ نـاس مـن أهلـه، فقـال: **(لا تدعـو عـلى أنفسـكم إلَّا بخـير، فـإن الملائكـة يؤمِّنـون عـلى مـا تقولـون)** ثـم قـال: **(اللهـم اغفـر لأبي سـلمة وارفـع درجتـه في المهديـين...)** الحديـثَ.....

قولها: (شـقَّ بصرُه) قـال الإمام النووي رحمه الله: هو بفتح الشـين ورفع بصره، وهو فاعـل شـقَّ، هكذا ضبطنـاه، وهو المشـهور وضبطـه بعضهـم: (بصره)بالنصـب، وهو صحيـح أيضـا، والشـين مفتوحة بلا خـلاف. قـال القـاضي: قـال صاحب(الأفعال): يقـال: شـقّ بصرُ الميت، ولا يقال: شـقّ الميت بصره، **ومعنـاه**: شـخَص، كما في الرواية الأخرى. وقال ابن السـكّيت في(الاصلاح) والجوهـري حكايـة عنِ ابن السكّيـت، يقال: شـقّ بصرُ الميـت، ولا تقل: شـقّ الميت بصـره، وهو الذي حضره الموت وصار ينظـر الى الـشيء لا يرتـدّ اليه طرفه.

قولهـا: (فأغمضـه) إغـماض الميـت: سـد أجفانـه بعـد موتـه، وهـو سـنّة عمل بها المسلمـون كافـةً قالـوا: والحكمـة فيـه أن لا يقبـح بمنظـره لو تـرك إغماضه.

قولـه: **(إن الـروح إذا قُبـض تبِعـه البـصر)** أي: إذا خـرج الـروح مـن الجسـد، يتبعه البـصر ناظـرا أين يذهب. وفي الروح لغتان: التذكيـر والتأنيـث، وهـذا الحديث دليل للتذكير. اهـ[2]

قولـه: (فضـجَّ) بالجيم المشـددة أي رفـع الصوت بالبـكاء وصاح. (نـاس من أهله) أي من أهل أبي سـلمة.

---

(1) رواه مسلم برقم (920).

(2) شرح مسلم (6/ 254).

قوله: (**لا تدعو على أنفسكم إلَّا بخير**) أي: لا تدعوا بالويل والثبور على عادة الجاهلية.

قال السندي رحمه الله: أي: ادعوا له بالخير لا بالشر، أوِ ادعوا بالخير **مطلقا لا** بالويل، ونحوه. [1].

قوله: (**فإن الملائكة**) أي: عموم الملائكة الذين يحضرون الميت. قال ﷺ: (**إذا حُضِرَ المؤمن، أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء... وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بِمِسْحٍ...**)[2]. قوله: (**بِمِسْحٍ**) بكسر الميم، قال النووي: هو ثوب من الشعر غليظ معروف.

قوله: (**يؤمّنون**) بتشديد الميم، من التأمين، أي: يقولون: آمين. أي: استجب.

قوله: (**على ما تقولون**) أي: في دعائكم من خير أو شر، ودعاء الملائكة مستجاب، فلا يجوز للشخص أن يدعوَ بما فيه مضرة له، أو لغيره. ففيه الندب إلى قول الخير حينئذ مِنَ الدعاء والاستغفار له وطلب اللطف به والتخفيف عنه ونحوه، وفيه حضور الملائكة حينئذ وتأمينهم.

قوله: (**اللهم اغفر لأبي سلمة**) ذكره بكنيته دون اسمه وهو عبد الله لأنه اشتُهِر بها.

قوله: (**وارفع درجتَه**) أي: اجعل له درجة عليّةً عندك.

قوله: (**في المهديّين**) بتشديد الياء الأولى، والمهديُّون: الذين هُدوا إلى الحق وإلى صراط مستقيم، صراط العزيز الحميد.

قال في(النهاية): المهدي: الذي قد هداه الله إلى الحق. اهـ[3].

قوله: (**واخلفه في عقبه في الغابرين**) أي: كن الخليفة على من يتركه من عقبه، ويبقى بعده، ويعني بالغابرين: الباقين. كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٨٣﴾ [الأعراف: 83]. أي: من الباقين في العذاب.

---

(1) حاشية ابن ماجه (2/ 194).

(2) رواه النسائي برقم (1833)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي.

(3) النهاية في غريب الحديث (ص1004).

قوله: (**واغفر لنا وله، يا ربَّ العالمين**) فيه استحباب تقديم النفس في الدعاء.

قـال ابـن علان رحمـه الله: وقوله: (**يـا رب العالمين**) مناسـبة ختم الدعـاء به واضحة إذ مَـن كان موجِـدا للعـالم، مالِـكا أمورَهـم، مصلِحـا شـؤونَهم، هـو الـذي يُطلب منه **ذلك**. اهـ[1].

قوله: (**وافسح له في قبره**) أي: وسّع له فيه.

قوله: (**ونوّر له فيه**) أي: في قبره، أراد به دفع الظُّلمة.

قـال الإمـام النـووي رحمـه الله: **فيـه** اسـتحباب الدعـاء للميـت عنـد موتـه ولأهله وذريتـه بأمـور الآخـرة والدنيا. اهــ[2].

---

(1) دليل الفالحين (6/ 65).

(2) شرح مسلم (6/ 254).

55 الدعاء للميت في الصلاة عليه

156-(1) **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ، وعَافِهِ، واعْفُ عَنْهُ، وأكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، واغْسِلهُ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وأبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وأهْلًا خَيْرًا مِنْ أهْلِهِ، وزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وأدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وأعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ [وَعَذَابِ النَّارِ])**[1].

قوله: **(اللهم اغفر له وارحمه)** المغفرة هي محو الذنب وازالة أثره ووقاية شرّه، والرحمة أبلغ لأن فيها حصول المرغوب بعد زوال المكروه.

قوله: **(وعافه واعف عنه)** أي: عافه مِنَ العذاب وسلِّمه منه، واعف عنه ما وقع فيه من زلل وتقصير.

قوله: **(وأكرم نُزُلَه)** النُّزُل: ما يقدَّم للضيف، أي: اجعل ضيافته عندك كريمة. قال في (القاموس): النُّزُل والنُّزْل: ما هُيِّئ للضيف إذا نَزل عليه. اهـ[2].

قوله: **(ووسِّع مُدخله)** أي: وسِّع له قبره وافسح له فيه.

قوله: **(وأغسله بالماء والثلج والبرَد)** البرد: -بفتح الباء والراء- حب الغمام. قال الخطابي: ذكر الثلج والبرَد تأكيد، أو لأنهما ماءان لم تمسهما الأيدي ولم يمتهنهما الاستعمال.

وقال: هذه أمثال ولم يرد بها أعيان هذه المسميات، وإنما أراد بها التوكيد في التطهير مِنَ الخطايا والمبالغة في محوِها عنه، والثلج والبرَد ماءان لم تمسهما الأيدي، ولم يمتهنهما الاستعمال، فكان ضرب المثل بهما أوكد في بيان معنى ما أراده من تطهير الثوب.

قوله: **(ونقِّه مِنَ الخطايا كما نقَّيتَ الثَّوب الأبيض مِنَ الدنس)** نقِّه: بتشديد القاف، مِنَ التنقية، وهي بمعنى التطهير كناية عن إزالة الذنوب، ومحوِ أثرها. والخطايا: جمع خطية وهي الذنوب والمآثم. والدنس: بفتحتَين أي: الوسخ.

---

(1) رواه مسلم برقم (963).

(2) لسان العرب (ص4400).

والمعنى: طهّره من ذنوبه وخطاياه كما يُطَهَّرُ الثَّوب الأبيض مِنَ الدنس الذي علق به، وخصَّ الأبيض بالذكر لأن إزالة الأوساخ فيه أظهر من غيره مِنَ الألوان.

قوله: **(وأبدله دارا خيرا من داره)** أي: أدخله الجنة دار كرامتك بدلا عن دار الدنيا التي رحل عنها.

قوله: **(وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه)** أي: وابدله خيرا منهم، وهذا شامل للتبديل في الأعيان والأوصاف، أما في الأعيان بأن يعوِّضه الله عنهم خيرا منهم في دار كرامته، وأما في الأوصاف بأن تعود العجوزُ شابةً وسيئةُ الخلق حسنةَ الخُلُق، وغيرُ الجميلة جميلةً.

قال السندي رحمه الله: هذا من عطف الخاصِّ على العامِّ، على أن المراد بالأهل ما يعمُّ الخدَم أيضا، وفيه إطلاق الزوج على المرأة، قيل: هو أفصح من الزوجة فيها. قال السيوطي: قال طائفة مِنَ الفقهاء: هذا خاصٌّ بالرجل ولا يقال في الصلاة على المرأة أبدلها زوجا خيرا من زوجها لجواز أن تكون لزوجها في الجنة، فإنَّ المرأة لا يمكن الاشتراك فيها، والرجل يقبل ذلك. اهـ[1].

ثم سأل الله له دخول الجنة والنجاة مِنَ النار، والسَّلامة من فتنة القبر بأن يوقَى شرّها وأثرها فقال: **(وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر، وعذاب النار)**.

157-(2) **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، ومَيِّتِنَا، وشَاهِدِنَا، وَغَائِبِنَا، وصَغِيْرِنَا، وكَبِيرِنَا، وذَكَرِنَا، وأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ مِنَّا فأَحْيِهِ عَلَى الإسْلامِ، ومَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتوَفَّهُ عَلَى الإيْمانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أجْرَهُ، ولا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ)**[2].

قوله: **(اللهم اغفر لحيِّنا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا)** شاهدنا أي: حاضرنا.

قوله: **(وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا)** قال الطيبي رحمه الله: المقصود مِنَ القرائن الأربع الشمول والاستيعاب، فلا يحمل على التخصيص نظرا إلى مفردات التركيب، كأنه قيل: اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات كلهم أجمعين. انتهى[3].

---

(1) حاشية السندي على النسائي (4/ 376).

(2) رواه أبو داود برقم (3201)، والترمذي برقم (1024)، وابن ماجه برقم (1498)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(3) عون المعبود (8/ 498).

قال في (التحفة): ههنا إشكال، وهو أن الصغير غير مكلف لا ذنب له فما معنى الاستغفار له؟ وذكروا في دفعه وجوها فقيل: الاستغفار في حقِّ الصغير لرفع الدرجات، وقيل: المراد بالصغير والكبير الشاب والشيخ[1].

قوله: (**اللهم مَن أحييتَه منَّا فأحيه على الإسلام ومن توفيتَه منَّا فتوفه على الإيمان**) ذكر الإسلام عند الحياة والإيمان عند الممات وذلك لأن الإسلام إذا قرن بالإيمان يراد به الشرائع العملية الظاهرة، ويراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة، ولهذا ناسب في الحياة أن يذكر الإسلام، لأن الإنسان ما دام حيًّا فلديه مجال وفُسحة للعمل والتعبُّد، وأما عند الممات فلا مجال لذلك، بل لا مجال إلا للموت على الاعتقاد الصحيح والإيمان السليم[2].

قوله: (**اللهم لا تَحرمنا أجره**) أي: الأجر الذي نحصله من تجهيزه والصلاة عليه وتشييعه ودفنه، وكذلك الأجر الذي نحصله من صبرنا على مصيبتنا فيه. (**ولا تضلنا بعده**) أي: أعذنا من الضلال وجنبنا الفتنة والزلل بعد فقدنا له.

158-(3) (**اللَّهُمَّ إنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ، وأَنْتَ أهْلُ الوَفَاءِ والْحَقِّ، فاغْفِرْ لَهُ، وارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**)[3].

قوله: (**اللهم إن فلان بن فلان**) فيه دليل على استحباب تسمية الميت باسمه واسم أبيه، وهذا إن كان معروفا وإلَّا جُعل مكان ذلك اللهم إن عبدك هذا أو نحوه.

قوله: (**في ذمتك**) أي: في حفظك وأمانك وعهدك. (**وحبل جوارك**) أي: أصبح جارا لك، وكانت العرب تعظم حرمة الجار، فكأنه يقول: إن فلانا أصبح في جوارك فارع حرمته وعامله بإحسانك ورحمتك ومغفرتك، فإنك أعظم مَن يَحفظ حرمة الجار. (**فقه**) صيغة أمر مِنَ الوقاية، والمقصود الدعاء. (**من فتنة القبر**) أي: امتحان السؤال فيه أو من أنواع عذابه من الضغطة والظلمة وغيرهما.

---

(1) تحفة الأحوذي (4/ 105).

(2) فقه الأدعية والأذكار (3/ 237).

(3) رواه أبو داود برقم(3202)، وابن ماجه برقم(1499)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة.

قوله: **(وأنت أهل الوفاءِ)** أي: بالوعد فإنك لا تخلف الميعاد. **(والحقِّ)** أي: أنت أهل الحق. **(إنك أنت الغفور)** أي: كثير المغفرة للسيئات. **(الرحيم)** كثير المرحمة بقبول الطاعات والتفضُّل بتضاعف الحسنات[1].

159-(4) **(اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وابْنُ أَمَتِكَ، احْتَاج إِلَى رَحْمَتِكَ، وأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ، وإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ)**[2].

قوله: **(اللهم عبدُك وابنُ أَمَتك)** أَمَتك: عبدتك، والأَمَة مؤنث العبد. وهذا فيه إظهار التذلل والخضوع، والاعتراف بالعبودية، ولم يكتفِ بقوله: **(عبدك)** بل زاد فيه: **(وابن أمتك)** لأن هذا أبلغ وآكد في إظهار التذلل والعبودية. **(احتاج الى رحمتك)** الرحمة أبلغ من المغفرة لأن فيها حصول المرغوب بعد زوال المكروه. **(وأنت غني عن عذابه)** الغني هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغنى المطلق، ولا يشارك الله تعالى فيه غيره. قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ١٤٧﴾ [النساء: 147].

قوله: **(إن كان محسنا فزد في حسناته، وإن كان مسيئا فتجاوز عنه)** قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: أي: ضاعف له الأجر فيما أحسن فيه، وتجاوز عن سيء عمله[3].

---

(1) عون المعبود (8/ 501-502).

(2) رواه الحاكم وصححه برقم (1329)، (1/ 506)، ووافقه الذهبي، وانظر أحكام الجنائز للشيخ الألباني (ص159).

(3) الاستذكار (7/ 526).

56 الدعاء للفَرَط في الصلاة عليه

الفرط هو المتقدم السابق، ومنه قوله ﷺ: **(أنا فرطكم على الحوض)** أي: متقدمكم إليه. يقال: فرط يفرط، فهو فارط وفرط: إذا تقدم وسبق. أفاده في (النهاية). والمراد هنا من مات وهو طفل صغير.

160-(1) **(اللَّهُمَّ أعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ)**[1].

هذا أثر من قول أبي هريرة رضي الله عنه. عن سعيد بن المسيب يقول: صلَّيت وراء أبي هريرة رضي الله عنه على صبيٍّ لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: (اللهم أعذه من عذاب القبر).

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: في هذا الحديث مِنَ الفقه الصلاة على الأطفال، والسنة فيها كالصلاة على الرجال بعد أن يستهلَّ الطفلُ، وعلى هذا جماعةُ الفقهاءِ وجمهورُ أهلِ العلم. وأما قوله: (لم يعمل خطيئة قط) فمأخوذ من قول النبي ﷺ: **(رفع القلم عن ثلاثة)**[2]. فذكر منهم الصبي حتى يحتلم. وقال عمر بن الخطاب[رضي الله عنه]: الصغير تكتب له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات. وأما قوله في الصبي: (اللهم أعذه من عذاب القبر) فيشهد له قول الله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴿١٤﴾﴾ [الفتح: 14]. ولو عذَّب الله عباده أجمعين كان غير ظالم لهم، كما أنه إذا هدى ووفَّق من شاء منهم، وأضلَّ وخذل من شاء منهم، كان غير ظالم لهم، وإنما الظالم من فعل غير ما أُمر به، والله تعالى غير مأمور لا شريك له. اهـ[3].

قال العلماء: هناك أمور يشترك فيها الناس كلهم كضمَّة القبر وضغطته، ووحشته، فإنه لا ينجو منها أحد كبيرا كان أو **صغيرا**، صالحا أو طالحا، قال عليه الصلاة والسلام: **(إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها نجا سعد بن معاذ)**[4].

---

(1) رواه مالك في الموطإ برقم (588)، (2/ 197)، والبيهقي (4/ 9)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 317)، وهو موقوف صحيح.

(2) رواه أبو داود برقم (4403)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) الاستذكار (7/ 528-529).

(4) رواه أحمد برقم (24283)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (2180).

وقال أيضا: (**لو أُفلِت أحد من ضمة القبر لأُفلِت هذا الصبي**)[1]. فالدعاء له بمثل هذا دعاء أن تخفف عليه ضمة القبر وضغطه والله أعلم.

قال المصنف حفظه الله: وَإِنْ قَالَ: (**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطًا وَذُخْرًا لِوَالِدَيْهِ، وشَفِيعًا مُجَابًا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِيْنَهُمَا، وأعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا، وألْحِقْهُ بِصَالِحِ المُؤْمِنِينَ، واجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الجَحِيمِ، وأبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَسْلَافِنَا، وَأَفْرَاطِنَا، وَمَنْ سَبَقَنَا بِالإِيْمَانِ**). فَحَسَنٌ[2]. اهـ

قوله: (**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطاً**) الفرط: الصغير، فرط يتقدّمُ والديه إلى الآخرة، ليكون لهما أجرهُ، لحديث المغيرة رضي الله عنه مرفوعا وفيه: (**والسِّقط يُصَلَّى عليه، ويُدْعَى لوالديه بالمغفرة والرحمة**)[3]. والسَّقط: هو الذي يسقط من بطن أمِّه ميِّتًا قبل أن يتمَّ، والطفل يأخذ حُكمة في الدعاء لوالديه بالمغفرة والرحمة، لأنهما بمعني واحد، والحكمة من الدعاء لوالديه أنهما سبب لوجوده، وقد فقدَاه وهما يتطلّعان إليه، وكانا حريصين على بقائه.

قوله: (**ودخرًا لوالديه**) الذخر: بمعنى المذخور، أي مذخور لوالديه يرجعان إليه عند الحاجة.

قوله: (**وشفيعا مجابا**) الشفيع: بمعنى الشافع، كالسميع بمعنى السامع. والشفيع: هو الذي يتوسط لغيره بجلب منفعة أو دفع مضرة. وسُمِّي شفيعا لأنه يجعل المشفوع له اثنين بعد أن كان وترًا، فصار بضم صوته إلى صوت المشفوع له شفيعًا له. (**مجابا**) لأن الشفيع قد يجاب، وقد لا يجاب، فسأل الله أن يكون شفيعًا مجابًا.

قوله: (**اللهم ثقِّل به موازينهما**) أي: موازين الأعمال، وذلك في كونه أجرًا لهما، لأنه كلما كان أجرًا ثقلت به الموازين. (**وأعظِم به أجورهما**) أي: اجعل أجورهما عظيمة.

قوله: (**وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم**) أي: بصغار المؤمنين الذين سلفوا، وذلك أنَّ الصغار من الولدان يكونون في كفالة إبراهيم عليه الصلاة

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (3858)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2164).

(2) انظر المغني لابن قدامة (3/ 416)، والدروس المهمة لعامة الأمة للشيخ ابن باز رحمه الله (ص15).

(3) رواه أحمد برقم(18174)، وأبو داود برقم (3180)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي دواد

والسلام، وقد رآهم النبي ﷺ حينما عُرج به - عند إبراهيم وسأل عنهم، فقيل له: هؤلاء ولدان المؤمنين[1]، ولهذا قال: (**واجعله في كفالة ابراهيم**).

قوله (**وقِهِ برحمتك عذاب الجحيم**) قِهِ: من الوقاية، أي : اجعله سالما من عذاب الجحيم. (برحمتك) من باب التوسل بصفة الله عزَّ وجلَّ.

161-(2) (**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا، وَسَلَفًا، وَأَجْرًا**)[2].

كان الحسن: يَقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول: (اللهم اجعله لنا فرطا، وسلفا وأجرا).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في(نيل الأوطار): إذا كان المصلَّى عليه طفلا استُحِبَّ أن يقول المصلِّي: (اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وأجرا). روى ذلك البيهقي من حديث أبي هريرة، وروى مثله سفيان (في جامعه)عنِ الحسن. اهـ[3].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: حديث أبي هريرة عند البيهقي إسناده حسن، ولا بأس في العمل به في مثل هذا الموضع، وإن كان موقوفا، إذا لم يُتَّخذ سنةً، بحيث يؤدِّي ذلك إلى الظن أنه عنِ النبي ﷺ، والذي أختاره أن يدعوَ في الصلاة على الطفل بالنوع الثاني لقوله فيه: (**وصغيرنا... اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده**)[4].

قوله: (**اللهم اجعله لنا فرطا**) أي: أجرا يتقدمنا. يقال: افترط فلان ابنا له صغيرا: إذا مات قبله[5].

قوله: (**وسلفا**) قيل هو من سلف المال، كأنه قد أسلفه وجعله ثمنا للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه، وقيل: سلف الإنسان مَن تقدمه بالموت مِن آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح[6].

---

(1) رواه البخاري برقم (1386).

(2) رواه البخاري موقوفا معلقا برقم (1335)، قال الحافظ في (الفتح): وصله عبد الوهاب بن عطاء في (كتاب الجنائز) له عن سعيد بن أبي عروبة أنه سئل عنِ الصلاة على الصبي فأخبرهم عن قتادة عنِ الحسن أنه كان يكبِّر ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثم يقول: (اللهم اجعله لنا سلفا، وفرطا وأجرا) اهـ، وعبد الرزاق برقم (6588).

(3) نيل الأوطار (7/ 369).

(4) أحكام الجنائز (ص 160-161).

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص701).

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص440).



57 دعاء التعزية

قال الإمام النووي رحمه الله: واعلم أن التعزية هي التصبير، وذكر ما يسلي صاحب الميت، ويخفف حزنه، ويهوِّن مصيبته، وهي مستحبة، فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي داخلة أيضا في قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۝٢﴾ [المائدة: 02]، وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية. وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **(والله في عَون العبد ما كان العبد في عَون أخيه)**.[1] اهـ.[2].

162- **(إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى... فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ)**.[3].

والحديث بتمامه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: أن ابنا لي قُبِض، فأتنا فأرسل يقرئ السلام ويقول: **(إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب)** فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها. فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ ابن جبل وأُبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت ورجال. فرُفِع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع -قال: حسبت أنه قال: كأنها شن- ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: **(هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)**.

قال الإمام النووي رحمه الله في (الأذكار): هذا الحديث أحسن ما يعزى به.[4].

قوله: **(إن لله ما أخذ)** معناه: أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية.

قوله: **(وله ما أعطى)** أي: أن ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه، بل هو له سبحانه، يفعل فيه ما يشاء.

---

(1) رواه مسلم برقم (2699).

(2) الأذكار (1/ 354).

(3) رواه البخاري برقم (1284)، ومسلم برقم (923).

(4) الأذكار (1/ 356).

قال الحافظ في(الفتح): قدَّم ذكر الأخذ على الإعطاء-وإن كان متأخرا في الواقع- لما يقتضيه المقام، والمعنى أن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه، فإن أخذه أخذ ما هو له، فلا ينبغي الجزع، لأن مستودِع الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه.[1].

قوله: (**وكل شيء عنده**) أي: مِنَ الأخذ والإعطاء-أو مِنَ الأنفس-أو ما هو أعم من ذلك. (**بأجل مسمًّى**) أي: معلوم مُقَدَّر أو نحو ذلك. فلا تجزعوا، فإن من قبضه قدِ انقضى أجله المسمَّى، فمحال تأخره أو تقدمه عنه، فإذا علمتم هذا كله، فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم.

قوله: (**فلتصبر ولتحتسب**) أي: تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها، ليحسب لها ذلك من عملها الصالح.

قوله: (ونفسه تتقعقع-قال: حسبت أنه قال: كأنها شن-) والقعقعة حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك، والشن بفتح المعجمة وتشديد النون القِربة الخَلِقة اليابسة. (ففاضت عيناه) أي: النبي ﷺ. (فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟) أي: ابن عبادة [رضي الله عنه].

قال الإمام النووي رحمه الله: معناه أن سعدا ظن أن جميع البكاء حرام، وأن دمع العين حرام، وظن أن النبي ﷺ نسي، فذكَّره فأعلمه النبي ﷺ أن مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولا مكروه بل هو رحمة وفضيلة، وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما.[2].

قوله: (**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده**) أي: الدمعة أثر رحمة، أي أن الذي يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمد من صاحبه ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه، وإنما المنهي عنه الجزع وعدم الصبر. (**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**) والرحماء جمع رحيم، وهو من صيغ المبالغة ومقتضاه أن رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة.[3]. فالراحمون يرحمهم الرحمن.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث تذكير أهل المصيبة بأن ذلك الذي توفاه الله هو لله ومنه فليس لهم أن يريدوا غير ما يريده، ثم تذكيرهم بأن ذلك قضاء الله الذي

(1) فتح الباري (4/ 36).

(2) شرح مسلم (/ 2566).

(3) فتح الباري (4/ 37-38).

لا يُدفع وقَدَره الذي هو حتم في رقاب العباد، فلا مفرَّ منه ولا مذهب عنه، ثم أمرهم بالصبر والاحتساب، فإن قال بذلك تحصل له الأجر العظيم وتخف عنه صدمة المصيبة، والله مع الصابرين كما نطق به كتابه العزيز. [1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام، المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه، والآداب والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام وغير ذلك من الأعراض[2].

قال المصنف حفظه الله: وَإِنْ قَالَ: **(أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزَاءَكَ، وَغَفَرَ لِمَيِّتِكَ)**؛ فَحَسَنٌ. [3].

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما لفظ التعزية، فلا حجر فيه، فبأي لفظ عزاه حصلت[4].

قوله: (أعظم الله أجرك) أي جعل أجرك عظيما وضاعفه لك.

قوله: (وأحسن عزاءك) بالمد أي جعل صبرك حسنا، وإنما قدم في التعزية الدعاء للمصاب لأنه المخاطب وليوافق قوله ﷺ: **(اللهم اغفر لحينا وميتنا)** فبدأ بالحيِّ، قاله ابن علان رحمه الله في(الفتوحات الربانية). (وغفر لميتك) أي محا ذنبه وأزال أثره ووقاه شره.

فائدتان: 1 - في حكم الإجتماع للعزاء وقراءة القرآن على الأموات؟

قال الإمام النووي رحمه الله: قال الشافعي وأصحابنا رحمهم الله: يكره الجلوس للتعزية. قالوا: ويعني بالجلوس: أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية، بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم. ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها[5].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: 39]. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومَنِ اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم. ولهذا لم يندَب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثَّهم عليهم، ولا أرشدهم إليه بنصٍّ ولا

(1) تحفة الذاكرين (ص289).

(2) الأذكار (1/ 356).

(3) الأذكار (1/ 356).

(4) الأذكار (1/ 356).

(5) الأذكار (1/ 355). قال ابن علان رحمه الله: قوله: (يكره الجلوس للتعزية) قالوا: لأنه **محدث** وهو **بدعة** ولأنه يجدد الحزن ويكلف المعزَّى.اهـ

إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد مِنَ الصحابة -رضي الله عنهم- ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء. اهـ[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكان من هديه ﷺ تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء، ويقرأ له القرآن، لا عند قبره ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة. [2].

2 - ما جاء في ثواب من عزّى مصابًا.

قال ﷺ: (**ما مِنْ مؤمن يُعزِّي أخاه بمصيبته إلا كساه الله سبحانه من حُلَلِ الكرامة يوم القيامة**)[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: (**مَنْ عزَّى مُصابًا فله مِثلُ أجرِه**)[4].

قوله: (**يُعزِّي أخاه**) أي: يأمره بالصبر عليها بنحو: لله ما أخذَ ولهُ ما أعطى فاصبر واحتسب، أعظم الله أجرك...

قوله: (**من حُلَلِ الكرامة**) أي: من الحلل الدَّالة على الكرامة عنده أو من حلل أهل الكرامة، وهي حلل نسجت من الكرامة، وهذا مبنى على تجسيم المعاني، وهو أمر لا يعلمه إلا الله تعالى. أفاده السندي في حاشية ابن ماجه.

(1) تفسير القرآن العظيم (13/ 279).

(2) زاد المعاد (1/ 527).

(3) رواه ابن ماجه برقم (1601)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(4) رواه الترمذي برقم (1073)، وابن ماجه برقم (1602)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي.



58 الدعاءُ عند إدخالِ الميتِ القبرَ

163- (**بِسْمِ اللَّـهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ الله**). [1].

عنِ ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا وضع الميت في القبر قال: ...

قوله: (**بسم الله**) أي: بسم الله أضعه، أو باسم الله أُدخِله. (**وعلى سنة رسول الله** ﷺ) وفي لفظ: (**وعلى مِلَّة رسول الله**) أي: شريعته وطريقته.

وهذه السنة خاصَّة بمن يباشر وضع الميت في قبره، أما من حضر دفنه فلا يشرع لهم هذا الذكر. قال الإمام النووي رحمه الله: يستحب أن يقول الذي يُدخله القبر عند إدخاله القبر: (**بسم الله وعلى ملة رسول الله -أو- على سنة رسول الله** ﷺ). [2].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: والسنة عند وضعه في اللحد أن يقول الواضع: (**بسم الله وعلى ملة رسول الله**). [3].

---

(1) رواه أبو داود برقم (3213)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، ورواه أحمد برقم (4990)، بلفظ: (**بسم الله وعلى ملة رسول الله**).

(2) المجموع شرح المهذب (5/ 257).

(3) فتاوى ابن باز (13/ 190).



59 الدعاء بعد دفن الميِّت

164- (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ**). [1].

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (**استغفروا لأخيكم، وسَلُـوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**).

قوله: (**استغفروا لأخيكم**) أي: اطلبوا له المغفرة، وهي محوُ الذنب وإزالة أثره، ووقاية شرِّه.

قوله: (**وسَلُوا له**) أي: للميت. (**التثبيت**) أي: أن يثبته الله في الجواب عند سؤال الملكَين منكر ونكير: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟ وهذه أسئلة القبر الثلاثة، وهي أول ما يُسأل عنها العبد في قبره. وقد جاءت في حديث البـراء بن عـازب رضي الله عنه الطويـل، وفيه: (**ويأتيـه ملكـان فيجلسانِهِ فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربِّيَ الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ...**) [2].

وقد جَمعت هذه الأسئلة الثلاثة أصول الدِّين كله، ومعرفتها فقط دون اعتقادها والعمل بما دلَّت عليه لا تنجي العبد مِنَ العذاب، وإنما ينجيه معرفتها واعتقادها مع العمل بما دلَّت عليه.

وهي الأصول التي بنى عليها شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- رسالته المعروفة(ثلاثة الأصول وأدلتها)، ومن عرف هذه الأصول بأدلتها حَرِيٌّ به أن يثبت عند سؤال الملكَين في قبره، ومِن هنا يتبين عِظَم شأنِ هذه الرسالة، فينبغي الاعتناء بها حفظا وفهما، وتدريسا وشرحا، والله ولي التوفيق.

قال العيني رحمه الله: ويستفاد منَ الحديث ثلاث فوائد: **الأولى**: انتفاع الميت بدعاء الحي خلافا لمن ينكر ذلك، **الثانية**: لا بد مِنَ السؤال في القبر، **الثالثة**: وقت السؤال عقيب الدفن. [3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكان إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره هو وأصحابه، وسأل له التثبيت، وأمرهم أن يسألوا له التثبيت. [4].

---

(1) رواه أبو داود برقم (3221)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) رواه أبو داود برقم (4753)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) شرح سنن أبي داود (6/ 179).

(4) زاد المعاد (1/ 522).

60 دعاء زيارة القبور

165- (**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ، مِنَ الـمُؤْمِنِينَ، والـمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، [وَيَرْحَمُ اللهُ الـمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا والـمُستأخِرينَ]أسأَلُ اللهَ لَنا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**).[1].

قوله: (**السلام عليكم أهل الديار**) أي: القبور، تشبيها للقبر بالدار في كونه مسكنا.

قوله: (**مِنَ المؤمنين والمسلمين**) قال الإمام القرطبي رحمه الله: هذا يدلُّ على أن السلام على الموتى كالسلام على الأحياء، خلافا لمن قال: إن تحية الميت: عليك السلام، بتقديم عليك، تمسُّكا بما روي[2]أن النبي ﷺ سلَّم رجلٌ عليه، فقال: عليك السلام، يا رسول الله، فقال: (**لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى**).[3]. وهذا لا حجة فيه، لأنه ﷺ إنما كره منه أن يبدأ بعليك السلام، لأنه كذلك كانت تحية الجاهلية للموتى، كما قال شاعرهم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما.

ومقصوده ﷺ أن سلام المؤمنين على الأحياء والموتى مخالف لما كانت الجاهلية تفعله، وتقوله، والله أعلم. اهـ[4].

قوله: (**يرحم الله المستقدِمين منا**) أي المتقدمين إلى الآخرة، وفي رواية ابن ماجة: (**أنتم لنا فرط**) بفتحتين: أي المتقدمون، (**والمستأخرين**) أي: المتأخرين في الدنيا، وهم الأحياء، ففيه الدعاء بالرحمة للأحياء والأموات.

قوله: (**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**) قال العلماء: اختلف على إتيانه بالاستثناء مع أن الموت لا شكَّ فيه على أقوال: أظهرها أنه ليس للشكِّ، وإنما هو للتبرك. قال الإمام النووي رحمه الله: التقييد بالمشيئة على سبيل التبرك وامتثال قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: 23-24]. اهـ[5].

(1) رواه مسلم برقم (975)، وابن ماجه برقم (1547).

(2) بل ثبت، لأن رُوي: صيغة من صيغ التمريض(أي: التضعيف). وللفائدة انظر مقدمة تمام المنة (ص39).

(3) رواه أبو داود برقم(4084)، والترمذي برقم(2721)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(4) المفهم (2/ 636).

(5) شرح مسلم (7/ 48).

قوله: (**أسأل الله لنا ولكم العافية**) أما بالنسة لنا فالعافية هي السلامة من كل مكروه وآفة، أن تَسْلَمَ منَ الأسقام والبلايا، والذنوب والخطايا، أما العافية لأهل القبور فهي العافية من عذاب القبر وما أدراك ما عذاب القبر. قال العلماء: العافية كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: كان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنَّها لأمته، وشرعها لهم، وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: (**السلام عليكم أهل الديار...**). وكان من هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها، من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت، منَ الدعاء والترحم، والاستغفار. فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به، والإقسام على الله به، وسؤال الحوائج، والاستعانة به، والتوجه إليه، بعكس هديه ﷺ، فإنه هدي توحيد وإحسان إلى الميت، وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم، وإلى الميت، وهم ثلاثة أقسام: إما أن يدعو الميتَ، أو يدعو به، أو عنده، ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى منَ الدعاء في المساجد ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه، تبين له الفرق بين الأمرين، وبالله التوفيق[1].

وقال أيضا: الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور: إنما هو تذكر الله، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنا إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى نفوسهم وإلى الميت، ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه الله تعالى مِنَ الدعاء له، والترحم عليه والاستغفار له... فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلَّمهم إياها، هل تجد فيها شيئا مما تعمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يُصلح آخرَ هذه الأمة، إلا ما أصلح أوّلَها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عوّضوا عن ذلك بما أحدثوه منَ البدع والشرك. [2].

(1) زاد المعاد (1/ 526).

(2) إغاثة اللهفان بتصرف يسير (370-374).



61 دعاء الريح

166-(1) **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَها، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا)**. [1].

والحديث بتمامه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تسبّوا الريح، فإنها مِن رَوْح الله، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله مِن خيرها، وتعوَّذوا بالله مِن شرها)**.

قوله: **(لا تسبّوا الريح)** أي لا تشتموها.

قال في(النهاية): السبّ: الشتم. يقال: سبّه يسبّه سبّا وسبابا. [2].

قوله: **(فإنها مِن رَوْح الله)** أي رحمة لعباده. [كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: 87]. قال الإمام البغوي رحمه الله في (معالم التنزيل): أي: من رحمة الله].

قوله: **(تأتي بالرحمة)** أي بالغيث والراحة والنسيم.

قوله: **(والعذاب)** بإتلاف النبات والشجر وهلاك الماشية وهدم البناء، فلا تسبوها لأنها مأمورة فلا ذنب لها. **(ولكن سلوا الله من خيرها)** الذي تأتي به.

قوله: **(وتعوَّذوا بالله من شرها)** المقدر في هبوبها، أي اطلبوا المعاذ والملاذ منه إليه. قال الشافعي رحمه الله: لا ينبغي شتم الريح، فإنها خلق مطيع لله، وجند من جنوده يجعلها رحمة إذا شاء، ونقمة إذا شاء. [3].

167-(2) **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وخَيْرَ مَا فِيْهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيْهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ)**. [4].

---

(1) رواه أبو داود برقم(5097)، وابن ماجه برقم(3727)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) النهاية في غريب الحديث(ص964).

(3) فيض القدير (6/ 399).

(4) رواه البخاري برقم (3206)، ومسلم برقم (899).

قال في(العلم الهيب): قوله: (**إني أسألك خيرها**) أي: خير هذه الريح.

اعلم أن هاهنا المسؤول ثلاث خيرات:

الأول: خير نفس الريح.

و**الثاني**: خير ما فيها.

و**الثالث**: خير ما أرسلت به.

أمّا خير نفس الريح مثل تلذذ بني آدم ببرودتها في الحر، وذهابها بالروائح الكريهة، ونحو ذلك، وأما خير ما فيها مثل نزول المطر النافع، لأن المطر لا يجيء إلا ويسبقها الريح، وأما خير ما أرسلت به مثل السحاب لأنه يجيء بالريح، وله خير وشر، خيره مثل المطر النافع، وشره مثل المطر الضار، فافهم. [1].

(1) العلم الهيب (ص412).



62 دعاء الرعد

168 - (سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، والـمَلائِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ)[1].

(كان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد) أي: صوته. (ترك الحديث) أي الكلام مع الآخرين. قوله: (**يسبح الرعد بحمده**) قال الإمام الطبري رحمه الله: ومعنى قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ ويعظِّم اللهَ الرعدُ ويمجّدُه، فيثني عليه بصفاته، وينزِّهه مما أضاف إليه أهل الشرك به، ومما وصفوه به، مِنِ اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربُّنا وتقدس[2].

وأكثر المفسرين على أن الرعد ملك من الملائكة، يزجر السحاب ويجمعه، والمسموع مِنَ الصوت تسبيحه. وقد جاء في ذلك حديث مرفوع عنِ ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عنِ الرعد، ما هو؟ قال: (**ملك من الملائكة، موكَّل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله**). فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: (**زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أُمِرَ**). قالوا: صدقت[3].

وقد جاء في ذلك آثار كثيرة عنِ ابنِ عباس رضي الله عنهما، وعن عدد منَ التابعين. وعليه فيكون عطف الملائكة على الرعد من باب عطف العامِّ على الخاصِّ، ويكون ذِكره على الانفراد

مع ذكر الملائكة بعده لمزيد خصوصية له وعناية به، لأن صوته من أعظم الأصوات. [4].

---

(1) كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: (**سبحان الذي** ﴿يُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ١٣﴾) [الرعد: 13]. رواه مالك في الموطإ برقم (2019)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (723)، وقال الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم (156): صحيح الإسناد موقوفا.

(2) جامع البيان (13/ 478).

(3) رواه الترمذي برقم (3117)، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (1872). قوله: (**مخاريق**) قال في (القاموس المحيط): مخاريق: جمع مخراق، وهو آلة يضرب بها.

(4) التسبيح في الكتاب والسنة (1/ 286).

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: جمهور أهل العلم من أهل الفقه والحديث: يقولون: الرعد ملك يزجر السحاب. وقد يكون زجره لها تسبيحا، لقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: 13]. والرعد لا يعلمه الناس إلا ذلك الصوت، وجائز أن يكون ذلك تسبيحه، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: 44]. اهـ [1].

قوله: **(والملائكة من خيفته)**: أي: تسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته.

فائدة: أخرج الترمذي في جامعه برقم (3450)، والنسائي برقم (927)، وابن السني برقم (315)، كلاهما في عمل اليوم والليلة، وغيرُهم، عنِ ابنِ عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: **(اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تُهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك).**

قلت: هذا حديث ضعيف والتحقيق في الضعيفة برقم (1042). والله الموفق.

(1) الاستذكار (23/ 559).



63 من أدعية الاستسقاء

169-(1) (**اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا، نَافِعًا، غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ**)(1).

قال الحافظ في(الفتح): الاستسقاء **لغة**: طلب سقي الماء منَ الغير للنفس أو الغير. **وشرعا**: طلبه مِنَ الله عند حصول الجدب على وجه مخصوص. اهـ(2).

قوله: (**اللهم اسقنا غيثا**) أي: مطرا. (**مُغيثا**) بضم أوله أي: معينا، من الإغاثة بمعنى الإعانة. أي: مزيلا للشدة، وهو المطر الذي يغيث الخلق من القحط.

قوله: (**مَريئا**) بفتح الميم والمد ويجوز إدغامه أي: هنيئا محمود العاقبة لا ضرر فيه منَ الغرق والهدم. (**مَريعا**) يروى على وجهين بالياء والباء، فمن رواه بالياء جعله من المراعة وهو الخصب، يقال منه: أمرع المكان إذا أخصب. ومن رواه مربعا: كان معناه منبتا للربيع، قاله الخطابي. (3).

قوله: (**نافعا غير ضارٍّ**) تأكيد. (**عاجلا غير آجل**) أي في الحال.

قال الطيبي: وأكد (النافع) بـ: (غير ضارٍّ) وكذا (عاجلا) بـ: (غير آجل) اعتناء بشأن الخلق، واعتمادا على سعة رحمة الله تعالى عليهم. (4).

170-(2) (**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**). (5).

والحديث بتمامه عن أنس بن مالك[رضي الله عنه]أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو باب دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثم قال: يا رسول الله، هلكتِ الأموال، وانقطعتِ السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهمَّ أغثنا، اللهمَّ أغثنا، اللهمَّ أغثنا**) قال أنس: ولا والله

---

(1) رواه أبو داود برقم (1169)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) فتح الباري (3/ 344).

(3) عون المعبود (4/ 31-32).

(4) الكاشف عن حقائق السنن (ص1323).

(5) رواه البخاري برقم (1014)، ومسلم برقم (897).

ما نرى في السماء من سحاب ولا قزَعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتا. ثم دخل رجل من ذلك الباب يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكتِ الأموال، وانقطعتِ السبل، فادع الله يمسكها عنَّا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**) قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

قوله: (من باب كان نحو باب دار القضاء) هي دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسميت دار القضاء لأنها بيعت في قضاء دينه، فكان يقال لها دار قضاء دَين عمر، ثم طال ذلك، فقيل لها دار القضاء.

قوله: (هلكتِ الأموال) في رواية (المواشي) وهو المراد بالأموال هنا لا الصامت. والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به منَ الأقوات المفقودة بحبس المطر.

قوله: (وانقطعتِ السبل) والمراد بذلك أن الإبل ضعفت لقلة القوت عنِ السفر، أو لكونها لا تجد في طريقها من الكلإ ما يقيم أودها. وقيل: المراد نفاد ما عند الناس منَ الطعام أو قلته، فلا يجدون ما يحملونه ويجلبونه إلى الأسواق.

قوله: (**اللهم أغثنا**) جائز أن يكون منَ الغوث أو منَ الغيث، والمعروف في كلام العرب: غثنا لأنه منَ الغوث. وقال ابن القطاع: غاث الله عباده غيثا وغياثا: سقاهمُ المطر، وأغاثهم أجاب دعاءهم، ويقال: غاث وأغاث بمعنًى، وقال ابن دريد: الأصل غاثه الله يغوثه غَوثا فأغيث، واستعمل أغاثه، ومن فتح أوله فمن الغيث. ويحتمل أن يكون معنى أغثنا: أعطنا غوثا وغيثا، أفاده في (الفتح).

قوله: (ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة) هي بفتح القاف والزاي، وهي القطعة من السحاب، وجماعتها قزع كقصبة وقصب.

قوله: (وما بيننا وبين سَلْع من دار) هو بفتح السين المهملة وسكون اللام، وهو جبل بقرب المدينة، ومراده بهذا الإخبار عن معجزة رسول الله ﷺ وعظيم كرامته على ربه سبحانه وتعالى، بإنزال المطر سبعة أيام متوالية متصلا بسؤاله من غير تقديم سحاب ولا

قزع، ولا سبب آخر لا ظاهر ولا باطن، وهذا معنى قوله: (وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار) أي: نحن مشاهدون له وللسماء، وليس هناك سبب للمطر أصلا.

قوله: (من بيت ولا دار) أي: يحجبنا عن رؤيته، وأشار بذلك إلى أن السحاب كان مفقودا لا مستترا ببيت ولا غيره.

قوله: (فطلعت) أي: ظهرت. (مِن ورائه) أي: سلع.

قوله: (مثل التُرْس) أي: مستديرة ولم يُرِدْ أنها مثله في القدر.

قوله: (رأينا الشمس سبتا) يعني أحد الأيام، والمراد به الأسبوع، وهو من تسمية الشيء باسم بعضه كما يقال جمعة، قاله صاحب(النهاية). قال: ويراد قطعة مِنَ الزمان.

قوله: (هلكتِ الأموال، وانقطعتِ السبل) أي: بسبب غير السبب الأول، والمراد أن كثرة الماء انقطع المرعى بسببها فهلكت المواشي من عدم الرعي، أو لعدم ما يكنها منَ المطر، ويدل على ذلك قوله في رواية سعيد عن شريك عند النسائي **(من كثرة الماء)** وأمّا انقطاع السبل فلتعذر سلوك الطرق من كثرة الماء، أفاده في(الفتح).

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله ﷺ: **(اللهمَّ أغثنا، اللهمَّ أغثنا، اللهمَّ أغثنا)** هكذا هو مكرر ثلاثا، ففيه استحباب تكرر الدعاء ثلاثا.

قوله: (ثم أمطرت) هكذا هو في النسخ، وكذا جاء في البخاري:

أمطرت بالألف، وهو صحيح. وهو دليل للمذهب المختار الذي عليه الأكثرون والمحققون من أهل اللغة أنه يقال: مطرت وأمطرت، لغتان في المطر، وقال بعض أهل اللغة: لا يقال أمطرت بالألف إلا في العذاب كقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ والمشهور الأول، ولفظة (أمطرت) تطلق في الخير والشر وتعرف بالقرينة. قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ وهذا من أمطر والمراد به المطر في الخير لأنهم ظنوه خيرا، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾.

قوله ﷺ حين شكي إليه كثرة المطر وانقطاع السبل وهلاك الأموال من كثرة الأمطار: **(اللهم حولنا)** وفي بعض النسخ: **(حوالينا)** وهما صحيحان.

قوله: **(ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر)** فيه بيان المراد بقوله **(حوالينا)**.

قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الفصل فوائد منها المعجزة الظاهرة لرسول الله - ﷺ - في إجابة دعائه متصلا به حتى خرجوا في الشمس، وفيه أدبه - ﷺ - في الدعاء فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله، بل سأل رفع ضرره وكشفه عنِ البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل، وسأل بقاءه في مواضع الحاجة بحيث يبقى نفعه وخصبه وهي بطون الأودية وغيرها منَ المذكور.

قال أهل اللغة: (الآكام) بكسر الهمزة جمع أكمة، ويقال في جمعها: آكام بالفتح والمد، ويقال: أكم بفتح الهمزة والكاف، وأكم: بضمهما، وهي دون الجبل وأعلى منَ الرابية، وقيل: دون الرابية، وأما (الظراب) فبكسر الظاء المعجمة، وأحدها ظرب بفتح الظاء وكسر الراء، وهي الروابي الصِّغار.

وفي هذا الحديث استحباب طلب انقطاع المطر على المنازل والمرافق إذا كثر وتضرروا به، ولكن لا تشرع له صلاة ولا اجتماع في الصحراء. [1].

171-(3) (**اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وبَهَائِمكَ، وانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وأحْيِ بَلَدَكَ الـمَيِّتَ**).[2].

قوله: (**اللهم اسق**) بهمزة الوصل أوِ القطع. (**عبادك**) يشمل الرجال والنساء والعبيد والإماء.

قوله: (**وبهائمك**) أي: من جميع دوابِّ الأرض وحشراتها.

قوله: (**وانشر**) بضم الشين أي: ابسط. (**رحمتك**) أي: ابسطها علي جميع الخلق. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: 28]. قال الإمام ابن جرير رحمه الله: يقول: وينشر في خلقه رحمته. ويعني بالرحمة الغيث الذي ينزّله منَ السماء. اهـ[3].

قوله: (**وأحي بلدك الميت**) أي: بإنبات الأرض بعد موتها أي يبسها، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾[4]. فشبّه الأرض المجدبة بالميت، لأن حياتها بالماء، فإذا فقدته فهي ميت.

(1) شرح مسلم (6/ 221).

(2) رواه أبو داود برقم (1176)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) تفسير ابن جرير (20/ 511).

(4) عون المعبود (4/ 40).



64 الدعاء إذا رأى المطر

172- **(اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا)**[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الصيب: المطر الذي يصوب من السماء، أي: ينزل منها بسرعة[2].

وقال الإمام البخاري رحمه الله: وقال ابن عباس[رضي الله عنهما]: **(كصيّب)**: المطر.

قال الحافظ في(الفتح): وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه بذلك، وهو قول الجمهور.

قوله: **(اللهم صيّبا نافعا)** صيبا: منصوب بفعل مقدَّر أي: اجعله، ونافعا صفة للصيب وكأنه احترز بها عنِ الصيب الضارِّ. اهـ[3].

وقال في(فيض القدير): قوله: **(اللهم صيّبا)** أي: أسقنا صيبا. وقوله: **(نافعا)** تتميم في غاية الحسن لأن لفظة (صيبا) مظنة للضرر والفساد، قال في (الكشاف): صيبا المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع، وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتكثير دلَّ على أنه نوع منَ المطر شديد هائل فتممه بقوله: (نافعا)صيانة عنِ الإضرار والفساد. اهـ [4].

---

(1) رواه البخاري برقم (1032).

(2) الوابل الصيب (ص128).

(3) فتح الباري (3/ 387).

(4) فيض القدير (5/ 134).



65 الذِّكر بعد نزول المطر

173 - (**مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ**)(1).

والحديث بتمامه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية -على إثر سماء كانت منَ الليلة- فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**).

قوله: (صلى لنا) أي: بنا، فاللام بمعنى الباء. قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مجازا. وإنما الصلاة لله.

قوله: (بالحديبية) فيها لغتان: تخفيف الياء وتشديدها، والتخفيف هو الصحيح المشهور المختار.

والحديبية: موضع فيه ماء، بينه وبين مكة أميال.

قوله: (على إثر) بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور وهو ما يعقب الشيء.

قوله: (سماء) أي: مطر، وأطلق عليه سماء لكونه ينزل من جهة السماء وكلُّ جهةِ علوٍّ تسمى سماء. كما قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

قوله: (فلما انصرف) أي من صلاته أو من مكانه.

قوله: (**هل تدرون**) لفظ استفهام، ومعناه التنبيه. وفيه: إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبرهم .

قوله: (قالوا: الله ورسوله أعلم) فيه حسن الأدب للمسؤول إذا سئل عما لا يعلم: أن يَكِلَ العلم إلى عالمه، وذلك يجب.

قوله: (**أصبح من عبادي**) الإضافة هنا للعموم، بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۝٢﴾ [التغابن: 2].

---

(1) رواه البخاري برقم (846)، ومسلم برقم (71).

قوله: (**مؤمن بي وكافر**) إذا اعتقد أن للنوء تأثيرا في إنزال المطر، فهذا كفر لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر. وإن لم يعتقد ذلك، فهو من الشرك الأصغر، لكونه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعلِ النوء سببا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل منَ الله ورحمة، يحبسه إذا شاء ويُنزله إذا شاء.

ودل هذا الحديث: أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره، ولو على سبيل المجاز[1].

قوله: (**فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته**) فالفضل والرحمة صفتان لله، ومذهب أهل السنة والجماعة: أن ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات: كالحياة والعلم. وصفات الأفعال كالرحمة التي يرحم بها عباده، كلها صفات لله قائمة بذاته، ليست قائمة بغيره، فتفطن لهذا فقد غلط فيه طوائف.

وفي هذا الحديث أن نعم الله لا يجوز أن تضاف إلا إليه وحده، وهو الذي يُحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد.

قوله: (**وأما من قال: بنوء كذا وكذا**) أي: نسبة المطر إلى النوء، جمعه أنواء، وهي منازل القمر. قال أبو السعادات: الأنواء هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: 39]. ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذالك الوقت في الشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم ان مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، فيقولون مطرنا بنوء كذا. وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع. اهـ[2].

فائدة: هل يجوز لنا أن نقول الله ورسوله أعلم؟

قال العلماء: هذه مِنَ الكلمات التي تقال في حياته ﷺ، وأما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فإذا سئل المرء عما لا يعلم فليقل: الله أعلم. ولا يقل: الله ورسوله أعلم، لأن ذكر علم النبي ﷺ مقيد بحياته الشريفة. والله أعلم[3].

(1) فتح المجيد (ص 373).

(2) فتح المجيد (ص367).

(3) انظر معجم المناهي اللفظية (ص 128).



66 من أدعية الإستصحاء

الإستصحاء طلب الصحو، والصحو: ذهاب الغيم. وأصحت السماء: انقشع عنها الغيم[1]. فتوقف المطر وانكشاف السحاب وذهابه هو الاستصحاء.

174 - **(اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ والظِّرَابِ، وبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، ومَنَابِتِ الشَّجَرِ)**[2].

تقدم شرحه قريبا، انظر الحديث رقم (170). ولا بأس أن نضيف هنا بعض الفوائد.

قوله: **(اللّهم حوالينا لا علينا)** قال في(المرقاة): أي: أمطر حوالينا-بفتح اللام- أي: في مواضع المنافع الحاصلة لنا، ثم أكده بقوله: **(ولا علينا)** أي: لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا. قال العسقلاني: أي: أنزل الغيث في وضع النبات لا على الأبنية. وفي إدخال الواو ها هنا معنى لطيف، وذلك لأنه يقتضي أن طلب المطر على حوالينا ليس مقصودا لعينه، بل ليكون وقاية عن أذى المطر. اهـ[3].

قوله: **(اللّهم على الآكام)** فيه بيان المراد بقوله: **(حوالينا)** والإكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد: جمع أكمة بفتحات. قال ابن البرقي: هو التراب المجتمع. وقال الداودي: هي أكبر من الكدية. وقال القزاز: هي التي من حجر واحد، وهو قول الخليل، وقال الخطابي: هي الهضبة الضخمة، وقيل: الجبل الصغير، وقيل: ما ارتفع منَ الأرض. وقال الثعالبي: الأكمة أعلى من الرابية، وقيل: دونها.

قوله: **(والظِّراب)** بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن. وقال القزاز: هو الجبل المنبسط ليس بالعالي، وقال الجوهري: الرابية الصغيرة.

قوله: **(وبطون الأودية)** المراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به. وزاد مالك في روايته: **(ورؤوس الجبال)**. أفاده الحافظ في(الفتح). وقوله: **(ورؤوس الجبال)** أي: على ظهورها.

---

(1) انظر لسان العرب (ص2406).

(2) رواه البخاري برقم (1014)، ومسلم برقم (897).

(3) مرقاة المفاتيح (11/ 43).

قوله: (**ومنابت الشجر**) أي: ما حولها مما يصلح أن ينبت فيه. ومواضع المرعى حيث ترعى البهائم.

قال الحافظ في(الفتح): وفي هذا الحديث من الفوائد:

جواز مكالمة الإمام في الخطبة للحاجة، **وفيه** القيام في الخطبة وأنها لا تنقطع بالكلام ولا تنقطع بالمطر، **وفيه** قيام الواحد بأمر الجماعة، وإنما لم يباشر ذلك بعض أكابر الصحابة لأنهم كانوا يسلكون الأدب بالتسليم وترك الإبتداء بالسؤال، ومنه قول أنس: (كان يعجبنا أن يجيء الرجل من البادية، فيسأل رسول الله ﷺ). وسؤال الدعاء مِن أهل الخير ومَن يُرجى منه القبول وإجابتهم لذلك، ومن أدبه بث الحال لهم قبل الطلب لتحصيل الرقة المقتضية لصحة التوجه فترجى الإجابة عنده، **وفيه** تكرار الدعاء ثلاثا، وإدخال دعاء الإستسقاء في خطبة الجمعة والدعاء به على المنبر ولا تحويل فيه ولا استقبال، والإجتزاء بصلاة الجمعة عن صلاة الإستسقاء، وليس في السياق ما يدل على أنه نواها مع الجمعة، **وفيه** عَلَم من أعلام النبوة في إجابة الله دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام عقبه أو معه ابتداء في الإستسقاء، وانتهاء في الاستصحاء وامتثال السحاب أمره بمجرد الاشارة. وفيه الأدب في الدعاء حيث لم يدع برفع المطر مطلقا لاحتمال الاحتياج إلى استمراره، فاحترز فيه بما يقتضي رفع الضرر وإبقاء النفع.

ويستنبط منه أن مَن أنعم الله عليه بنعمة لا ينبغي له أن يتسخطها لعارض يعرض فيها، بل يسأل الله رفع ذلك العارض وإبقاء النعمة، **وفيه** أن الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل وإن كان مقام الأفضل التفويض[1] لأنه ﷺ كان عالما بما وقع لهم من الجدب، وأخر السؤال في ذلك تفويضا لربه، ثم أجابهم إلى الدعاء لما سألوه في ذلك بيانا للجواز وتقرير السنة في هذه العبادة الخاصة، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة نفع الله به.

وفيه جواز تبسم الخطيب على المنبر تعجبا من أحوال الناس، وجواز الصياح في المسجد بسبب الحاجة المقتضية لذلك. **وفيه** اليمين لتأكيد الكلام، واستدل به على جواز الإستسقاء بغير صلاة مخصوصة، وعلى أن الإستسقاء لا تشرع فيه صلاة، واستدل به على الإكتفاء بدعاء الامام في الإستسقاء... اهـ[2].

---

(1) انظر تعليق الشيخ ابن باز رحمه الله على هذا الموضع.

(2) فتح الباري (3/ 368-369).

67 دعاء رؤية الهلال

175- (اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ والإِيمَانِ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ، وَالتَّوْفِيْقِ لِمَا تُحِبُّ رَبَّنَا وَتَرْضَى، رَبُّنَا وربُّكَ اللهُ)[1].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال: .... الحديثَ.....

قوله: (كان إذا رأى الهلال) وهو يكون منَ الليلة الأولى والثانية والثالثة ثم هو قمر.

قوله: (**الله أكبر**) قال العلماء: يُشرع التكبير عند رؤية كل كبير وعظيم ليبقى القلب ليس فيه اشتغال إلا بتكبير الله وتعظيمه، والتكبير تعظيم الله واعتقاد أنه أكبر من كل شيء، وأنه لا شيء أكبر منه. والهلال آية عظيمة من آيات الله تدل على عظمة الرب وكبريائه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وانظر إلى القمر وعجائب آياته، كيف يبديه الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره ويتكامل شيئا فشيئا كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود على حالته الأولى، ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميزت به الأشهر والسنون، وقام به حساب العالم مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعِبر التي لا يُحصيها إلا الله[2].

قوله: (**اللهمَّ أهلَّه**) أمرٌ(*) من الإهلال. قال الطيبي: يروَى مدغما ومفكوكا أي: أطلعه. قال في(المرقاة): قال بعض المحققين من علمائنا: الإهلال في الأصل رفع الصوت، نقل منه إلى رؤية الهلال لأن الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه، ولذلك سمي الهلال هلالا[3].

---

(1) رواه الترمذي برقم (3451)، والدارمي بلفظه برقم (1729)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (1816).

(2) مفتاح دار السعادة (2/ 27).

* والمراد بالأمر هنا الدعاء.

(3) مرقاة المفاتيح (5/ 342).

قوله: (**بالأمن والإيمان**) الأمن هو الطمأنينة والراحة والسكون والسلامة منَ الآفات والشرور. وفي رواية: (**باليُمن**) أي: **البركة** والسعادة. والإيمان هو الإقرار والتصديق والخضوع لله.

قوله: (**والسلامة والإسلام**) السلامة هي الوقاية والنجاة منَ الآفات والمصائب، والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص مِنَ الشرك وأهلِه.

قوله: (**والتوفيق لما تحبُّ ربنا وترضى**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلِّي بينك وبين نفسك... والتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد، بأن يجعله قادرا على فعل ما يرضيه، مريدا له، محبًّا له، مؤثرا له على غيره، ويبغض إليه ما يسخطه، ويُكرِّهه إليه[1].

قوله: (**ربنا وربك الله**) خطاب للهلال فيه تنزيه للخالق عن مشارك له في تدبير خلقه، وفيه إثبات أن الناس والقمر وجميع المخلوقات كلها مربوبة لله مسخرة بأمره خاضعة لحكمه، وفي هذا ردٌّ على من عبدها من دون الله قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: 37].

قال في (التحفة): وفي الحديث بهذا المعنى: أي أطلعه علينا وأرنا إياه مقترنا بالأمن والإيمان أي: باطنا، والسلامة والإسلام أي: ظاهرا، ونبّه بذكر الأمن والسلامة على طلب دفع كل مضرة، وبالإيمان والإسلام على جلب كل منفعة على أبلغ وجه وأوجز عبارة انتهى[2].

فائدة وتنبيه: قال الشيخ الألباني رحمه الله: يستقبل كثير من الناس الهلال عند الدعاء، كما يستقبلون بمثله القبر، وكل ذلك لا يجوز، لما تقرر في الشرع أنه: (لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة) وما أحسن ما روى ابن أبي شيبة (12/ 8/ 11): عن عليٍّ رضي الله عنه قال: إذا رأى الهلال فلا يرفع إليه رأسه، وإنما يكفي من أحدهم أن يقول: ربي وربك الله، وعن ابنِ عباس: أنه كره أن ينتصب للهلال، ولكن يعترض ويقول: (الله أكبر...)[3].

---

(1) مدارج السالكين (1/ 445-446).

(2) تحفة الأحوذي (9/ 414).

(3) الكلم الطيب (ص91-92).

68 الدعاء عند إفطار الصَّائم

176-(1) (ذَهَبَ الظَّمَأُ، وابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ)[1].

جاء في بداية الحديث قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: .... الحديثَ.....

قوله: (إذا أفطر) أي: بعد الإفطار.

قوله: (**ذهب الظَّمأُ**) بفتحتين، قال الإمام النووي رحمه الله في(الأذكار): الظمأ مهموز الآخر مقصور، وهو: العطش[2]. يقال: ظمئت أظمأ ظمأ فأنا ظامىء، وقوم ظماء، والظمآن: العطشان.

قوله: (**وابتلت العروق**) أي: بزوال اليبوسة الحاصلة بالعطش، يعني بها وصل إليها منَ الطعام والشراب فيذهب عنها ما كان فيها منَ الجفاف بانقطاعها بالصَّوم.

قوله: (**وثبت الأجر**) أي: زال التعب وحصل الثواب. وهذا حثٌّ على العبادات، فإن التعب يسر لذهابه وزواله والأجر كثير لثباته وبقائه. قال الطيبي: ذكر ثبوت الأجر بعد زوال التعب، استلذاذ أي استلذاذ ونظيره قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: 34][3].

قوله: (**إن شاء الله**) متعلِّق بالأجر، لئلا يجزم كل أحد، فإن ثبوت أجر الأفراد تحت المشيئة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: جعل ثبوتَه مقيَّدا بمشيئة الله تعالى لأن الصَّائم لا يدري هل قَبِل الله تعالى صيامه أم ردَّه[4].

---

(1) رواه أبو داود برقم (2357)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، وصحيح الجامع برقم (4678).

(2) الأذكار (1/ 438)

(3) عون المعبود (6/ 482).

(4) تحفة الذاكرين (ص190).

177-(2) **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، أَنْ تَغْفِرَ لِي)**[1].

هذا أثر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قوله: **(برحمتك التي وسعت كل شيء)** منَ العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصَّة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، بل هي لعباده المتقين المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: 156].

وفي الحديث مشروعية التوسُّل إلى الله تعالى بصفة من صفاته، وهو من أنواع التوسُّل المشروع قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: 180]. والمعنى: ادعوا الله تعالى متوسِّلين إليه بأسمائه الحسنى. ولا شَّك أن صفاته العليا عزَّ وجلَّ داخلة في هذا الطلب، لأن أسماءَه الحسنى سبحانه صفات له، خصَّت به تبارك وتعالى، والله الموفق.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ورحمته وسعت كلَّ شيء، وغضبه لم يسع كلَّ شيء، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، ولم يكتب على نفسه الغضب، ووسع كل شيء رحمة وعلما، ولم يسع كل شيء غضبا وانتقاما[2].

---

(1) رواه ابن ماجه برقم (1753)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، والإرواء برقم (921).

(2) الفوائد (ص195).

69 الدُّعاء قبل الطَّعام

178-(1) (**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا؛فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّـهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّـهِ فِي أَوَّلِهِ وآخِرِهِ**)[1].

والحديث بتمامه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله في أوله وآخره**).

قوله: (**فليذكر اسم الله تعالى**) أي: فليقل بسم الله.

ومن فوائد التسمية على الطعام أن الشيطان لا يتمكن من مشاركة الإنسان في طعامه لأنه ثبت في الحديث أن الشيطان يقول عندما يترك المسلم التسمية عند الطعام: (**أدركتم العَشاء**).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والصحيح وجوب التسمية عند الأكل، وهو أحد الوجهين لأصحاب أحمد، وأحاديث الأمر بها صحيحة صريحة، ولا معارض لها، ولا إجماع يسوغ مخالفتها ويخرجها عن ظاهرها، وتاركها شريكه الشيطان في طعامه وشرابه[2].

قوله: (**فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله**) أي إذا نسي أن يذكر الله في بداية الأكل، وتذكَّر في أثنائه (**فليقل: بسم الله في أوله وآخره**)[*].

قال ابن علان رحمه الله: (**أوَّلَه وآخِرَه**) أي: فيهما والمراد جميع أجزاء الطعام[3].

وقد جاء في حديثٍ أن الشيطان يمتنع مما كان يصيب منه إذا أتى المسلم بهذه التسمية، وذلك فيما رواه ابن السني عنِ ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(1) رواه أبو داود برقم (3767)، والترمذي برقم (1858)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) زاد المعاد (2/ 397).

(*) كذا عند الترمذي وعند أبي داود (**أوَّلَه وآخِرَه**).

(3) دليل الفالحين (5/ 278).

ﷺ: **(مَن نسي أن يذكر الله -عزَّ وجلَّ- في أول طعامه فليقل حين يذكر: بسم الله أوله وآخره، فإنه يستقبل من طعامه جديدا ويمتنع الخبيثُ مما كان يصيب منه)**[1]. وجاء في حديثٍ آخرَ أن الشَّيطان يستقيء ما في بطنه إذا أتى المسلم بهذه التسمية لكن في سنده ضعف[2].

قال في(نيل الأوطار): والذي عليه الجمهور منَ السَّلف والخلف منَ المحدِّثين وغيرهم: أن أكل الشيطان محمول على ظاهره، وأن للشيطان يدين ورجلين وفيهم ذَكَر وأنثى، وأنه يأكل حقيقة بيده إذا لم يدفع. اهـ[3].

فائدة: زيادة **(الرحمن الرحيم)** لم يثبت بها حديث عنِ النبيِّ ﷺ.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في (الصحيحة) معلِّقا على حديث: **(يا غلام إذا أكلت، فقل: بسم الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك)**:

وفي الحديث دليل على أن السنة في التسمية على الطعام إنما هي: (بسم الله) فقط، ومثله حديث عائشة مرفوعا: **(إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: باسم الله، فإن نسي في أوله، فليقل: بسم الله في أوله وآخره)** أخرجه الترمذي وصححه، وله شاهد من حديث ابن مسعود تقدم ذكره مخرجا برقم (196). وحديث عائشة صححه ابن القيم في (الزاد)، فقواه الحافظ في الفتح (9/ 455)، وقال: (هو أصرح ما ورد في صفة التسمية).

قال: وأما قول النووي في آداب الأكل من(الأذكار): (صفة التسمية مِن أهمِّ ما ينبغي معرفته، والأفضل أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فإن قال: بسم الله، كفاه وحصلت السنة)، فلم أر لما ادعاه من الأفضلية دليلا خاصًّا.

وأقول: لا أفضل من سنته ﷺ، (وخير الهدي هدي محمد ﷺ) فإذا لم يثبت في التسمية على الطعام إلا **(بسم الله)**، فلا يجوز الزيادة عليها، فضلا عن أن تكون الزيادة أفضل منها، لأن القول بذلك خلاف ما أشرنا إليه مِنَ الحديث: **(وخير الهدي هدي محمد ﷺ)**. اهـ[4].

---

(1) رواه ابن السني في العمل برقم (460)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (198).

(2) إرواء الغليل (7/ 26).

(3) نيل الأوطار (15/ 156).

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 678)، حديث رقم: (344).

179-(2) (**مَنْ أطْعَمَهُ اللهُ الطَّعَامَ؛فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيْهِ، وأطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، ومَنْ سَقَاهُ اللهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيْهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ**)[1].

والحديث بتمامه عنِ ابنِ عباس [رضي الله عنهما] قال: دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمينه وخالد على شماله، فقال لي: (**الشربة لك، فإن شئتَ آثَرْتَ بها خالدا**)، فقلت: ما كنتُ أوثر على سُؤرك أحدا، ثم قال رسول الله ﷺ: (**من أطعمه الله الطعام، فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه**). وقال رسول الله ﷺ: (**ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن**).

قوله: (**الشربة لك**) أي أنت مستحقٌّ لها لأنك على جهة يميني.

قوله: (**فإن شئت آثرت بها خالدا**) أي اخترت بالشربة على نفسك خالدا.

قوله: (على سُؤرك) السؤر بضم السين وسكون الهمزة: البقية والفُضلة، والمعنى ما كنت لأختار على نفسي بفضل منك أحدا.

قوله: (**اللهم بارك لنا فيه**) من البركة وهي زيادة الخير ونموه ودوامه.

قوله: (**وأطعمنا خيرا منه**) من طعام الجنة أو أعم.

قوله: (**وزدنا منه**) ولا يقول خيرا منه لأنه ليس في الأطعمة خير منه.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفيه دليل على أن اللبن أرفع حالا من الطعام، ووجه ذلك أن النبي ﷺ طلب أن يطعمه الله ما هو خير من الطعام ولم يطلب ذلك في اللبن، وإنما طلب الزيادة منه[2].

قوله: (**ليس شيء يجزئ...**) أي: يكفي في دفع الجوع والعطش معا غير اللبن.

قال الإمام القرطبي -المفسر- رحمه الله: قال علماؤنا: فكيف لا يكون ذلك وهو أول ما يغتذى به الإنسان وتَنْمِي به الجثث والأبدان، فهو قوت خلي عنِ المفاسد، به قِوام الأجسام، وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الأمة التي هي

---

(1) رواه الترمذي برقم (3455)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) تحفة الذاكرين (ص194).

خير الأمم أمة، فقال في الصحيح: (**فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال لي جبريل: اخترت الفطرة، أما إنك لو اخترت الخمر غوت أمتك**)[1]. ثم إن في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب، وظهور الخيرات والبركات، فهو مبارك كله[2].

---

(1) رواه البخاري برقم (3394)، ومسلم برقم (168).

(2) تفسير القرطبي (12/ 356)، الآية (66) من سورة النحل.

70 الدعاء عند الفراغ منَ الطعام

180-(1) **(الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، ورَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ولا قُوَّةٍ)**(1).

عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، [رضي الله عنه]: أن رسول الله ﷺ قال: **(من أكل طعاما فقال: الحَمْدُ الله... غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**.

قوله: **(من أكل طعاما)**: الطعام: اسم جامع لكلِّ ما يؤكل، قاله في (لسان العرب).

قال ابن علان رحمه الله: ظاهر عمومه ولو على وجه التداوي لشمول الطعام له لغة وشرعا اهـ(2). قلت: كالإبر المغذية مثلا ونحوها والله أعلم.

قوله: **(الحمد لله الذي أطعمني هذا)** أي هذا الطعام. **(ورزقنيه، من غير حول مني ولا قوة)** أي من غير حركة وحيلة منِّي. وهذا اعتراف بالعجز والتقصير، وعدم القدرة في تحصيل هذا الطعام، بل هذا من فضل الله، يرزق عباده، والله ذو الفضل العظيم. وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب.

واعلم يا عبد الله، أنك إذا أكلت الأكلة أو شربت الشربة فحمدت الله عز وجل عليها، رضي الله عنك، قال ﷺ: **(إن الله ليرضى عنِ العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)**(3). فما أجزل هذه العطية، اللهم ارزقناها.

181-(2) **(الحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ[مَكْفِيٍّ ولا]مُوَدَّعٍ، ولا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا)**(4).

جاء في أول الحديث أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: **(الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه...)** الحديثَ..... وفي رواية: كان إذا فرغ من طعامه-وقال مرة: إذا رفع مائدته-قال: **(الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي ولا مكفور)**.

---

(1) رواه أبو داود برقم (4023)، والترمذي برقم (3458)، وابن ماجه برقم (3285)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(2) دليل الفالحين (5/ 280).

(3) رواه مسلم برقم (2734).

(4) رواه البخاري برقم (5458)، والترمذي برقم (3456).

قوله: (**الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه**) ثناء على الله عز وجل وحمد له على نعمه، ومنها نعمة الطعام الذي رزق الله إياه عباده، ووفَّق لتحصيله والاستفادة منه. ومعنى: (**كثيرا طيبا مباركا فيه**) أي: ثناء خالصا منَ الرياء والسمعة، ذا بركة، دائما غير منقطع.

ومعنى: (**غير مكفي**) لهذا اللفظ معانٍ ذكرها الشراح: منها: أنه من(الكفاية) والضمير راجع إلى الله تعالى، فيكون المعنى: أنه تعالى هو المطعِم لعباده والكافي لهم، يستغني عن غيره، وغيره لا يستغني عنه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: 14]. ومعنى: (**لا مودع**) أي: غير متروك، لأنه لا يستغنى عن الله عز وجل طرفة عين.

ومعنى: (**ولا مستغنًى عنه**) أي: غير مطروح ولا معرَض عنه، بل محتاج إليه فهو سبحانه لا يُستغنَى عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وهو غني عن الخلق، والخلق مفتقرون إليه، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 15].

وقوله: (**ربنا**) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو ربنا، وقال ابن الجوزي: ربنا بالنصب على النداء مع حذف أداة النداء.

قال الإمام ابن الأثير رحمه الله: المكفي: المقلوب، من قولك: كفأت القدر: إذا قلبتها، والضمير راجع إلى الطعام، كذا قال ابن السِّكِّيت، وقال غيره: أكفأت القدر-بألف-. وقال الخطابي: (**غير مكفي، ولا مودع، ولا مستغنًى عنه**) معناه: أن الله سبحانه هو المطعم والكافي، وهو غير مطعم ولا مكفى. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: 14].

وقوله: (**ولا مودع**) أي: غير متروك الطلب إليه والرغبة فيما عنده، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: 03]. أي: ما تركك، ومعنى المتروك المستغنَى عنه. (ولا مكفور) أي: لا نكفر نعمتك علينا بهذا الطعام، فعلى هذا التفسير الثاني يحتاج أن يكون قوله: (ربنا) مرفوعا، أي: ربنا غير مكفي ولا مودع، ولا مستغنًى عنه، وعلى التفسير الأول: يكون: (ربنا) منصوبا على النداء المضاف، وحرف النداء محذوف، أي: يا ربنا، ويجوز أن يكون الكلام راجعا إلى الحمد، كأنه

قال: حمدا كثيرا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع، ولا مستغنًى عنه، أي: عنِ الحمد، ويكون: (ربنا) منصوبا أيضا كما سبق. اهـ[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أي إننا لا نستغني عن الله عز وجل، ولا أحد يكفينا دونه، فهو سبحانه حسبنا وهو رازقنا جل وعلا، والله الموفق[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:

روي قوله: (**غير مكفي**) بوجهين: بالهمز وعدمه. وخطّئت رواية الهمز، فإنه اسم مفعول، إما من الكفاية، فوجهه: غير مكفي كـ: مرمي ومقضي، أو من المكافأة، فالمفعول منه(مكافا) كـ (مراما) من راماه، و(مساعا) من ساعاه.

أو مِن كفأت الإناء -بالهمز-: اذا أقلبته، فالمفعول منه (مكفوء) كـ (مقروء) مِن قرأت.

أو مِن كفاه يكفيه، فمفعوله (مكفي)، كـ (مرمي) مِن رميت. والصواب أنه بغير الهمز.

ثم اختلف: هل ذلك وصف للطعام وعائد عليه، أو هو حال من اسم الله فيكون وصفا له في المعنى؟ **على قولين**:

فقال ابن قرقول في (مطالعه): المراد بهذا كله الطعام، واليه يعود الضمير.

قال الحربي: والمكفي: الإناء المقلوب للاستغناء عنه، كما قال: غير مستغنٍ عنه، و(**غير مكفور**): غير مجحود نعمة الله فيه، بل مشكور غير مستور الاعتراف بها، والحمد عليها.

والقول الثاني: أن ذلك عائد إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: وذهب الخطابي إلى أن المراد بهذا الدعاء كله الباري تعالى، وأن الضمير يعود إليه، وأن معنى قوله: (**غير مكفي**) أي أنه يطعِم ولا يطعَم، كأنه هاهنا منَ الكفاية.

وإلى هذا ذهب غيره في تفسير هذا الحرف، أي أنه تعالى مستغنٍ عن معين وظهير.

قال: ومعنى قوله: (**ولا مودع**) أي غير متروك الطلب إليه، والرغبة له، وهو معنى المستغنى عنه.

---

(1) جامع الأصول (4/ 307-308).

(2) شرح رياض الصالحين (4/ 198).

وينتصب (ربنا) -على هذا- بالاختصاص والمدح، أو بالنداء كأنه قال: يا ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا.

ومن رفع: قطع، وجعله خبرا، كأنه قال: ذلك ربنا، أو أنت ربنا.

ويصح فيه الكسر على البدل من الاسم في قوله: **(الحمد لله)**، انتهى كلامه.

وفيه قول ثالث: أن يكون قوله: **(غير مكفي، ولا مودع)** صفة للحمد، كأنه قال: حمدا كثيرا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنًى عن هذا الحمد.

وقوله: **(ولا مودع)** أي غير متروك، وعلى هذا القول فيكون قوله: **(غير مكفي)** معناه: غير مصروف ومقلوب عن جهته كما يكفأ الإناء، بل هو حمد على وجهه الذي يستحقه ولي الحمد وأهله ويليق به، ولا ينبغي لسواه.

وأما إعراب **(ربنا)** فبالوجوه الثلاثة، والأحسن في رفعه أن يكون خبرا مقدما، مبتدؤه قوله: **(ولا مستغنى عنه)**.

والأحسن في جره أن يكون بدلا من الضمير المجرور في (عنه).

والأحسن في نصبه أن يكون على المدح صفة لاسم الله تعالى.

وسمعت شيخنا تقي الدين **ابن تيمية** -قدس الله روحه- يقول في **معنى** هذا الحديث:

المخلوق إذا أنعم عليك بنعمة أمكنك أن تكافئه، ونعمه لا تدوم عليك، بل لا بد أن تودعك ويقطعها عنك، ويمكنك أن تستغني عنه، والله عز وجل لا يمكن أن تكافئه على نعمه، وإذا أنعم عليك أدام نعمه، فإنه هو أغنى وأقنى، ولا يستغنى عنه طرفة عين، هذا معنى كلامه[1].

فائدة: يستحب الإتيان بألفاظ الحمد الواردة بعد الفراغ منَ الطعام جميعها، فيقول هذا مرة، وهذا مرة حتى يحصل له حفظ السنة من جميع وجوهها، وتناله بركة هذه الأدعية، مع ما يشعر به المرء في قرارة نفسه من استحضار هذه المعاني عندما يقول هذا اللفظ تارة وهذا اللفظ تارة أخرى؛ لأن النفس إذا اعتادت على ذكر معين فإنه مع كثرة التكرار يقل معها استحضار المعاني لكثرة الترداد.

---

(1) فتيا في صيغة الحمد (ص14-18)، وهو شرح لا تكاد تجده عند غيره فرحمه الله رحمة واسعة.



71 دعاء الضيف لصاحب الطعام

182- (**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، واغْفِرْ لَهُمْ، وارْحَمْهُمْ**)[1].

والحديث بتمامه عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي، قال: فقربنا إليه طعاما ووطْبة، فأكل منها ثم أتي بتمر فكان يأكله ويلقي النوى بين إصبعيه ويجمع السبابة والوسطى، ثم أتي بشراب فشربه ثم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقال أبي، وأخذ بلجام دابته: ادع الله لنا فقال: (**اللهم بارك لهم في ما رزقتهم، واغفر لهم، وارحمهم**).

قوله: (ووطْبة) قال الإمام النووي رحمه الله: هكذا رواية الأكثرين وطْبة بالواو وإسكان الطاء وبعدها باء موحدة، وفسّره النضر (وهو أحد رواة الحديث)فقال: الوطْبة الحيس يجمع التمر البرني والأقط المدقوق والسمن.

قوله: (ويلقي النوى بين إصبعيه) أي: يجعله بينهما لقلته ولم يلقه في إناء التمر لئلا يختلط بالتمر. وإلقاء النوى خارجا تعليم لاجتناب إلقائها بين أيدي الآكلين، لأن ذلك مما يُستكره، ويُستقذر.

قوله: (فشربه ثم ناوله الذي عن يمينه) قال الإمام النووي رحمه الله: فيه أن الشراب ونحوه يُدار على اليمين، وفيه استحباب طلب الدعاء منَ الفاضل ودعاء الضيف بتوسعة الرزق والمغفرة والرحمة، وقد جمع ﷺ في هذا الدعاء خيرات الدنيا والآخرة، والله أعلم[2].

قوله: (**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم**) البركة: النماء والزيادة، والتبريك الدعاء بذلك (**واغفر لهم**) أي: ذنوبهم، بمحوها وإزالة أثرها ووقاية شرها. (**وارحمهم**) الرحمة أبلغ لأن فيها حصول المرغوب بعد زوال المكروه.

---

(1) رواه مسلم برقم (2042).

(2) شرح مسلم (13/ 251).



72 الدعاء لمن سقاه أو إذا أراد ذلك

183 - (**اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي**). [1].

والحديث بتمامه عنِ المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أبصارنا وأسماعنا مِنَ الجَهد، فجعلنا نَعْرِضُ أنفسَنا على أصحاب رسول الله ﷺ فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ، فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقال النبي ﷺ: (**احتلبوا هذا اللبن بيننا**). قال: فكنَّا نحتلب فيشرب كل إنسان منَّا نصيبه ونرفع للنبي ﷺ نصيبه قال: فيجيء مِنَ الليل فيسلِّم تسليما لا يوقظ نائما ويُسمع اليقْظانَ قال ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني، وعلمت أنه ليس إليها سبيل قال: نَدَّمَني الشيطان فقال: ويحك ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك وعليَّ شملةٌ إذا وضعتُها على قدمي خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي وجعل لا يجيئني النوم وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت قال: فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يسلِّم ثم أتى المسجد فصلى ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا، فرفع رأسه إلى السماء فقلت: الآن يدعو عليَّ فأهلك فقال: (**اللهمَّ أطعم من أطعمني، واسق من أسقاني**) قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليَّ، وأخذت الشفرة، فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافلة، وإذا هن حُفَّل كلهن فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه قال: فحلبت فيه حتى عَلَته رغوة فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال: (**أشربتم شرابكم الليلة**). قال قلت: يا رسول الله اشرب فشرب ثم ناولني فقلت: يا رسول الله اشرب فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد روِي وأصبت دعوتَه ضحكت حتى أُلقِيتُ إلى الأرض قال: فقال النبي ﷺ: (**إحدى سوآتك يا مقداد**). فقلت: يا رسول الله، كان من أمري كذا وكذا، وفعلت كذا فقال النبي ﷺ: (**ما هذه إلا رحمة منَ الله،**

---

(1) رواه مسلم برقم (2055).

أفلا كنتَ آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها). قال فقلت: والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك مَن أصابها مِنَ الناس.

قوله: (ذهبت أبصارنا وأسماعنا) أي: ضعفت حتى قاربت الذهاب. (مِنَ الجَهد) هو بفتح الجيم: وهو الجوع والمشقة.

قوله: (فجعلنا نَعرِض أنفسَنا) أي: نتعرض لهم ليطعمونا، وذلك لشدة ما كانوا عليه مِنَ الجوع، والضعف. (فليس أحد منهم يقبلنا) أي: يطعمنا. وظاهر حالهم أن ذلك الامتناع ممن تعرضوا له إنما كان لأنهم ما وجدوا شيئا يطعمونهم إياه.

قوله: (فيجيء مِنَ الليل فيسلِّم تسليما لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان) هذا فيه آداب السلام على الإيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معناهم، وأنه يكون سلاما متوسطا بين الرفع والمخافتة بحيث يسمع الإيقاظ ولا يهوش على غيرهم.

قوله: (ما به حاجة إلى هذه الجرعة) هي بضم الجيم وفتحها، حكاهما ابن السِّكِّيت وغيره، وهي الحثوة مِنَ المشروب، والفعل منه: جرعت بفتح الجيم وكسر الراء.

قوله: (وغلت في بطني) بالغين المعجمة المفتوحة، أي: دخلت وتمكنت منه.

قوله: (شملة) كساء صغير يشتمل به. أي: يلتحف به على كيفية مخصوصة.

قوله: (**اللهم أطعم مَن أطعمني، واسقِ مَن سقاني**) قال الإمام النووي رحمه الله: فيه الدعاء للمحسِن والخادم ولمن سيفعل خيرا، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ، مِنَ الحلم والأخلاق المرضية والمحاسن المرضية وكرم النفس والصبر والإغضاء عن حقوقه، فإنه ﷺ لم يسأل عن نصيبه مِنَ اللبن.[1]

قوله: (وإذا هنَّ حُفَّل كلهن) أي: ممتلئة الضروع باللبن. وهذه من معجزات النبوة وآثار بركته ﷺ.

قوله: (رغوة) بضم الراء: ما يعلوا اللبن عند الصب والحلب.

قوله: فلما عرفت أن النبي ﷺ قد رَوِيَ وأصبت دعوته ضحكت حتى أُلقيتُ إلى الأرض قال: فقال النبي ﷺ: (**إحدى سوآتك يا مقداد**). قال الإمام النووي

(1) شرح مسلم (14/ 18).

رحمه الله: معناه: أنه كان عنده حزن شديد خوفًا من أن يدعوَ عليه النبي ﷺ لكونه أذهب نصيب النبي ﷺ وتعرَّض لأذاه، فلما علم أن النبي ﷺ قد رَوِيَ وأجيبت دعوته فرح وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكه لذهاب ما كان به منَ الحزن وانقلابه سرورا بشرب النبي ﷺ، وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه وجريان ذلك على يد المقداد وظهور هذه المعجزة ولتعجبه من قبح فعله أولا وحسنه آخرا، ولهذا قال ﷺ: (**إحدى سوآتك يا مقداد**) أي: إنك فعلت سوءة من الفعلات ما هي؟ فأخبره خبره فقال النبي ﷺ: (**ما هذه إلا رحمة من الله**) أي: إحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته وإن كان الجميع من فضل الله تعالى.[1].

---

(1) شرح مسلم (14/ 19).

73 الدعاء إذا أفطر عند أهل بيت

184- (**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الـمَلائِكَةُ**)[1].

قوله: (**أفطر عندكم الصائمون**) المراد منه الدعاء لصاحب المنزل لينال أجر مَن أفطر عنده الصائمون الوارد في الأحاديث كحديث: (**من فطّر صائما فله مثل أجره**).

قوله: (**وأكل طعامَكم**) بفتح الميم. (**الأبرارُ**) بالرفع على أنه فاعل، أي: الأتقياء الصالحون. قوله: (**وصلّت عليكمُ الملائكة**) أي: دعت لكم بالرحمة والمغفرة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وقدِ اشتمل هذا الحديث على ثلاث دعوات كلها موجِبة للأجر والبركة، فإنَّ من أفطر عنده الصائمون استحق الأجر الموعود به فيمن فطَّر صائما، ومن أكل طعامه الأبرار كان له أجر الإطعام موفرا لكون الآكلين له مِنَ الأبرار، ومَن صلت عليه الملائكة فقد فاز لأن دعوتَهم له بالرحمة مقبولة[2].

فائدة: قال الشيخ الألباني رحمه الله: واعلم أن هذا الذِّكر ليس مقيدا بالصائم بعد إفطاره، بل هو مطلَق، وقوله: (**أفطر عندكم الصائمون...**) ليس هو إخبارا، بل هو دعاء لصاحب الطعام بالتوفيق حتى يفطر الصائمون عنده، وينال أجر إفطارهم، فهو كالجملتين الأُخريين: (**أكل طعامَكم الأبرارُ، وصلت عليكمُ الملائكة**)، وهو بالنسبة إلينا لا يمكن أن يكون إلا دعاء كما لا يخفى، وليس في الحديث التصريح بأنه ﷺ كان صائما، فلا يجوز تخصيصه بالصائم[3].

تنبيه: قال الشيخ الألباني رحمه الله: عزا الذهبي في (العلوّ) هذا الحديث إلى الصحيحين بزيادة في آخره وهي: (**وذكركم الله فيمن عنده**) وكل ذلك وهمٌ،

(1) رواه أبو داود برقم (3854)، وابن ماجه برقم (1747)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (4677).

(2) تحفة الذاكرين (ص190).

(3) آداب الزفاف (ص171).

فليس هو في الصحيحين ولا فيه هذه الزيادة في شيء من طرقه التي وقفتُ عليها[1].

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: زيادة: **(وذكركم الله فيمن عنده)** في دعاء الإفطار عند قوم لا تثبت. اهـ[2]. فالواجب الاقتصار على الوارد فتنبه، والله الموفق.

(1) آداب الزفاف (ص171).

(2) انظر تصحيح الدعاء(509).

74 دعاء الصائم إذا حَضَرَ الطعامَ ولم يُفطر

185- (**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ**)[1]. ومَعنَى **فَلْيُصَلِّ**؛أيْ: **فَلْيَدْعُ**.

قوله: (**إذا دُعي أحدكم فليجب**) أي: الدعوة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفيه دلالة على وجوب إجابة الدعوة، سواء كانت عرسا أو غيره إذا صدق عليها مسمَّى الوليمة[2].

ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه كان يقول: (**شَرُّ الطَّعَام طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**)[3].

قال الحافظ: في (الفتح): قوله: (**ومَن ترك الدعوة**) أي ترك إجابة الدعوة، وفي رواية ابن عمر المذكورة: (**مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجِبْ**)، وهو تفسير للرواية الأخرى. (**فقد عصى الله ورسوله**) هذا دليل وجوب الإجابة لأن العصيان لا يطلق إلا على ترك الواجب، ووقع في رواية لابن عمر عند أبي عوانة: (**مَنْ دُعِيَ إلى وليمة فلم يأتِها فقد عصى الله ورسوله**).[4]

قال الإمام الشافعي رحمه الله في (الأمّ): إتيان دعوة الوليمة حقٌّ، والوليمة الّتِي تُعرَف وليمة العرس، وكل دعوة كانت على إملاك، أو نِفاس، أو خِتان، أو حادث لسُرور، دُعِي اليها رجل فاسم الوليمة يَقَعُ عليها، ولا أُرَخِّص لأحدٍ في تَرْكِها، ولو تَرَكَها لم يَبِنِ لي أنّه عاصٍ بتَرْكِها، كما يَبِينُ في وليمة العرس.[5]

قوله: (**فإن كان صائما فليصلِّ**) في رواية أبي داود، قال هشام(أحد رواة الحديث): والصلاة: الدعاء.

---

(1) رواه مسلم برقم (1431).

(2) تحفة الذاكرين (ص189).

(3) رواه البخاري برقم (5177)، ومسلم برقم (1432).

(4) فتح الباري (11/ 544).

(5) الأمّ (7/ 449).

قال الإمام النووي رحمه الله: اختلفوا في معنى (فليصلِّ) قال الجمهور: معناه: فليدع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة ونحو ذلك، وأصل الصلاة في اللغة الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وقيل: المراد الصلاة الشرعية بالركوع والسجود أي يشتغل بالصلاة ليحصل له فضلها ولتبرك أهل المكان والحاضرين[1].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: أي: فليدع كما هو مفسَّر في آخر الحديث من بعض الرواة[2].

قوله: **(وإن كان مفطرا فليطعم)** أي: فليأكل.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكان إذا قُرب إليه طعام وهو صائم قال: **(إني صائم)** وأمر من قُرب إليه الطعام وهو صائم أن يصلِّي، أي **يدعو** لمن قدَّمه، وإن كان مفطرا أن يأكل منه. اهـ[3].

فائدة: ما حكم إجابة الدعوة إن كان فيها منكر؟

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وكل هذا: ما لم يكن في الدعوة منكر. فإن كان، فلا يجوز حضورها عند كافة العلماء. اهـ[4].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: ولا يجوز حضور الدعوة إذا اشتملت على معصية، إلا أن يقصد إنكارها ومحاولة إزالتها، فإن أزيلت وإلا وجب الرجوع، وفيه أحاديث:

عن علي قال: صنعتُ طعامًا فدعوتُ رسول الله ﷺ، فجاء فرأى في البيت تصاوير، فرجع [قال فقلتُ: يا رسول الله ما أرجعك -بأبي أنت وأُمي-؟ قال: **(إن في البيت سَتْرًا فيه تصاويرُ، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تصاوير)** رواه ابن ماجه بسند صحيح... [5]].

---

(1) شرح مسلم (9/ 258).

(2) آداب الزفاف (ص155).

(3) زاد المعاد (2/ 402).

(4) المفهم (4/ 153).

(5) آداب الزفاف (ص 161).



75 ما يقوله الصائم إذا سابَّه أحدٌ

186- (**إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ**)[1].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (**الصيام جُنَّة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل: إني صائم مرتين، والذي نفسي بيده لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها**).

قوله: (**الصيام جُنَّة**) الجُنَّة: بضم الجيم الوقاية والستر.

قال الحافظ في (الفتح): وقد تبين بهذه الروايات متعلق هذا الستر وأنه من النار، وبه جزم الحافظ ابن عبد البر[2]. وأما صاحب (النهاية) فقال: معنى كونه جُنَّة أي يقي صاحبه ما يؤذيه مِنَ الشهوات. وقال القرطبي: جُنَّة أي سترة، يعني بحسب مشروعيته، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله: (**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث...**) الخ. ويصح أن يراد أنه سترة بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله: (**يدع شهوته...**) الخ. ويصح أن يراد أنه سترة بحسب ما يحصل مِنَ الثواب وتضعيف الحسنات. وقال عياض في (الإكمال): معناه: سترة مِنَ الآثام أو مِنَ النار أو من جميع ذلك، وبالأخير جزم النووي. وقال ابن العربي: إنما كان الصوم جُنَّة مِنَ النار لأنه إمساك عنِ الشهوات. والنار محفوفة بالشهوات، فالحاصل أنه إذا كفَّ نفسه عنِ الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له مِنَ النار في الآخرة. اهـ[3].

قوله: (**فلا يرفث**) أي الصائم، ويرفث بضم الفاء وكسرها، والمراد بالرفث هنا-وهو بفتح الراء والفاء- الكلام الفاحش، وهو يطلق على هذا، وعلى الجماع، وعلى مقدماته، وعلى ذكره مع النساء أو مطلقا، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها.

---

(1) رواه البخاري برقم (1894)، ومسلم برقم (1151).

(2) قال في التمهيد (9/ 345): والجُنَّة: الوقاية والستر عن النار وحسبك بهذا فضلا للصائم.اهـ

(3) فتح الباري (5/ 212).

قوله: (**ولا يجهل**) أي لا يفعل شيئا من أفعال أهل الجهل، كالصياح، والسفه، ونحو ذلك.

قوله: (**وإنِ امرؤ قاتله أو شاتمه**) معناه شتمه متعرِّضا لمشاتمته، ومعنى: قاتله دافعه ونازعه.

قوله: (**فليقل: إنِّي صائم مرتين**) اختُلف في المراد بقوله: (**إنِّي صائم**) هل يخاطب بها الذي يكلِّمه بذلك أو يقولها في نفسه، وبالثاني جزم المتولي ونقله الرافعي عنِ الأئمة، ورجَّح النّووي الأول في (الأذكار)، وقال في (شرح المهذب): كلٌّ منهما حسن.

والقول باللسان أقوى ولو جمعهما لكان حسنا. وأما تكرير قوله: (**إني صائم**) فليتأكد الانزجار منه، أو ممن يخاطبه بذلك.

قوله: (**والذي نفسي بيده**) أقسم على ذلك تأكيدا[1].

قوله: (**لخُلُوف فم الصائم**) الخُلُوف بضم الخاء واللام، بعدها واو، وآخره فاء: تغيُّر رائحة فم الصائم بسبب الصيام.

واختلف أهل العلم عليهم رحمة الله في قوله ﷺ: (**لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**) هل هو في الدنيا أو في الآخرة؟

وفصل القول العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب العجاب(الوابل الصيب) فقال:

وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة، فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها منَ الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخُلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم.

وحيث أخبر بأن ذلك(حين يخلف) و(حين يمسون)فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها زائدا على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته،

(1) فتح الباري (5/ 214).

وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد، فرُبَّ مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى، وبالعكس، فإن الناس يكرهونه لمنافرة طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطِّيب للعباد، وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال مِنَ الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة.

وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورا في القلب، وقوةً في البدن، وسعةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما عمِل رجل عملا إلَّا ألبسه الله تعالى رداءه، إنْ خيرا فخير، وإنْ شرا فشر.

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى أن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيبا، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشم لا هذا ولا هذا، بل زكامه يحمله على الإنكار، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب[1].

قوله: (**أطيب عند الله من ريح المسك**) أوّل كثير مِنَ الشرّاح معنى (الاستطابة) في الحديث وهم مجتهدون في ذلك ولهم أجر، غفر الله لهم.

لكن إيَّاك يا جريء أن تنظر لهؤلاء الأعلام شزرا لتأويل وقع منهم، فهذا منهج رديء زلّت به أقدام، وضلّت فيه أفهام، وضلّ به أقوام والله المستعان وعليه التكلان ولا قوة إلا به.

وممن ردَّ هذا التأويل وبين خطأه العلامة ابن القيم رحمه الله: فقال في (الوابل الصيب) بعد ذكر مناظرة بين الإمامين أبي محمد بن عبد السلام وأبي عمرو بن الصلاح في مسألة هذا الطيب في الدنيا أم في الآخرة:

---

(1) الوابل الصيب (ص66-68).

ثم ذكر[ابن الصلاح]كلام الشراح في معنى طيبه، وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضا بفعله، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتى كأنه قد بورك له فيه، فهو موكل به.

وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضى بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟ وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنًى، ثم يَدَّعي إرادة ذلك المعنَى بلفظ النص، من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عَيَّنه، أوِ احتمال اللغة له.

ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلوما بوضع اللفظ لذلك المعنى، أو عرف الشارع ﷺ، أو عادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى، أو تفسيره له به، وإلا كانت شهادة باطلة، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس مِنَ الرائحة رائحة المسك، فمثل النبي ﷺ طيب هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا، وأعظم.

ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم، وأفعاله لا تشبه أفعالهم، وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الإستطابة كاستطابتنا.

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال، إذ ما استشكله هؤلاء مِنَ الاستطابة يلزم مثله في الرضى، فإن قالوا: رضاه ليس كرضى المخلوقين، فقولوا استطابته ليست كاستطابة المخلوقين، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب. اهـ[1].

وقال الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل حفظه الله في كتابه(التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري)تعليقا على كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله:

---

(1) الوابل الصيب (ص62-64)، ونقله الشيخ عبد الرحمن البراك في تعليقاته على(الفتح).

هـذا ومـا قبلـه تأويـلات متكلفـة لا مـبرر لهـا، وخـروج باللفـظ عـن حقيقتـه، الاسـتطابة لرائحـة خلـوف فـم الصائـم مـن جنـس سـائر الصفـات العـلى يجب الإيـمان بهـا مـع عـدم مماثلـة صفـات المخلوقـين، ومـع عـدم التكلـف بتأويلهـا بـآراء العقـول ومسـتبعدات النقـول، والـذي يفـضي بهـا إلى تعطيلهـا عـنِ الله . فالواجـب الإيـمان بهـا كسـائر الصفـات عـلى الوجه اللائـق بالله مـن غـير تكييف ولا تمثيـل، ومـن غير تحريـف ولا تعطيل، كما قـال سـبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وقـال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ وقـال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. والله أعلـم. اهـ[1].

قولـه: (**يـترك طعامـه وشرابه وشـهوته من أجـلي**) المراد بالشـهوة في الحديث شـهوة الجـماع لعطفهـا على الطعـام والشراب.

قولـه: (**الصيـام لي وأنـا أجـزي بـه**) بيـان لعظم فضلـه وكثـرة ثوابـه لأن الكريم إذا أخـبر بأنـه يتولى بنفسـه الجـزاء اقتـضى عظم قـدر الجـزاء وسـعة العطاء.

وقـد اختلـف العلـماء في المراد بقولـه: (**الصيام لي وأنـا أجزي به**) مـع أن كل الأعمال لله تعـالى وهـو الـذي يجـزي بهـا، عـلى أقـوال أوصلهـا الحافـظ في (الفتـح)إلى عـشرة، وقـال: وأقـرب الأجوبة التـي ذكرتهـا إلى الصـواب الأول والثاني.

أما الأول: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره.

وأمـا الثـاني: أن المـراد بقوله: (**وأنا أجزي بـه**) أني أنفرد بعلم مقـدار ثوابه وتضعيف حسـناته، وأمـا غيره من العبـادات فقدِ اطَّلع عليها بعـض الناس[2].

قولـه: (**والحسـنة بعـشر أمثالهـا**) أي: مضاعفة بالعشر وهـو أقل التضاعـف الموعود بقولـه تعـالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾.

(1) التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري (ص24).

(2) فتح الباري (5/ 218-219).

76 الدعاء عند رؤية باكورة الثمر

باكورة الثمر: أول ما يدرك منَ الفاكهة. قال في(النهاية): وأول كل شيء باكورته[1].

187- **(اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا)**[2].

والحديث بتمامه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: **(اللهم بارك لنا في ثمرنا...)** قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر.

قوله: (كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ) قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: كانوا يفعلون ذلك رغبة في دعائه ﷺ في الثمر وللمدينة والصاع والمد، وإعلاما له ﷺ بابتداء صلاحها لما يتعلق بها منَ الزكاة وغيرها وتوجيه الخارصين.

قوله: **(وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا)** الصاع: هو الذي يكال به، وهو أربعة أمداد. والمد: حفنة بكفي الرجل المعتدل الكفين، وسمي مدًّا لأن اليدين تُمدَّان.

قال الإمام النووي رحمه الله: قال القاضي: البركة هنا بمعنى النموِّ والزيادة وتكون بمعنى الثبات واللزوم. قال: فقيل: يحتمل أن تكون هذه البركة دينية وهي ما تتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى في الزكاة والكفارات، فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها كبقاء الحكم بها ببقاء الشريعة وثباتها، ويحتمل أن تكون دنيوية من تكثير الكيل والقدر بهذه الأكيال حتى يكفي منه ما لا يكفي من غيره في غير المدينة، أو ترجع البركة إلى التصرُّف بها في التجارة وأرباحها وإلى كثرة ما يُكال بها من غلَّاتها وثمارها أو تكون الزيادة فيما يكال بها لاتساع عيشهم وكثرته بعد ضيقه

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص86).

(2) رواه مسلم برقم (1373).

لما فتح الله عليهم ووسَّع من فضله لهم وملَّكهم من بلاد الخصب والريف بالشام والعراق ومصر وغيرها حتى كثر الحمل إلى المدينة واتَّسع عيشهم حتى صارت هذه البركة في الكيل نفسه، فزاد مدُّهم وصار هاشميا مثل مدِّ النبي ﷺ مرتين أو مرة ونصفا، وفي هذا كله ظهور دعوة النبي ﷺ وقبولها، هذا آخر كلام القاضي.

والظاهر من هذا كله أن البركة في نفس المكيل في المدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها والله أعلم.

قوله: (ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر) فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من مكارم الأخلاق وكمال الشفقة والرحمة وملاطفة الكبار والصغار، وخصَّ بها الصغير لكونه أرغب فيه، وأكثر تطلعا إليه، وحرصا عليه. اهـ[1].

قال في(العلم الهيب): واستفيد من هذا الحديث **فوائد:**

-يستحب لمن يرى الباكورة أن يدعوَ له ولثمر مدينته، وصاعها ومدِّها.

-يستحب أن يعطيها أصغر من يحضر مِنَ الولدان تطييبًا لقلبه. اهـ[2].

---

(1) شرح مسلم (9/ 157-161).

(2) العلم الهيب (ص551).



77 دعاء العُطاس

188- (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)[1].

قوله: (**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله**) إذا عطس: بفتح الطاء ويكسر على ما في القاموس.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والعُطاس ريح مختنقة تخرج وتفتح السدد من الكبد، وهو دليل جيد للمريض مؤذن بانفراج بعض علته، وفي بعض الأمراض يستعمل ما يعطس العليل، ويجعل نوعا من العلاج ومعينا عليه[2].

وقال أيضا: ولما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة، شرع له حمد الله على هذه النعمة[3].

وقال الحافظ في (الفتح): قال الحليمي: الحكمة في مشروعية الحمد للعاطس أنَّ العُطاس يدفع الأذى مِنَ الدماغ الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحسِّ وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة فناسب أن تقابل بالحمد لله لما فيه مِنَ الإقرار لله بالخلق والقدرة وإِضافة الخلق إِليه لا إِلى الطبائع. انتهى.

قوله: (**وليقل له أخوه أو صاحبه**) هو شك مِنَ الراوي، وكذا وقع للأكثر مِن رواية عاصم بن علي: (**فليقل له أخوه**) ولم يشك، والمراد بالأخوة أخوة الإسلام[4].

قوله: (**يرحمك الله**) دعاء له بالرحمة، وهو جواب العاطس ويسمَّى التَّشميت.

قال في (النِّهاية): التَّشميت -بالشِّين والسِّين-: الدعاء بالخير والبركة - والمعجمة أعلاهما-. يقال: شمت فلانا، وشمت عليه تشميتا، فهو مشمت، واشتقاقه من

(1) رواه البخاري برقم (6224).

(2) مفتاح دار السعادة (3/ 359).

(3) زاد المعاد (2/ 438).

(4) فتح الباري (14/ 110).

الشوامت، وهي القوائم، كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى، وقيل: معناه أبعدك الله عنِ الشماتة، وجنَّبك ما يشمت به عليك[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: يقال: سمَّته وشمَّته بالسين والشين، فقيل: هما بمعنًى واحدٍ، قاله أبو عبيد وغيره. وكل داعٍ بالخير، فهو مشمت ومسمت. وقيل: بالمهملة دعاء له بحسن السمت، وبعوده إلى حالته منَ السكون والدَّعة. وبالمعجمة دعاء له بأن يصرف الله عنه ما يشمِّتُ به أعداءَه. وقيل: هو دعاء له بثباته على قوائمه في طاعة الله، مأخوذ من الشوامت، وهي القوائم. وقيل: هو تشميت له بالشيطان، لإغاظته بحمد الله على نعمة العطاس، وما حصل له به من محابِّ الله، فإن الله يحبُّه... [2].

قال الحافظ في (الفتح): قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون دعاء بالرحمة، ويحتمل أن يكون إخبارا على طريق البِشارة كما في الحديث الآخر: **(طهور إن شاء الله)** أي: هي طهر لك. فكأن المشمِّت بشر العاطس بحصول الرحمة له في المستقبل بسبب حصولها له في الحال لكونها دفعت ما يضره. قال: وهذا ينبني على قاعدة، وهي أن اللفظ إذا أريد به معناه لم ينصرف لغيره، وإن أريد به معنًى يحتمله انصرف إليه، وإن أطلق انصرف إلى الغالب، وإن لم يستحضر القائل المعنى الغالب. **وقال ابن بطال**: ذهب إلى هذا قوم فقالوا: يقول له: يرحمك الله يخصُّه بالدعاء وحده. وقد أخرج البيهقي في (الشعب) وصححه ابن حبان من طريق حفص بن عاصم عن أبي هريرة رفعه: **(لما خلق الله آدم عطس، فألهمه ربه أن قال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك الله)**[3].

حكم التشميت؟

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: إن التشميت **فرض عين** على كل من سمع العاطس يحمد الله، ولا يجزيء تشميت الواحد عنهم، وهذا أحد قولي العلماء، واختاره ابن أبي زيد، وأبو بكر بن العربي المالكيان، ولا دافع له[4].

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص491).

(2) زاد المعاد (2/ 438-439).

(3) فتح الباري (14/ 120).

(4) زاد المعاد (2/ 437).

وقال ابن أبي جمرة: قال جماعة من علمائنا: إنه فرض عين، وقوَّاه ابن القيم في حواشي السنن فقال: جاء بلفظ الوجوب الصريح، وبلفظ **(الحق)** الدال عليه، وبلفظ **(على)** الظاهرة فيه، وبصيغة الأمر التي هي حقيقة فيه، وبقول الصحابي: **(أمرنا رسول الله ﷺ)**.

وذهب آخرون إلى أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عنِ الباقين، ورجَّحه أبو الوليد بن رشيد وأبو بكر بن العربي، وقال به الحنفية وجمهور الحنابلة، وذهب عبد الوهاب وجماعة منَ المالكية إلى أنه مستحبٌّ...، والراجح من حيث الدليل القول الثاني، والأحاديث الصحيحة الدالة على الوجوب لا تنافي كونه على الكفاية....[1].

وقد خُصَّ من عموم الأمر بتشمية العاطس جماعة:

الأول: من لم يحمد. **الثاني**: الكافر. **الثالث**: المزكوم إذا تكرر منه العطاس فزاد على الثلاث. **الرابع**: من يكره التشميت. **الخامس**: من عطس والإمام يخطب. **السادس**: من كان عند عطاسه في حالة يمتنع عليه فيها ذِكر الله، كما إذا كان على الخلاء[2]. والله أعلم.

قوله: **(يَهديكم الله ويُصلح بالكم)** قال العلماء: بالكم: أي شأنكم.

قال أبو عبيدة في معنى قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: 05] أي: شأنهم، أفاده الحافظ في(الفتح).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ أي: حالهم وأمورهم، وثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه ولا تنغيص بوجه منَ الوجوه[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فأما الدعاء بالهداية، فلما أنه اهتدى إلى طاعة الرسول، ورغب عما كان عليه أهل الجاهلية، فدعا له أن يثبته الله عليها، ويهديه إليها. وكذلك الدعاء بإصلاح البال، وهي حكمة جامعة لصلاح شأنه كله، وهي من باب الجزاء على دعائه لأخيه بالرحمة، فناسب أن يجازيه بالدعاء له بإصلاح البال[4].

---

(1) فتح الباري (14/ 111).

(2) انظرها مفصلة في فتح الباري (14/ 113-117).

(3) تيسير الكريم الرحمن (ص785).

(4) مفتاح دار السعادة (3/ 357).

قال الحافظ في(الفتح): قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العاطس، يؤخذ ذلك مما رتب عليه منَ الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلا منه وإحسانا، وفي هذا لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في ايمانه حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام عديدة، ويداخله من حب الله الذي أنعم عليه ذلك ما لم يكن في باله، ومن حبِّ الرسول ﷺ الذي جاءت معرفة هذا الخير على يده والعلم الذي جاءت به سنته ما لا يقدر قدره. قال: وفي زيادة ذرة من هذا ما يفوق الكثير مما عداه من الأعمال، ولله الحمد كثيرا.

وقال الحليمي: أنواع البلاء والآفات كلها مؤاخذات، وإنما المؤاخذة عن ذنب فإذا حصل الذنب مغفورا وأدركت العبدَ الرحمةُ لم تقع المؤاخذة، فاذا قيل للعاطس: يرحمك الله، فمعناه جعل الله لك ذلك لتدوم لك السلامة، وفيه اشارة الى تنبيه العاطس على طلب الرحمة والتوبة منَ الذنب، ومن ثَمَّ شُرِع له الجواب بقوله: (**غفر الله لنا ولكم**).

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: ومن فوائد التشميت تحصيل المودة والتأليف بين المسلمين، وتأديب العاطس بكسر النفس عنِ الكبر، والحمل على التواضع، لما في ذكر الرحمة منَ الإشعار بالذنب الذي لا يعرى عنه أكثر المكلفين[1].

فوائد:

01- قال الحافظ في(الفتح): قال الإمام البخاري رحمه الله في(الأدب المفرد): أثبت ما يروى في هذا الباب هذا الحديث، [الذي يروَى عن أبي صالح السمان]. قال الطبري: هو من أثبت الأخبار، وقال البيهقي: هو أصح شيء ورد في هذا الباب[2].

02- هل يشمَّت من لم يحمدِ الله عزَّ وجلَّ؟ والجواب:

ما رواه الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي بردة بن نيار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمّتوه**)[3].

(1) فتح الباري (14/ 110-111-122).

(2) زاد المعاد (2/ 438-439).

(3) رواه مسلم برقم (2992).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولأجل هذا -والله أعلم- لم يؤمر بتشميت من لم يحمد الله، فإن الدعاء له بالرحمة نعمة، فلا يستحقُّها من لم يحمد الله ويشكره على هذه النعمة، ويتأسَّى بأبيه آدم فإنه لما نفخت فيه الروح إلى الخياشيم عطس، فألهمه ربه تبارك وتعالى أن نطق بحمده فقال: الحمد لله، فقال الله سبحانه: يرحمك الله يا آدم، فصارت تلك سنة العُطاس، فمن لم يحمد الله لم يستحقَّ هذه الدعوةَ[1].

ويستفاد من هذا الحديث أيضا أنّ العاطس إذا قال لفظا آخر غير الحمد لله، لم يستحقَّ التشميت.

قال الحافظ في(الفتح): قال النووي: مقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمَّت. قلت(أي الحافظ): هو منطوقه. ويؤخذ منه: أنه إذا أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمَّت[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله في(الأذكار): إذا قال العاطس لفظا آخر غير الحمد لله، لم يستحقَّ التَّشميت[3].

03-كم مرة يشمَّت العاطس؟

قال ﷺ: (**يشمَّت العاطس ثلاثا، فما زاد فهو مزكوم**)[4]. وقال عليه الصلاة والسلام: (**شمِّته واحدة وثِنتين وثلاثا، فما كان بعد هذا فهو زكام**)[5].

قال الإمام النووي رحمه الله: إذا تكرر العُطاس من إنسان متتابعا، فالسنة أن يشمِّته لكل مرة إلى أن يبلغ ثلاث مرات[6].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإن قيل: إذا كان به زكام، فهو أولى أن يُدعى له ممن لا علة به؟ قيل: يُدعى له كما يُدعى للمريض، ومَن به داء ووجع. وأما

---

(1) مفتاح دار السعادة (3/ 358).

(2) فتح الباري (14/ 123).

(3) الأذكار (2/ 595).

(4) رواه ابن ماجه برقم (3714)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(5) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (939)، وصححه الشيخ الألباني فيه.

(6) الأذكار (2/ 598).

سنّة العطاس الذي يحبه الله، وهو نعمة ويدل على خفَّة البدن، وخروج الأبخرة المحتقنة، فإنما يكون إلى تمام **الثلاث**، وما زاد عليها يدعى لصاحبها بالعافية. وقوله في الحديث: **(الرجل مزكوم)** تنبيه على الدعاء له بالعافية، لأن الزكمة علة، وفيه اعتذار من ترك تشميته بعد الثلاث وفيه تنبيه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها فيصعب أمرها، فكلامه ﷺ كله **حكمة ورحمة، وعلم وهدى**. اهـ[1].

04-من آداب العاطس أن يخفض بالعطس صَوته ويرفعه بالحمد، وأن يغطِّيَ وجهه لئلا يبدوَ من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه يمينا ولا شمالا لئلا يتضرر بذلك. قال ابن العربي: الحكمة في خفض الصوت بالعطاس أن في رفعه ازعاجا للأعضاء، وفي تغطية الوجه أنه لو بدر منه شيء آذى جليسه، ولو لوى عنقه صيانة لجليسه لم يأمن منَ الالتواء، وقد شاهدنا مَن وقع له ذلك، وقد أخرج أبو داود والترمذي بسند جيد عن أبي هريرة[رضي الله عنه]قال: **(كان النبي ﷺ اذا عطس وضع يده على فيه وخفض صَوته)**، وله شاهد من حديث ابن عمر[رضي الله عنه]بنحوه عند الطبراني[2].

05-قال الحافظ في(الفتح): ونقل ابن بطال عن الطبري أن العاطس يتخير بين أن يقول: **(الحمد لله)** أو يزيد **(رب العالمين)**[3]. أو **(على كل حال)**[4]، والذي يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزئ، لكن ما كان أكثر ثناء أفضل بشرط أن يكون **مأثورا**. وقال النووي في(الأذكار): اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه: الحمد لله، ولو قال: الحمد لله رب العالمين لكان أحسن، فلو قال: الحمد لله على كل حال كان أفضل، كذا قال، والأخبار التي ذكرتها تقتضي التخيير ثم الأولوية كما تقدم، والله أعلم[5].

وللعاطس أن يقول أيضا: **(يرحمنا الله وإياك ويغفر لنا ولكم)** لما رواه مالك في الموطإِ برقم (1939)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (933)، وصححه الشيخ

---

(1) زاد المعاد (2/ 441).

(2) فتح الباري (14/ 110).

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (934)، وقال الشيخ الألباني صحيح الاسناد موقوفا.

(4) رواه أبو داود برقم (5033)، والترمذي برقم (2741)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(5) فتح الباري (14/ 108).

الألباني عن نافع، عنِ ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا عطس فقيل: يرحمك الله قال: (**يرحمنا الله وإياكم ويغفر لنا ولكم**).

وقد أنكر السلف رحمهم الله الزيادة على السنة والمأثور في العُطاس، فقد روى الترمذي في جامعه برقم(2738)، وحسنه الشيخ الألباني أن رجلا عطس إلى جنب ابنِ عمر رضي الله عنهما، فقال: الحمد لله، والسلام على رسول الله. قال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: (**الحمد لله على كل حال**).

وروى الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم (937)، وصححه الشيخ الالباني، عن مجاهد قال: عطس ابنٌ لعبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما -إما أبو بكر وإما عمر- فقال: آب. فقال ابن عمر: (وما آب؟ إن آب اسم شيطان مِنَ الشياطين، جعلها بين العطسة والحمد).

قال الحافظ في(الفتح): ولا أصل لما اعتاده كثير من الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد قوله: (**الحمد لله رب العالمين**). وكذا العدول منَ الحمد إلى: أشهد أن لا إله إلا الله، أو تقديمها على الحمد فمكروه، وقد أخرج المصنف في(الأدب المفرد) بسند صحيح عن مجاهد: (أن ابن عمر سمع ابنه عطس فقال: آب. فقال: وما آب؟ إن الشيطان جعلها بين العطسة والحمد)، وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ (أش) بدل (أب). اهـ[1].

---

(1) فتح الباري (14/ 108).

78 ما يقال للكافر إذا عطس فحمِد الله

189- (يَهْدِيكُمُ اللهُ، ويُصْلِحُ بَالَكُمْ)[1].

والحديث بتمامه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول: (**يَهديكم الله ويُصلح بالكم**).

قوله: (كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ) أي: يطلبون العطسة من أنفسهم، ويتعمدونها، ويتكلفونها.

قوله: (يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله) أي: يتمنون بهذا السبب أن يدعوَ لهم النبي ﷺ بالرحمة لتعود عليهم بركة دعائه بها، فإنهم كانوا يعلمون باطنا نبوته ورسالته، وإن أنكروها ظاهرا حسدا وعنادا، وهذا من خبث اليهود حتى في طلب الرحمة أرادوا حصولها لا عن مِنَّة وانقياد.

قوله: فيقول: (**يهديكم الله ويصلح بالكم**) أي ولا يقول لهم يرحمكم الله لأن الرحمة مختصة بالمؤمنين، بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية والتوفيق للإيمان.

فقوله: (**يهديكم الله**) أي يدلكم على الهدى لتهتدوا. وقوله: (**ويصلح بالكم**) أي ما يهتم به من أمر الدِّين وذلك بأن يرشدهم إلى الإسلام ويزينه لهم ويوفقهم له[2].

---

(1) رواه أبو داود برقم (5038)، والترمذي برقم (2739)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) انظر عون المعبود (13/ 378)، تحفة الأحوذي (8/ 11)، دليل الفالحين(6/ 25).



79 الدعاء للمتزوج

190- (بَارَكَ اللهُ لَكَ، وبَارَكَ عَلَيْكَ، وجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ)[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا رفَّأ الإنسان إذا تزوج قال: .... الحديثَ......

قوله: (إذا رفَّأ الإنسان) بفتح الراء وتشديد الفاء، يجوز فيه الهمز وعدمه أي: هنَّأه ودعا له. وكان الناس في الجاهلية يقولون للمتزوج: **(بالرفاء والبنين)** فنهى ﷺ عن ذلك. قال في(النهاية): الرفاء: الالتئام والاتفاق والبركة والنماء، وهو من قولهم: رفأت الثوب رفأ ورفوته رفوا، وإنما نهى عنه كراهية، لأنه كان من عادتهم، ولهذا سن فيه غيره[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكانت الجاهلية يقولون في تهنئتهم بالنكاح: **(بالرفاء والبنين)** والرفاء: الالتحام والاتفاق، أي: تزوجت زواجا يحصل به الاتفاق والالتحام بينكما. و(البنين): فيهنئون بالبنين سلفا وتعجيلا. ولا ينبغي للرجل أن يهنئ بالابن ولا يهنئ بالبنت، بل يهنئ بهما، أو يترك التهنئة بهما، ليتخلص من سنة الجاهلية، فإن كثيرا منهم كانوا يهنئون بالابن وبوفاة البنت دون ولادتها. اهـ[3].

وترجم الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه(باب كيف يُدعى للمتزوِّج) وأورد فيه حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين تزوج وقال له النبي ﷺ: **(بارك الله لك)**. قال الحافظ في (الفتح): قال ابن بطال: إنما أراد بهذا الباب، والله أعلم، رد قول العامة عند العرس بالرفاء والبنين، فكأنه أشار إلى تضعيفه[4].

قوله: **(بارك الله لك)** أي بالخصوص. أي كثر لك الخير في هذا الأمر المحتاج إلى الإمداد. **(وبارك عليك)** بنزول الخير والرحمة والرزق والبركة في الذرية. يقال:

---

(1) رواه أبو داود برقم (2130)، والترمذي برقم (1091)، وابن ماجه برقم (1905)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن، وفي صحيح الجامع برقم (4729).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص366).

(3) تحفة المودود (ص34).

(4) فتح الباري (11/ 505).

بارك الله لك، وفيك، وعليك: جعلك مباركا، ووضع فيك البركة، والبركة: الخير والزيادة، حسية أو معنوية.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وحقيقتها: الثبوت، واللزوم، والاستقرار، فمنه برك البعير، إذا استقر على الأرض، ومنه المبرك لموضع البروك. وقال صاحب الصحاح: وكل شيء ثبت وأقام فقد برك، والبرك: الإبل الكثيرة، والبركة -بكسر الباء- كالحوض، والجمع: البرك، ذكره الجوهري، قال: ويقال: سمّيت بذلك، لإقامة الماء فيها، والبَرَاكَاء: الثبات في الحرب والجد فيها، قال الشاعر:

ولا ينجي من الغمرات إلا ... بَرَاكَاء القتال أو الفرار

والبركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله وبارك فيه، وبارك عليه وبارك له اهـ [1]. فهذا الدعاء يتضمن إعطاءَه مِنَ الخير، وإدامته، وثبوته له، ومضاعفته له، وزيادته، هذا حقيقة البركة.

قوله: (**وجمع بينكما في خير**) أي في طاعة وصحة وعافية وسلامة وملاءمة وحسن معاشرة وتكثير ذرية صالحة، قيل: قال أولا بارك الله لك لأنه المدعو له أصالة، أي بارك لك في هذا الأمر ثم ترقى منه ودعا لهما وعدَّاه(بعلى)بمعنى بارك عليه بالذراري والنسل، لأنه المطلوب مِنَ التزوج وأخر حسن المعاشرة والمرافقة والاستمتاع تنبيها على أن المطلوب الأول هو النسل وهذا تابع له[2].

---

(1) جلاء الأفهام (ص431).

(2) مرقاة المفاتيح (5/ 356).

80 دعاء المتزوِّج وشراء الدابة

191- (**إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوْ إِذَا اشْتَرَى خَادِمًا؛فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وإِذَا اشْتَرَى بَعِيْرًا؛فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**)[1].

والحديث بتمامه بعد جمع الروايات: (إذا تزوَّج أحدكم امرأةً، أوِ اشترى خادما، [فليأخذ بناصيتها] ، [وليسمّ الله عزّ وجلّ]، [وليدع بالبركة]، وليقل: (**اللهم إني أسالك خيرها...**) الحديثَ.....

قوله: (**إذا اشترى خادما**) أي: جارية أو رقيقا وهو يشمل الذَّكَر والأنثى.

قوله: (**فليأخذ بناصيتها**) الناصية: منبت الشعر في مقدم الرأس، كما في(اللسان). (**وليسمِّ الله عزّ وجلّ**) أي: يقول بسم الله. (**وليدع بالبركة**) وهي النماء والزيادة مِنَ الخير.

والمعنى أنه يضع يده على مقدمة رأسها، ويسمِّي الله تبارك وتعالى، ويدعو بالبركة، ويقول:

(**اللهمَّ إني أسالك خيرها**) أي: خير هذه المرأة كحسن المعاشرة، وحفظ الفراش، والأمانة في المال، ورعاية حق الزوج ونحو ذلك. (**وخير ما جبلتها عليه**) أي: خير ما خلقتها عليه مِنَ الأخلاق الحسنة والطباع المرضية والسجايا الكريمة.

قال في(النهاية): (**أسالك من خيرها وخير ما جُبلت عليه**)، أي: خُلقت وطُبعت عليه[2].

قوله: (**وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه**) فيه التعوذ بالله، والالتجاء إليه، بأن يقيه ويسلمه مما فيها من شر في خلقها وتعاملها ومعاشرتها.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن الله خالق الخير والشر، خلافا لمن يقول -من المعتزلة وغيرهم- بأن الشر ليس من خلقه تبارك وتعالى، وليس في

---

(1) رواه أبو داود برقم (2160)، وابن ماجه برقم (1918)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود. وجمع روايات الحديث وخرّجها في آداب الزفاف(ص93)، فليراجعه من شاء.

(2) النهاية في غريب الحديث (ص137).

كون الله خالقا للشر ما ينافي كماله تعالى، بل هو من كماله تبارك وتعالى. وتفصيل ذلك في المطولات، ومن أحسنها كتاب (شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل) لابن القيم، فليراجعه من شاء[1].

قوله: (**فليأخذ بذِروة سنامه**) بكسر الذَّال ويُضم ويُفتح أي: بأعلاه.

قال في (النهاية): وسنام كل شيء أعلاه، وفي شعر حسان:

وأنّ سنام المجد من آل هاشم   بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

أي: أعلى المجد[2].

قال العيني رحمه الله في (العلم الهيب): فإن قلت: ما الحكمة في هذا؟ قلت: أمّا في المرأة والخادم فظاهر، لأن المرأة السيئة منغصة لزوجها، حتى قيل: هي من عذاب النار في الدنيا، وكذلك الخادم السيء، لأنه يخالف مولاه، فيُضرُّ به مولاه، فيقع بينهما عداوة وبغضاء، ويفرح الشيطان بسببه، وأما في البعير فإنه أمر أن يأخذ بذروة سنامه ويدعو بهذا الدعاء، طردا للشيطان، لأن ذروة البعير مجلس للشيطان، لقوله عليه[الصلاة]والسلام: (**على ذروة كل بعير شيطان**)[3]. اهـ[4].

قوله: (**وليقل مثل ذلك**) أي: (**اللهمَّ إني أسالك خيره، وخير ما جبلته عليه...**).

فائدة: هل يشرع هذا الدعاء عند شراء السيارة ونحوها؟

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: فينبغي هذا الدعاء عند شراء الرقيق **والدَّابَّة** وعند التزوُّج جمعا بين الروايات[5].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: وجوابي: نعم ، لما يرجى من خيرها، ويخشى من شرها[6].

---

(1) آداب الزفاف (ص93).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص448).

(3) رواه أحمد برقم (16039)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (4030).

(4) العلم الهيب (ص501).

(5) تحفة الذاكرين (ص236).

(6) آداب الزفاف (ص93).

81 الدعاء قبل إتيان الزوجة

192- (**بِسْمِ اللَّـهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**) [1].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (**أَمَا لو أنَّ أحدهم يقول حين يأتي أهله: باسم الله، اللهم جنِّبني الشيطان، وجنِّبِ الشيطان ما رزقتنا، ثم قُدر بينهما في ذلك أو قُضي ولد لم يضرَّه الشيطان أبدا**).

قوله: (**أَمَا لو أن أحدهم**) وفي رواية جرير عن منصور عند أبي داود وغيره: (**لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله**) وهي مفسّرة لغيرها مِنَ الروايات دالَّة على أنّ القول قبل الشروع، أفاده الحافظ في (الفتح).

قوله: (**يأتي**) أي: يجامع. (**أهله**) أي امرأته أو جاريته.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (**يأتي**) يعني يجامع ولكن اللغة العربية -لحسن أسلوبها- تكنّي عما يستحيا من ذكره، لما يدل عليه فَبَدَل من أن يقول: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يجامع) قال: (**أن يأتي أهله**) وليس المراد أن يأتي إلى البيت بل يأتي أهله في الجماع، ولهذا يكني الله عنِ الجماع باللمس أو الملامسة. وقوله: (**أهله**) أي: زوجه وسميت الزوجة أهلا، لأن الإنسان يأهلها ويأوي إليها ويسكن إليها[2].

قوله: (**باسم الله**) أي مستعينا به وبذكر اسمه. والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف متأخر مناسب للمقام وعليه يكون التقدير: باسم الله آتي أهلي. وقد ذكرنا هذا في غير ما موضع.

قوله: (**اللهم جنبنا الشيطان**) أي: أبعده عنَّا. (**وجنب الشيطان ما رزقتنا**) أي: أبعده عمَّا رزقتنا. قوله: (**ثم قدر بينهما في ذلك أو قضي ولد لم يضرَّه الشيطان أبدا**) قال الإمام القرطبي رحمه الله(في المفهم): قيل: معنى: لم يضره: لم يصرعه الشيطان. وقيل: لا يطعن الشيطان فيه عند ولادته، ويطعن في خاصرة من لا يقال له ذلك. قال القاضي: ولم يحمله أحد على العموم في جميع الضرر، والإغواء، والوسوسة.

---

(1) رواه البخاري برقم (5165)، ومسلم برقم (1434).

(2) شرح بلوغ المرام (4/ 556).

قلت: أما قصره على الصرع وحده فليس بشيء، لأنه تحكُّم بغير دليل مع صلاحية اللفظ له ولغيره. وأما القول الثاني ففاسد بدليل قوله ﷺ: (**كل مولود يطعن الشيطان في خاصرته إلا ابن مريم، فإنه جاء يريد أن يطعنه فطعن في الحجاب**) هذا يدل: على أن الناجي من هذا الطعن إنما هو عيسى وحده عليه السلام، وذلك لخصوص دعوة أم مريم، حيث قالت: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: 36]. ثم إن طعنه ليس بضرر، ألا ترى أنه قد طعن كثيرا من الأولياء والأنبياء، ولم يضرَّهم ذلك.

ومقصود هذا الحديث والله تعالى أعلم: أن الولد الذي يقال له ذلك يحفظ من إضلال الشيطان وإغوائه، ولا يكون للشيطان عليه سلطان لأنه يكون من جملة العباد المحفوظين، المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: 65]. وذلك ببركة نية الأبوين الصالحَين، وبركة اسم الله تعالى، والتعوُّذ به، والالتجاء إليه. وكأنَّ هذا شوب من قول أم مريم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ولا يفهم من هذا نفي وسوسته، وتشعيثه وصرعه. فقد يكون كل ذلك، ويحفظ الله تعالى ذلك الولد من ضرره في: قلبه، ودينه، وعاقبة أمره. والله تعالى اعلم. اهـ[1].

وقال الحافظ في(الفتح): واختلف في الضرر المنفي بعد الاتفاق على ما نقل عياض على عدم الحمل على العموم في أنواع الضرر، ... ثم اختلفوا **فقيل**: المعنى لم يسلط عليه من أجل بركة التسمية. **وقيل**: المراد لم يطعن في بطنه، وهو بعيد لمنابذته ظاهر الحديث المتقدم، **وقيل**: المراد لم يصرعه. **وقيل**: لم يضرَّه في بدنه.

وقال ابن دقيق العيد: يحتمل أن لا يضرَّه في دينه أيضا، ولكن يبعده انتفاء العصمة.

وقال الداودي: معنى: (**لم يضرَّه**) أي لم يفتنه عن دينه إلى الكفر، وليس المراد عصمته منه عن المعصية. **وقيل**: لم يضره بمشاركة أبيه في جماع أمه كما جاء عن مجاهد: (إن الذي يجامع ولا يسمِّي يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه) ولعل هذا **أقرب** الأجوبة، ويتأيد الحمل على الأول بأن الكثير ممن يعرف هذا الفضل

---

(1) المفهم (4/ 159).

العظيم يذهل عنه عند إرادة المواقعة، والقليل الذي قد يستحضره ويفعله لا يقع معه الحمل، فإذا كان ذلك نادرا لم يبعد.

وفي الحديث من الفوائد:

استحباب التسمية والدعاء والمحافظة على ذلك، حتى في حالة الملاذ كالوقاع.

وفيه: الاعتصام بذكر الله ودعائه مِنَ الشيطان، والتبرك باسمه والاستعاذة به من جميع الأسواء.

وفيه: الاستشعار بأنه الميسر لذلك العمل والمعين عليه.

وفيه: إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله. اهـ[1].

وقيل: الحكمة في ذلك أن الشيطان له مشاركة في الأموال والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: 64]، فإذا دعا المسلم بهذه الدعوة سَلِمَ من هذه المشاركة ووُقِيَ مِن شرِّه، والله أعلم، أفاده في (فقه الأدعية).

(1) فتح الباري باختصار (11/ 516-517).



82 دعاء الغضب

193 - (أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[1].

والحديث بتمامه عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ، فجعل أحدهما تحمرُّ عيناه وتنتفخ أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: **(إنِّي لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد: أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم)** فقال الرجل: وهل ترى بي من جنون؟ .

قوله: (استبَّ) أي: تشاتَمَا. قال في (النهاية): السبُّ: الشَّتم. يقال: سبّه يسبّه سبّا وسبابا. اهـ[2].

قوله:(**تحمرُّ عيناه**) وفي رواية: (وجهه) أي:من شدّة الغضب،لأن الغضب جمرة في قلب ابن آدم. والغضب:كيفية نفسانية وهو بديهي التصور.وهو غليانُ دم القلب طلبا لدفع المؤذي عند خشية وقوعه،أو طلبا للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما الغضب فهو غول[3] العقل، يغتاله كما يغتال الذئب الشاة، وأعظم ما يفترسه الشيطان عند غضبه وشهوته[4].

قوله: (أوداجه) قال في(النهاية): هي ما أحاط بالعنق منَ العروق التي يقطعها الذابح، واحدها: ودج -بالتحريك- . وقيل الودجان: عرقان غليظان عن جانبي ثغرة النحر[5].

قوله: (**أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم**) الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه، إلى ربه ومالكه، واعتصم به واستجار، والتجأ إليه.

قال في(المرقاة): يعني اللهمَّ احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله فإنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة[6].

(1) رواه البخاري برقم (6048)، ومسلم (2610).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص412).

(3) الغول: كل ما اغتال الإنسان فأهلكه، والغضب غول الحلم لأنه يغتاله ويذهب به.(مختار الصحاح) (510).

(4) التبيان في أيمان القرآن (ص630).

(5) النهاية في غريب الحديث(ص964)، وقد تقدم.

(6) مرقاة المفاتيح (2/ 425).

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه أن الغضب في غير الله تعالى مِن نزغ الشيطان وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول: أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم وأنه سبب لزوال الغضب. وأما قول هذا الرجل الذي اشتدَّ غضبه: (وهل ترى بي من جنون؟) فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة وتوهم أن الإستعاذة مختصة بالمجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عنِ اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الحقد والبغض وغير ذلك مِنَ القبائح المترتبة على الغضب، ولهذا قال النبي ﷺ للذي قال له أوصني: لا تغضب فردَّد مرارا قال: لا تغضب فلم يزده في الوصية على: لا تغضب، مع تكراره الطلب، وهذا دليل ظاهر في عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه، ويحتمل أن هذا القائل: هل ترى بي من جنون؟ كان مِنَ المنافقين أو من جفاة الأعراب، والله أعلم. اهـ[1].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن الغضب متسبب عن عمل الشيطان، ولهذا كانت الاستعاذة مذهبة للغضب، فمن غضب في غير حق ولا موعظة صدق فليعلم أن الشيطان هو الذي يتلاعب به، وأنه مسه طائف منه، وفي هذا ما يزجر عنِ الغضب لكل من يودُّ أن لا يكون في يد الشيطان يصرفه كيف يشاء[2].

فائدة: من الأسباب التي تدفع الغضب وتسكنه أيضا:

-**تغيير الحال (الجلوس أو الاضطجاع)**: عن أبي ذر رضي الله عنه،أن النبي ﷺ قال: **(إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع)**[3].

- **السكوت**: عن ابن عباس رضي الله عنهما،عن النبي ﷺ قال: **(إذا غضب أحدكم، فليسكت)**[4].

- **الوضوء**: عن عطية السعدي رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: **(إذا غضب أحدكم فليتوضأ)**[5].لكن للأمانة العلمية فإن الحديث ضعيف والله أعلم وبالله التوفيق.

---

(1) شرح مسلم (16/ 174-175).

(2) تحفة الذاكرين (ص268).

(3) رواه أحمد برقم (21348)، وأبو داود برقم (4782)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(4) رواه أحمد برقم (2136)، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (1375).

(5) رواه أحمد برقم(17985)، وأبو داود برقم (4784)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود، وضعيف الجامع برقم (1510)، والضعيفة برقم(582).

83 دعاء مَن رأى مبتلًى

194- (**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا**)[1].

وجاء فيه قوله ﷺ: (**من رأى مبتلًى فقال: الحمد لله الذي عافاني... لم يصبه ذلك البلاء**). وفي رواية: (**إلَّا عوفي مِن ذلك البلاء كائنا ما كان ما عاش**).

قوله: (**مَن رأى مبتلًى**) أي: صاحب بلاء في أمر بدني كبرص وقصر فاحش أو طول مفرط أو عمًى أو عرج...، أو ديني بنحو فسق وظلم وبدعة وكفر وغيرها.

قوله: (**الحمد لله الذي عافاني ممَّا ابتلاك به**) فإن العافية أوسع مِنَ البلية لأنها مظنة الجزع والفتنة وحينئذ تكون محنة أي محنة، والمؤمن القوي أحب إلى الله مِنَ المؤمن الضعيف كما ورد.

قال ابن علان رحمه الله: استشكل عد العافية مِنَ البلاء فضلا مع ما أعده الله للمبتلين ممَّا إذا شاهده المعافون تمنوا أن لو كانوا ابتُلُوا ليحصل لهم مثل ذلك كما ورد ويجاب: بأن البلاء مظنة الجزع وعدم الصبر، وحينئذ يكون محنة أي محنة وفتنة فالسلامة منه بالنظر إلى هذا فضيلة، ولذا أمر ﷺ بسؤال العافية وقال: (**لا تتمنوا لقاء العدوِّ فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ولكن سلوا الله العافية...**)[2]. اهـ[3].

قال بعض السلف: لَأن أُعافى فأَشكر أحبّ إلي من أن أُبتلى فأَصبر.

قوله: (**وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلا**) أي في الدين والدنيا والقلب والقالب إلا عوفي من ذلك البلاء ولم يصبه. وجاء في رواية: (**إلا عوفي من ذلك البلاء كائنا من كان ما عاش**).

قوله: (**كائنا من كان**) أي حال كون ذلك البلاء أي بلاء كان. (**ما عاش**) أي مدة بقائه في الدنيا[4].

---

(1) رواه الترمذي برقم (3432)، وابن ماجه برقم (3892)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي والصحيحة برقم (2737).

(2) رواه البخاري برقم (3026)، ومسلم برقم (1742).

(3) الفتوحات الربانية (6/ 187).

(4) تحفة الأحوذي (9/ 390).

فائدتان وتنبيهان:

01-قال الإمام الترمذي رحمه الله عقب الحديث: وقد روي عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ أنه قال: إذا رأى صاحب بلاء يتعوَّذ، يقول ذلك في نفسه ولا يُسمع صاحب البلاء. اهـ[1].

وقال الإمام السندي رحمه الله: قوله: **(مما ابتلاك)** ينبغي أن يخفيَ به صوتَه لئلا ينكسر به خاطر المبتلي، أفاده في (حاشيته على سنن ابن ماجة). وذكره كذلك الإمام النووي رحمه الله في (الأذكار) والشوكاني رحمه الله في (تحفة الذاكرين).

02-احذر أخي المسلم -رحمك الله- مِنَ الشماتة بأهل البلاء، فقد جاء في حديث في إسناده ضعف رواه الترمذي عن واثلةَ بنِ الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك)**[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ولو سخرتُ مِن كلب لخشيت أن أُحوَّل كلبا[3].

ويقول إبراهيم النخعي رحمه الله: إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلَّم فيه إلا مخافة أن أُبتلَى بمثله. فالواجب على العبد إذا رأى مبتلًى أن يسأل ربَّه العافية، وأن يحمده حيث عافاه.

---

(1) الجامع (ص780).

(2) رواه الترمذي برقم(2506)، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم(5426).

(3) أخرجه ابن أبي شيبة (8/ 790)، وذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد (ص419).

84 ما يقال في المجلس

195 -عَنِ ابْنِ عُمَرَ [رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا] قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الوَاحِدِ مِئَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ**)[1].

قوله: (كان يُعَدُّ) وفي رواية: (كنَّا نَعُدُّ) أي: معشر الصحابة. وفيه حرصهم رضوان الله عليهم على رصد كل أقوال النبي ﷺ وأفعاله ليقتدوا بها.

قوله: (**التواب**) اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي يوفِّق عبادَه للتوبة، ويقبلها منهم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومنها تعريفه عباده كرمه سبحانه في قبول توبته ومغفرته له على ظلمه وإساءته، فهو الذي جاد عليه بأن وفَّقه للتوبة، وألهمه إياها، ثم قبِلها منه فتاب عليه أولا وآخرا[2]. وقال في (النونية):

وكذلك التواب من أوصافه ... والتواب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها ... بعد المتاب بمنّة المنان

قوله: (**الغفور**) اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، قاله في (النهاية) وقد تقدم في الحديث رقم (112) والله الموفِّق.

قال العلماء: مِن أدب الدعاء أن يختم الداعي دعاءه بما يناسبه مِن أسماء الله تعالى، وقوله: (**التواب الغفور**) يناسب الدعاء بالمغفرة والتوبة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد قرّرنا في مواضعَ متعددةٍ أن الله سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى، فيسأل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه. كما تقول: (اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)، ولا يحسن: (إنك أنت السميع البصير). وقال أيضا: بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب، فيكون السائل

---

(1) رواه الترمذي برقم (3434)، وابن ماجه برقم (3814)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي، والصحيحة برقم (556).

(2) مفتاح دار السعادة (2/ 273).

متوسلا إليه بذلك الإسم. ومَن تأمل أدعية الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم صلوات الله وسلامه عليهم وجدها مطابقةً لهذا[1].

وقال أيضا: وكان ﷺ أكمل الخلق استغفارا وكانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: (**ربِّ اغفر لي وتب علي إنك أنت الغفور الغفور**)[2].

---

(1) بدائع الفوائد (ص281-289-709).

(2) مختصر الصواعق (ص614).



85 كفَّارة المجلس

196- (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ**)[1].

وجاء فيه قوله عليه الصلاة والسلام: (**مَن جلس في مجلسٍ، فكثُر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك... ، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك**).

قوله: (**فكثُر**) بضم الثاء. (**لغطه**) قال في (النهاية): اللَّغط صوت وضجَّة لا يُفهم معناها[2].

وقال في (التُّحفة): قال الطِّيبي: اللغط بالتحريك الصوت، والمراد به الهزء منَ القول وما لا طائل تحته، فكأنه مجرد الصوت العري عنِ المعنى[3].

قوله: (**فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك**) فيه أن الدعاء يقال في نهاية المجلس.

قوله: (**سبحانك اللهم**) أي: أسبحك تسبيحا، بمعنى: أنزِّهك تنزيها من كل النقائص ومما لا يليق بجلالك وعظمتك. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به[4].

قوله: (**وبحمدك**) قال الحافظ في(الفتح)قوله: (**وبحمده**) قيل: الواو للحال والتقدير: أسبح الله متلبسا بحمدي له من أجل توفيقه، وقيل: عاطفة والتقدير: أسبح الله وأتلبس بحمده، ويحتمل أن يكون الحمد مضافا للفاعل، والمراد منَ الحمد لازمه، أو ما يوجب الحمد منَ التوفيق ونحوه، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف متقدم والتقدير: وأثني عليه بحمده فيكون (**سبحان الله**) جملة مستقلة و(**بحمده**) جملة أخرى، وقال الخطابي في حديث: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**) أي بقوتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدك سبَّحتك لا بحَولي وقوتي[5].

---

(1) رواه أبو داود برقم (4859)، والترمذي برقم (3433)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) النهاية في غريب الحديث (ص837).

(3) تحفة الأحوذي (9/ 392).

(4) حادي الأرواح (ص844).

(5) فتح الباري (17/ 632).

وقال الإمام النووي رحمه الله: قوله: (**وبحمدك**) أي: وبحمدك سبَّحتك، ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبَّحتك، لا بحولي وقوتي، ففيه: شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى، وأن كل الأفعال له، والله أعلم[1].

قوله: (**أستغفرك**) أي: أطلب مغفرتك. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الاستغفار هو محوُ الذَّنب وإزالة أثره، ووقاية شره.

قوله: (**أتوب إليك**) أي: أرجع إليك. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما عند اقتران إحدى اللفظتَين بالأخرى. فالاستغفار: طلب وقاية شرِّ ما مضى. والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله[2].

وجاء في آخر الحديث في فضل مَن قال هذا الذِّكر عند نهاية المجلس: (**إلَّا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك**). أي: منَ اللغط.

فائدة: فسّر بعضُ السلف قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: 48]، بما دلَّ عليه هذا الحديث. قال الإمام البغوي رحمه الله: قال [عوف بن مالك وابن مسعود] وسعيد بن جبير وعطاء[وسفيان الثوري]: أي: قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيرا ازددت فيه إحسانا، وإن كان غير ذلك كان كفَّارة له[3].

ملحوظة: تقدم شرح ألفاظ هذا الحديث في باب الذكر بعد الفراغ منَ الوضوء، الحديث رقم (15). وإنما أعدته هنا للفائدة، والله ولي التوفيق.

---

(1) شرح مسلم (4/ 222).

(2) مدارج السالكين (1/ 334-335).

(3) معالم التنزيل (7/ 394)، تفسير القرطبي (19/ 542)، زاد المسير (8/ 60).

86 الدعاء لمن قال: غفر الله لك

197 - (**وَلَكَ**)[1].

والحديث بتمامه عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ، وأكلت من طعامه، قلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال: (**ولك**). قال: قلت لعبد الله: أستغفر لك؟ قال: نعم، ولكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ١٩﴾ [محمد: 19]. قوله: قلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال: (**ولك**) دعا له النبي ﷺ بهذه الدعوة العظيمة: بالمغفرة.

قوله: (قال: قلت لعبد الله: أستغفر لك؟) يعني: فزت بهذا الأمر العظيم والربح الكبير، حيث استغفر لك رسول الله ﷺ.

وهذا يدلُّ على عظم شأن هذه الدعوة في قلوب أصحاب النبي ﷺ وفرحهم بها وهو -عليه الصلاة والسلام- إنما يستغفر في حياته، أما بعد مماته فلا يستغفر لأحد كما يدل لذلك ما جاء في (صحيح البخاري) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: (**ذلك لو كان وأنا حيٌّ، فأستغفر لك**)[2].

وهذا دليل واضح أنه ﷺ إنما يستغفر للناس في حياته، وهو معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ٦٤﴾ [النساء: 64]. أي: في حياته. أما تنزيل الآية على ما بعد وفاته، فهو خطأ في الفهم وتعدٍّ في معرفة مدلول الآية، ولهذا قالوا له: (أستغفر لك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم) استغفر لي، ولو كان هذا الأمر يطلب منه بعد وفاته لطلبه هؤلاء القوم لأنفسهم، لكنهم يعلمون أن هذه الفرصة إنما كانت ممكنة وقت حياة النبي ﷺ. وقوله: (ولكم)، أي أنه ﷺ استغفر لكم، مستشهدا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، والنبي ﷺ قام بذلك فاستغفر للمؤمنين والمؤمنات. اهـ[3].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث مشروعية أن يقول الرجل لمن قال له: غفر الله لك: ولك[4].

---

(1) رواه النسائي برقم (421)، وابن السني برقم (359)، كلاهما في العمل وهو صحيح، وروى نحوه مسلم أيضا برقم (2346).

(2) رواه البخاري برقم (7217).

(3) شرح شمائل الترمذي (ص60-61).

(4) تحفة الذاكرين (ص247)



87 الدعاء لمن صنع إليك معروفا

198- (**جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا**)[1].

والحديث بتمامه هو قوله ﷺ: (**من صُنِع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء**).

قوله: (**من صُنِع**) بصيغة المجهول. (**إليه معروف**) المعروف هنا مطلق، والمعروف ما عرف بأنه إحسان سواء بذل مال أو عمل بالبدن أو غيره فكل ما فيه نفع فهو معروف. (**جزاك الله خيرا**) أي: خير الجزاء، أو أعطاك خيرا من خيري الدنيا والآخرة. (**فقد أبلغ في الثناء**) أي: بالغ في أداء شكره، وذلك أنه اعترف بالتقصير، وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه ففوَّض جزاءَه إلى الله ليجزيه الجزاء الأوفى. قال بعضهم: إذا قصرت يداك بالمكافأة، فليطل لسانك بالشكر والدعاء[2].

وقال في (فيض القدير): (**جزاك الله خيرا**) أي قضى لك خيرا وأثابك عليه يعني: أطلب من الله أن يفعل ذلك بك. (**فقد أبلغ في الثناء**) أي بالغ فيه وبذل جهده في مكافأته عليه بذكره بالجميل وطلبه له منَ الله تعالى الأجر الجزيل، فإن ضمَّ لذلك معروفا من جنس المفعول معه كان أكمل هذا ما يقتضيه هذا الخبر، لكن يأتي في آخر[3] ما يصرح بأن الاكتفاء بالدعاء إنما هو عند العجز عن مكافأته بمثل ما فعل معه منَ المعروف[4].

---

(1) رواه الترمذي برقم (2035)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (6244).

(2) تحفة الأحوذي (6/ 185).

(3) وهو ما رواه أبو داود برقم (5109)، وصححه الشيخ الألباني وفيه: (**ومن آتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**).

(4) فيض القدير (1/ 410).

88 ما يعصم الله به منَ الدَّجّال

199 - (**مَنْ حَفِظَ عَشْر آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**)[1].

وجاء في رواية: (**من آخر سورة الكهف**).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: واختلف فيه، فقال بعض الرواة: من أول سورة الكهف، وقال بعضهم: من آخرها، وكلاهما في الصحيح لكن الترجيح لمن قال من أول سورة الكهف لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال: (**فإذا رأيتموه فاقرؤوا عليه فواتح سورة الكهف**) ولم يختلف في ذلك، وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث، ومن روى: من آخرها لم يحفظه[2].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: هذه الرواية شاذة، والمحفوظ الرواية الأولى كما حققته في سلسلة الأحاديث الصحيحة(582)، ويشهد لها حديث النواس بن سمعان فإن فيه: (**فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**). اهـ[3].

قلت: وقد أشار الإمام مسلم رحمه الله إلى ترجيح رواية: (**من أول سورة الكهف**) بقوله: (وقال همام: (**من أول الكهف**)، كما قال هشام). على رواية شعبة: (**من آخر سورة الكهف**). والله أعلم.

وقال الإمام أبو داود في (سننه): الرواية الأولى أصح، وروايتها أكثر، ويشهد لها حديث النواس المتقدم[4].

ولمزيد من التحقيق في المسالة انظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة) أيضا حديث رقم(2651) والله الموفِّق.

قوله: (**من حفظ**) أي: حفظ الآيات وقرأها في وجهه كما يبينه حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه السالف الذكر: (**فليقرأ عليه**). فلا يكفي الحفظ فقط بل لا بد من قراءتها في وجهه. والله تعالى أعلم.

---

(1) رواه مسلم برقم (809).

(2) جلاء الأفهام (ص462).

(3) تحقيق رياض الصالحين (ص393).

(4) سنن أبي داود (ص773).

قوله: (**عُصِم**): مبني لما لم يُسمَّ فاعله، أي: أَمِن ووُقي وحُفِظ.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: قد جاء في حديث آخر بيانُ المرادِ مِنَ الحفظ والعصمة المذكورين في هذا الحديث، وهو قوله ﷺ: (**فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنها جِواركم من فتنته**). أخرجه أبو داود(4321)بسند صحيح، وأصله عند مسلم (8/ 197)دون قوله: (**فإنها..**). اهـ[1].

قوله: (**فواتح سورة الكهف**) أي: أوائلها. وقوله: (**فإنها جِواركم**) بكسر الجيم أي: أمانكم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في(المفهم): قوله ﷺ: (**من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصِم منَ الدَّجَّال**) وفي الرواية الأخرى: (**مِن آخر الكهف**) واختلف المتأولون في سبب ذلك، **فقيل**: لما في قصة أصحاب الكهف مِنَ العجائب والآيات، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يَهُلْه ذلك، فلا يفتتن به. **وقيل**: لما في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ ١٠٢﴾ [الكهف: 102] إلى آخر السورة مِنَ المعاني المناسبة لحال الدجّال، وهذا على رواية من روى: من آخر الكهف. و**قيل**: لقوله تعالى: ﴿قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ ٢﴾ [الكهف: 02]. تمسُّكا بتخصيص البأس بالشدة واللدنية، وهو مناسب لما يكون مِنَ الدجّال مِن دعوى الإلهية، واستيلائه، وعظيم فتنته، ولذلك عظّم النبي ﷺ أمره، وحذّر منه، وتعوّذ من فتنته، فيكون **معنى هذا الحديث**:

أنّ من **قرأ** هذه الآيات، **وتدبَّرها** ووقف على **معناها**، حَذِرَهُ، فَأَمِن مِن ذلك. **وقيل**: هذا من خصائص هذه السورة كلها. فقد روي: (من حفظ سورة الكهف، ثم أدرك الدَّجال، لم يسلّط عليه)[2]. وعلى هذا تجتمع رواية من روى: (**من أول سورة الكهف**)، ورواية من روى: (**من آخرها**) ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها. **وقيل**: إنما كان ذلك لقوله: ﴿قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ ٢﴾ [الكهف: 02]، فإنه يهوّن بأس الدجّال. وقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢﴾ [الكهف: 02]، فإنه يهوّن الصبر على فتن الدجّال، بما يظهر مِن جنّته وناره، وتنعيمه وتعذيبه. ثمّ ذمّه تعالى لمنِ اعتقد الولد، يفهم منه: أنّ مَنِ

---

(1) السلسلة الصحيحة (2/ 125).

(2) انظر سنن النسائي الكبرى(10724).

ادّعى الإلهية أولى بالذّم، وهو الدجّال. ثمّ قصة أصحاب الكهف فيها عبرة تناسب العصمة منَ الفتن، وذلك أنّ الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ١٠﴾ [الكهف: 10] فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا، وسألوا إصلاح أحوالهم، فأصلحت لهم، وهذا تعليم لكل مدعوٍّ إلى الشرك، ومَن روى: مِن آخر الكهف، فلما في قوله تعالى: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾ [الكهف: 100] فإن فيه ما يهوّن ما يظهره الدَّجال من ناره. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي ١٠١﴾ [الكهف: 101]، تنبيه على أحوال تابعي الدجال، إذ قد عموا عن ظهور الآيات التي تكذّبه، والله أعلم[1].

وقال المناوي -رحمه الله- في (فيض القدير) مبيِّنا سبب العصمة: وذلك لما في قصة أهل الكهف منَ العجائب، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال فلا يُفتن، أو لأن من تدبر هذه الآيات، وتأمل معناها حذِره، فأمِن منه، أو هذه خصوصية أُودِعت في السورة. اهـ[2].

قوله: (**منَ الدجّال**) أي: المسيح الدجّال. والدجّال: الخدّاع الملبِّس الأمور على الناس، وأصل الدَّجل الخلط، يقال: دجّل إذا لبّس وموّه. ومنه الحديث: (**يكون في آخر الزمان دجّالون**) [رواه مسلم] أي: كذّابون مموِّهون، وقد تكرر ذكر الدجّال في الحديث، وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدّعي الألوهية، وفعّال من أبنية المبالغة، أي: يكثر منه الكذب والتلبيس[3].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: واعلم أن الأحاديث في خروج الدجال في آخر الزمان كثيرة جدا، بل هي متواترة، لا يمكن لمطَّلع عاقل إنكارها، كلا، ولا تأويل معانيها، بل تعطيلها، لأن مجموع هذه الأحاديث تقطع بمجيئه. وإنَّه رجل شابٌّ قطط، شبّهه ﷺ بعبد العزّى بن قطن، وأنه أعور العين مكتوب بين عينيه: (كافر)، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب، وهو يخرج بين الشام والعراق، تَبَعُهُ من يهود أصفهان سبعون ألفا، عليهم الطيالسة، لبثه في الأرض أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا، سرعته في الأرض كالغيث استدبرته الريح،

---

(1) المفهم (2/ 439-440).

(2) فيض القدير (6/ 118).

(3) النهاية في غريب الحديث (298)، وقد تقدم.

وليس من بلد إلا سيطؤه، إلا مكة والمدينة، يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، يجيء ومعه مثل الجنة والنار، وذلك في رأي العين، ويأخذ رجلا فينشره بالمنشار، ثم يحييه، ثم يأخذه ليذبحه، فلا يستطيع إليه سبيلا، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة. ثم يبعث الله تعالى المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيطلب الدجَّال حتى يُدرِكَه بـ: (باب لد)، فيقتله.

كل هذه الأخبار صحيحة ثابتة في(صحيح البخاري) و(مسلم)، وهي من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ۝٣﴾. اهـ[1].

- (**والاسْتِعَاذَةُ باللـهِ مِنْ فِتْنَتِهِ، عَقِبَ التَّشَهُّدِ الأخيرِ، مِنْ كُلِّ صَلاةٍ**).

لقوله ﷺ: (**إذا تشهَّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدَّجَّال**)[2].

وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: (**اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إنِّي أعوذ بك مِنَ المأثم والمغرم**)[3].

وقد تقدم شرحها برقم (55)، (56).

قلت: ومنَ الأسباب التي تعصم منَ الدَّجَّال أيضا:

-أن يبتعد عنه، ولا يتعرَّض له، إلَّا إنْ كان يعلم من نفسه أنه لن يضرَّه، لثقته بربه، ومعرفته بعلاماته التي وصفه النبي ﷺ بها، لقوله عليه الصلاة والسلام: (**من سمع بالدَّجَّال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، مما يبعث به منَ الشبهات**). أخرجه أحمد[4]. وغيره عن عمران بن حصين.

(1) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (ص1004)، وقد تقدم.

(2) رواه البخاري برقم (1377)، ومسلم برقم (588).

(3) رواه البخاري برقم (832)، ومسلم برقم (589).

(4) برقم (19875) وهو صحيح، انظر صحيح الجامع (6301).

-أن يسكن مكة والمدينة، فإنهما حرمان آمنان منه لقوله ﷺ: (**يجيء الدجال فيطأ الأرض إلَّا مكة والمدينة، فيأتي المدينة، فيجد بكل نقب من نقابها صفوفا منَ الملائكة**). أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه. ومثلهما المسجد الأقصى والطور.

واعلم أن هذه البلاد المقدَّسة إنما جعلها الله عصمةً مِنَ الدجَّال لمن سكنها وهو مؤمن ملتزم بما يجب عليه مِنَ الحقوق والواجبات تجاه ربه، وإلا فمجرد استيطانها -وهو بعيد في حياته عن التأدب بآداب المؤمن فيها- فمما لا يجعله في عصمة منه، ذلك أن الدجال -عليه لعائن الله- حين يأتي المدينة النبوية وتمنعه الملائكة من دخولها، ترجف بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه. فهؤلاء المنافقون والمنافقات -وقد يكون نفاقهم عمليّا- لم يعصمهم مِنَ الدجال، سكنهم في المدينة النبوية، بل خرجوا إليه وصاروا من أتباعه، كاليهود! وعلى العكس من ذلك فمن كان فيها منَ المؤمنين الصادقين في إيمانهم، فهم مع كونهم في عصمة من فتنته، فقد يخرج إليه بعضهم متحدِّيا وينادي في وجهه: هذا هو الدجَّال الذي كان رسول الله ﷺ يحدثنا حديثه، فالعبرة إذن بالإيمان والعمل الصالح، فذلك هو السبب الأكبر في النجاة، وأما السكن في دار الهجرة وغيرها فهو سبب ثانوي، فمن لم يأخذ بالسبب الأكبر لم يفده تمسكه بالسبب الأصغر، وقد أشار إلى هذا النبي ﷺ بقوله للذي سأله عنِ الهجرة: (**ويحك، إن شأن الهجرة لشديد فهل لك من إبل؟**) قال: نعم. قال: (**فهل تؤتي صدقتها؟**). قال: نعم. قال: (**فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يترك من عملك شيئا**). أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد.

وما أحسن ما روى الإمام مالك في الموطإ(2/ 235) عن يحيى بن سعيد: (أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة. (يعني الشام). فكتب إليه سلمان: **إن الأرض لا تقدس أحدا، وإنما يقدس الإنسان عمله**)[1]....

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: والدجَّال رجل كافر يُبعث في آخر الزمان يدَّعِي النبوة أولا يعني أنه نبي ثم يدَّعي أنه إله -والعياذ بالله- وفتنته أعظم فتنة كانت على الأرض منذ خُلق آدم إلى قيام الساعة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ وقال: (**إن**

(1) قصة المسيح الدجال(ص33-35).
وهي رسالة فريدة من نوعها ألفها الشيخ الإمام، حسنة الأيام، محدث العصر، وفقيه والزمان، محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم) [1].

وقد حذّر النبي ﷺ من فتنته وما مِن نبيٍّ مِنَ الأنبياء إلَّا أنذر قومه حتى يستعدَّ بنو آدم لهذه الفتنة العظيمة، وإلَّا فمن المعلوم أنه لن يأتي إلَّا في آخر الزمان، لكن لأجل التنبيه لعظم فتنته وأنها كبيرة عظيمة، لا ينجو منها إلَّا مَن أنجاه الله-عز وجل-هذا الدجال يجعل الله على يديه آيات خوارق فتنةً للناس:

منها أنه يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، فيأتي إلى القوم ممحلين ليس في أرضهم رعي، ومواشيهم ضعاف عجَاف فيدعوهم ويمنِّيهم، فيتبعونه فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ثم تروح عليهم مواشيهم وهي أوفر وأغزر ما تكون لبنا وما تكون لحما، ثم يأتي إلى آخرين فيدعوهم، ولكنهم ينكرونه فيصبحون ممحلين ليس في أرضهم نبات، هل تجدون أعظم من هذه الفتنة؟ !لا سيما في البادية، فيتبعه أناس كثيرون، فمن تبعه أدخله جنته، ومن أنكره أدخله ناره وهي جنة فيما يبدو للناس لكنها نار-والعياذ بالله- وناره نار فيما يبدو للناس لكنها جنة وماء عذب، ولكن الناس ليس لهم إلا الظاهر، إلا أن الله سبحانه وتعالى بين لنا آياته:

أنه كاذب يعني -هذا الدجال- بما أخبرنا به ﷺ من أن هذا الرجل مكتوب بين عينيه كفر(كاف-فاء-راء)يقرأها كل مؤمن حتى الذي لا يستطيع القراءة، ويعمى عنه كل منافق فلا يرى هذا المكتوب بين عينيه، لأنه قد أضل -والعياذ بالله- كما أن الإنسان في القبر إذا كان مؤمنا أجاب بالصواب وقال: ربِّي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وإذا كان منافقا -ولو كان قارئا- لم يجب-والعياذ بالله-.

وأعطانا نبينا ﷺ آية أيضا بينة وهي أنه أعور ليس له إلا عين واحدة وربنا جلَّ وعلا ليس بأعور، منزَّه عن كل عيب ونقص، فمن وُفِّق سلم من فتنته ونجا، يبقى في الأرض هذا الدجال الخبيث، أربعين يوما أول يوم كسنة-يعني اثنا عشر شهرا-انظر سبحان الله، الآن الشمس تدور بـ: 24 ساعة حول الأرض، لكن أول يوم من أيام الدجال لا تدور إلا باثني عشر شهرا، أي سنة كاملة، واليوم الثاني

---

(1) رواه مسلم برقم (2937).

كشهر - ثلاثون يوما- والثالث كالأسبوع -سبعة أيام-وبقية الأيام كأيامنا، يبقى هذه المدة ثم ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتل هذا الدجالَ، المسيحُ الصادق النبي الطاهر يقتل هذا المسيحَ الخبيث الدجَّالَ.

ومن أجل عظم فتنته أمرنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله منه في كل صلاة فقال: **(إذا تشهَّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)**. اهـ[1].

فائدة:

أخرج الترمذي في جامعه برقم (2886) هذا الحديث بلفظ: **(من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عُصِم من فتنة الدجال)**.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: شاذ. اهـ. قلت: والتحقيق في الضعيفة برقم (1336). وبالله التوفيق.

---

(1) شرح رياض الصالحين (4/ 700-703).

89 الدُّعاء لمن قال: إنِّي أحبُّك في اللّه

200- (**أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ**)[1].

والحديث بتمامه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمرَّ به رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأحبُّ هذا، فقال له النبي ﷺ: (**أَعْلَمْتَه؟**) قال: لا، قال: (**أعْلِمه**) قال: فلحقه فقال: إني أحبُّك في الله، فقال: (**أحبَّك الذي أحببتني له**).

قوله: (**أعْلِمْه**) فيه استحباب إعلام الرجل من يحبه أنه يحبه. وقد ورد ذلك في بعض النصوص كقوله ﷺ: (**إذا أحبَّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبُّه**)[2].

قوله: (أحبك في الله) أي: لا لغيره من إحسان وغيره، فإنه أبقى للألفة وأثبت للمودة، وبه يتزايد الحبُّ ويتضاعف، وتجتمع الكلمة وينتظم الشمل بين المسلمين، وتزول المفاسد والضغائن، وهذا من محاسن الشريعة[3].

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: وذلك لما في هذه الكلمة مِن إلقاء المحبة في قلبه، لأن الإنسان إذا علم أنك تحبه أحبك، مع أن القلوب لها تعارف وتآلف وإن لم تنطق الألسن، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**)[4]. لكن إذا قال الإنسان بلسانه، فإن هذا يزيده محبة في القلب، فتقول: إني أحبُّك في الله. اهـ [5].

قوله: (**أحبَّك الذي أحببتني له**) أي: لأجله وهذا دعاء.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: معناه الحث على التودد والتآلف، وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبُّه استمال بذلك قلبه واجتلب به وُدَّه. وفيه أنه إذا علم أنه محبٌّ له ووادٌّ

---

(1) رواه أبو داود برقم (5125)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) رواه أبو داود برقم (5124)، والترمذي برقم (2392)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) فيض القدير (1/ 247).

(4) رواه البخاري برقم (3336)، ومسلم برقم (2638).

(5) شرح رياض الصالحين(3/ 266).

له قبل نصحه ولم يرد عليه قوله في عيب أن أخبره به عن نفسه أو سقطة إن كانت منه، فإذا لم يعلم ذلك منه لم يؤمن أن يسوء ظنه فيه فلا يقبل قوله ويحمل ذلك منه على العداوة والشنآن والله أعلم[1].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفيه مشروعية الإعلام بالحبِّ لأن في ذلك بعثا على الوداد منَ الجانب الآخر، وبه يكون التراحم والتعاطف، وينبغي أن يكون الجواب كما **تضمنه الحديث** ومن أحبه الله سبحانه فقد فاز[2].

وفي الحديث منَ الفوائد: إثبات صفة المحبة لله عزَّ وجلَّ وأنه سبحانه وتعالى يحِبُّ كما يحَبّ خلافا لمن ينكر ذلك من أهل الضلال. فإثبات صفة المحبة لله عز وجل كباقي الصفات مداره النصوص. وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في(روضة المحبين)أن في الأدلة أكثر مِن مئة دليل على أن الله سبحانه وتعالى يحِبُّ كما يحَبُّ. والله وليُّ التوفيق.

---

(1) معالم السنن (4/ 149).

(2) تحفة الذاكرين (ص247).



90 الدُّعاء لمن عَرَضَ عليك مالَه

201- (**بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ ومَالِكَ**)[1].

والحديث بتمامه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَدِمَ عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري وكان سعد ذا غِنًى، فقال لعبد الرحمن: أقاسمك مالي نصفَينِ وأزوِّجك. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلُّوني على السوق. فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا، فأتى به أهل منزله، فمكثنا يسيرا -أو ما شاء الله- فجاء وعليه وَضَر من صفرة، فقال له النبي ﷺ: (**مَهْيَمْ**) قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار. قال: (**ما سُقْتَ إليها؟**) قال: نواة من ذهب -أو وزن نواة من ذهب- قال: (**أَوْلِمْ ولو بشاة**).

قوله: (وَضَر من صفرة) الوضر بفتح الواو والضاد المعجمة وآخره راء هو في الأصل **الأثر**. والمراد بالصفرة صفرة الخلوق والخلوق طيب يُصنع من زعفران وغيره.

قال في(النهاية): أي: لطخا من خلوق، أو طيب له لون، وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته. والوضر: **الأثر** من غير الطِّيب[2].

قوله: (**مَهْيَمْ**) معناه ما شأنك أو ما هذا؟ وهي كلمة استفهام مبنية على السكون[3].

قوله: (**بارك الله لك في أهلك ومالك**) أي كثَّر لك الخير في أهلك ومالك، والبركة النماء والزيادة والسعادة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في(تُحفة الذَّاكرين): وفيه دليل على أنه يستحبُّ للمعروض عليه أن يدعوَ للعارض بالبركة فيما عرض عليه من أهل أو مال[4].

---

(1) رواه البخاري برقم (2049).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص977).

(3) فتح الباري (11/ 524).

(4) تحفة الذاكرين (ص248).

91 الدُّعاء لمن أقرض عند القضاء

202- (**بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ والأَدَاءُ**)[1].

جاء في الحديث عن عبد الله بن أبي ربيعة رضي الله عنه، قال: استقرض منِّي النبي ﷺ أربعين ألفا، فجاءه مال، فدفعه إليَّ، وقال: (**بارك الله لك...**) الحديثَ.....

قوله: (استقرض منِّي النبي ﷺ أربعين ألفا) أي طلب أن أعطيه قرضا حتى يرد عليّ بدله. (فجاءه مال، فدفعه إليَّ) هذا معطوف على محذوف، أي فأعطيته ما طلبه منِّي فجاءه بعد ذلك مال، فدفعه إليَّ بدل قرضي.

قوله: (**بارك الله لك في أهلك ومالك**) إنما دعا له مكافأةً على إحسانه، لأن القرض إحسان يستحقُّ المكافأة بالدعاء، كما أشار إليه بقوله: (**إنما جزاء السلف**) أي: القرض (**الحمد**) أي: الثناء بجميل إحسانه (**والأداء**) أي: أداء بدله من غير مماطلة، ولا تغليظ.

قال ﷺ: (**إن خيركم أو من خيركم أحسنكم قضاء**)[2]. أي: الذين يؤدون الدَّين إلى أصحابه على أحسن وجه.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث مشروعية الدعاء من صاحب الدَّين لمن عليه الدَّينُ بهذا الدعاء عند أن يوفيه دينه[3].

وفي الحديث منَ الفوائد: جواز الاستقراض والاستدانة **للحاجة** وإنما قلنا للحاجة لأن النبي ﷺ كان كثيرا ما يستعيذ بالله من المغرمِ وهو الدَّين يقول: (**اللهم إنِّي أعوذ بك منَ المأثم والمغرم**) فقال له قائل: ما أكثرَ ما تستعيذ منَ المغرم يا رسول الله فقال: (**إن الرجل إذا غرم، حدّث فكذب، ووعد فأخلف**)[4].

---

(1) رواه النسائي برقم (4683)، وابن ماجه برقم (2424)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي.

(2) رواه البخاري برقم(2390)، ومسلم برقم(1600).

(3) تحفة الذاكرين (ص249).

(4) رواه البخاري برقم (832)، ومسلم برقم (589).

ومنها: استحباب الدعاء للمقرِض ببركة أهله وماله، مكافأةً على إحسانه. **ومنها**: أن مما يتعين على المستقرِض أن يقوم بالثناء على المقرِض، ويشكره على معروفه، ويؤدي إليه بدل قرضه من غير مماطلة. **ومنها**: ما كان عليه النبيُّ ﷺ منَ الإهتمام بشأن صحابته، فإن هذا المبلغ الكثير إنما يقترضه ليعين به أهل الفاقة، ويجهز به في سبيل الله عز وجل ونحو ذلك[1].

قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله: كان ﷺ أحسن الناس معاملةً. وكان إذا استسلف سلفا قضى خيرا منه. وكان إذا استسلف من رجل سلفا، قضاه إياه، ودعا له، فقال: (**بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء**)[2].

---

(1) شرح سنن النسائي (35/ 276-277).

(2) زاد المعاد (1/ 165).

92 دعاء الخوف منَ الشرك

203- (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ**)[1].

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: (**يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى مِن دبيب النمل**). فقال له مَن شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل، يا رسول الله؟ قال: (**قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**).

وعن معقل بن يسار[رضي الله عنه]قال: انطلقت مع أبي بكر الصِّدِّيق-رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ فقال: (**يا أبا بكر، لَلشِّرك فيكم أخفى من دبيب النمل**) فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ فقال النبي ﷺ: (**والذي نفسي بيده، لَلشِّرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلتَه ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: قل: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**).

قوله: (**والذي نفسي بيده**) قال الحافظ في(الفتح): قَسم كان النبي ﷺ كثيرا ما يُقسِم به، والمعنى أن أمر نفوس العباد بيد الله أي: بتقديره وتدبيره[2]، وفيه جواز القسم على الأمر الذي لا شك فيه تنبيها على عظم شأنه، وفيه الردُّ على مَن كرِه أن يحلف بالله مطلقا[3].

قوله: (**لَلشِّركُ فيكم**) قال في(شرح الأدب المفرد): المراد بالشرك ههنا الرياء والسمعة والعجب وهذه الذمائم لا تذهب عنِ الرجل ما لم يعرف نفسَه، وإذا عرف نفسَه عرف أن المحامد كلها لله وما يوجد عنده منَ الفضل والكمال والجمال والمال، فمن عطية الله وعواريه المستودعة. اهـ[4].

---

(1) رواه أحمد برقم (19606)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (716)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (3731).

(2) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في تعليقه على الفتح (2/ 478): وذلك لأنه سبحانه مالكها والمتصرف فيها. وفي ذلك من الفوائد مع ما ذكر إثبات اليد لله سبحانه على الوجه لذي يليق به، كالقول في سائر الصفات، وهو سبحانه منزّه عن مشابهة المخلوقات في كل شيء، موصوف بصفات الكمال اللائق به.اهـ

(3) فتح الباري (2/ 478).

(4) فضل الله الصمد (2/ 179).

قال عليه الصلاة والسلام: (**أخْوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**). فسئل عنه؟ فقال: (**الرياء**)[1]. قال العلماء: الخطاب للمسلمين إذ المسلم هو الذي يخاف عليه منَ الشرك الأصغر وليس لجميع الناس. فإذا كان الشرك الأصغر مخوفا على أصحاب رسول الله ﷺ مع كمال علمهم وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه ممن هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب ودرجات!؟

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فأما نجاسة الشرك، فهي نوعان: نجاسة مغلّظة، ونجاسة مخفّفة، فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عزَّ وجلَّ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، والمخفَّفة: الشرك الأصغر، كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، والحلف به، وخوفه ورجائه[2].

وقال أيضا: وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر. فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. وهو أن يتخذ من دون الله ندا، يحبه كما يحب الله وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين. ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ ﴾ [الشعراء97-98]. مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت... وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله كما ثبت عنِ النبي ﷺ أنه قال: (**من حلف بغير الله فقد أشرك**)[3].

وقول الرجل للرجل: (ما شاء الله وشئتَ) و: (هذا منَ الله ومنك) و: (أنا متوكل على الله وعليك) ... وقد يكون هذا شركا أكبر، بحسب قائله ومقصده...[4].

قوله: (**أخفى من دبيب النمل**) أي: حركته ومشيه على الأرض. فإن الرياء يقع في العمل من حيث لا يدري بها صاحبها كما لا يدري الإنسان بدبيب النمل.

قوله: (**ألا أدلُّك على شيء إذا قلتَه ذهب عنك**) هذا من شفقته ﷺ بأمته، ورحمته ورأفته بهم، فلا خير إلا دلّهم عليه وأمرهم به، ولا شرّ إلا بيّنه لهم ونهاهم عنه.

---

(1) رواه أحمد برقم (23630)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (951).

(2)) إغاثة اللهفان (1 / 125).

(3) رواه أبو داود برقم (3251)، والترمذي برقم (1535)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(4) مدارج السالكين (1/ 368-373).

قوله: (**قليله وكثيره**) وفي رواية: (**أذهب عنك صغار الشرك وكباره**) أي: خفيه وجليه.

قوله: (**اللهم إنِّي أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**) قال في (فيض القدير): يحتمل كل يوم ويحتمل كلما سبق إلى النفس الوقوف مع الأسباب، وذلك لأنه لا يدفع عنك إلَّا مَن وَلِيَ خلقَك فإذا تعوَّذت به أعاذك لأنه لا يخيب مَنِ التجأ إليه وقصر نظر قلبه عليه[1].

قوله: (**اللهم**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لا خلاف أن لفظة (**اللهم**) معناه: (يا الله) ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اغفر لي وارحمني[2].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هذه كلمة كثر استعمالها في الدعاء وهو بمعنى: يا الله، والميم عِوَض عن حرف النداء، فلا يقال: اللهم غفور رحيم مثلا، وإنما يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ولا يدخلها حرف النداء إلَّا في نادر كقول الراجز:

إني إذا ما حادث ألما أقول: يا اللهم يا اللهما[3].

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: (اللهم) يقول النحويون: إن أصله يا الله، فحذفت ياء النداء وعوض عنها الميم ثم أخرت الميم تيمّنا باسم الله وتبرّكا به، واختيرت الميم دون غيرها، لأنها دليل جمع كأَن الداعي جمع قلبه على الله الّذي ناداه، وعلى هذا فنقول: (الله) لفظ الجلالة منادى مبني على الضّم في محل نصب حذفت منه ياء النّداء وعوض عنها الميم[4].

قوله: (**إني أعوذ بك**) أي: ألتجئ وأعتصم وأتحرز.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: اعلم أن لفظ (عاذ) وما تصرف عنها تدل على التحرز والتحصن والالتجاء، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به: (مَعَاذا) كما يسمى: (ملجأ ووزرا). فمعنى أعوذ: ألتجئ وأعتصم وأتحرز[5].

---

(1) فيض القدير (4/ 173).

(2) جلاء الأفهام (ص236).

(3) فتح الباري (14/ 372)، وقد تقدَّم مرارًا.

(4) شرح بلوغ المرام (4/ 557).

(5) بدائع الفوائد (ص703)، وقد تقدم.

قوله: (**أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**) **استعاذ** بالله أن يعصمه من شر الشرك الذي يعلمه، **واستغفر** من شر الشرك الذي لا يعلمه. فالأول: اعتصم بالله والتجأ إليه بأن يعصمه من الوقوع فيه. والثاني: طلب المغفرة منَ الله لأنه قد يقع فيه وهو لا يعلم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سلّط عليه مؤذ إلا بذنب[1].

وقدِ اشتمل هذا الحديث على أعظم شرٍّ يستعاذ بالله منه وهو الشرك بالله تعالى، لأن الله عزَّ وجلَّ أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48]. وذلك يوجب للعبد شدة الخوف منَ الشرك الذي هذا شأنه عند الله، لأنه أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: 35]. فهذا إمام الموحدين وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام خاف منَ الشرك، فكيف بمن دونه.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله لما تلا هذه الآية: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه: منَ العلم بالله، وبما بعث به رسوله، من توحيده، والنهي عنِ الشرك به[2].

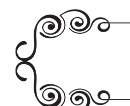
قال المناوي رحمه الله: ولذلك عجز عنِ الوقوف على غوائله سماسرة العلماء، فضلا عن عامة العباد وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها، وإنما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم مهما نهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عنِ الشهوات وصانوها عنِ الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات، عجزت نفوسهم عنِ الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم فنازعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى إطلاع الخلف، ولم تقنع بإطلاع الخالق

(1) بدائع الفوائد (ص770).

(2) ملتقط من فتح المجيد (ص101).

وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه للشهوات وتوقيه للشبهات وتحمله مشقات العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في الإعزاز ونظروا إليه بعين الاحترام وتبركوا بلقائه ورغبوا في بركته ودعائه، وفاتحوه بالسلام والخدمة، وقدموه في المجالس والمحافل وتصاغروا له فأصابت النفس في ذلك لذة هي من أعظم اللذات، وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات، واستلانت خشونة المواظبة على العبادات، لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية، وإنما حياته لهذه الشهوة الخفية التي يعمى عن دركها إلا العقول النافذة القوية، ويرى أنه يخلص في طاعة ربِّ العالمين وقد أُثبِت اسمه في جريدة المنافقين. اهـ[1].

(1) فيض القدير (4/ 173).



93 الدعاء لمن قال: بارك الله فيك

204- (**وَفِيكَ بَارَكَ اللَّهُ**)[1].

والحديث بتمامه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ، فقال: (**اقسميها**)، قال: فكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجع الخادم قالت: ما قالوا؟ قال: يقولون: بارك الله فيكم، قال: فتقول عائشة: وفيهم بارك الله، فنردُّ عليهم مثل ما قالوا، وبقي أجرنا لنا.

قولها: (أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ)كان النبي عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة[2]. وكذلك آل بيته رضي الله عنهم. قال عليه الصلاة والسلام للحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما: (**إنّا لا نأكل الصدقة**)[3].

قوله: (**اقسميها**) أي اجعليها أقساما ووزّعي على الفقراء والأصحاب والجيران.

قوله: (إذا رجع الخادم)الخادم واحد الخدم، يقع على الذكر والأنثى لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة منَ الأفعال، كحائض وعاتق. قولها: (ما قالوا) أي المهدَى إليهم. قال: يقولون: (بارك الله فيكم) أي طلبا لمكافأة الإحسان ببذل الدعاء. قولها: (فنردُّ عليهم) أي نردُّ عليهم دعاءهم مثل ابتدائهم بالدعاء إلينا ليكون الدعاء منّا مقابل الدعاء لنا ويبقى لنا أجر ما لنا أي الأجر الكامل وإلا فالظاهر أن دعاء المتصدَّق عليه وسكوت المتصدِّق لا يذهب أجر صدقته والله أعلم[4].

---

(1) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (303)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (279)، وقال الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم (238): سنده جيد.

(2) رواه أحمد برقم (8714)، وأبو داود برقم (4512)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) رواه البخاري برقم (1491)، ومسلم برقم (2408). ولهذا كان القول الصحيح من أقوال أهل العلم أن آل محمد هم الذين حرّمت عليهم الصدقة وقد بينا هذا في الحديث رقم (54) والله أعلم.

(4) الفتوحات الربانية (6/ 229).

واستفيد من هذا الحديث فوائد:

الأولى: جواز الهدية وقبولها.

و**الثانية**: إن المستحب قسمتها بين الأصحاب والجيران، لأن الهدية مشتركة.

و**الثالثة**: دعاء المهدَى له للمُهْدي عند الهدية.

و**الرابعة**: دعاء المُهدي أيضا للمُهدَى له، مكافأة على دعائه، حتى يبقى أجره خاليا عن مقابلة دعائه، فلذلك قالت عائشة رضي الله عنها: (ويبقى أجرنا لنا)[1].

---

(1) العلم الهيب (ص546-547).



94 دعاء كراهية الطِّيَرَة

205- (اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ)[1].

والحديث بتمامه عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**من أرجعته الطِّيَرة عن حاجته، فقد أشرك**)، قالوا: وما كفارة ذلك، يا رسول الله؟ قال: (**يقول أحدهم: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك**).

الطِّيرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطيَّر.

وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح منَ الطير والظِّباء وغيرها، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: التطيُّر: التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينفرون الظِّباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير منَ الأوقات عن مصالحهم، فنفى الشرع ذلك، وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضرٍّ. اهـ[3].

قال في (لسان العرب): السوانح: جمع سانح، وهو: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبوارح: جمع بارح، وهو عكس السانح، وهو ما أتاك من ذلك عن يسارك[4].

---

(1) رواه أحمد برقم (7045)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (293)، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (1065).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص574).

(3) شرح مسلم (14/ 243-244).

(4) انظر لسان العرب (2/ 490).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قال: قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، قال: والذي يجيء من قدامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد[1].

قوله: (**مَن أرجعته الطِّيَرَة عن حاجته، فقد أشرك**) وهذا صريح في تحريم الطِّيَرَةِ وأنها مِنَ الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى.

قال الخطابي في (شرح السنن): وإنما جعل الطِّيَرَة مِنَ الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن الطِّيَرَةَ تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى[2].

تنبيه مهم: قوله: (**من أرجعته الطِّيَرَةُ عن حاجته، فقد أشرك**) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: **هذا هو ضابط الطيرة التي تكون شركا** وهو أن تردَّ المتطيِّر عن حاجته، فإذا لم تردَّه عن حاجته، ولم يستجب لها، فلا حرج عليه في ذلك إلَّا إن عظمت في قلبه، فربما دخلت في أنواع محرمات القلوب، والذي يذهب ذلك كله هو التوكل على الله، وتعظيم الرغب فيما عنده وحسن الظن بالله جلَّ وعلا[3].

قوله: (قالوا: وما كفَّارة ذلك؟) أي: ما كفَّارة هذا الشرك أو ما هو الدواء الذي يزيل هذا الشرك؟ لأن الكفارة قد تطلق على كفارة الشيء بعد فعله وقد تطلق على الكفارة منه قبل الفعل، وذلك لأن الاشتقاق مأخوذ من الكفر وهو الستر والستر واقٍ، فكفارة ذلك إن وقع وكفارة ذلك إن لم يقع[4]

قوله: (**اللهم لا طير إلَّا طيرك**) يعني لن يحصل إلا قضاؤك الذي قضيتَه، أو لن يحصل ويقضى إلا ما قدرته على العبد[5].

---

(1) مفتاح دار السعادة (3/ 269).

(2) عن فتح المجيد (ص356-357).

(3) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص327).

(4) القول المفيد (2/ 96).

(5) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص327).

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: أي الطيور كلها ملكك؛فهي لا تفعل شيئا، وإنما هي مسخرة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: 19]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: 79]، فالمهم: أن الطير مسخرة بإذن الله، فالله تعالى هو الذي يدبِّره، ويصرفه، ويسخِّره، يذهب يمينا وشمالا، ولا علاقة له بالحوادث.

ويحتمل أن المراد بالطَّير هنا ما يتشاءم منه الإنسان، فكل ما يحدث للإنسان مِنَ التشاؤم والحوادث المكروهة، فإنه مِنَ الله، كما أن الخير مِنَ الله كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: 131].

قوله: (**ولا خير إلَّا خيرك**) يعني فأنت الذي بيدك الخير المباشر كالمطر والنبات، وغير المباشر كالذي يكون سببه من عند الله على يد مخلوق، مثل: أن يعطيك إنسان دراهم صدقة أو هدية، وما أشبه ذلك فهذا الخير منَ الله، لكن بواسطةٍ جعلها الله سببا، وإلا فكل الخير مِنَ الله عز وجل.

[قوله: (**ولا إله غيرك**) أي: لا معبود **بحقٍّ** سواك، هذا اعتراف بالتوحيد.]

(لا): نافية للجنس و(إله) بمعنى: مألوه، والمألوه هو المعبود محبة وتعظيما يتأله إليه الإنسان محبة له وتعظيما له.

فإن قيل: إن هناك آلهة دون الله كما قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: 101]. أجيب: أنها وإن عُبدت من دون الله فليست آلهة حقًّا، لأنها لا تستحقُّ أن تعبد من دون الله فلهذا نقول لا إله إلا الله[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: التطير هو التشاؤم منَ الشيء المرئي أوِ المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه، وبرىءَ منَ التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف، والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، فيصير

---

(1) القول المفيد (2/ 96-97).

قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفا لسهام الطيرة، ويساق إليه من كل أَوْبٍ، ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه.

وكم من هلك بذلك، وخسر الدنيا والآخرة، فأين هذا منَ الفأل الصالح، السارِّ للقلوب، المؤيِّد للآمال، الفاتِح باب الرجاء، المسكِّن للخوف، الرابطِ للجأش، الباعثِ على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوِّي لأمله السارِّ لنفسه، فهذا ضد الطِّيَرَة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطِّيَرَة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحبَّ ﷺ الفأل وأبطل الطِّيَرَةَ[1].

وقال أيضا: واعلم أن التطير إنما يضرُّ مَن أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئا لم يضرَّه البتةَ، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطيَّر به أو سماعه: **(اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا اله غيرك)**.

فالطِّيَرَة باب منَ الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره[2].

شبهة وجوابها: قال في فتح المجيد(ص351): وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطِّيَرَةِ، كقوله ﷺ: **(الشؤم في ثلاث: في المرأة، والدابة، والدار)**[3]. ونحو هذا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإخباره ﷺ بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطِّيَرَة التي نفاها، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانا مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدا شرا مشؤوما نذلا يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس. والله سبحانه خالق الخير والشر

(1) مفتاح دار السعادة (3/ 311-312).

(2) مفتاح دار السعادة (3/ 271).

(3) رواه البخاري برقم (2858)، ومسلم برقم (2225).

والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة، ويقضي بسعادة من قارنها، وحصول اليمن له والبركة، ويخلق بعض ذلك نحوسا يتنحس بها من قارنها. وكل ذلك بقضائه وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح (جمع روح وهي الرائحة) الطيبة ولذذ بها من قارنها منَ الناس، وخلق ضدَّها وجعلها سببا لإيذاء من قارنها منَ الناس. والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون، والطِّيَرَة الشركية لون آخر. اهـ[1].

فائدة: في فضل من لم يتطير:

قال ﷺ: (**سبعون ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**)[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي استحقَّ به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، هو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يتطيرون -والطِّيرة: نوع منَ الشرك- ويتوكلون على الله وحده لا على غيره، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث: (**الطِّيَرَةُ شرك**)، قال ابن مسعود: (وما منّا إلّا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل). اهـ[3].

---

(1) مفتاح دار السعادة (3/ 342).

(2) رواه البخاري برقم (5705)، ومسلم برقم (220).

(3) حادي الأرواح (ص268).

95 دعاء الرُّكُوبِ

206- (**بِسْمِ اللهِ، الحَمْدُ للهِ** ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **الحَمْدُ لِلَّهِ، الحَمْدُ لِلَّهِ، الحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أكبَرُ، اللَّهُ أكْبَرُ، اللَّهُ أكْبَرُ، سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أنْتَ**) [1].

والحديث بتمامه عن عليِّ بن ربيعة قال: شهدت عليًّا رضي الله عنه، أُتي بدابَّة ليركبها، فلما وضع رجله في الرّكاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: **سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**، ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين مِن أي شيء ضحكتَ؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك. فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: (**إن ربّك تعالى يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**).

قوله: (فلما وضع رجله) أي: أراد وضع رجله. (في الرّكاب) الرّكاب: هو موضع الرّجل من الدّابة عند الصعود عليها. قال: (بسم الله) أي: باسم الله أركب. وفيه: أنه ينبغي للعبد أن يسمي الله تعالى إذا وضع رجله على المركوب من دابة أو سيارة أو طائرة أو غيرها، استعانة بالله عزّ وجلّ وتيمّنا بذكر اسمه -تبارك وتعالى- قوله: (فلما استوى على ظهرها) أي: استقر على ظهرها قال: (الحمد لله) أي: على نعمة الركوب والمركوب وغيرها. والحمد: وصف المحمود بالكمال مع المحبّة والتعظيم.

قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: أسبح الله. يعني أنزهه من كل عيب ونقص. الذي جعل هذا مسخرا مطيعا لنا. ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ يعني: مطيقين. وقال أهل اللغة: أنا مقرن لك، أي: مطيق لك. ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ يعني: راجعون إليه في الآخرة، والانقلاب: الانصراف.

---

(1) رواه أبو داود برقم (2602)، والترمذي برقم (3446)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

قلت: وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: 12-14]. قال الشيخ السعدي رحمه الله في (تفسيره):

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن البحرية، الشراعية والنارية، ما تركبون (و) من ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، أي: لتستقروا عليها، ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: لولا تسخيره لنا ما سخر منَ الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخّرها وذلّلها ويسّر أسبابها. والمقصود من هذا، بيان أن الرَّبَّ الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي **يستحق أن يعبد**، ويصلى له ويسجد. اهـ[1].

قال في (العلم الهيب): فإن قلت: ما وجه الحكمة بين القولين، وهما: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى﴾ إلى آخره، وقوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾؟ قلت: إن الله لما لقّن عبده شكر ما أنعم به عليه منَ التَّسخير والتمليك، وأمره بالاعتراف لكونه قاصرا عن تسخير ما سخَّر له من مراكب البر والبحر، بل الله بفضله ورحمته سخَّر له ذلك، وأعانه عليه، جعل من تمام شكره أن يتذكر عاقبة أمره، ويعلم أن استواءَه على مركب الحياة كاستوائه على ظهر ما سخَّر له، لم يكن في المبدإِ مطيقا له، ولا يجد في المنتهى بدًّا منَ النزول عنه، ثم ليتذكر بركوب مركب الأحياء، ومنه معدل ركوب مركب الأموات، ولا محيد عنه[2].

قوله: (**سبحانك اللهم**) معناه: تنزيه الرَّبِّ تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به. (**إنِّي ظلمت نفسي**) اعتراف بالذنب والتقصير. (**فاغفر لي**) أي: بمحوِ ذنوبي وإزالة أثرها ووقاية شرها. (**إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**) فيه الاعتراف

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص763).

(2) العلم الهيب (ص437).

بـأن الله وحده هـو الذي يغفر الذنـوب. قال تعالـى ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 135].

قولـه: (ثـم ضحـك) أي عـليٌّ رضي الله عنـه. (فقيل: يا أمـير المؤمنين، مِـن أي شيء ضحكـتَ؟) استـفهام عن سـبب الضحك لأنه لا يوجد سـبب يدعـو إلى ذلك. (قال: رأيـت رسـول الله ﷺ فعـل كما فعلـتُ) وفي روايـة: (صنع كـما صنعـتُ) أي: أبصرتُ النبـي ﷺ صنـع كـما صنعـتُ مـنَ الركـوب والذِّكـر في أماكنـه. وهـذا فيه شـدة اقتداء الصحابـة رضـوان الله عليهـم بالنبـي ﷺ والتـأسّي بـه، وتَتَبُّـعُ حركاته وسـكَناته. (ثم ضحِـك) أي: النبـي ﷺ. وضحكـه ﷺ استشـعار لفضـل الله عـزّ وجـلّ، وعظيـم منّه ورحمتـه. (فقلـت: يا رسـول الله، مِـن أي شيء ضحكـت؟) قال:

(**إن ربّـك تعـالى يعجـب مـن عبـده**) فيـه إثبـات صفـة العجـب لله سـبحانه وتعالى تليـق بجلالـه وعظمتـه. ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. والقول في صفـة العجـب كالقول في سـائر الصفـات، الواجب إثباتهـا لله حقيقة. مـن غير تحريف ولا تعطيـل، ومـن غـير تكييـف ولا تمثيل. على **قاعـدة** الإمام مالك رحمه الله حين سـئل عـنِ الاسـتواء، فقـال: (الاسـتواء معلـوم، والكيـف غير معقـول والايمان بـه واجب، والسـؤال عنه بدعة).

قولـه: (**إذا قـال: اغفـر لي ذنـوبي، يعلم أنه لا يغفـر الذنوب غـيري**) أي: علم عبدي أنـه لا يغفـر الذنوب غيري.

96 دعاء السَّفر

207- (اللهُ أكْـبَرُ، اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أكْـبَرُ، ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾. اللَّهُـمَّ إنَّـا نَسْـأَلُكَ فِي سَـفَرِنَا هَـذَا الـبِرَّ والتَّقْـوى، ومِـنَ العَمَـلِ مَـا تَـرْضَى، اللَّهُـمَّ هَـوِّنْ عَلَيْنَـا سَـفَرَنَا هَـذَا وَاطْـوِ عَنَّا بُعْـدَهُ، اللَّهُـمَّ أنْتَ الصَّاحِـبُ فِي السَّـفَرِ، والخَلِيفَـةُ فِي الأهْـلِ، اللَّهُـمَّ إنِّي أعُـوذُ بِـكَ مِـنْ وَعْثَـاءِ السَّفَـرِ، وَكآبَـةِ الـمَنْظَرِ، وسُـوءِ الـمُنْقَلَـبِ فِي الـمَـالِ والأهْـلِ)، وإذَا رَجَـعَ قَالَهُـنَّ، وزَادَ فِيهِـنَّ: (آيبُـونَ، تَائِبُـونَ، عَابِـدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِـدُونَ)[1].

قـال في(المفهـم): (سـخَّر) ذلَّـل ومكَّـن (مقرنـين) مطيقـين، قالـه ابن عبـاس. قال الشاعر:

لقـد علـم القبائـل مـا عقيـل لنـا في النائبـات بمقرنينـا

أي: بمطيقـين... و(**منقلبـون**): راجعـون، تنبيها على المطالبة بالشـكر عـلى ما أنعم، وعـلى العـدل فيما سـخر. (**البر**): العمـل الصالح، والخُلُق الحسـن. و(**التقـوى**) الخوف الحامـل عـلى التحـرّز مـنَ المكـروه. [(**ومـنَ العمـل مـا تـرضى**) أي: مـا تحبـه وتقبله. قولـه: (**اللهـم هـوّن علينـا سـفرنا واطـوِ عنّا بعـده**) أي: يـسّره لنا وقـصّر لنا مسـافته. فقولـه: (**واطـوِ عنـا بعده**) أمر*مـن الطـيِّ أي: قرّبه وسـهّله.]. (**الصاحـب**) أي: أنت الصاحـب الـذي تصحبنا بحفظـك ورعايتـك. و(**الخليفـة**) أي: الذي يخلفنـا في أهلينا بإصـلاح أحوالهـم بعد مغيبنـا، وانقطاع نظرنا عنهم. ولا يسـمى الله تعـالى: بالصاحب ولا بالخليفـة. و(**أعـوذ**): أسـتجير. و(**وعْثـاء السـفر**): مشـقته وشـدته. وأصلـه مـنَ الوعـث وهـو الوحـل، والدهـس. و(**وكآبة المنظـر**) أي: حزن المـرأى، وما يسـوء منه. [قولـه: (**وسـوء المنقلـب في المال والأهـل**) أي: الانقـلاب والقفول منَ السـفر بما يحزن ويسـوء، سـواء في نفسـه أو أهلـه ومالـه.]. و(**آيبـون**): جمع آيـب، وهـو الراجع بالخير هنـا. (**تائبـون**): جمـع تائب مـنَ الذنـب. وأصل التوبـة الرجـوع. كذلـك حدَّها بعض أئمتنـا بـأن قالـوا: التوبـة هـي الرجوع عـما هو مذمـوم شرعـا إلى ما هو محمـود شرعا.

---

(1) رواه مسلم برقم (1342).

*الذي هو بمعنى الدعاء.

(عابدون): خاضعون متذللون. **(حامدون)**: مثنون عليه بصفات كماله وجلاله، وشاكرون عوارف أفضاله. اهـ[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: الوعثاء: بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد وهي المشقة والشدة. والكآبة: بفتح الكاف وبالمد وهي تغير النفس من حزن ونحوه. والمنقلب: بفتح اللام المرجع. قوله: **(آيبون)** أي راجعون. اهـ[2].

وجاء في رواية عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوَّذ من: **(وعثاء السفر... والحَوْرِ بعد الكَوْنِ، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال)**.

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله: **(والحَور بعد الكَون)** هكذا هو في معظم النسخ من صحيح مسلم: بعد الكون بالنون، بل لا يكاد يوجد في نسخ بلادنا إلّا بالنون، وكذا ضبطه الحفّاظ المتقنون في صحيح مسلم. قال القاضي: وهكذا رواه الفارسي وغيره من رواة صحيح مسلم، قال: ورواه العذري: **(بعد الكَور)** بالرّاء. قال: والمعروف في رواية عاصم الذي رواه مسلم عنه بالنون. قال القاضي: قال ابراهيم الحربي: يقال: ان عاصما وهم فيه، وأنّ صوابه الكور، بالرّاء. **قلت**(أي النووي): وليس كما قال الحربي، بل كلاهما روايتان، وممّن ذكر الروايتين جميعا الترمذي في(جامعه) وخلائق من المحدثين، وذكرهما أبو عبيد وخلائق من أهل اللغة وغريب الحديث، **قال الترمذي** بعد أن رواه بالنون: ويروى بالرّاء أيضا، ثم قال: وكلاهما له وجه. قال: ويقال: هو الرجوع منَ الإيمان إلى الكفر، أو منَ الطاعة إلى المعصية، ومعناه: الرجوع من شيء إلى شيء منَ الشّر، هذا كلام الترمذي، وكذا قال غيره منَ العلماء، معناه بالراء والنون جميعا: الرجوع منَ الاستقامة أوِ الزيادة إلى النقص، قالوا: ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة، وهو لفّها وجمعها، ورواية النون مأخوذة من الكون مصدر كان يكون كونا إذا وجد واستقر، قال المازري في رواية الرّاء: قيل أيضا: إن معناه: أعوذ بك منَ الرّجوع عن الجماعة بعد أن كنّا فيها، يقال: كار عمامته إذّا لفها وحارها إذا نقضها، وقيل: نعوذ بك من أن تفسد أمورنا بعد صلاحها، كفساد العمامة بعد استقامتها على الرأس، وعلى رواية

(1) المفهم (3/ 453-455)، مع بعض الزيادات.

(2) شرح مسلم (9/ 123).

النون قال أبو عبيد: سئل عاصم عن معناه، فقال: ألم تسمع قولهم حار بعدما كان أي: أنه كان على حالة جميلة فرجع عنها، والله أعلم. قوله: **(ودعوة المظلوم)** أي: أعوذ بك منَ الظلم، فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب. ففيه: التحذير منَ الظلم، ومنَ التعرض لأسبابه[1].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: هذا الحديث فيه فوائد عظيمة تتعلق بالسفر. وقد اشتملت هذه الأدعية على طلب مصالح الدين -التي هي أهم الأمور- ومصالح الدنيا وعلى حصول المحابِّ، ودفع المكاره والمضارِّ وعلى شكر نعم الله، والتذكر لآلائه وكرمه واشتمال السفر على طاعة الله وما يقرب إليه.

فقوله: (كان إذا استوى على راحلته خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا) هو افتتاح لسفره بتكبير الله، والثناء عليه كما كان يختم بذلك. وقوله: **(سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين)** فيه الثناء على الله بتسخيره للمركوبات، التي تحمل الأثقال والنفوس إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة، واعتراف بنعمة الله بالمركوبات. وهذا يدخل فيه المركوبات: منَ الإبل، ومنَ السفن البحرية، والبرية، والهوائية، فكلها تدخل في هذا. ولهذا قال نوح عليه السلام للراكبين معه في السفينة: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾﴾ [هود: 41].

فهذه المراكب كلها وأسبابها، وما به تتم وتكمل، كله من نعم الله وتسخيره، يجب على العباد الاعتراف لله بنعمته فيها، وخصوصا وقت مباشرتها. وفيه تذكر الحالة التي لولا الباري لما حصلت وذللت في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين، لو رُدَّ الأمر إلى حَولنا وقوتنا، لكنَّا اضعف شيئا علما وقدرة وإرادة، ولكنه تعالى سخَّر الحيوانات وعلَّم الإنسان صنعة المركوبات كما امتن الله في تيسير صناعة الدروع الواقية في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: 80].

فعلى الخلق أن يشكروا الله، إذ علَّمهم صناعة اللباس الساتر للعورات، ولباس الرياش، ولباس الحرب وآلات الحرب، وعلمهم صنعة الفلك البحرية والبرية والهوائية، وصنعة كل ما يحتاجون إلى الانتفاع به، وأنزل الحديد فيه بأس شديد

(1) شرح مسلم (9/ 123).

ومنافع للناس متنوعة، ولكن أكثر الخلق في غفلة عن شكر الله، بل في عتوٍّ واستكبار على الله، وتجبر بهذه النعم على العباد.

وفي هذا الحديث التذكُّر بسفر الدنيا الحسِّيِّ لسفر الآخرة المعنويِّ، لقوله: (**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**) فكما بدأ الخلق فهو يعيدهم ليجزي الذين أَساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. وقوله: (**اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومنَ العمل ما ترضى**) سأل الله أن يكون السفر موصوفًا بهذا الوصف الجليل، محتويا على أعمال البرِّ كلها، المتعلقة بحقِّ الله والمتعلقة بحقوق العباد، وعلى التقوى التي هي اتقاء سخط الله، بترك جميع ما يكرهه منَ الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، كما سأله العمل بما يرضاه الله.

وهذا يشمل جميع الطاعات والقُرُبات، ومتى كان السَّفر على هذا الوصف، فهو السَّفر الرابح، وهو السَّفر المبارك. وقد كانت أسفاره ﷺ كلها محتوية لهذه المعاني الجليلة.

ثم سأل الله الإعانة، وتهوين مشاقِّ السَّفر، فقال: (**اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بعده**) لأن السفر قطعة منَ العذاب، فسأله تهوينه، وطيَّ بعيده، وذلك بتخفيف الهموم والمشاقِّ، وبالبركة في السير، حتى يقطع المسافات البعيدة، وهو غير مكترِث، ويقيض له من الأسباب المريحة في السفر أمورا كثيرة، مثل راحة القلب، ومناسبة الرفقة، وتيسير السير، وأمن الطريق من المخاوف وغير ذلك من الأسباب، فكم من سفر امتدَّ أياما كثيرة، لكن الله هوَّنه، ويسَّره على أهله، وكم من سفر قصير صار أصعب من كل صعب، فما ثم إلا تيسير الله ولطفه ومعونته.

ولهذا قال في تحقيق تهوين السفر: (**اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر**) أي: مشقته وصعوبته. (**وكآبة المنظر**) أي: الحزن الملازم والهمِّ الدائم. (**وسوء المنقلب في المال والأهل والولد**) أي: يا ربِّ نسألك أن تحفظ علينا كل ما خلفناه وراءنا، وفارقناه بسفرنا من أهل وولد ومال، وأن ننقلب إليهم مسرورين بالسلامة، والنعم المتواترة علينا وعليهم، فبذلك تتم النعمة، ويكمل السرور. وكذلك يقول هذا في رجوعه، وعَوده من سفره، ويزيد: (**آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون**) أي: نسألك اللهم أن تجعلنا في إيابنا ورجوعنا ملازمين للتوبة لك، وعبادتك وحمدك، وأن تختم سفرنا بطاعتك، كما ابتدأته بالتوفيق لها.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء: 80]. ومدخل الصدق ومخرجه، أن تكون أسفار العبد، ومداخله ومخارجه كلها تحتوي على الصدق والحق، والاشتغال بما يحبه الله، مقرونة بالتوكل على الله، ومصحوبة بمعونته.

وفيه الاعتراف بنعمته آخرا، كما اعترف بها أولا، في قوله: **(لربنا حامدون)**. فكما أن على العبد أن يحمد الله على التوفيق لفعل العبادة والشروع في الحاجة، فعليه أن يحمد الله على تكميلها وتمامها، والفراغ منها، فإن الفضل فضله، والخير خيره، والأسباب أسبابه، والله ذو الفضل العظيم[1].

(1) بهجة قلوب الأبرار (الحديث رقم: 85).

97 دعاء دخول القرية أو البلدة

208- **(اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ومَا أظْلَلْنَ، ورَبَّ الأرْضِينَ السَّبْعِ ومَا أقْلَلْنَ، ورَبَّ الشَّيَاطِينِ ومَا أضْلَلْنَ، ورَبَّ الرِّيَاحِ ومَا ذَرَيْنَ، أسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ وخَيْرَ أهْلِهَا، وخَيْرَ مَا فِيهَا، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وشَرِّ أهْلِهَا، وشَرِّ مَا فِيْهَا)** [1].

وجاء فيه أنَّ النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها، إلَّا قال حين يراها: ... الحديثَ...

قوله: **(اللهم ربَّ السموات السبع وما أظللن)** فيه توسل إلى الله عز وجل بربوبيته للسموات السبع وما أظلت تحتها منَ النجوم والشمس والقمر والأرض وما عليها، فقوله: **(وما أظللن)** منَ الإظلال: أي ما ارتفعت عليه وعلت وكانت له كالظلة.

قوله: **(ورَبَّ الأرضين السبع وما أقللن)** من الإقلال والمراد: ما حملته على ظهرها منَ الناس والدوابِّ والأشجار وغير ذلك.

قوله: **(وربَّ الشياطين وما أضللن)** من الإضلال وهو الإغواء والصدِّ عن سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: 117-120].

قوله: **(وربَّ الرياح وما ذرين)** يقال: ذرته الرياح وأذرته وتذروه، أي: أطارته ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: 45].

قوله: **(أسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها)** القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس منَ المساكن والأبنية والضياع، وقد تطلق على المدن.

---

(1) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (543)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (524)، وصححه الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة برقم (2759).

وفيه سؤال الله عز وجل أن يجعل هذه القرية مباركة عليه، وأن يمنحه من خيرها، وأن ييسر له السكنى فيها بالسلامة والعافية، (**وخير أهلها**) أي: ما عندهم مِنَ الإيمان والصلاح والاستقامة والتعاون على الخير ونحو ذلك، (**وخير ما فيها**) أي: مِنَ الناس والمساكن والمطاعم وغير ذلك.

قوله: (**وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها**) فيه تعوذ بالله عز وجل من جميع الشرور والمؤذيات، سواء في القرية نفسها أو في الساكنين لها، أو فيما احتوت عليه[1].

(1) فقه الأدعية والأذكار (3/ 281).

98 دعاء دخول السوق

209- (**لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيْـكَ لَـهُ، لَـهُ الـمُلْكُ وَلَهُ الـحَمْدُ، يُحْيِـي وَيُمِيتُ، وَهُـوَ حَـيٌّ لَا يَمُـوتُ، بِيَـدِهِ الـخَيْرُ، وَهُوَ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ**) [1].

وجـاء فيـه منَ الفضل قوله ﷺ: (**من دخل السـوق فقـال: ...، كتـب الله له ألف ألف حسـنة، ومحـا عنه ألف ألف سـيئة، ورفـع له ألف ألف درجـة، وبنى له بيتـا في الجنة**).

قولـه: (**من دخل السـوق**) أي: سـوقا منَ الأسـواق. والسـوق تُؤنَّث وتذكَّر، سـمّيت بذلـك لقيـام الناس فيها على سـوقهم.

قولـه: (**لا إلـه إلا الله**) أي: لا معبـود **بحـقٍّ** إلا الله. وفيهـا نفـي وإثبـات (**لا إلـه**) نفـي العبودية عـن كل مَـن سِـوى الله. (**إلا الله**) إثبـات للعبودية بـكل معانيهـا لله عـزّ وجلّ.

قـال العلامـة ابـن القيم رحمـه الله: ونظير هذا اشـتمال كلمة الإسـلام-وهي أشـهد أن لا إلـه إلا الله-عـلى النفـي والإثبـات. فـكان في الإتيـان بالنفـي في صدر هـذه الكلمة من تقريـر الإثبـات، وتحقيـق معنـى الإلهية، وتجريـد التوحيـد الذي يقصـد بنفـي الإلهية عن كل مـنِ ادَّعِيَـتْ فيـه سِـوى الإلـه الحـقِّ تبـارك وتعـالى. فتجريد هـذا التوحيد مـنَ العقد واللسـان بتصـوّر إثبـات الإلهية لغـير الله-كما قالـه أعـداؤه المشركون-ونفيـه وإبطاله منَ القلـب واللسـان من تمام التوحيـد وكماله، وتقريـره، وظهور أعلامه، ووضوح شـواهده، وصـدق براهينه[2].

قوله: (**وحده**) تأكيد للإثبات. (**لا شريك له**) تأكيد للنفي.

قال الحافظ ابن حجر: تأكيد بعد تأكيد لمزيد الاعتناء بمقام التوحيد[3].

قولـه: (**لـه الملـك**) أي: له جـلَّ وعلا مطلق الملكـوت. (**وله الحمـد**) أي: جميع أصناف المحامد.

---

(1) رواه الترمـذي برقـم (3428-3429)، وابـن ماجـه برقـم (2235)، وحسّـنه الشـيخ الألبـاني في سـنن الترمـذي والصحيحـة برقـم (3139).

(2) طريق الهجرتين (ص308)، وقد تقدَّم.

(3) مرقاة المفاتيح (3/ 35)، وقد تقدَّم.

قوله: (**يحيي ويميت**) أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة. (**وهو حيٌّ لا يموت**) أي: له الحياة الكاملة الدائمة لا تعتريه آفة الموت، بل هو حيٌّ قيوم.

قوله: (**بيده الخير**) من باب الاكتفاء، تقديره: بيده الخير والشر لأن الخير والشر كله منَ الله تعالى ولكن طوى ذكر الشر تأدُّبًا حتى لا يُنسب إليه الشر[1].

قوله: (**وهو على كل شيء قدير**) فيه أن القدرة متعلقة بكل شيء، سواء ما يتعلق بأفعاله أو بأفعال الخلق، وأنه ما من شيء إلا وهو داخل تحت قدرته، فقدرة الله عزَّ وجلَّ شاملة لجميع الأشياء.

وهذه براهين التوحيد ودلائله، فالذي له التوحيد الخالص هو المالك للملك، المستحقُّ للحمد، القدير على كل شيءٍ ومَن سِواه لا يستحقُّ منَ العبادة شيئا. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: 22].

قوله: (**كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة**) أي: في ديوانه وصحيفته، التي بيد الكرام الكاتبين، وكذلك مُحِيَ عنه من ديوانه ألف ألف سيئة.

قوله: (**ورفع له ألف ألف درجة**) أي: في الجنة، ومعنى رفع الدرجة: هو إعطاؤه منَ المنازل التي فوق منزلته، التي حصلت له قبل هذا القول، لأن ارتفاع المنازل والدرجات وزيادتها بارتفاع الأعمال وزيادتها.

قوله: (**وبنى له**) بمعنى: أمر ببنائه. (**بيتا في الجنة**) تنكيره للتعظيم، أي: عظيما. أفاده السندي.

قلت: وفيه إشارة إلى دخول **قائل** ذلك الجنّة، إذ المقصود بالبناء له أن يسكنه، وهو لا يسكنه إلا بعد الدخول، والله أعلم[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: إن دُورَ الجنّة تبنى بالذِّكر، فإذا أمسك الذَّاكر عنِ الذِّكر، أمسكت الملائكة عنِ البناء، فإذا أخذ في الذِّكر أخذوا في البناء[3].

قال العيني رحمه الله: أقول: الحكمة في حصول هذا الأجر العظيم، كأنه لما كان أهل السوق مشتغلين بالتجارات والمكاسب، وهم في غفلة عن ذكر ربهم، بل أكثرهم مبتلون

---

(1) انظر للفائدة في هذه المسألة شرح الحديث رقم: 29

(2) استفدتها من فتح الباري (2/ 195).

(3) الوابل الصيب (ص191).

بالأيمان الفاجرة والكذبات، وكان هذا بينهم ممن ذكر الله تعالى، واشتغل بأمر الآخرة مخالفة لهم، وتعظيما لربه عز وجل، لا جرم حصل له هذا الأجر العظيم، وما ذلك على الله بعزيز، ويختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وباعتبار أن هذه الكلمات مشتملة على التهليل والتوحيد والثناء على الله تعالى بالصفات الجميلة. اهـ[1].

وقال ابن علان رحمه الله: قال بعض العلماء: إنما خصَّ السوق بالذِّكر لأنه مكان الاشتغال عنِ الله تعالى وعن ذكره بالتجارة والبيع والشراء فمن ذكر الله تعالى فيه دخل في زمرة من قيل في حقهم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ٣٧﴾ [النور: 37]. وجاء أن الأسواق محل الشياطين وأن إبليس باض وفرخ كناية عن ملازمته لها، ثم إنه لم يلازمها إلا على كيفية تقتضي السوء لأهلها، وأنه اختار فيهم ضرب رقه عليهم، ولم ينج منهم إلا القليل منهم بتوفيقه تعالى لذلك الذكر أو غيره. وتلك الكيفية هي أنه نصب كرسيه فيها، وركَّز رايته وبثَّ جنده فيها، ليرغبوا أهلها في تحصيل الدنيا على أي وجه كان، من تطفيف كيل أو نقص وزن، أو إنفاق سلعة بحلف كاذب، وتملك بعقد فاسد، فهم غافلون، ومن نزول العذاب بهم لذلك ليسوا بآمنين، إلا من ذكر ربه وآثر قربه، فإنه متعرض لردِّ غضبه، هازم للشيطان وجنده، متدارك لدفع ما اقتضاه فعلهم، داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251]. فدفع بكلمات هذا الذِّكر قضايا أفعالهم، فبكلمة التوحيد ذلَّت قلوبهم الممتلئة بالهوى، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23]. وبـ: **(وحده لا شريك له)**. ما رسخ فيها من حب المال الحامل على أخذه بغير حقِّه، وبـ: **(له الحمد)** ما تمالؤوا عليه من عدم الشكر للنعم، والتعرض للنِّقَم، وبـ: **(يحيي ويميت)** غفلتهم عن شؤم حركاتهم المؤدي دوامها على موت قلوبهم والرجوع عنها على إحيائها، وبقوله: **(وهو حي لا يموت)** ما جهلوه مما يجب له تعالى، المؤدي الجهل به إلى كون الجاهل به على مدرجة الهلاك الأبدي، وبقوله: **(بيده الخير)** ما ضيَّعوه منَ النظر إليه، حتى تحاسدوا وباعوا واشتروا على بيع وشراء بعضهم على بعض، ووقعوا في العقود الفاسدة. وبقوله: **(وهو على كل شيء قدير)** ما غفلوا عنه من قدرته على أن يحلَّ بهم عذابا يستأصلهم من آخرهم، فظهر أن الآتي بهذا الذكر في السوق جدير أن يحصل له ما ذكر في الخبر من ذلك الفضل

---

(1) العلم الهيب (ص534).

العظيم. اهـ[1].

نصيحة من سلمان الفارسي رضي الله عنه:

روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: **(لا تكونَنّ إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته)** [2].

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله في السوق: (إنها معركة الشيطان) قال أهل اللغة: المعركة بفتح الراء موضع القتال، لمعاركة الأبطال بعضهم بعضا فيها، ومصارعتهم، فشبّه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، والسَّوم على سَومه، وبخس المكيال والميزان. قوله: (وبها تنصب رايته) إشارة إلى ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهي موضعه وموضع أعوانه، والسوق تؤنَّث وتذكَّر، سمّيت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم. اهـ[3].

فائدة:

روى ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (182)، والطبراني في الكبير برقم (2/ 21/ 1157) وغيرهما عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى السُّوق قال: **(اللّهم إنّي أسألك من خير هذه السوق، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شر هذه السوق، وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة، أو صفقة خاسرة)**.

قلت: هذا حديث ضعيف، ضعّفه الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع برقم (4391)، والكلم الطيب (ص118)، وبالله التوفيق.

---

(1) الفتوحات الربانية (6/ 191).

(2) رواه مسلم برقم(2451).

(3) شرح مسلم (16/ 9-10).

99 الدعاء إذا تَعِسَ المركوبُ

210- (**بِسْمِ اللَّـهِ**)[1].

والحديث بتمامه عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ، فعثرت دابته، فقلت: تَعِسَ الشيطان فقال: (**لا تقل تَعِسَ الشيطان، فإنَّك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوَّتي، ولكن قل: بسم الله، فإنَّك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**).

قوله: (كنت رديف النبي ﷺ) أي: خلفه، الرديف: بوزن الشريف، ويقال: الردف بكسر الراء وسكون الدال، هذه اللغة الفصيحة وحكى القاضي عياض عن أبي عليٍّ الطبراني بفتح الراء وكسر الدال وهو: الراكب خلف الراكب. يقال منه: ردفه يردفه بكسر الدال في الماضي وفتحها في المضارع إذا ركب خلفه. وأردفته أنا وأصله من ركوبه على الردف وهو العجز أفاده(في الفتوحات).

وفيه من الفوائد: عظم خلق النبي ﷺ وتواضعه فكان يركب الدابة ويردف عليها. وفيه جواز الإرداف إذا كانت الدابة مطيقة.

قوله: (فعثرت دابته) أي: زلقت. يقال: عثر الحيوان: أي: زلّ وكبا. قال ابن منظور: عثر يعثر ويعثر عثرا وعثارا، وتعثّر: كبا. والعثرة: الزلّة. ويقال: عثر به فرسه فسقط. وتعثّر لسانه: تلعثم. اهـ.

قوله: (تعس الشيطان) أي: هلك. في(القاموس): التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط.

قال الإمام النووي رحمه الله في(الأذكار): وأما قوله: (**تعس**) فقيل: معناه: هلك، وقيل: سقط، وقيل: عثر، وقيل: لزمه الشرّ. وهو بكسر العين وفتحها، والفتح أشهر، ولم يذكر الجوهري في (صحاحه) غيره. اهـ[2]. وفي(النهاية): يقال: تعس يتعس، إذا عثر وانكب لوجهه، وقد تفتح العين، وهو دعاء عليه بالهلاك[3].

---

(1) رواه أبو داود برقم (4982)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) الأذكار (2 / 671).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص108).

قوله: (**تعاظم**) أي: صار عظيما وكبيرا. (**ويقول: بقوَّتي**) أي: حدث ذلك الأمر بقوَّتي.

قوله: (**ولكن قل: بسم الله**) أي: باسم الله أستعيذ. فالعبد لا يُحرز نفسه منَ الشيطان إلا بذِكر الله، ولذلك وصف الشيطان بأنه الخنّاس، والخنّاس: الذي إذا ذكر العبد الله انخنس وتجمع وانقبض فما أحرز العبد نفسه منَ الشيطان بمثل ذكر الله عزّ وجلّ. وفيه النهي عن سبّ الشيطان، وقد صحّ ذلك مرفوعا الى النبي ﷺ في قوله: (**لا تسبّوا الشّيطان، وتعوّذوا بالله من شرّه**)[1].

وقد ذكر المناوي رحمه الله في(فَيض القدير)علة النهي عن سبِّ الشيطان فقال: فإن السبَّ لا يدفع عنكم ضره، ولا يغني عنكم من عداوته شيئا، ولكن تعوَّذوا بالله من شره، فإنه المالك لأمره الدافع لكيده عمن شاء من عباده. اهـ[2].

قوله: (**تصاغر**) أي: صار صغيرا وحقيرا.

قال في(العلم الهيب): وتعاظم الشيطان، وكونه مثل البيت كناية عن فرحه ونخوته وتصاغره كناية عن ذله وقهره، لأن ذكر اسم الله يذيب الشيطان، كما يذيب الماء الملح[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومثل هذا قول القائل: أخزى الله الشيطان، وقبّح الله الشيطان، فإن ذلك كله يفرحه، ويقول: علم ابن آدم أني قد نلته بقوَّتي، وذلك ممّا يعينه على إغوائه، ولا يفيده شيئا فأرشد النبي ﷺ مَن مسّه شيء مِنَ الشيطان، أن يذكر الله تعالى، ويذكر اسمه ويستعيذ بالله منه، فإن ذلك أنفع له وأَغْيَظ للشيطان[4].

فائدة حديثية: جاء في سند الحديث(عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ) وهذا الرجل المجهول هو صحابي، وكما هو مقرر في علم مصطلح الحديث أن جهالة الصحابي لا تضرُّ، فالصحابة كلهم عدول ثقات رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(1) السلسلة الصحيحة برقم (2422)، وصحيح الجامع برقم (7318).

(2) فيض القدير (6/ 400).

(3) العلم الهيب (ص545).

(4) زاد المعاد (2/ 356).

ولذلك قال الإمام النووي رحمه الله في(أذكاره)بعد ما روى هذا الحديث: إن الرجل المجهول في رواية أبي داود صحابي، والصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول لا تضر الجهالة بأعيانهم[1].

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: ولا فرق بين أن يسمِّي التابعُ الصاحبَ الذي حدَّثه أو لا يسمِّيه في وجوب العمل بحديثه، لأن الصحابة كلهم عدول مرضيون ثقات أثبات، وهذا أمر مجتَمَع عليه عند أهل العلم بالحديث[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه منَ الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبةً فيما عند الله، منَ الثواب الجزيل، والجزاء الجميل. اهـ[3].

قلت: فرضي الله عنِ الصحابة أجمعين، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، أبطال الإسلام، سادات هذه الأمة وفرسانها، فأبعد الله الرافضة، ما أغواهم وأشد هواهم، ولكن لا **حيلة** في برء الرفض، فإنه داء **مزمن**، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله.

---

(1) الأذكار (ص554).

(2) التمهيد (22/ 47).

(3) الباعث الحثيث (ص498).



100 دعاء المسافر للمقيم

211- (**أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ، الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ**)[1].

وجاء فيه قوله ﷺ: (**من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف: ...**) الحديثَ.....

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ودَّعني رسول الله ﷺ فقال: (**أستودعك الله، الذي لا تضيع ودائعه**).

قوله: (**فليقل لمن يُخلف**) أي: من أهله وأصحابه.

قوله: (**أستودعكم الله**) أي: أستحفظكم الله. والمعنى أن الله عز وجل يحفظ ما استُودِع، قال ﷺ: (**إن الله إذا استُودِع شيئا حفظه**)[2].

قوله: (**ودائعه**) جمع وديعة، والوديعة في الأصل اسم للمال المتروك عند أحد، منَ الودع وهو الترك، قاله في (العلم الهيب).

---

(1) رواه أحمد برقم (9230)، وابن ماجه برقم (2825)، وحسَّنه الشيخ الألباني في الكلم الطيب برقم (167).

(2) رواه أحمد برقم (5605)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (516)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (1708).

101 دعاء المقيم للمسافر

212-(1) (**أَسْتَودِعُ اللهَ دِيْنَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**)[1].

وجاء فيه أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما، كان يقول للرجل إذا أراد سفرا: أنِ ادنُ منِّي أودِّعك كما كان رسول الله ﷺ يودِّعنا، فيقول: (**أستودع الله دينك**، ...). الحديثَ.....

وفي رواية ابن ماجة عنِ ابنِ عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أشخص السرايا يقول للشاخص: (**أستودع الله دينك**، ...). الحديثَ.....

قوله: (ادنُ منّي) أي: أقرب منّي.

قوله: (إذا أشخص السرايا) أي: رفعها أو أرسلها. وشخوص المسافر خروجه من منزله. والسرايا: جمع سرية وهي طائفة منَ الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدوِّ، سموّا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم، منَ الشيء السَّرِيِّ النّفيس، أفاده في(النهاية). والمعنى أَنه إذا بعث السرايا إلى جهة ودَّعهم ويقول للذَّاهب هذه الكلمات.

قوله: (**أستودع الله**) أي: أحتفظه، يعني أسأله حفظ دينك وأمانتك.

قوله: (**دينَك وأمانتَك**) قال الإمام الخطابي: الأمانة هنا: أهله ومَن يخلفه وماله الذي عند أمينه. قال: وذكر الدِّين هنا لأن السفر مظنة المشقة، فربما كان سببا لإهمال بعض أمور الدِّين[2].

قال في(الفتوحات الربَّانية): قدَّم حفظ الدِّين على حفظ الأمانة وهي أهله ومن يخلفه منهم وماله الذي يودِّعه أمينَه اهتماما به، ولأن السفر موضع خوف أو خطر، وقد يصاب أو تحصل له مشقة وتعب لإهماله بعض الأمور المتعلقة بالدِّين من إخراج صلاة عن وقتها ونحوه كما هو مشاهد له.

---

(1) رواه أحمد برقم (4524)، والترمذي برقم (3443)، وابن ماجة برقم (2826)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) الأذكار (1/ 490).

قوله: (**وخواتيم عملك**) جمع خاتم يريد ما يختم به عملك أي: آخره. وإنما ذكره بعد الدِّين اهتماما بشأنه، إذِ الأعمال بخواتيمها. اهـ[1].

213-(2) (**زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، ويَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ**)[2].

والحديث بتمامه عن أنس رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرا فزوِّدْني. قال: (**زوّدك الله التقوى**). قال: زدني. قال: (**وغفر ذنبك**) قال: زدني بأبي أنت وأمِّي. قال: (**ويسَّر لك الخير حيث ما كنت**).

قوله: (فزودني) من التزويد، وهو إعطاء الزاد، والزاد هو المدخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت. والتزود أخذ الزاد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: 197].

قوله: (**زوَّدك الله التقوى**) أي: جعلها خير زادك، فإن خير الزاد التقوى لأنها زاد المعاد. والتقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية ولا يكون ذلك إلا بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا، أمرا ونهيا، فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بموعده، ويترك ما نهى الله عنه، إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده، كما قال طلق بن حبيب: إذا وقعتِ الفتنة فادفعوها بالتقوى. قالوا: وما التقوى؟ قال: (أن تعمل بطاعة الله على نور منَ الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور منَ الله تخاف عقاب الله)[3]. وهذه من **أحسن** ما قيل في حد التقوى، فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الايمان وغايته ثواب الله تعالى، وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب.

---

(1) الفتوحات الربانية (5/ 116).

(2) رواه الترمذي برقم (3444)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(3) قال الإمام الذهبي رحمه الله في السير (4/ 601)، معلقا على كلام طلق بن حبيب: قلت: أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بِتَرَوٍّ منَ العلم والإتباع. ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذِ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفا منَ الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز. اهـ

ولهذا كثيرا ما يُقرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي ﷺ: **(من صام رمضان إيمانا واحتسابا)**. **(ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا)**. [1]. ونظائره. فقوله: (على نور منَ الله)إشارة إلى الأصل الأول، وهو الإيمان، الذي هو مصدر العمل، والسبب الباعث عليه. وقوله: (ترجو ثواب الله)إشارة إلى الأصل الثاني وهو الاحتساب، وهو الغاية التي لأجلها يوقع العمل ولها يقصد به. اهـ[2].

قوله: (زدني) أي منَ الزاد أو منَ الدعاء. قال: **(وغفر ذنبك)** أي: الواقع في السفر غالبا.

قوله: (زدني بأبي أنت وأمِّي) أي أفديك بهما. قال: **(ويسَّر)** أي: سهَّل. **(لك الخير)** الديني والدنيوي منَ الحجِّ والغزوِ والعلم وطلب الحلال وصلة الرحم وأمثال ذلك. **(حيث ما كنت)** متوجها إليه ومشرفا عليه. وفي أي مكان حللت ومِن لازمه في أيٍّ زمان نزلت.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: في الحديث دليل على مشروعية الدعاء للمسافر بهذه الدعوات[3].

---

(1) رواه البخاري برقم (1901)، ومسلم برقم (760).

(2) الرسالة التبوكية (ص8).

(3) تحفة الذاكرين (ص198).



102 التكبير والتسبيح في سَير السفر

214- قال جابر رضي الله عنه: (**كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا**)[1].

قوله: (**كنَّا إذا صعدنا كبَّرنا**) أي: إذا صعدنا الأشراف والأماكن المرتفعة مِنَ الأرض، قلنا: الله أكبر. (**وإذا نزلنا سبَّحنا**) وفي رواية: (**وإذا تصوّبنا سبَّحنا**) أي: انحدرنا والتصويب النزول. والمعنى إذا نزلنا الأودية والأماكن المنخفضة مِنَ الأرض، قلنا: سبحان الله.

في الحديث: مِنَ السنة التكبير عند الصعود، والتسبيح عند النزول.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال المهلب: تكبيره ﷺ عند الارتفاع استشعار لكبرياء الله عز وجل وعندما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شيء، وقيل مناسبة التسبيح في الأماكن المنخفضة من جهة أن التسبيح هو التنزيه، فناسب تنزيه الله عن صفات الانخفاض كما ناسب تكبيره عند الأماكن المرتفعة(*) اهـ[2].

وقال الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله في فقه الأدعية(3/ 274): وفي التكبير في الصعود شغل للقلب واللسان بتعظيم الرب وإعلان كبريائه وعظمته، وفيه طرد للكبر والعجب والغرور، وفي التسبيح في الهبوط تنزيه لله عن النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي ويضاد كماله وجلاله. اهـ

---

(1) رواه البخاري برقم (2993).

(2) فتح الباري (7/ 248).

(*) فائدة: قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى(16/ 113): ولأن التكبير مختصٌّ بالذِّكر في حال الارتفاع، كما أن التسبيح مختص بحال الانخفاض، كما في السنن عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذا علوْنا كبرنا، وإذا هبطنا سبَّحنا، فوضعت الصلاة على ذلك. اهـ. فقوله: (وضعت الصلاة على ذلك) أي: التكبير في حال الارتفاع في الصلاة، والتسبيح في حال الانخفاض فيها في الركوع والسجود، فتأمل. والله أعلم.

103 دعاء المسافر إذا أَسْحَرَ

215- (**سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ**)(1).

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان، إذا كان في سفر وأسحر، يقول: (**سمع سامع بحمد الله...**) الحديثَ.....

قال الإمام النووي رحمه الله: أما (أسحر) فمعناه قام في السَّحَر، أو انتهى في سيره إلى السَّحر وهو: آخِر الليل.

وأما(سمع سامع)فروي بوجهين: أحدهما: فتح الميم من سمع وتشديدها. والثاني: كسرها مع تخفيفها. واختار القاضي هنا وفي (المشارق) وصاحب (المطالع) التشديد، وأشار إلى أنه رواية أكثر رواة مسلم، قالا: **ومعناه:** بلغ سامع قولي هذا لغيره، وقال مثله تنبيها على الذِّكر في السَّحر والدعاء في ذلك، وضبطه الخطابي وآخرون بالكسر والتخفيف قال الخطابي: **معناه:** شهد شاهد على حمدنا لله تعالى على نعمه وحسن بلائه. [وقوله: (**وحسن بلائه**) بمعنى ابتلائه. والابتلاء: الامتحان والاختبار. وقد يكون نعمة وقد يكون نقمة. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: والمراد هنا النعمة قوله: (**صاحبنا**) بصيغة الأمر دعا الله سبحانه وتعالى أن يصاحبه ويتفضل عليه. اهـ)].

وقوله: (**ربَّنا صاحبْنا، وأفضِل علينا**) أي: احفظنا وحُطْنا واكلأْنا وأفضِلْ علينا بجزيل نعمك واصرف عنا كل مكروه.

وقوله: (**عائذا بالله منَ النار**) منصوب على الحال أي: أقول هذا في حال استعاذتي واستجارتي بالله مِنَ النار. اهـ(2).

---

(1) رواه مسلم برقم (2718).

(2) شرح مسلم (17/ 44)، المفهم (7/ 46)، تحفة الذاكرين (ص204).

104 الدعاء إذا نزل منزلا في سفر أو غيره

216- **(أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)**[1].

والحديث بتمامه عن خَولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من نزل منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيء حتى يرتحلَ مِن منزله ذلك)**.

قوله: **(من نزل منزلا)** مظنة للهوامِّ والحشرات ونحوها مما يُؤذي، ولو في غير سفر. والمنزل اسم مكان النزول وهو المراد هنا.

قال في(مرقاة المفاتيح): قال ابن حجر: في سفره. أقول وكذا في حضره إذ لا وجه للتقييد مع التنكير. اهـ[2].

قوله: **(أعوذ)** أعتصم والتجأ. قوله: **(بكلمات الله)** أي بالقرآن، ومعنى تمامها أن لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل كلام الناس وقيل نفعها وشفاؤها من كل ما يتعوَّذ منه أي بشرط صحة النية وحسن الاعتقاد، **وقال البيهقي** سمّاها تامَّة لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه عيب أو نقص كما يكون في كلام الآدميين. قال: وبلغني أن أحمد كان يستدل به على أن القرآن ليس بمخلوق[3]. قال الإمام الخطابي رحمه الله: فأما قول النبي ﷺ: **(أعوذ بكلمات الله التامات)** فإن كلمته القرآن، ووصفه بالتمام تنزيها له عن أن يلحقه نقص أو عيب، كما يوجد ذلك في كلام الآدميين[4].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: قال الهروي وغيره: الكلمات هي القرآن، والتامات قيل هي الكاملات، والمعنى أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس، وقيل: هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يُتعوَّذ منه[5].

---

(1) رواه مسلم برقم (2708).

(2) مرقاة المفاتيح (5/ 335).

(3) الفتوحات الربانية (5/ 163).

(4) غريب الحديث (1/ 252)، وقد تقدم.

(5) تحفة الذاكرين (ص82)، وقد تقدم.

قوله: (**من شرِّ ما خلق**): قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قد دخل في قوله: (**من شرِّ ما خلق**) الاستعاذة من كل شرٍّ في أي مخلوق قام به الشرُّ من حيوان أو غيره، إنسيا كان أو جنيا، أو هامة أو دابة، أو ريحا أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع البلاء[1].

قوله: (**لم يضرَّه شيء**) نكرة في سياق النفي فيعمُّ. (**حتَّى يرتحلَ**) أي ينتقل. (**من منزله ذلك**).

قال في(المرقاة): **وفيه ردٌّ على ما يفعله أهل الجاهلية**، من كونهم إذا نزلوا منزلا قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي، ويعنون كبيرَ الجنِّ، ومنه قوله تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: 06][2].

قوله: (**لم يضرَّه شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك**) قال الإمام القرطبي رحمه الله: هذا خبر صحيح، وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرَّني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيتُ أن أتعوَّذ بتلك الكلمات، فقلت لنفسي -ذامًّا لها ومُوَبِّخًا- ما قاله ﷺ للرجل الملدوغ: (**أما إنك لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق. لم تضرَّك**). اهـ[3]. (المهدية: مدينة ببلاد الأندلس).

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: في هذا الحديث منَ الفقه: أن كلام الله عزَّ وجلَّ غير مخلوق وعلى هذا أهل السنة أجمعون، وهم أهل الحديث والرأي في الأحكام، ولو كان كلام الله أو كلمات الله مخلوقة ما أمر رسول الله ﷺ أحدا أن يستعيذ بمخلوق، دليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: 6]. اهـ[4].

---

(1) بدائع الفوائد (ص726)، وقد تقدم مرارا.

(2) مرقاة المفاتيح (5/ 336).

(3) المفهم (7/ 36).

(4) التمهيد (22/ 696).

فائدة: قال العلماء: حديث خَولة رضي الله عنها أعمُّ مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، [قد مرَّ معنا حديث أبي هريرة برقم(97)]، لأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مقيَّد بليلة واحدة، أما حديث خَولة رضي الله عنها فمطلق مدة نزوله[1].

فائدة حديثية: قال في(الفتوحات): ليس لخَولة في الصحيحين سِوى هذا الحديث وسبق عنِ المرقاة ليس لها في الستة سِوى هذا الحديث[2].

قال في(المرقاة): وليس لها في الكتب سِوى هذا الحديث[3].

(1) انظر شرح مشكل الآثار (1/ 29).

(2) الفتوحات الربانية (5/ 163).

(3) مرقاة المفاتيح (5/ 335).

105 ذكر الرجوع مِنَ السَّفر

217- **يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ثَلاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَه)**[1].

وجاء فيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، كان إذا قفل من غزوٍ أو حجٍّ أو عمرةٍ يكبِّر على كل شَرَف منَ الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: ...

قوله: (كان إذا قفل) بقاف ثم فاء أي: رجع، وزنه ومعناه. وفي رواية مسلم: (كان إذا قفل منَ الجيوش) أي: رجع منَ الغزوِ.

قوله: (من غزوٍ أو حجٍّ أو عمرة) ظاهره اختصاص ذلك بهذه الأمور الثلاث، وليس الحكم كذلك عند الجمهور، بل يشرع قول ذلك في كلِّ سفر.

قوله: (يُكَبِّرُ على كل شَرَف) بفتح المعجمة والراء بعدها فاء، هو المكان العالي، ووقع عند مسلم من رواية عبيد الله بن عمر العمري عن نافع بلفظ: (إذا أوفى) أي: ارتفع[وعلا] (على ثنية) بمثلثة ثم نون ثم تحتانية ثقيلة هي العقبة (أو فَدفد) بفتح الفاء بعدها دال مهملة ثم فاء ثم دال **والأشهر** تفسيره بالمكان المرتفع، وقيل: هو الأرض المستوية، وقيل: الفلاة الخالية من شجر وغيره وقيل: غليظ الأودية ذات الحصى.

قوله: (ثم يقول: **لا إله إلَّا الله**...) الخ، يحتمل أنه كان يأتي بهذا الذِّكر عقب التكبير، وهو على المكان المرتفع، ويحتمل أن التكبير يختصُّ بالمكان المرتفع وما بعده إن كان متَّسِعا أكمل الذِّكر المذكور فيه، وإلَّا فإذا هبط سبح كما دلَّ عليه حديث جابر، ويحتمل أن يكمل الذِّكر مطلقا عقب التكبير ثم يأتي بالتسبيح إذا هبط.

قوله: (**آيبون**) جمع آيب أي راجع، وزنه ومعناه، وهو خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ، والتقدير: نحن آيبون، وليس المراد الإخبار بمحض الرجوع، فإنه تحصيل حاصل، بلِ الرجوع في حالة مخصوصة وهي تلبسهم بالعبادة المخصوصة والاتصاف بالأوصاف المذكورة.

---

(1) رواه البخاري برقم (1797)، ومسلم برقم (1344).

قوله: **(تائبون)** [جمع تائب، مِنَ الذنب]، وفيه إشارة إلى التقصير في العبادة، وقاله ﷺ على سبيل التواضع أو تعليما لأمته. **(عابدون)** خاضعون متذللون. **(لربنا حامدون)** مثنون عليه بصفات كماله وجلاله، وشاكرون عوارف أفضاله.

قوله: **(صدق الله وعده)** أي: فيما وعد به مِن إظهار دينه في قوله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ۝٢٠﴾ [الفتح: 20]. وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ۝٥٥﴾ الآية [النور: 55]. وهذا في سفر الغزو، ومناسبته لسفر الحجِّ والعمرة قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٢٧﴾ [الفتح: 27]. **(ونصر عبده)** يريد نفسه. **(وهزم الأحزاب وحده)** أي: من غير فعل أحد مِنَ الآدميين. واختلف في المراد بالأحزاب هنا، فقيل: هم كفار قريش ومَن وافقهم مِنَ العرب واليهود الذين تحزَّبوا أي تجمعوا في غزوة الخندق ونزلت في شأنهم سورة الأحزاب. وقيل: المراد أعمُّ مِن ذلك[1].

قوله: **(صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)** قال الإمام النووي رحمه الله: أي صدق وعده في إظهار الدِّين، وكون العاقبة للمتقين، وغير ذلك من وعده سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾. و**(هزم الأحزاب وحده)** أي: من غير قتال مِنَ الآدميين، والمراد الأحزاب الذين اجتمعوا يوم الخندق وتحزَّبوا على رسول الله ﷺ، فأرسل الله عليهم ريحا وجنودا لم تروها، وبهذا يرتبط. قوله: **(صدق الله)** تكذيبا لقول المنافقين والذين في قلوبهم مرض ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ هذا هو المشهور أن المراد أحزاب يوم الخندق. قال القاضي: وقيل: يحتمل أن المراد أحزاب الكفر في جميع الأيام والمواطن، والله أعلم. اهـ[2].

---

(1) فتح الباري (14/ 425-427).

(2) شرح مسلم (9/ 125).

106 ما يقول ويفعل مَن أتاه أمر يسرُّه أو يكرهُه

218- **كَانَ ﷺ إذَا أَتَاهُ الأمْرُ يَسُرُّهُ، قَالَ: (الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ)، وإذَا أتَاهُ الأمْرُ يَكْرَهُهُ، قَالَ: (الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ)**[1].

قوله: (إذا أتاه الأمر يسرّه) أي: يُفرِحه. وفي رواية: (إذا رأى ما يحبُّ).

قوله: (**بنعمته**) أي: بسبب نعمته أو بمصاحبتها أي: بإنعامه. (**تتمُّ الصَّالحات**) أي: تكمل الأعمال الصالحة، منَ الصلاح ضد الفساد، وهي تتناول كل شيء صالح منَ الدنيا والآخرة.

قوله: (وإذا أتاه أمر يكرهه) أي يبغضه. وجاء في رواية: (يسوؤه).

قوله: (**على كلِّ حال**) أي: منَ الشدائد المكروهة للنفس، أي فإنَّ ما تكرهه النفس مما لا يؤول إلى عذاب الآخرة موجب للحمد والشكر إذ هو إما كفارة سيئات أو رفع درجات.

ففي الأول خصَّ الحمد على شيء، وفي الثاني عمَّمَه، رعاية لمقتضى المقام والمقال. **والحديث** يدل على أنه ينبغي للعبد أن يحمد الله تعالى في جميع الأحوال، في حالة السراء وحالة الضراء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فكما أنه موصوف في أفعاله بكلِّ حمدٍ وحكمةٍ وغايةٍ محمودةٍ فهو منزَّه فيها عن كل عيب وظلم وقبيح، وبهذا استحقَّ أن يكون محمودا على كل حال وأن يكون محمودا على المكاره، كما هو محمود على المحابِّ، كما في صحيح الحاكم وغيره من حديث عائشة[رضي الله عنها]قالت: (كان النبي ﷺ إذا أتاه الأمر يسرّه قال: (**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**). وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: (**الحمد لله على كل حال**). واللفظ العامُّ إذا ورد على سبب وجب دخول السبب فيه، فيوجب هذا الحمد أنه محمود على هذا الأمر المكروه، لأنه حسن منه وحكمة وصواب فيستحقُّ أن يحمد عليه[2].

---

(1) رواه ابن ماجه برقم (3803)، وابن السني برقم (379)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة.

(2) الصواعق المرسلة (ص1495).

107 فضل الصلاة على النبيِّ ﷺ

219-(1) قَالَ ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)[1].

تقدم في شرح الحديث رقم (20) معنى الصلاة على النبيِّ ﷺ ولا بأس أن نعيده هنا في هذا الباب لأنّه خاصٌّ بهذه الفضيلة.

قوله: (**من صلّى عليّ صلاة**) أولى ما قيل في معنى الصلاة على النبي ﷺ قول أبي العالية: صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه وتعظيمه. وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة. ذكره الحافظ في(الفتح) وردَّ القول المشهور أن صلاة الربِّ الرحمة، وفصَّل ذلك ابن القيم في(جلاء الأفهام)بما لا مزيد عليه، فراجعه[2].

قلت: وقول أبي العالية أخرجه الإمام البخاري رحمه الله معلقا في (كتاب التفسير) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]. بلفظ: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

قال ابن عباس: يصلُّون: يبرِّكون. اهـ

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الصلاة على النبي ﷺ هي ثناء الله تعالى عليه وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره، وزيادة حبِّه وتقريبه[3].

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله في(شرح رياض الصالحين): ومعنى الصلاة منَ الله على رسوله: الثناء عليه في الملإِ الأعلى يعني: أن الله يحمده ويُثني عليه ويبيِّن فضله في الملإِ الأعلى في الملائكة. وأما معنى الصلاة عليه منَ الملائكة والبشر فهو الدعاء له بأن يصلِّيَ الله عليه[4].

وقال أيضا: أكثر الناس يقرأ هذا أو يدعو بهذا الدعاء وهو لا يدري ما معناه،

(1) رواه مسلم برقم (408).

(2) صفة الصلاة (ص165).

(3) جلاء الأفهام (ص450).

(4) شرح رياض الصالحين (5/ 474).

وهذا غلط، فيجب عليك أن تعرف معنى كلِّ شيء تقوله أو تدعو به حتى لا تدعوَ بإثم، فقولك: **(اللهم صلّ على محمد)** يعني: اللهم أثنِ عليه في الملإ الأعلى، ومعنى أثنِ عليه يعني: اذكره بالصِّفات الحميدة. والملأ الأعلى هم الملائكة، فكأنك إذا قلت: اللهم صل على محمد، كأنك تقول: يا رب صفه بالصفات الحميدة، واذكره عند الملائكة حتى تزداد محبتهم له، ويزداد ثوابه بذلك، هذا معنى اللهم صلِّ على محمد[1].

قوله: **(من صلّى عليّ صلاة)** مَن: شرطية، وجوابها قوله: **(صلّى الله عليه بها عشرا)**. والمعنى أن مَن صلَّى عليَّ صلاة واحدة، صلَّى الله عليه بها عشر صلوات.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: يعني: إذا قلت: اللهمَّ صَلِّ على محمد، صلَّى الله عليك بها عشر مرات، فأثنى الله عليك في الملإ الأعلى، عشر مرات، وهذا يدل على فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ ويدل على علوِّ مرتبة النبيِّ ﷺ عند الله حيث جازى مَن صلَّى عليه بعشر أمثال عمله، يصلِّي الله عليه عشر مرات. اهـ[2].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: هذا موافق للقاعدة المستَقِرَّة في الشريعة، أن الجزاء من جنس العمل، فصلاة الله على المصلِّي على رسوله ﷺ جزاء لصلاته هو عليه، ومعلوم أن صلاة العبد على رسوله ﷺ ليست هي رحمة منَ العبد لتكون صلاة الله تعالى عليها مِن جنسها، وإنما هي ثناء على الرسول ﷺ، وإرادة منَ الله أن يُعْلِيَ ذِكره، ويزيده تعظيما وتشريفا، والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسول الله ﷺ، جزاه الله من جنس عمله بأن يثنيَ عليه، ويزيد تشريفه وتكريمه، فصحَّ ارتباط الجزاء بالعمل، ومشاكلته له، ومناسبته له[3].

لطيفة: صلاة الله على المصلِّي على نبيه هي سبب من أسباب الخروج منَ الظلمات إلى النور. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الذِّكر يوجب صلاة الله عزَّ وجلَّ وملائكته على الذاكر، ومن صلّى الله تعالى عليه وملائكته فقد **أفلح** كلَّ الفلاح، **وفاز** كل الفوز، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: 43]، فهذه الصلاة منه تبارك

---

(1) شرح رياض الصالحين (5/ 466).

(2) شرح رياض الصالحين (5/ 475).

(3) جلاء الأفهام (ص265).

وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم منَ الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة منَ الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوا منَ الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم بذلك؟ وأي شرٍّ لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم، ماذا حُرِموا مِن خيره وفضله وبالله التوفيق. اهـ[1].

فائدة: عقد العلامة ابن القيم رحمه الله بابا كاملا في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ في كتابه القيم (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام) فارجع إليه إن شئت تستفد، والله الموفِّق.

220-(2) وقَالَ ﷺ: **(لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ؛فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ)**[2].

جاء في أول الحديث قوله ﷺ: **(لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا...)** الحديثَ.....

قوله: **(لا تجعلوا بيوتكم قبورا)** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أي: لا تعطِّلوها عنِ الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحرِّي العبادة في البيوت، ونهى عن تحرِّيها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون منَ النصارى ومن تشبَّه بهم[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: أي: لا تتركوا الصلاة في بيوتكم، حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلَّى فيها[4].

قوله: **(ولا تجعلوا قبري عيدا)** قال العلامة ابن القيم رحمه الله: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده، مِن زمان ومكان. مأخوذ منَ المعاودة والاعتياد. فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع، وانتيابه للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومِنًى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدا للحنفاء ومثابة،

---

(1) الوابل الصيب (ص174).

(2) رواه أحمد برقم (8804)، وأبو داود برقم (2042)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 172).

(4) تهذيب السنن (ص730).

كما جعل أيام التعبد فيها عيدا. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر، وأيام مِنًى. كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية، الكعبة ومِنًى ومزدلفة وعرفة والمشاعر. فاتخاذ القبور عيدا، هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد نهى عنه رسول الله ﷺ في سيِّد القبور، منبِّها به على غيره...[1].

وقال أيضا: وكذلك نهيه لهم أن يتَّخذوا قبره عيدا، نهي لهم أن يجعلوه مجمعا، كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع اليها للصلاة، بل يزار قبره صلوات الله وسلامه عليه، كما كان يزوره الصحابة رضوان الله عليهم على الوجه الذي يرضيه ويحبُّه، صلوات الله وسلامه عليه[2].

قوله: (**وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم منَ الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبُعدكم منه، فلا حاجة بكم إلى اتِّخاذه عيدًا[3].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: قوله: (**تبلغني**) هذا الحديث وغيره مما تقدَّم صريح في أنه عليه الصلاة والسلام لا يسمع صلاة المصلِّين عليه، فمن زعم أن النبي ﷺ يسمعها فقد كذب عليه، فكيف حال من يزعم أنه ﷺ يسمع غيرها[4].

قال في (فتح المجيد): وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ، فيصلون فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل.

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أوِ الصلاة أوِ الدعاء، فلم يشرعه لهم. بل نهاهم في قوله: (**لا تتخذوا قبري عيدا وصلُّوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني**)، فبين أن الصلاة تصل إليه مِن بُعدٍ، وكذلك السلام، ولعن مَنِ اتخذ قبور الأنبياء مساجد.

---

(1) إغاثة اللهفان (1/ 358).

(2) تهذيب السنن (ص730).

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 173).

(4) تحذير الساجد (ص129).

وفي الحديث: دليل على منع شدِّ الرحل إلى قبره - ﷺ - وإلى قبر غيره منَ القبور والمشاهد لأن ذلك مِنِ اتخاذها أعيادا بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها. اهـ[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ثم إن في اتخاذ القبور أعيادا منَ المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ما يَغْضَبُ لأجله كل مَن في قلبه وقار لله تعالى، وغيرة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن: ما لجرحٍ بميتٍ إيلامٌ.

فمن مفاسد اتخاذها أعيادا:

الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عبَّاد الأوثان يسألونها أوثانهم.

فلو رأيت غلاة المتَّخذين لها عيدا، وقد نزلوا عنِ الأكوار (مفردها: كور، وهو الرحل) والدَّوابِّ إذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه، وقبَّلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضَّجيج، وتباكَوْا حتى سُمِعَ لهم النشيجُ، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يُبدي ولا يُعيد، ونادَوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دَنَوا منها صلُّوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا منَ الأجر -ولا أجر من صلَّى إلى القبلتين- فتراهم حول القبر ركَّعا سجَّدا يبتغون فضلا منَ الميت ورضوانا، وقد ملأوا أكفهم خيبةً وخسرانا، فلغير الله -بل للشيطان- ما يراق هناك منَ العَبَرَات، ويرتفع منَ الأصوات، ويطلب منَ الميت منَ الحاجات، ويسأل مِن تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولى العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيها له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدًى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام؟ !ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن

(1) فتح المجيد (ص289).

لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضا، ويقول:

أجزل الله لنا ولكم أجرا وافرا وحظًّا، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلى البيت الحرام فيقول: لا، ولو بحجك كل عام.

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بِدَعِهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح -كما تقدم- وكل من شمَّ أدنى رائحة منَ العلم والفقه، يعلم أن مِن أهم الأمور: سد الذريعة إلى هذا المحظور، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهي عنه وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته.

ورأيت لأبي الوفاء بن عقيل في ذلك فصلا حسنا فذكرته بلفظه قال:

لما صعبتِ التكاليف على الجهَّال والطَّغام(هم أوغاد الناس والحمقى منهم)، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع: من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها: يا مولاي، افعل بي كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها، وإلقاء الخِرَقِ على الشجر، اقتداء بمن عبد اللات والعزَّى، والويل عندهم لمن لم يُقَبِّلْ مشهد الكف، ولم يتمسح بآجرّة مسجد الملموسة يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته: الصِّدِّيق أبو بكر، أو محمد وعلي، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا(ضرب من الأبنية)بالجص والآجر، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يُرِقْ ماء الورد على القبر. انتهى اهـ[1].

وقال أيضا: وقد أبعد بعض المتكلفين، وقال: يحتمل أن يكون المراد به الحثُّ على كثرة زيارة قبره ﷺ، وأن لا يهمَل حتَّى لا يزار إلا في بعض الأوقات، كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين، قال: ويؤيد هذا التأويل ما جاء في الحديث نفسه:

---

(1) إغاثة اللهفان (1/ 363-365).

(لا تجعلوا بيوتكم قبورا) أي: لا تتركوا الصلاة في بيوتكم، حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلَّى فيها.

قال بعضهم: وزيارة قبره صلوات الله وسلامه عليه غنية عن هذا التكلف البارد، والتأويل الفاسد، الذي يعلم فساده من تأمل سياق الحديث، ودلالة اللفظ على معناه.

وقوله ﷺ في آخره: **(وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)**.

وهل في الإلغاز أبعد من دلالة من يريد الترغيب في الإكثار منَ الشيء، وملازمته بقوله: لا تجعله عيدا؟

وقوله: **(ولا تتخذوا بيوتكم قبورا)** نهي لهم أن يجعلوها بمنزلة القبور، التي لا يصلَّى فيها.

وكذلك: نهيه لهم أن يتَّخذوا قبره عيدا، نهي لهم أن يجعلوه مجمعا، كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصَّلاة، بل يُزار قبره صلوات الله وسلامه عليه، كما كان يزوره الصحابة رضوان الله عليهم على الوجه الذي يُرضيه ويحبه، صلوات الله وسلامه عليه[1].

قال في(عَون المعبود): والحديث دليل على منع السفر لزيارته - ﷺ - لأن المقصود منها هو الصلاة والسلام عليه والدعاء له - ﷺ - وهذا يمكن استحصاله من بُعدٍ كما يمكن من قُربٍ، وأن من سافر إليه وحضر من ناس آخرين فقد اتخذه عيدا وهو منهي عنه بنصِّ الحديث، فثبت منع شدِّ الرَّحْل لأجل ذلك بإشارة النصِّ، كما ثبت النهي عن جعله عيدا بدلالة النصِّ، وهاتان الدلالتان معمول بهما عند علماء الأصول، ووجه هذه الدلالة على المراد قوله: **(تبلغني حيث كنتم)** فإنه يشير إلى البُعد، والبعيد عنه - ﷺ - لا يحصل له القرب إلا باختيار السفر إليه، والسفر يصدق على أقل مسافة من يوم، فكيف بمسافة باعدة، ففيه النهي عن السفر لأجل الزيارة والله أعلم. والحديث حسن جيد الإسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة. قاله الشيخ العلامة محمد بن عبد الهادي رحمه الله. اهـ[2].

---

(1) تهذيب السنن (ص729).

(2) عون المعبود (6/ 33).

وقال في (فَيض القدير): ويؤخذ منه أن اجتماع العامَّة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص منَ السَّنة ويقولون هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصون منهي عنه شرعا وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله. اهـ[1].

مسألة: ما حكم تحميل الإنسان غيره السَّلام على رسول الله ﷺ؟

أجابت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله على هذا السؤال وإليك نص الجواب:

ونوضِّح لك أن تحميل الإنسان غيره السَّلام على رسول الله ﷺ أو غيره منَ الأموات: ليس مشروعا، بل هو بدعة، والنبي ﷺ يقول: (**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**). فالواجب ترك هذا العمل وتنبيه من يقع فيه إلى أنه لا يجوز، ومِن فضل الله علينا أن جعلَ سلامَنا على نبينا محمد ﷺ يبلغه أينما كنَّا، في مشارق الأرض ومغاربها، فقد ثبت أن النبي ﷺ قال: (**إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني مِن أمتي السلام**). رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما.

وقال ﷺ: (**خير أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ منَ الصلاة فيه، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**). وقال عليه الصلاة والسلام: (**لا تجعلوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلُّوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني أين كنتم**).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ[2].

221-(3) وقَالَ ﷺ: (**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**)[3].

قوله: (**البخيل**) أي: الكامل في البخل.

قوله: (**من ذُكرت عنده**) أي ذُكر اسمي بمسمعٍ منه.

قوله: (**فلم يصلّ عليّ**) لأنه بخل على نفسه حين حرمها صلاة الله عليه عشرا إذا هو صلى واحدة، قاله (المناوي).

---

(1) فيض القدير (4/ 199)

(2) فتاوى اللجنة الدائمة (16/ 28).

(3) رواه الترمذي برقم (3546)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي، وصحيح الجامع برقم (2787).

وقال القاري: فمن لم يصلِّ عليه فقد بخل ومنع نفسه من أن يكتال بالمكيال الأوفى، فلا يكون أحد أبخل منه كما تدل عليه رواية: (**البخيل كل البخيل**) انتهى[1].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: قال الفاكهاني: وهذا أقبح بخل وشحٍّ لم يبق بعده إلا الشحّ بكلمة الشهادة. وفي الحديث دليل على وجوب الصلاة عليه ﷺ عند ذكره[2].

فائدة: جاء في حديث آخر قوله ﷺ: (**رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ**)[3].

قال المناوي رحمه الله في (فيض القدير): رغِم بكسر الغين وتفتح أي: لصق أنفه بالتراب، وهو كناية عن حصول غاية الذل والهوان. اهـ[4].

وقال ابن الأثير في (النهاية): أرغم الله أنفه، أي: ألصقه بالرّغام هو التراب، هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذّل والعجز عنِ الانتصاف، والانقياد على كره[5].

وقوله: (**أنف رجل**) والمرأة كذلك.

222-(4) وقَالَ ﷺ: (**إنَّ للَّهِ مَلائكةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلامَ**)[6].

قوله: (**إن لله ملائكة**) أي: جماعة مِنَ الملائكة.

قوله: (**سيّاحين في الأرض**) صفة لـ: (ملائكة)، مبالغة السائح، منَ السياحة وهي الذهاب.

قال في (فيض القدير): (**سيّاحين**) بسين مهملة، منَ السياحة، وهي السَّير، يقال: ساح في الأرض يسيح سياحة إذا ذهب فيها، أصله مِنَ السيح وهو الماء الجاري المنبسط. اهـ[7].

---

(1) تحفة الأحوذي (9/ 531).

(2) تحفة الذاكرين (ص35).

(3) رواه الترمذي برقم (3545)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(4) فيض القدير (4/ 34).

(5) النهاية في غريب الحديث (ص365).

(6) رواه النسائي برقم(1282)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي.

(7) فيض القدير(2/ 479).

قوله: (**يبلغوني**) منَ الإبلاغ، أو منَ التبليغ.

قوله: (**من أمتي**) فيه تعميم لأمته بهذا الفضل، فيدخل فيه الرجال والنساء.

قوله: (**السلام**) أي: يبلغوني سلامَ من سلَّم عليَّ منهم، قليلا كان أو كثيرا، وإن بَعُدَ مكانه، وتباعد زمانه. وفي الحديث مِنَ **الفوائد:**

بيان تعظيم الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ وإجلال منزلته الرفيعة، حيث سخر ملائكته الكرام لتبليغ سلام من يسلِّم عليه مِن أمته إليه، قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء: 113]. ومنها: أن الملائكة أقسام، منهم من خُصَّ بنوع مِنَ الأعمال، كهؤلاء الذين يكثرون السياحة في الأرض، ويبلغون النبي ﷺ سلام مَن سلَّم عليه مِن أمته[1].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث الترغيب العظيم للاستكثار مِنَ الصلاة عليه ﷺ، فإنه إذا كانت صلاة واحدة من صلاة مَن صلَّى عليه تبلغه كان ذلك منشِّطا له أعظم تنشيط[2].

223-(5) وقَالَ ﷺ: (**مَا مِنْ أحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوْحِي، حَتَّى أرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ**)[3].

قوله: (**ما من أحد يسلّم عليَّ**) أي يقول: السلام عليك، أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ونحوها. والسَّلام بمعنى السَّلامة كالمقام والمقامة، والسلام من أسماء الله تعالى، وُضع المصدر موضع الإسم مبالغةً، والمعنى أنه سالم مِن كل عيب وآفة ونقص وفساد، ومعنى قولنا: (**السلام عليك**) الدعاء، أي سَلِمْتَ مِنَ المكاره، وقيل: معناه: (اسم السلام عليك) كأنه تبرك عليه باسم الله تعالى، أفاده الحافظ في (الفتح) وقد تقدَّم في شرح حديث التشهد برقم (52).

قوله: (**إلا ردَّ الله عليَّ روحي**) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: وأما ما ثبت عنه ﷺ من أنه: (لا يسلِّم عليه أحد إلَّا ردَّ الله عليه روحه حتَّى يردَّ عليه السلام) و(أن الله وكل ملائكته يبلغونه سلام أمته) فإن تلك الحياة أيضا لا يعقل حقيقَتَها أهلُ

---

(1) شرح سنن النسائي (15/ 95).

(2) تحفة الذاكرين (ص38).

(3) رواه أبو داود برقم (2041)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

الدنيا، لأنها ثابتة له ﷺ مع أن رُوحه الكريمة في أعلى عِليين مع الرفيق الأعلى، فوق أرواح الشهداء، فتعلق هذه الروح الطاهرة التي هي في أعلى عِليين بهذا البدن الشريف الذي لا تأكله الأرض يعلم الله حقيقته، ولا يعلمها الخلق، كما قال في جنس ذلك: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، ولو كانت كالحياة التي يعرفها أهل الدنيا لما قال الصِّدِّيق رضي الله عنه أنه ﷺ مات، ولما جاز دفنه، ولا نصب خليفة غيره، ولا قتل عثمان، ولا اختلف أصحابه، ولا جرى على عائشة ما جرى، ولسألوه عنِ الأحكام التي اختلفوا فيها بعده، كالعول، وميراث الجد، والإخوة، ونحو ذلك.

وإذا صرَّح القرآن بأن الشهداء أحياء في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾، وصرح بأن هذه الحياة لا يعرف حقيقتها أهل الدنيا بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، وكان النبي ﷺ أثبت حياته في القبر بحيث يسمع السلام ويرده، وأصحابه الذين دفنوه ﷺ لا تشعر حواسهم بتلك الحياة، عرفنا أنها حياة لا يعقلها أهل الدنيا أيضا، ومما يقرب هذا للذهن حياة النائم فإنه يخالف الحيَّ في جميع التصرفات، مع أنه يدرك الرؤيا، ويعقل المعاني، والله تعالى أعلم. انتهى. والله أعلم[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: الأنبياء إنما استقرَّت أرواحهم هناك -يعني في السماء- بعد مفارقة الأبدان، وروح رسول الله ﷺ صعدت إلى هناك في حال الحياة ثم عادت - يعني في الإسراء والمعراج - وبعد وفاته استقرَّت في الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومع هذا فلها إشراف على البدن، وإشراق، وتعلق به، بحيث يرد السلام على من سلَّم عليه، وبهذا التعلق رأى موسى قائما يصلِّي في قبره، ورآه في السماء السادسة، ومعلوم أنه لم يعرج بموسى من قبره ثم ردَّ إليه، وإنما ذلك مقام روحه واستقرارها، وقبره مقام بدنه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها، فرآه يصلِّي في قبره، ورآه في السماء السادسة، كما أنه ﷺ في أرفع مكان في الرفيق الأعلى مستقرًّا هناك، وبدنه في ضريحه غير مفقود وإذا سلَّم عليه المسلِّم رد الله عليه روحَه حتى يردَّ عليه السلام، ولم يفارق الملأ الأعلى، ومن كثف إدراكه وغلظت طباعه عن إدراك هذا، فلينظر إلى الشمس في علوِّ محلها، وتعلقها وتأثيرها في الأرض، وحياة النبات والحيوان بها، هذا وشأن الروح فوق هذا، فلها شأن، وللأبدان شأن، وهذه النار تكون في محلِّها، وحرارتها تؤثر في الجسم البعيد عنها، مع أن الارتباط

(1) دفع إيهام الاضطراب (34-35).

والتعلق الذي بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم، فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف.

فقل للعيون الرمد إياك أن تري سنا الشمس فاستغشي ظلام اللياليا. اهـ[1]

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: حياته ﷺ بعد وفاته مخالفة لحياته قبل الوفاة، ذلك أن الحياة البرزخية غيبٌ مِنَ الغيوب، ولا يدري كنهَها إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن مِنَ الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية، ولا تخضع لقوانينها، فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب ويتنفَّس ويتزوَّج ويتحرَّك ويتبرَّز ويمرض ويتكلَّم، ولا أحدَ يستطيع أن يثبت أن أحدا بعد الموت حتى الأنبياء عليهم السلام - وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ - تعرض له هذه الأمور بعد موته. ومما يؤكد هذا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في مسائل كثيرة بعد وفاته، ولم يخطر في بالِ أحدٍ منهمُ الذهاب إليه ﷺ في قبره ومشاورته في ذلك وسؤاله عنِ الصواب فيها، لماذا؟ إن الأمر واضح جدًّا وهو أنهم كلهم يعلمون أنه ﷺ انقطع عنِ الحياة الدنيا، ولم تَعُدْ تنطبق عليه أحوالها ونواميسها، فرسول الله ﷺ بعد موته حيٌّ أكمل حياة يحياها إنسان في البرزخ، ولكنها حياة خاصة لا تشبه حياة الدنيا، ولعل مما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: **(ما من أحد يسلم عليَّ إلَّا ردَّ الله علي روحي حتى أردَّ عليه السَّلام)**، وعلى كل حال، فإن حقيقتها لا يدريها إلا الله سبحانه وتعالى، ولذلك فلا يجوز قياس الحياة البرزخية أوِ الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية، كما لا يجوز أن تعطى واحدة منها أحكام الأخرى، بل لكل منها شكل خاصٌّ، وحكم معيَّن، ولا تتشابه إلا في الاسم أما الحقيقة، فلا يعلمها إلَّا الله تبارك وتعالى. اهـ[2].

---

(1) زاد المعاد (3/ 40-41).

(2) التوسل (ص60).

108 إفشاء السلام

224-(1) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا تَدْخُلُوا الـجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ)** [1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وإفشاء السلام: إظهاره وإشاعته، وإقراؤه على المعروف وغير المعروف.

ومعنى قوله: **(لا تؤمنوا حتى تحابُّوا)** أي: لا يكمل إيمانكم، ولا يكون حالكم حال مَن كمل إيمانه حتى تفشوا السلام الجالب للمحبة الدينية والألفة الشرعية. اهـ[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قوله: **(ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا)** معناه: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحابِّ.

وأما قوله: **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا)** فهو على ظاهره وإطلاقه، فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمنا، وإن لم يكن كامل الإيمان، فهذا هو الظاهر مِنَ الحديث.

وأما قوله: **(أفشوا السلام بينكم)** فهو بقطع الهمزة المفتوحة، وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم، من عرفتَ ومن لم تعرف.

والسلام: أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميِّز لهم مِن غيرهم مِن أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين. اهـ[3].

225-(2) **(ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإيْمَانَ: الإنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وبَذْلُ السَّلاَمِ للعَالَمِ، والإنْفَاقُ مِنَ الإقْتَارِ)** [4].

---

(1) رواه مسلم برقم (54).

(2) المفهم (1/ 242).

(3) شرح مسلم (2/ 43-44).

(4) رواه البخاري عن عمار بن ياسر رضي الله عنه موقوفا معلَّقًا قبل الحديث رقم (28)، وانظر للفائدة كلام الحافظ ابن حجر في الفتح (1/ 155)، فإنه مهمٌّ وفيه زيادة تخريج.

قال الحافظ في (الفتح): قوله: **(ثلاث)** أي: ثلاث خصال. و**(العالَم)** بفتح اللام والمراد به هنا جميع الناس. والإقتار: القلة. وقيل: الافتقار.

قال أبو الزناد بن سراج وغيره: إنما كان مَن جمع الثلاث مستكملا للإيمان لأن مداره عليها، لأن العبد إذا اتَّصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقًّا واجبا عليه إلا أدَّاه، ولم يترك شيئا مما نهاه عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان، وبذلُ السلام يتضمَّن مكارم الأخلاق والتواضع، وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب، والإنفاق مِنَ الإقتار يتضمَّن غاية الكرم، لأنه إذا أنفق مِنَ الاحتياج كان مع التوسُّع أكثر إنفاقا، والنفقة أعمُّ مِن أن تكون على العيال واجبة ومندوبة، أو على الضيف والزائر، وكونه مِنَ الإقتار يستلزم الوثوق بالله، والزهد في الدنيا، وقصر الأمل، وغير ذلك من مهمات الآخرة، وهذا التقرير يقوِّي أن يكون الحديثُ مرفوعا لأنه يشبه أن يكون كلامَ مَن أوتي جوامع الكلم. والله أعلم. اهـ[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قد جمع في هذه الكلمات الثلاث خيرات الآخرة والدنيا، فإنَّ الإنصاف يقتضي أن يؤدِّيَ إلى الله تعالى جميع حقوقه وما أمره به، ويجتنب جميع ما نهاه عنه وأن يؤدِّيَ إلى الناس حقوقَهم، ولا يطلب ما ليس له، وأن ينصف أيضا نفسه، فلا يوقعها في قبيح أصلا. وأما بذل السلام للعالَم، فمعناه لجميع الناس، فيتضمن أن لا يتكبر على أحد وأن لا يكون بينه وبين أحد جفاء يمتنع منَ السلام عليه بسببه. وأما الإنفاق مِنَ الإقتار، فيقتضي كمال الوثوق بالله تعالى والتوكل عليه والشفقة على المسلمين... إلى غير ذلك. نسأل الله تعالى الكريم التوفيق لجميعه. اهـ[2].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه، فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفَّرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وأن لا يُطالبهم بما ليس له ولا يحمِّلهم فوق وسعهم، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به ويُعفيهم مما يُحبُّ أن يُعْفُوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدَّعي لها ما ليس لها، ولا يُخَبِّثُها بتدنيسه لها، وتصغيره إياها وتحقيرها بمعاصي الله، وينميها ويكبرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحبه وخوفه، ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، وإيثار مرضاته ومحابِّه على مراضي

(1) فتح الباري (1/ 56 1).

(2) الأذكار (2/ 541-542).

الخلق ومحابِّهم، ولا يكون بها مع الخلق ولا مع الله، بل يعزلها مِنَ البين كما عزلها الله، ويكون بالله لا بنفسه في حبِّه وبغضه وعطائه ومنعه، وكلامه وسكوته، ومدخله ومخرجه فينجي نفسه منَ البين، ولا يرى لها مكانة يعمل عليها، فيكون ممن ذمَّهم الله بقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ [الأنعام: 135]، فالعبد المحض ليس له مكانة يعمل عليها، فإنه مستحقُّ المنافع والأعمال لسيده، ونفسه ملك لسيده، فهو عامل على أن يؤدِّيَ إلى سيده ما هو مستحقٌّ له عليه، ليس له مكانة أصلا، بل قد كوتب على حقوق منجمة، كلما أدَّى نجما حلَّ عليه نجم آخر، ولا يزال المكاتب عبدا ما بقي عليه شيء من نجوم الكتابة. والمقصود أن إنصافه من نفسه يوجب عليه معرفة ربه، وحقِّه عليه، ومعرفة نفسه، وما خلقت له وأن لا يزاحم بها مالكها، وفاطرها ويدَّعي لها الملكة والاستحقاق، ويزاحم مراد سيده، ويدفعه بمراده هو، أو يقدِّمه ويؤثره عليه، أو يقسم إرادته بين مراد سيده ومراده، وهي قسمة ضيزي مثل قسمة الذين قالوا: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: 136]، فلينظر العبد، لا يكون من أهل هذه القسمة بين نفسه وشركائه وبين الله لجهله وظلمه وإلا لُبس عليه، وهو لا يشعر، فإن الإنسان خلق ظلوما جهولا، فكيف يطلب الإنصاف ممن وصفُه الظلم والجهل؟ !وكيف ينصف الخلق من لم ينصف الخالق؟ !كما في أثر إلهي يقول الله عز وجل: (**ابن آدم، ما أنصفتني، خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد، كم أتحبب إليك بالنعم، وأنا غني عنك، وكم تتبغَّض إليَّ بالمعاصي وأنت فقير إليَّ، ولا يزال المَلَك الكريم يعرج إليَّ منك بعمل قبيح**). وفي أثرٍ آخرَ: (**ابن آدم، ما أنصفتني، خلقتك وتعبد غيري، وأرزقك وتشكر سِوايَ**). ثم كيف ينصف غيره مَن لم ينصف نفسَه، وظلمها أقبح الظلم، وسعى في ضررها أعظم السعي ومنعها أعظم لذاتها من حيث ظن أنه يعطيها إياها، فأتعبها كل التعب، وأشقاها كل الشقاء من حيث ظنَّ أنه يريحها ويسعدها، وجدَّ كل الجدِّ في حرمانها حظَّها منَ الله وهو يظن أنه ينيلها حظوظها، ودسَّاها كل التدسية، وهو يظن أنه يُكْبرها وينميها، وحقرها كل التحقير، وهو يظن أنه يعظِّمها، فكيف يرجى الإنصاف ممن هذا إنصافه لنفسه؟! إذا كان هذا فعل العبد بنفسه، فماذا تراه بالأجانب يفعل. والمقصود أن قول عمار رضي الله عنه: (**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم والإنفاق منَ الإقتار**) كلام جامع لأصول الخير وفروعه.

وبذل السلام للعالم يتضَّمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلَّم عليه كبرا منه وتيها، فكيف يبذل السلام لكل أحد.

وأما الإنفاق منَ الإقتار، فلا يصدر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين وتوكل، ورحمة، وزهد في الدنيا، وسخاء نفس بها، ووثوق بوعد من وعده مغفرة منه وفضلا وتكذيبا بوعد من يَعِدُه الفقر، ويأمر بالفحشاء والله المستعان. اهـ[1].

226-(3) وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **(تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لَمْ تَعْرِف)**[2].

قوله: (أي: الإسلام خير؟) معناه: أي خصاله وأموره وأحواله.

قوله: **(تُطعم الطعام)** أي: أن تُطعم، وذكر الإطعام ليدخل فيها الضيافة وغيرها. **(وتقرأ)** بلفظ مضارع القراءة بمعنى تقول.

قال الإمام النووي رحمه الله: ومعنى: **(وتقرأ السلام على مَن عرفت ومَن لم تعرف)** أي: تسلِّم على كلِّ مَن لقيتَه عرفتَه أم لم تعرفه، ولا تخصَّ به من تعرفه كما يفعله كثيرون منَ الناس، ثم إن هذا العموم مخصوص بالمسلمين، فلا يسلِّم ابتداءً على كافر.

وفي هذا الحديث جُمَل منَ العلم، **ففيه**: الحثُّ على إطعام الطعام والجود والاعتناء بنفع المسلمين **وفيه**: الحثُّ على تألف قلوب المسلمين واجتماع كلمتهم، وتوادِّهم واستجلاب ما يحصِّل ذلك **وفيه**: بذل السلام لمن عرفتَ، ولمن لم تعرف، وإخلاص العمل فيه لله تعالى لا مصانعةً ولا ملقا **وفيه** مع ذلك: استعمال خلق التواضع، وإفشاء شعار هذه الأمة والله تعالى أعلم[3].

---

(1) زاد المعاد (2/ 407-410).

(2) رواه البخاري برقم (12)، ومسلم برقم (39).

(3) شرح مسلم (2/ 15).

109 كيف يردّ السَّلام على الكافر إذا سلَّم

227- (**إِذَا سَلَّم عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ؛فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ**) [1].

وفي رواية: (إنّ أهل الكتاب يسلّمون علينا فكيف نردُّ عليهم؟ قال: (**قولوا: وعليكم**). وفي رواية: (**إنّ اليهود إذا سلّموا عليكم يقول أحدهم: السّام عليكم، فقل: عليك**). وفي رواية: (**فقل: وعليك**) [2].

قوله: (**السّام عليكم**) قال العلماء: السّام -بتخفيف الميم-: الموت[3].

قال الإمام النووي رحمه الله: اتَّفق العلماء على الرد على أهل الكتاب إذا سلّموا، لكن لا يقال لهم (وعليكم السلام) بل يقال: (عليكم) فقط أو (وعليكم)، وقد جاءت الأحاديث التي ذكرها مسلم عليكم وعليكم بإثبات الواو وحذفها وأكثر الروايات بإثباتها وعلى هذا في معناه وجهان: **أحدهما**: أنه على ظاهره فقالوا: عليكم الموت فقال: وعليكم أيضا أي نحن وأنتم فيه سواء وكلنا نموت. و**الثاني**: أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك وتقديره وعليكم ما تستحقونه من الذم، وأما من حذف الواو فتقديره: بل عليكم السام[4].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما الردُّ عليهم فأَمَرَ أن يقتصر به على (**عليكم**)، واختلفت الرواية في إثبات الواو وحذفها، وصحَّ هذا وهذا... [5]. هذا كله إذا تحقق أنه قال: السام عليكم، أو شكَّ فيما قال. فلو تحقق السامع أنَّ الذميَّ قال له: (**سلام عليكم**) لا شك فيه، فهل له أن يقول: (**وعليك السلام**) أو يقتصر على قوله: (**وعليك**) فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: (**وعليك السَّلام**)، فإن هذا مِن باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ

---

(1) رواه البخاري برقم(6258)، ومسلم برقم(2163).

(2) رواه البخاري برقم(6257)، ومسلم برقم (2164).

(3) النهاية في غريب الحديث(ص446)، جامع الأصول(6/ 610).

(4) شرح مسلم (14/ 163).

(5) وبعد تحقيق نفيس قال: وعلى هذا فالصواب إثبات الواو، وبه جاءت أكثر الروايات، وذكرها الثقات الأثبات والله أعلم.

﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ (٨٦)﴾ [النساء: 86]. فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، فإنه ﷺ إنما أمر بالاقتصار على قول الرَّادِّ (**وعليكم**) بناءً على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وأشار إليه في حديث عائشة رضي الله عنها فقالت: (ألا تريني قلت: وعليكم، لما قالوا: السام عليكم؟ ثم قال: **إذا سلّم عليكم أهل الكتاب، فقولوا: وعليكم**) والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنما يعتبر عمومه في نظير المذكور، لا فيما يخالفه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ (٨)﴾ [المجادلة: 08]. فإذا زال هذا السبب، وقال الكتابي: سلام عليكم ورحمة الله، فالعدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه، وبالله التوفيق[1].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: فقد علّل النبي ﷺ قوله: (**فقولوا: وعليك**) بأنهم يقولون: (**السام عليك**). فهذا التعليل يعطي أنهم إذا قالوا: (**السلام عليكم**) أن يُردَّ عليهم بالمثل: (**وعليك السلام**) ويؤيده الأمر الآتي وهو: عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ (٨٦)﴾، فإنها بعمومها تشمل غير المسلمين أيضا.... [2].

فائدتان: 01-هل يجوز ابتداؤهم بالسلام؟

قال الإمام النووي رحمه الله: واختلف العلماء في ردِّ السلام على الكفَّار وابتدائهم به. فمذهبنا تحريم ابتدائهم به ووجوب ردِّه عليه، بأن يقول: وعليكم أو عليكم فقط. ودليلنا في الابتداء قوله ﷺ: (**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام**)[3]. وفي الرَّدِّ قوله ﷺ: (**فقولوا: وعليكم**). وبهذا الذي ذكرناه عن مذهبنا قال أكثر العلماء وعامة السلف[4].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: إنما نهى عن ذلك لأن الابتداء بالسلام إكرام، والكافر ليس أهلا لذلك، فالذي يناسبهم الإعراض عنهم، وترك الالتفات إليهم، تصغيرا لهم، وتحقيرا لشأنهم، حتى كأنهم غير موجودين. اهـ[5].

---

(1) أحكام أهل الذمة (422)، وانظر تهذيب السنن (ص2408)، وبدائع الفوائد (ص665).

(2) السلسلة الصحيحة (2/ 321).

(3) رواه مسلم برقم (2167).

(4) شرح مسلم (14/ 164).

(5) المفهم (5/ 490).

02-هل يجوز ابتداؤهم بغير السلام، كقول: كيف أصبحتَ؟ كيف أمسيتَ؟

قال الإمام النووي رحمه الله: قال أبو سعد: لو أراد تحيةَ ذميٍّ فعلها بغير السلام، بأن يقول: هداك الله، أو أنعم الله صباحك. قلت: هذا الذي قاله أبو سعد لا بأس به إذا احتاج إليه، فيقول: صبحت بالخير أو بالسعادة أو بالعافية، أو صبحك الله بالسرور أو بالسعادة والنعمة أو بالمسرَّة.... أو ما أشبه ذلك. اهـ[1].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: الذي يبدو لي -والله أعلم- الجواز، لأن النهي المذكور إنما هو عنِ السلام، وهو عند الإطلاق إنما يراد به السلام الإسلامي المتضمن لاسم الله عز وجل، كما في قوله ﷺ: (**السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم**) [أخرجه البخاري في الأدب المفرد(989)]. وممَّا يؤيد ما ذكرته قول علقمة: (إنما سلم عبد الله (يعني ابن مسعود)على الدهاقين إشارة). أخرجه البخاري(1104)مترجما له بقوله: (من سلم على الذميِّ إشارة). فأجاز ابن مسعود ابتدائهم في السَّلام بالإشارة، لأنه ليس السَّلامَ الخاصَّ بالمسلمين، فكذلك يقال في السلام عليهم بنحو ما ذكرنا منَ الألفاظ. اهـ[2].

---

(1) الأذكار (2/ 564).

(2) السلسلة الصحيحة (2/ 320).

110 الدعاء عند سماع صياح الدِّيك ونهيق الحمار

228- (**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا**)[1].

قوله: (**إذا سمعتم صياح الدِّيكة**) بكسر الدّال وفتح الياء جمع ديك وهو ذكر الدجاج. قال الدميري في (حياة الحيوان): وأعظم ما في الدِّيك منَ العجائب معرفة الأوقات الليلية، فيقسط أصواته عليه تقسيطا لا يغادر منه شيئا سواء طال أو قصر، ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده، فسبحان من هداه لذلك. أفاده في (المرقاة). وقد نهى النبي ﷺ عن سبّه فقال: (**لا تسبُّوا الديك، فإنه يوقِظ للصلاة**). وفي رواية: (**يدعو إلى الصلاة**)[2].

قوله: (**فاسألوا الله من فضله**) أي من جميع مصالحكم في الدِّين والدُّنيا. (**فإنّها رأت ملكا**) بفتح اللام، قال عياض: كان السبب فيه رجاء تأمين الملائكة على دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالإخلاص.

قوله: (**وإذا سمعتم نهيق الحمار**) أي: صوته. يقال: نهيق ونهاق ونهق. والحمار: الحيوان المعروف جمعه حمير وأحمرة وحمر. زاد النسائي والحاكم من حديث جابر: (**ونباح الكلاب**). (**فتعوَّذوا بالله منَ الشيطان**) أي قولوا: أعوذ بالله منَ الشيطان الرجيم. (**فإنها رأت شيطانا**) قال عياض: وفائدة الأمر بالتعوُّذ لما يخشى من شرِّ الشيطان وشر وسوسته، فيلجأ إلى الله في دفع ذلك.

قال العلامة ابن القيم رحمه: ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عيانا، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يُرى، وهو شيطان الجنِّ، أمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه[3].

لطيفة: قال الحافظ في (الفتح): قال الداودي: يتعلم من الديك خمس خصال: حسن الصوت، والقيام في السَّحَر، والغيرة، والسخاء، وكثرة الجماع[4].

---

(1) رواه البخاري برقم (3303)، ومسلم برقم (2729).

(2) رواه أحمد برقم (21679)، وأبو داود برقم (5101)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) زاد المعاد (2/ 462).

(4) فتح الباري (7/ 588).

111 الدعاء عند سماع نُباح الكلاب بالليل

229- **(إِذَا سَـمِعْتُمْ نُبَـاحَ الـكِلاَبِ ونَـهِيقَ الـحَمِيرِ بِاللَّيْـلِ، فَتَعَوَّذُوا مِنْهُـنَّ فإنَّهُنَّ يَرَيْـنَ مَا لا تَـرَوْنَ)** [1].

قال العيني رحمه الله في (العلم الهيب): إنما قَيَّدَ التعوُّذَ في هذا الحديث إذا سمعوا نُباح الكلب ونَهيق الحمير **بالليل**، لأن الليل وقت انتشار الشياطين، فلذلك قال: **(فإنهن يرين)** منَ الشياطين والجن **(ما لا ترون)** أنتم، وأما بالنهار فيمكن أن يكون النباح والنهيق لعلة أخرى، وإن كانت هذه العلة موجودةً في الليل، ولكن الغالب في الليل رؤية الشياطين، والحكم يدور على الغالب، والله أعلم. اهـ[2].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: وقوله في الحديث: **(بالليل)** يقيد المطلق، فتكون الاستعاذة إذا سمع النباح ليلا لا نهارا. اهـ[3].

(1) رواه أحمد برقم (14283)، وأبو داود برقم (5103)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) العلم الهيب (ص519).

(3) تحفة الذاكرين (ص242)، وانظر للفائدة السلسلة الصحيحة حديث رقم (3183).

112 الدعاء لمن سَبَبْتَهُ

230- قَالَ ﷺ: (**اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ؛فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [1].

هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هو لفظ الإمام البخاري رحمه الله، وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله مِن حديث عائشة بيان سبب هذا الحديث قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلان، فكلَّماه بشيء لا أدري ما هو، وأغضباه، فلعنهما، وسبَّهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله. لمن أصاب مِنَ الخير شيئا ما أصابه هذان، قال: (**وما ذاك؟**) قالت: قلت: لعنتَهما، وسببتَهما قال: (**أوما علمت ما شارطت عليه ربِّي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنتُه، أو سببتُه فاجعله له زكاةً وأجرًا**).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله: (لمن أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان) هذا الكلام من السهل الممتنع، وذلك أن معناه أن هذين الرجلين ما أصابا منك خيرا، وإن كان غيرهما قد أصابه. قوله: (**اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنتُه، أو سببتُه، فاجعله له زكاة وأجرا**) ظاهر هذا: أنه خاف أن يصدر عنه في حال غضبه شيء من تلك الأمور فيتعلق به حق مسلم فدعا الله تعالى ورغب إليه في أنه: إن وقع منه شيء من ذلك لغير مستحقٍّ في ألا يفعل بالمدعوِّ عليه مقتضى ظاهر ذلك الدعاء، وأن يعوِّضه من ذلك مغفرةً لذنوبه، ورفعةً في درجاته، فأجاب الله تعالى طلبة نبيه ﷺ ووعده بذلك، فلزم ذلك بوعده الصِّدق، وقوله الحقِّ، وعن هذا عبَّر النبي ﷺ بقوله: (**شارطت ربِّي**)، (**وشرط عليَّ ربِّي**)، و(**اتَّخذت عنده عهدا لن يخلفنيه**) لا أن الله تعالى يُشترط عليه شرطٌ، ولا يجب عليه لأحد حق، بل: ذلك كله بمقتضى فضله، وكرمه على حسب ما سبق في علمه، فإنْ قيل: فكيف يجوز أن يصدر مِنَ النبي ﷺ لعن، أو سبٌّ، أو جلد لغير مستحقِّه، وهو معصوم من مثل ذلك في الغضب والرضا لأن كل ذلك محرَّم وكبيرة، والأنبياء معصومون عنِ الكبائر، إما بدليل العقل، أو بدليل الإجماع كما تقدم؟

---

(1) رواه البخاري برقم (6361)، ومسلم برقم (2601).

قلت: قد أشكل هذا على العلماء، وراموا التخلُّص من ذلك بأوجه متعدِّدة، أوضحُها وجهٌ واحدٌ، وهو: أن النبي ﷺ إنما يغضب لما يرى منَ المغضوب عليه من مخالفة الشرع فغضبه لله تعالى لا لنفسه، فإنه ما كان يغضب لنفسه، ولا ينتقم لها، وقد قرَّرنا في الأصول: أن الظاهر مِن غضبه تحريم الفعل المغضوب مِن أجله. وعلى هذا فيجوز له أن يؤدِّب المخالفَ له باللعن والسبِّ والجلد والدعاء عليه بالمكروه، وذلك بحسب مخالفة المخالف، غير أن ذلك المخالف قد يكون ما صدر منه فلتةً أوجبتها غفلةٌ، أو غلبة نفس، أو شيطان، وله في ما بينه وبين الله تعالى عمل خالص، وحال صادق يدفع الله عنه بسبب ذلك أثر ما صدر عنِ النبي ﷺ له من ذلك القول، أو الفعل. وعن هذا عبَّر النبي ﷺ بقوله: (**فأيما أحد دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهورا وزكاة، وقربة تقربه بها يوم القيامة**) أي: عوَّضَه مِن تلك الدعوة بذلك، والله تعالى أعلم.

قلت: وقد يدخل في قوله: (**أيما أحد مِن أُمتي دعوتُ عليه**) الدعوات الجارية على اللسان من غير قصد للوقوع، كقوله: (**تربت يمينك**) و: (**عقرى حلقى**). ومن هذا النوع قوله لليتيمة: (**لا كبر سنك**) فإن هذه لم تكن عن غضب، وهذه عادة غالبة في العرب يَصِلون كلامهم بهذه الدعوات، ويجعلونها دعاما لكلامهم من غير قصدٍ منهم لمعانيها، وقد قدمنا في كتاب الطهارة في هذا كلاما للبديع، وهو من القول البديع. وبما ذكرناه يرتفع الإشكال، ويحصل الإنفصال[1].

قال الحافظ في(الفتح): وفي الحديث: كمال شفقته ﷺ على أُمته، وجميل خُلُقه وكرم ذاته حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم، وهذا كله في حقِّ **معيَّنٍ** في زمنه واضح، وأما ما وقع منه بطريق التعميم لغير معيَّن حتى يتناول من لم يدرك زمنه ﷺ **فما أظنه يشمله**. والله أعلم[2].

تنبيه: ظاهر تبويب المصنِّف، حفظه الله، أن هذا الدعاء عامٌّ وليس كذلك بل هو خاصٌّ بالنبي ﷺ، ولذلك بوّب الإمام البخاري رحمه الله على هذا الحديث باب قول النبي ﷺ: (**من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة**). وبوّب عليه الإمام مسلم رحمه الله باب: من لعنه النّبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك. وإليه

(1) المفهم (6/ 583).

(2) فتح الباري (14/ 399).

أشار الحافظ قبل قليل. وممَّا يؤيد هذا أيضا أن الحديث ذكره ابن الملقن رحمه الله في كتابه(غاية السول في خصائص الرسول ﷺ) وقال في آخر المسألة: وعدَّ القضاعي هذه الخصيصة مما خص بها دون الأنبياء قبله[1]. والله تعالى أعلم.

لطيفة: من دقَّة وفهم الإمام مسلم رحمه الله وحسن ترتيبه صحيحَه أنه أورد عقب هذا الحديث حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله لمعاوية رضي الله عنه: (**لا أشبع الله بطنه**). قال العلماء: فيكون دعاء له، وليس دعاء عليه.

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما دعاؤه على معاوية ففيه جوابان: **أحدهما**: أنه جرى على اللسان بلا قصد. و**الثاني**: أنه عقوبة له لتأخُّره. وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقًا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب وجعله غيرُه من مناقب معاوية، لأنه في الحقيقة يصير دعاءً له[2].

وقد أشار الإمام الذهبي رحمه الله إلى هذا المعنى الثاني، فقال في(السِّيَر): قلت: لعلَّ أن يقال: هذه منقبة لمعاوية، لقوله ﷺ: (**اللهم من لعنته أو سببته فاجعل له ذلك زكاة ورحمة**)[3].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله بعد أن ذكر حديث: (**لا أشبع الله بطنه**). رواه أبو داود الطيالسي في مسنده(2746): حدثنا هشام وأبو عوانة عن أبي حمزة القصاب عنِ ابنِ عباس: (أن رسول الله ﷺ بعث إلى معاوية **ليكتب له**، فقال: إنه يأكل، ثم بعث إليه، فقال: إنه ياكل، فقال رسول الله ﷺ: (فذكره). قلت: وهذا اسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، رجال مسلم، ... وقد يستغلُّ بعضُ الفرق هذا الحديث، ليتخذوا منه مطعنا في معاوية رضي الله عنه، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي ﷺ!؟ ولذلك قال الحافظ ابن عساكر(16/ 349/ 2): إنه **أصح** ما ورد في فضل معاوية.

فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله ﷺ في بعض نسائه: (**عقرى حلقى**)، و(**تربت يمينك**)... ويمكن أن يكون ذلك منه ﷺ بباعث البشرية التي أفصح عنها هو

---

(1) غاية السول (ص187).

(2) شرح مسلم (16/ 167).

(3) سير أعلام النبلاء (14/ 130)، تذكرة الحفاظ (2/ 699).

نفسه عليه السلام في أحاديثَ كثيرةٍ متواترةٍ، منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلان، فكلماه بشيء لا أدري ما هو، فأغضباه، فلعنهما، وسبهما، ..... الحديثَ.... ثم أتبع الإمام مسلم هذا الحديث بحديث معاوية، وبه ختم الباب إشارةً منه رحمه الله إلى أنها من باب واحد[1].

قلت: وقد شاهدت بعيني، وسمعت بأذني، (**وليس الخبر كالمعاينة**)[2]، طعن أحد الجهلة النّوكى (أي: الحمقى)من بلادنا الجزائر الحبيبة حرسها الله من شرِّ الروافض في إحدى قنواتنا المحلية!؟ بهذا الحديث في **صاحب** رسول الله ﷺ، وصهره، وكاتب وحيه، فعليه منَ الله ما يستحقُّ. قال ﷺ: (**من سبّ أصحابي، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين**)[3].

وقال بعض السلف: معاوية -رضي الله عنه- عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزرا اتهمناه على القوم، يعني الصحابة.

فقبَّح الله الشيعة الشنيعة، ما أجهلهم، فقد جعلوا هذا الحديث من مثالب معاوية رضي الله عنه.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: ولكن لما كان أصل مذهبهم مستندا إلى جهل كانوا أكثر الطوائف كذبا وجهلا[4].

وقال أيضا: الرافضة أمة مخذولة، ليس لها عقل صحيح، ولا نقل صريح ولا دين مقبول، ولا دنيا منصورة[5].

---

(1) السلسلة الصحيحة (1/ 164)حديث رقم (82).

(2) حديث صحيح انظر صحيح الجامع برقم (5373).

(3) رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم(1001)، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2340).

(4) انظر منهاج السنة (1/ 57).

(5) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 352).

113 ما يقولُ المسلمُ إذا مدح المسلمَ

231- قَالَ ﷺ: **(إذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لاَ مَحَالَةَ؛ فَلْيَقُل: أَحْسِبُ فُلانًا، واللهُ حَسِيْبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا: أَحْسِبُهُ - إنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ - كَذَا وكَذَا)**[1].

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: مدح رجل رجلا، عند النبي ﷺ قال: فقال: (**ويحك، قطعت عنق صاحبك** - مرارا- **إذا كان أحدكم مادحا**...). الحديثَ.....

قوله: (**ويحك**) هي كلمة رحمة وتوجُّع، و(ويل)كلمة عذاب، وقد تأتي موضع (ويح).

قوله: (**قطعت عنقَ صاحبك**) وفي رواية: (**قطعتم ظهر الرَّجل**) معناه: أهلكتموه، وهذه استعارة مِن قطع العنق الذي هو: القتل لاشتراكهما في الهلاك لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون مِن جهة الدنيا لما يشتبه عليه مِن حاله بالإعجاب[2].

قوله: (**لا محالة**) قال الحافظ في (الفتح): أي: لا حيلة له في ترك ذلك وهي بمعنى (لا بدَّ)، والميم زائدة، ويحتمل أن يكون من الحَول أي القوة والحركة.

قوله: (**والله حسيبه**) بفتح أوله وكسر ثانيه أي: كافيه، ويحتمل أن يكون هنا فعيل مِنَ الحساب أي محاسبه على عمله الذي يعلم حقيقته، وهي جملة اعتراضية. وقال الطيبي: هي من تتمة المقول، والجملة الشرطية حال مِن فاعل(فليقل)، والمعنى: فليقل: أحسب أن فلانا كذا إن كان يحسب ذلك منه، والله يعلم سره، لأنه هو الذي يجازيه، ولا يقل: أتيقن ولا أتحقق جازِمًا بذلك.

قوله: (**ولا أزكِّي على الله أحدا**) أي: لا أقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره لكون ذلك مغيبا عنه، وجيء بذلك بلفظ الخبر ومعناه النهي، أي لا تزكُّوا أحدا على الله لأنه أعلم بكم منكم.

---

(1) رواه البخاري برقم (2662)، ومسلم برقم (3000).

(2) شرح مسلم (18/ 122).

قال ابن بطال: حاصل النهي أن مَن أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيَّع العمل والازدياد مِنَ الخير اتِّكالا على ما وُصِف به، ولذلك تأوَّل العلماء في الحديث الآخر **(أحثوا في وجوه المدَّاحين التراب)** أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل، وقال عمر: المدح هو الذبح، قال: وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مدح ﷺ في الشِّعر والخُطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابا. انتهى ملخصا[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: ذَكَر مسلمٌ في هذا الباب الأحاديثَ الواردةَ في النهي عنِ المدح، وقد جاءت أحاديثُ كثيرةٌ في الصحيحين بالمدح في الوجه.

قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النَّهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنةً مِن إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نَهْيَ في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد منه أو الدوام عليه، أو الاقتداء به كان مستحبا، والله أعلم اهـ[2].

(1) فتح الباري (13/ 619).

(2) شرح مسلم (18/ 122).

114 ما يقول المسلم إذا زُكِّيَ

232- (**اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، واغْفِر لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ[واجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ]**) (1).

هذا أثر مِن قول الصحابة رضوان الله عليهم، ويؤثر عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، والله أعلم.

عن عدي بن أرطأة قال: كان الرجل مِن أصحاب النبيِّ ﷺ إذا زُكِّي قال: (**اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون**).

قوله: (إذا زُكِّيَ) أي: أُثنيَ عليه خيرا، ووُصف بالأوصاف الحسنة.

قوله: (**اللهم**) هي: الله زيد عليها الميم عوَضا من حرف النداء، ولذلك لا يجمع بينهما إلا في الشاذّ كما في قوله:

وما عليك أن تقولي كلّما سبّحت أو هلّلت يا اللّهمّا

هذا قول: جمهور النّحويين(2).

قوله: (**لا تؤاخذني بما يقولون**) مِن ثناءٍ ووصفٍ لي بالخير. (**واغفر لي ما لا يعلمون**) ممَّا اقترفتُ مِنَ الذنوب والآثام.

قوله: (**واجعلني خيراً مما يظنون**) وهذا فيه تواضعهم وعدم عجبهم، وتذكرهم ذنوبهم وخوفهم أن يؤاخذوا بما يقال فيهم، وفزعهم إلى الدعاء، والتوسل إلى الله تعالى بالمغفرة وعدم المؤاخذة، وحسن ظنهم بالله أن يجعلهم خيرا مما يُظنُّ فيهم(3).

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (761)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد،وما بين المعقوفتين زيادة للبيهقي في الشعب (4 / 228)، من طريق آخر.

(2) المفهم (2/ 89)، وقد تقدم مرارًا.

(3) شرح صحيح الأدب المفرد (2/ 451).

115 كيف يلبّي المُحْرِم في الحجِّ أو العُمرة

233- (**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الحَمْدَ، والنِّعْمَةَ، لَكَ والمُلْكَ، لا شَرِيْكَ لَكَ**) [1].

قوله: (**لبَّيك اللهم لبَّيك**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: في معنَى التَّلبية ثمانية أقوال:

أحدها: إجابةٌ لك بعد إجابةٍ، ولهذا المعنى كُررت التلبية إيذانا بتكرير الإجابة.

الثانية: أنه انقياد لك بعد انقياد، من قولهم: لببت الرجل، إذا قبضت على تلابيبه، ومنه: فلببته بردائه.

والمعنى: انقدت لك وسَعَتْ نفسي لك خاضعة ذليلة، كما يفعل بمن لُبب بردائه، وقُبض على تلابيبه.

الثالثة: أنه من: لبَّ بالمكان، إذا قام به ولزِمه.

والمعنى: أنا مقيم على طاعتك، ملازم لها، اختاره صاحب الصحاح.

الرابع: أنه مِن قولهم: داري تلب دارك، أي: تواجهها وتقابلها. أي: أنا مواجهك بما تحب متوجه إليك، حكاه في الصحاح عن الخليل.

الخامس: معناه حبًّا لك بعد حبٍّ، من قولهم: امرأة لبَّةٌ، إذا كانت محبة لولدها.

السادس: أنه مأخوذ من: لُبُّ الشيء وهو خالِصُه، ومنه لب الطعام، ولب الرجل: قلبه وعقله.

ومعناه: أخلصت لبي وقلبي لك، وجعلت لك لبي وخالصتي.

السابع: أنه مِن قولهم: فلان رخي اللبب، وفي لبب رخي، أي: في حال واسعة منشرح الصدر.

ومعناه: أني منشرح الصدر متسع القلب لقبول دعوتك وإجابتها، متوجِّه إليك بلبب رخي، بوجه المحب إلى محبوبه، لا بكره ولا تكلف.

---

(1) رواه البخاري برقم (1549)، ومسلم برقم (1184).

الثامن: أنه مِنَ الإلباب، وهو الاقتراب، أي: اقترابا إليك بعد اقتراب، كما يتقرب المحب من محبوبه[1].

قوله: **(إن الحمد)** يروى بكسر الهمزة من (إن) وفتحها، وجهان مشهوران لأهل الحديث وأهل اللغة. قال الجمهور: الكسر أجود. قال الخطابي: الفتح رواية العامة، وقال ثعلب: الاختيار الكسر وهو الأجود في المعنى مِنَ الفتح لأنَّ من كسر جعل معناه: إن الحمد والنعمة لك على كل حال ومن فتح قال معناه: لبيك لهذا السبب.

قوله: **(والنعمة لك)** المشهور فيه نصب النعمة قال القاضي: ويجوز رفعها على الابتداء، ويكون الخبر محذوفا. قال ابن الأنباري: وان شئتَ جعلتَ خبر (إن) محذوفا تقديره: إن الحمد لك والنعمة مستقرة لك[2].

قال الحافظ في(الفتح): وقال ابن المنير في الحاشية: قرن الحمد والنعمة وأفرد الملك لأن الحمدَ متعلقُ النعمةِ، ولهذا يقال: الحمد لله على نِعَمِهِ، فجمع بينهما كأنه قال: لا حمد إلا لك، لأنه لا نعمة إلا لك. وأما الملك فهو معنى مستقل بنفسه ذكِر لتحقيق أن النعمة كلها لله لأنه صاحب الملك. قوله: **(والملك)** بالنصب أيضا على المشهور، ويجوز الرفع، وتقديره: والملك كذلك[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقدِ اشتملت كلمات التلبية على قواعد عظيمة وفوائد جليلة:

أحدها: أن قولك لبَّيك يتضمن إجابة داعٍ دعاك، ومنادٍ ناداك، ولا يصح في لغة ولا عقل، إجابة من لا يتكلم ولا يدعو مَن أجابه.

الثانية: أنها تتضمَّن المحبة، ولا يقال: (لبيك) إلا لمن تحبُّه وتعظِّمه، ولهذا قيل في معناها: أنا مواجه لك بما تحبُّ، وأنها مِن قولهم: امرأة لبَّة، أي: محبة لولدها.

الثالثة: أنها تتضمن التزام دوام العبودية، ولهذا قيل: هي مِنَ الإقامة، أي: أنا مقيم على طاعتك.

(1) تهذيب السنن (ص591)، وقدِ اقتصرت على نقل كلام ابن القيم دون غيره مِنَ الأئمة في معنى (التلبية)لأنه جمع كلام شراح الحديث وأهل اللغة فيها، ومن أراد الاطلاع عليها معزوَّة، فليرجع إلى حاشية (التهذيب).

(2) شرح مسلم (8/ 96).

(3) فتح الباري (4/ 435).

الرابعة: أنها تتضمَّن الخضوع والذُّلَّ، أي: خضوعا لك بعد خضوع، مِن قولهم: أنا ملب بين يديك، أي: خاضع ذليل.

الخامسة: أنها تتضمن الإخلاص، ولهذا قيل: إنها مِنَ اللب، وهو الخالص.

السادسة: أنها تتضمن الإقرار بسمع الرَّبِّ تعالى، إذ يستحيل أن يقول الرجل: (لبيك) لمن لا يسمع دعاءه.

السابعة: أنها تتضمن التقربَّ مِنَ الله، ولهذا قيل: منَ الإلباب وهو التقرب.

الثامنة: أنها جُعلت في الإحرام شعارًا لانتقال من حال إلى حال، ومن منسك إلى منسك، كما جعل التكبير في الصلاة شعارًا لانتقال من ركن إلى ركن.

التاسعة: أنها شعار التوحيد، وملة إبراهيم الذي هو روح الحجِّ ومقصده، بل روح العبادات كلها والمقصود منها. ولهذا كانت التلبية مفتاح هذه العبادة التي يدخل فيها بها.

العاشرة: أنها متضمِّنة لمفتاح الجنة، وباب الإسلام، الذي يُدخل منه إليه، وهو كلمة الإخلاص، والشهادة لله بأنه لا شريك له.

الحادية عشر: أنها مشتملة على الحمد لله، الذي هو مِن أحبِّ ما يتقرب به العبد إلى الله، وأول من يدعى إلى الجنة أهله، وهو فاتحة الصلاة وخاتمتها.

الثانية عشر: أنها مشتملة على الاعتراف لله بالنعمة كلها، ولهذا عرفها باللام المفيدة للاستغراق، أي: النعم كلها لك ومنك، أنت مولاها والمنعم بها.

الثالثة عشر: أنها مشتملة على الاعتراف بأن الملك لله وحده، فلا ملك على الحقيقة لغيره.

الرابعة عشر: أن هذا المعنى مؤكَّد الثبوت، بـ: إن المقتضية تحقيق الخبر وتثبيته، وأنه مما لا يدخله ريب ولا شك.

الخامسة عشر: في (أن) وجهان: فتحها وكسرها: فمن فتحها تضمنت معنى التعليل، أي: لبيك لأن الحمد والنعمة لك. ومن كسرها كانت جملة مستقلة مستأنفة تتضمن ابتداء الثناء على الله.

السادسة عشر: أنها متضمنة للإخبار عنِ اجتماع الملك والنعمة والحمد: لله عزَّ وجلَّ، وهذا نوع آخر مِنَ الثناء عليه، غير الثناء بمفردات تلك الأوصاف العلية، فانه سبحانه من أوصافه العلى نوعا ثناء:

-نوع متعلق بكل صفة، صفة على انفرادها.

-ونوع متعلق باجتماعها وهو كمال مع كمال، وهو غاية الكمال.

السابعة عشر: أن النبي ﷺ قال: (**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**) وقدِ اشتملت التلبية على هذه الكلمات بعينها، وتضمَّنت معانيها.

الثامنة عشر: أن كلمات التلبية متضمِّنة للردِّ على كلِّ مُبْطِل في صفات الله وتوحيده.

التاسعة عشر: في عطف الملك على الحمد والنعمة، بعد كمال الخبر، وهو قوله: (**إن الحمد، والنعمة لك، والملك**).

العشرون: لما عطف النعمة على الحمد، ولم يفصل بينهما بالخبر، كان فيه إشعارا باقترانهما وتلازمهما، وعدم مفارقة احدهما للأخر، فالإنعام والحمد قرينان.

الحادية والعشرون: في إعادة الشهادة له بأنه لا شريك له، لطيفة وهو أنه أخبر أنه لا شريك له عقب إجابته بقوله: (لبيك)، ثم أعادها عقب قوله: (**إن الحمد، والنعمة لك، والملك، لا شريك لك**). وذلك يتضمن أنه لا شريك لك في الحمد والنعمة والملك، والأول يتضمن انه لا شريك لك في إجابة هذه الدعوة، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: 18].

فأخبر بأنه لا إله إلا هو في أول الآية، وذلك داخل تحت شهادته، وشهادة ملائكته وأولي العلم، وهذا هو المشهود به، ثم أخبر عن قيامه بالقسط، وهو العدل، فأعاد الشهادة بأنه لا إله إلا هو مع قيامه بالقسط. اهـ[1].

---

(1) تهذيب السنن (ص 596-608).

116 التَّكبير إذا أتى الرُّكن الأسوَد

234- (**طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بالبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ، كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ**) (1).

قوله: (**طاف النبي ﷺ**) قال في (النهاية): الطواف بالبيت وهو الدوران حوله، تقول: طفت أطوف طوفا وطوافا، والجمع الأطواف(2). (**بالبيت**) أي: بالكعبة. قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ۝٩٧﴾ [المائدة: 97]. وقال عزَّ من قائل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج: 26].

قوله: (**كلما أتى الركن**) المراد بالركن: الحجر الأسود، لأنه المراد عند الإطلاق، وسُمِّيَ ركنا لأنه في ركن الكعبة.

قال الحافظ في (الفتح): في البيت أربعة أركان، الأول له فضيلتان: كون الحجر الأسود فيه، وكونه على قواعد إبراهيم، وللثاني الثانية فقط، وليس للآخرين شيء منهما، فلذلك يُقَبَّلُ الأول ويستلم الثاني فقط ولا يُقَبَّلُ الآخران ولا يستلَمانِ، هذا على رأي الجمهور، واستحبَّ بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضا.

قوله: (**أشار إليه بشيء عنده**) والمراد بالشيء المحجن كما جاء في رواية أخرى عنِ ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: (**طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن**) (3). والمحجن: بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الجيم بعدها نون، عصا محنية الرأس، والحجن الاعوجاج، وبذلك سُمِّيَ الحجون. وفيه استحباب التكبير عند الركن الأسود في كل طوفة(4).

---

(1) رواه البخاري برقم (1613).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص570).

(3) رواه البخاري برقم (1607).

(4) فتح الباري (4/ 540-543).

117 الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود

235- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: 201] [1].

عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركنين: ... الحديثَ....

قوله: (ما بين الركنين) يعني الركن اليماني والحجر الأسود.

هذا الدعاء هو آية كريمة في القرآن العظيم، وحديث نبوي شريف كان النبي عليه الصلاة والسلام يُكثر مِنَ الدعاء به، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: (**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**)[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فجمعت هذه الدعوة كلَّ خير في الدنيا، وصرفت كلَّ شر، فإنَّ الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوبٍ دنيويٍّ مِن عافية ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع وعمل صالح، ومَرْكب هنيء وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه مِنَ الأمن مِنَ الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة مِنَ النار، فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا مِن اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والحرام[3].

وقال الحافظ في (الفتح): قال عياض: إنما كان يُكثر الدعاء بهذه الآية لجمعها معاني الدعاء كله من أمر الدنيا والآخرة. قال: والحسنة عندهم هاهنا النعمة، فسأل نعيم الدنيا والآخرة، والوقاية مِنَ العذاب، نسأل الله أن يمنَّ علينا بذلك ودوامه.

(1) رواه أبو داود برقم (1892)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(2) رواه البخاري برقم (6389).

(3) تفسير ابن كثير (2/ 262-263).

قلت (أي الحافظ): قدِ اختلفت عبارات السلف في تفسير الحسنة، فعنِ الحسن قال: هي العلم والعبادة في الدنيا. أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، وعنه بسند ضعيف: الرزق الطيب والعلم النافع، وفي الآخرة الجنة. وتفسير الحسنة في الآخرة بالجنة نقله ابن أبي حاتم أيضا عنِ السدي ومجاهد وإسماعيل بن أبي خالد ومقاتل بن حيان. وعنِ ابنِ الزبير: يعملون في دنياهم لدنياهم وآخرتهم. وعن قتادة: هي العافية في الدنيا والآخرة. وعن محمد بن كعب القُرضي: الزوجة الصالحة مِنَ الحسنات، ونحوه عن يزيد بن أبي مالك. وأخرج ابن المنذر من طريق سفيان الثوري قال: الحسنة في الدنيا: الرزق الطيب والعلم، وفي الآخرة: الجنة. ونقل الثعلبي عنِ السدي ومقاتل: حسنة الدنيا: الرزق الحلال الواسع والعمل الصالح، وحسنة الآخرة: المغفرة والثواب. وعن عطية: حسنة الدنيا: العلم والعمل به، وحسنة الآخرة: تيسير الحساب ودخول الجنة. اهـ[1].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقرُّ به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح ونحو ذلك مِنَ المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة هي السلامة مِنَ العقوبات في القبر والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب مِنَ الرَّبِّ الرحيم، فصار هذا الدعاء أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر مِنَ الدعاء به، ويحثُّ عليه[2].

قلت: وهي كلها معاني عظيمة جليلة تجعل المسلم الحريص على الخير يكثر مِن هذا الدعاء متأسيًّا بالنبيِّ ﷺ ومقتديا به، فقد كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كذلك، جاء في الأثر عند البخاري في(الأدب المفرد)عن أنس رضي الله عنه قال: قيل له: إن إخوانك أتوك مِنَ البصرة لتدعوَ الله لهم، قال: (**اللهم اغفر لنا وارحمنا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**). فاستزادوه فقال مثلها، فقال: (**إن أوتيتم هذا، فقد أوتيتم خير الدنيا والآخرة**)[3]. نسأل الله العظيم من فضله.

---

(1) فتح الباري (14/ 430).

(2) تيسير الكريم الرحمن (ص93).

(3) الأدب المفرد برقم (633)، وصححه الشيخ الألباني في تخريجه له.

قوله: (**وقنا عذاب النار**) أي: اصرف عنّا عذاب النار، قاله الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في (تفسيره).

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: أي اجعل لنا وقايةً من عذاب النار، وهذا يشمل شيئين:

الأول: العصمة مِنَ الأعمال الموجبة لدخول النار.

الثاني: المغفرة للذنوب التي توجب دخول النار[1].

(1) تفسير سورة البقرة (2/ 434).

118 دعاء الوقوف على الصَّفا والمروَة

236 –لَـمَّا دَنَـا، ﷺ، مِنَ الصَّفَا قَرَأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (أَبْدَأ بِـمَا بَـدَأ اللهُ بِهِ) فَبَـدأ بالصَّفَا، فَرَقِـيَ عَلَيْهِ، حَتَّـى رَأى البَيْتَ، فاسْـتَقْبَلَ القِبْلَـةَ، فَوَحَّدَ اللهَ، وَكَبَّـرَهُ، وَقَـالَ: (لَا إِلَـهَ إلاَّ اللـهُ وَحْدَهُ لَا شَـرِيْكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ ولَهُ الـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيءٍ قَديرٌ، لَا إِلَـهَ إلاَّ اللـهُ وَحْـدَهُ، أَنْجَـزَ وَعْـدَهُ، وَنَصَـرَ عَبْـدَهُ، وهَـزَمَ الأَحْـزَابَ وَحْـدَهُ، ثُـمَّ دَعَا بَيْـنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْـلَ هَذَا ثَـلاثَ مَـرَّاتٍ... ، الحَدِيْثَ..... وفيـهِ: فَفَعَلَ عَلَى المَـرْوَةِ كَمَـا فَعَلَ عَلَـى الصَّفَا)[1].

هـذه قطعـة مـن حديـث جابـر بـن عبـد الله رضي الله عنهـما الطويـل في صفـة حجة النبـي ﷺ، لا بـأس أن نذكـره بطولـه لعمـوم فائدتـه، فـإن في ذكـر السـنة خـيرًا وبركةً.

قـال الإمـام مسـلم رحمـه الله: حدثنـا أبـو بكـر بن أبي شـيبة وإسـحاق بـن إبراهيم، جميعـا عـن حاتـم، قـال أبـو بكـر: حدثنـا حاتـم بـن إسـماعيل المـدني، عـن جعفـر بـن محمـد، عـن أبيـه، قـال: دخلنا على جابـر بن عبد الله، فسـأل عـنِ القوم حتـى انتهى إليَّ، فقلـت: أنـا محمـد بـن عليّ بـن حسـين، فأهـوى بيـده إلى رأسي، فـنزع زري الأعـلى، ثم نـزع زري الأسـفل، ثـم وضـع كفَّـه بين ثديـيَّ وأنـا يومئذ غـلام شـابٌّ، فقـال: مرحبا بـك يـا ابـن أخـي، سـل عـما شـئت، فسـألته –وهـو أعمـى– وحـضر وقـت الصلاة، فقـام في نسـاجة ملتحفـا بهـا، كلـما وضعها على منكبـه، رجـع طرفاها إليه مـن صغرها، ورداؤه إلى جنبـه عـلى المشـجب، فصـلَّى بنـا، فقلت: أخبرني عـن حجة رسـول الله ﷺ، فقـال بيـده فعقـد تسـعا، فقـال: إن رسـول الله ﷺ مكـث تسـع سـنين، لم يحجَّ، ثـم أذَّن في النـاس في العـاشرة، أن رسـول الله ﷺ حـاجٌّ، فقـدِم المدينـة بشرٌ كثـير، كلهم يلتمس أن يأتـمَّ برسـول الله ﷺ، ويعمـل مثـل عملـه. فخرجنـا معـه حتـى أتينـا ذا الحليفـة، فولـدت أسـماء بنـت عميـس محمـد بـن أبي بكـر، فأرسـلت إلى رسـول الله ﷺ، كيـف أصنـع؟ قال: اغتسـلي، واسـتثفري بثـوب، وأحرمي. فصلَّى رسـول الله ﷺ في المسـجد، ثـم ركـب القصـواء حتـى إذا اسـتوت به ناقتـه على البيـداء، نظـرت إلى مـد بصري بين يديـه مِـن راكـبٍ ومـاشٍ، وعـن يمينه مثل ذلـك، وعن يسـاره مثـل ذلك، ومـن خلفه

(1) رواه مسلم برقم (1218).

مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمِل به من شيء عمِلنا به. فأهلَّ بالتوحيد: (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**) وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلُّون به، فلم يردَّ رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولزِم رسول الله ﷺ تلبيته. قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحجَّ، لسنا نعرف العمرة. حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرَمَلَ ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ١٢٥﴾ [البقرة: 125] فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: -ولا أعلمه ذكره إلَّا عنِ النبيِّ ﷺ- كان يقرأ في الركعتَين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثم رجع إلى الركن، فاستلمه، ثم خرج مِنَ الباب إلى الصفا، فلما دنا مِنَ الصفا، قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ١٥٨﴾ ([البقرة: 158]. (**أبدأ بما بدأ الله به**) فبدأ بالصفا، فرقيَ عليه، حتى رأى البيت، فاستقبل القِبلة، فوحَّد الله، وكبَّره وقال: (**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**). ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروَة، حتَّى إذا انصبَّتْ قدماه في بطن الوادي، سعى حتى إذا صَعِدَتَا، مشى حتى أتى المروَة، ففعل على المروَة، كما فعل على الصَّفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: (**لو أني استقبلتُ مِن أمري ما استدبرتُ لم أسقِ الهديَ، وجعلتُها عمرةً، فمن كان منكم ليس معه هديٌ، فليحلَّ، وليجعلها عمرةً**). فقام سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله! ألعامنا هذا، أم لأبد؟ فشبَّك رسول الله ﷺ أصابعه، واحدة في الأخرى وقال: (**دخلت العمرة في الحج**) مرتين (**لا، بل لأبد أبد**). وقدِم عليٌّ مِنَ اليمن ببُدُن النبي ﷺ، فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حلَّ، ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها فقالت: إن أبي أمرني بهذا، قال: فكان عليٌّ يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرِّشا على فاطمةَ للذي صنعت، مستفتيا لرسول الله ﷺ فيما ذكرتْ عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها، فقال: (**صدقتْ صدقتْ، ماذا قلتَ حين فرضتَ الحجَّ؟**) قال: قلت: اللهم إني أهِلُّ بما أهلَّ به رسولك، قال: (**فإن معي الهدي، فلا تحلَّ**). قال: فكان جماعة الهدي الذي قدِم به عليٌّ مِنَ اليمن، والذي أتى به النبي ﷺ مائة. قال: فحلَّ الناس كلهم وقصروا، إلا النبي ﷺ ومن كان

معه هدي. فلما كان يوم التروية، توجهوا إلى مِنًى، فأهلُّوا بالحجِّ، وركب رسول الله ﷺ، فصلَّى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاءَ والفجرَ، ثم مكث قليلاً حتى طلعتِ الشمس، وأمر بقبة من شعر تُضرب له بنمِرة، فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضُربت له بنمِرة، فنزل بها، حتى إذا زاغتِ الشمس، أمر بالقصواءِ، فرُحِلَتْ له. فأتى بطن الوادي، فخطب الناس، وقال: (**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قَدَمَيَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث -كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل- وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع رِبانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنَّ أن لا يوطئن فُرشَكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إنِ اعتصمتم به: كتاب الله. وأنتم تسألون عنِّي، فما أنتم قائلون؟**) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء، وَينْكُتُهَا إلى الناس: (**اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات**). ثم أذَّن، ثم أقام فصلَّى الظهر، ثم أقام فصلَّى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئاً. ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواءِ إلى الصَّخَرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربتِ الشمس، وذهبتِ الصفرة قليلاً حتى غاب القرص. وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ -وقد شنق للقصواء الزمام- حتَّى إن رأسها ليصيب مَوْرِكَ رحله، ويقول بيده اليمنى: (**أيها الناس! السكينةَ، السكينةَ**) كلما أتى حبلاً مِنَ الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلَّى بها المغرب والعشاء بأذانٍ واحدٍ وإقامتَين، ولم يُسَبِّح بينهما شيئًا. ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح. بأذانٍ وإقامةٍ ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القِبلة، فدعاه وكبَّره وهلَّله ووحَّده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس. وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلاً حسن الشعر، أبيض وسيماً، فلما دفع رسول

الله ﷺ، مرَّت به ظُعُنٌ يَجْرِينَ، فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحوَّل الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحوَّل رسول الله ﷺ يده مِنَ الشق الآخَر على وجه الفضل، يصرف وجهه مِنَ الشق الآخر ينظر. حتى أتى بطن محسر، فحرَّك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات، يكبِّر مع كل حصاة منها، مثل حصى الخذف، رمى مِن بطن الوادي. ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى عليًّا، فنحر ما غبر، وأشركه في هديه. ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قِدْرٍ، فطبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله ﷺ، فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر. فأتى بني عبد المطلب، يسقون على زمزم، فقال: (**انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**) فناولوه دلوًا فشرب منه.

قال الإمام النووي رحمه الله فيه: هو **حديث عظيم** مشتمل على جُمَل مِنَ الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو من أفراد مسلم لم يروه البخاري في صحيحه، ورواه أبو داود كرواية مسلم. قال القاضي: وقد تكلم الناس على ما فيه مِنَ الفقه وأكثروا وصنَّف فيه أبو بكر بن المنذر جزءا كبيرا وخرَّج فيه مِنَ الفقه مائة ونيفا وخمسين نوعا ولو تقصى لزِيد على هذا القدر قريب منه. اهـ[1].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ جبلانِ معروفانِ، وهما شرقي الكعبة.

الصفا: جمع مفرده صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، والمراد هنا: أسفل الجبل المعروف في أول المسعى. والمروة: الحجر الأبيض البَرَّاق الذي تقدح منه النار، والمراد هنا: أسفل الجبل المعروف في نهاية المسعى.

قوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: أعلام دينه الظاهرة، التي تعبّد الله بها عباده، وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فدل مجموع النَّصَّيْنِ أنهما من شعائر الله، وأن تعظيم شعائره من تقوى القلوب.

قوله: (**أبدا بما بدأ الله به**) هو تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ١٥٨﴾ [البقرة: 158] فقد بدأ بها قدم الله ذكره.

(1) شرح مسلم (8/ 182).

وقدِ استدلَّ الفقهاء بهذا على أن الترتيب شرط في السعي، وهو أن يبدأ بالصفا، فإن بدأ بالمروة لم يعتدَّ بذلك الشوط، فإذا صار على الصفا اعتدَّ بما يأتي به بعد ذلك.

قوله: (فَرَقِي عليه) بفتح الراء وكسر القاف أي: صَعِدَ عليه.

قوله: (حتى إذا رأى البيت) أي: الكعبة.

قوله: (فاستقبل القبلة، فوحّد الله) أي: قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له... (وكبّره) أي: قال: الله أكبر. ففيه أنه يُسَنُّ على الصفا في بداية السعي أن يستقبل القِبلة ويوحّد الله تعالى ويكبِّره.

قوله: (**أنجز وعده**) أي: بإظهار هذا الدِّين، وكون العاقبة للمتقين، وغير ذلك من وعده سبحانه وتعالى.

قوله: (**ونصر عبده**) أي: أعانه وقوَّاه، والمعنى: نصر الله نبيه محمدا ﷺ على أعدائه، حتى صارت له الغلبة عليهم، وفتح البلاد.

قوله: (**وهزم الأحزاب وحده**) معناه هزمهم بغير قتال مِنَ الآدميين ولا بسبب من جهتهم، والمراد بالأحزاب الذي تحزَّبوا على رسول الله ﷺ يوم الخندق. وقيل: يحتمل أن المراد أحزاب الكفر في جميع الأيام والمواطن والله أعلم.

قوله: (قال مثل هذا ثلاث مرات) أي: يكرِّر هذا الذكر ثلاث مرات يتخللهن الدعاء.

قوله: (ففعل على المروة كما فعل على الصفا) فيه أنه يُسَنُّ عليها مِنَ الذِّكر والدُّعاء والرقي مثل ما يسنُّ على الصفا، وهذا متفق عليه[1].

وقدِ اشتمل هذا الدعاء على توحيد الله تعالى بألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والاعتراف بنعمه بما أنجز ما وعده المسلمين من ظهور الدِّين، ونصر رسوله ﷺ، وهزم أعداء الدين مِنَ الأحزاب، فهو على كل شيء قدير.

(1) شرح مسلم (8/ 191).

119 الدعاء يوم عرفة

237- **(خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ، ولَهُ الـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير)** [1].

قوله: **(خير الدُّعاء دعاء يوم عرفة)** وفي رواية: **(أفضل الدُّعاء دعاء يوم عرفة)** أي: أعظمه ثوابا، وأقربه إجابةً.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: وفيه مِنَ الفقه أنَّ دعاءَ يوم عرفة أفضل مِن غيره، وفي ذلك دليل على فضل يوم عرفة على غيره.

وفي الحديث أيضا دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب.

وفيه أيضا أن أفضل الذكر لا إله إلا الله. اهـ[2].

قوله: **(وخير ما قلت أنا والنبيون مِن قبلي لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)** لأنها تضمنت كلمة التوحيد، والتوحيد لا يماثله شيء. وقوله: **(أنا والنبيون مِن قبلي)** فيه إشارة إلى أن التوحيد هو دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: 25]. فكل الرسل الذين مِن قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ٥٩﴾ [الأعراف: 59]، وقال هود لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ٦٥﴾ [الأعراف: 65]، وقال صالح لقومه:

---

(1) رواه مالك في الموطإ برقم (548)، والترمذي برقم (3585)، وحسَّنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) التمهيد (7/ 268).

(3) انظر تيسير الكريم الرحمن (ص521).

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ٧٣﴾ [الأعراف: 73]، وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: 85]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ٣٦﴾ [النحل: 36].
فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل. اهـ[1].

فائدة: لماذا سُمِّي قول (**لا إله إلا الله...**) دعاء، ومعلوم أنه ذِكر؟

قال الإمام الطبري رحمه الله: إنما سمِّي هذا الذِّكر دعاء لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه لما كان الثناء يحصِّل أفضل مما يحصِّل الدعاء أطلق عليه لفظ الدعاء؛ لحصول مقصوده، يقول الحسين بن الحسن المروزي: سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة فقال: لا إله إلا الله ... إلخ، فقلت له: هذا ثناء وليس بدعاء، فقال: أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى عبد الله بن جعدان يطلب نائله، فقلت: لا، فقال أمية:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني	**حياؤك إن شيمتك الحياء**
وعلمك بالحقوق وأنت فضل	**لك الحسب المهذب والثناء**
إذ أثنى عليك المرء يوما	**كفاه من تعرضه الثناء**

ثم قال: يا حسين، هذا مخلوق يكتفي بالثناء عليه دون مسألة، فكيف بالخالق![*]

الوجه الثاني: معناه أفضل ما يستفتح وخير ما قلت أنا والنبيون مِن قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ويدلُّ عليه الحديث الآخر فإنه قال: (**أفضل الدعاء أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له...**) رواه البيهقي برقم (4371). **الثالث:** معناه أفضل ما يستبدل به عنِ الدعاء يوم عرفة لا إله إلا الله ... ، والأول أوجه[2].

---

(1) مدارج السالكين (3/ 462).

(*) هذا مع أنّ الدّعاء من الأمور المحبوبة إلى الله تعالى كالثناء.

(2) مرعاة المفاتيح (9/ 140)، وقد تقدم كلام الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث رقم (122).

120 الذِّكر عند المشعر الحرام

238- (**رَكِبَ ﷺ القَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الـمَشْعَرَ الحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ(فَدَعاهُ، وكَبَّرَهُ، وهَلَّلَهُ، ووَحَّدَهُ)فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ**) [1].

قوله: (**ركب ﷺ**) فيه أن السنة الركوب وأنه أفضل منَ المشيِ.

وأما المشعر الحرام، فبفتح الميم هذا هو الصحيح، وبه جاء القرآن وتظاهرت به روايات الحديث، ويقال أيضا بكسر الميم، والمراد به هنا قزح بضم القاف وفتح الزاي وبحاء مهملة، وهو جبل معروف بالمزدلفة[ووصفه بالحرام، لأنه داخل حدود الحرم]، وهذا الحديث حجة الفقهاء في أن المشعر الحرام هو قزح.

وقال جماهير المفسرين وأهل السير والحديث: المشعر الحرام جميع المزدلفة.

وأما قوله: (فاستقبل القبلة) يعني الكعبة[2].

قوله: (**القَصواء**) هي بفتح القاف وبالمد، اسم لناقة النبي ﷺ.

قوله: (**حتى أتى المشعر الحرام**) والمشعر الحرام: من أسماء المزدلفة، وهو مكان أو جبيل في مزدلفة.

قوله: (**فاستقبل القبلة**) أي: الكعبة. (**فدعاه**)، وفي لفظ: (**فحمد الله**). (**وكبَّره**) أي: قال: الله أكبر.

(**وهلَّلَه**) أي: قال: لا إله إلا الله. (**وَوَحَّده**) أي: قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له... ، عملا بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ ١٩٨﴾ [البقرة: 198].

قوله: (**فلم يزل واقفا**) فيه أن الوقوف عند المشعر الحرام من مناسك الحج، وهذا لا خلاف فيه.

---

(1) رواه مسلم برقم (1218).

(2) شرح مسلم (8/ 202).

قوله: (**أسفر جدًّا**) الضمير في أسفر يعود إلى الفجر المذكور أولا.

قوله: (**جِدًّا**) بكسر الجيم أي: إسفارا بليغا. يقال: أسفر الصبح إسفارا، أي: أضاء.

قوله: (**فدفع**) أي: ذهب النبي ﷺ إلى مِنًى (**قبل أن تطلع الشمس**) هذا صريح في أنه ﷺ ذهب إلى مِنًى قبل طلوع الشمس، وبه أخذ الجمهور[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام، فاستقبل القِبلة، وأخذ في الدعاء والتضرع، والتكبير، والتهليل، والذِّكر، حتى أسفر جدًّا، وذلك قبل طلوع الشمس. اهـ[2].

(1) انظر شرح مسلم (8/ 202).

(2) زاد المعاد (2/ 252).

121 التكبير مع رمي الجمار عند كلِّ حصاة

239- **(يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَى بِحَصَاةٍ عِنْدَ الجِمَارِ الثَّلاثِ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، وَيَقِفُ يَدْعُو مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، رَافِعًا يَدَيْهِ بَعْدَ الجَمْرَةِ الأُوْلَى والثَّانِيةِ، أَمَّا جَمْرَةُ العَقَبَةِ فيَرْمِيهَا، ويُكَبِّرُ عِنْدَ كُلِّ حَصَاةٍ، ويَنْصَرِفُ، ولا يَقِفُ عِنْدَهَا)**[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه استحباب التكبير مع كل حصاة، وهو مذهبنا ومذهب مالك ومذهب العلماء كافَّةً[2].

وقال الحافظ في (الفتح): وفي الحديث مشروعية التكبير عند رميِ كلِّ حصاةٍ، وفيه مشروعية رفع اليدين في الدعاء[3].

قوله: **(الجمرة الأولى والثانية)** المراد بالجمرتين الأولى والثانية: ما سوى جمرة العقبة .

قوله: **(جمرة العقبة)** هي الجمرة الكبرى، وليست مِن منًى بل هي حدُّ منًى مِن جهة مكَّة، وهي التي بايع النبي ﷺ الأنصار عندها على الهجرة، **والجمرة**: اسم لمجتمع الحصى سميت بذلك لاجتماع الناس بها، يقال تجمر بنو فلان إذا اجتمعوا.

وقيل: إن العرب تسمي الحصى الصغير جمارًا فسميت تسمية الشيء بلازمه.

وقيل: لأن آدم أو إبراهيم لما عرض له إبليس فحصبه جمر بين يديه أي أسرع فسميت بذلك[4].

---

(1) رواه البخاري برقم (1750)، ومسلم برقم (1296).

(2) شرح مسلم (9/ 49).

(3) فتح الباري (4/ 715).

(4) فتح الباري (4/ 710).

122 ما يقول عند التَّعجُّب والأمرِ السَّارِّ

التعجب أو العجب حالة نفسية تعرض للإنسان مِن شيء إذا عظم مَوقعه، أو خفِي سببه، أو خرج عن نظائره[1].

240- (**سُبْحَانَ اللهِ!**)[2].

241- (**اللهُ أَكْبَرُ**)[3].

لقد جاءت هذه الألفاظ في عدة أحاديث منها:

01-حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه لَقِيَهُ النبي ﷺ في طريق من طرق المدينة وهو جنب، فانسلَّ فذهب فاغتسل، فتفقده النبي ﷺ، فلما جاءه، قال: (**أين كنت، يا أبا هريرة؟**) قال: يا رسول الله، لقيتني وأنا جنب، فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل، فقال رسول الله ﷺ: (**سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس**).

قوله: (فانسلَّ) أي: ذهب في خفية. وفي رواية: (فانخنستُ منه) أي: مضيتُ عنه مستخفيا.

قال الحافظ في(الفتح)قوله: (**سبحان الله**) **تعجُّب** مِنِ اعتقاد أبي هريرة التنجس بالجنابة، أي: كيف يخفى عليه هذا الظاهر. اهـ[4].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وقد قدمنا في مواضع أن (**سبحان الله**) في هذا الموضع وشبهه **يراد بها التعجب** وبسطنا الكلام فيه في باب وجوب الغسل على المرأة إذا أنزلت المنيَّ.

وقال: هذا الحديث أصل عظيم في طهارة المسلم حيًّا وميتا فأما الحيُّ فظاهر بإجماع المسلمين... وأما الميت، ففيه خلاف للعلماء، وللشافعي فيه قولان: الصحيح منهما أنه طاهر... وذكر البخاري في صحيحه عنِ ابنِ عباس تعليقا: (المسلم لا ينجس حيًّا ولا ميتا) هذا حكم المسلم وأما الكافر فحكمه في الطهارة والنجاسة حكم المسلم. هذا مذهبنا ومذهب الجماهير مِنَ السلف والخلف.

---

(1) انظر النهاية في غريب الحديث (ص594)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص547).

(2) رواه البخاري برقم (283) و(115)، ومسلم برقم (332) و(371).

(3) رواه البخاري برقم (3348)، ومسلم برقم (222).

(4) فتح الباري (1/ 663).

وأما قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فالمراد نجاسة الاعتقاد والاستقذار، وليس المراد أن أعضاءهم نجسة كنجاسة البول والغائط ونحوهما، فإذا ثبتت طهارة الآدمي مسلما كان أو كافرا فعرقه ولعابه ودمعه طاهرات، سواء كان محدثا أو جنبا أو حائضا أو نفساء، وهذا كله **بإجماع المسلمين** كما قدمته في باب الحيض، وكذلك الصبيان أبدانهم وثيابهم ولعابهم محمولة على الطهارة حتى تتيقن النجاسة، فتجوز الصلاة في ثيابهم والأكل معهم مِنَ المائع إذا غمسوا أيديهم فيه، ودلائل هذا كله منَ السنة والإجماع مشهورة، والله أعلم. اهـ[1].

02-حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: سألتِ امرأةٌ النبي ﷺ: كيف تغتسل من حيضتها؟ قال: فذكرت أنه علمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: (**تطهري بها، سبحان الله**). قالت عائشة: واجتذبتها إليَّ، وعرفت ما أراد النبي ﷺ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم.

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما الفرصة فهي بكسر الفاء وإسكان الراء وبالصاد المهملة، وهي القطعة، والمسك بكسر الميم وهو الطيب المعروف، هذا هو الصحيح المختار الذي رواه وقاله المحققون وعليه الفقهاء وغيرهم من أهل العلوم.

وفي الرواية الأخرى: (فرصة ممسكة) وهي بضم الميم الأولى وفتح الثانية وفتح السين المشددة أي: قطعة من قطن أو صوف أو خرقة مطيبة بالمسك.

قوله: (**تطهري بها سبحان الله**) قد قدمنا أن (**سبحان الله**) في هذا الموضع وأمثاله يراد بها **التعجب**، وكذا لا إله إلا الله، ومعنَى التعجب هنا كيف يخفى مثل هذا الظاهر الذي لا يحتاج الإنسان في فهمه إلى فكر. وفي هذا **جواز التسبيح عند التعجب** منَ الشيء واستعظامه وكذلك يجوز عند التثبت على الشيء والتذكر به، وفيه استحباب استعمال الكنايات فيما يتعلق بالعورات.

قوله: (تتبعي بها أثر الدم) قال جمهور العلماء: يعني به الفرج، وقد قدمنا عنِ المحاملي أنه قال: تطيب كل موضع أصابه الدم من بدنها، وفي ظاهر الحديث حجة له. اهـ[2].

---

(1) شرح مسلم (4/ 73-74).

(2) شرح مسلم (4/ 18).

وقال أيضا: ولفظة: (**سبحان الله**) لإرادة **التعجب** كثيرة في الحديث وكلام العرب كقوله ﷺ: (**سبحان الله، تطهري بها**)، و(**سبحان الله، المسلم لا ينجس**)، وقول الصحابة: (سبحان الله، يا رسول الله).

وممن ذكر مِنَ **النحويين** أنها مِن ألفاظ التعجب: أبو بكر بن السراج وغيره. اهـ[1].

03-حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: (**سبحان الله، ماذا أُنزِل الليلة مِنَ الفتن؟ وماذا فُتح مِنَ الخزائن؟ أيقظوا صواحبات الحُجَر، فَرُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**)[2].

قال الحافظ في(الفتح): قوله: (**سبحان الله، ماذا**) (ما) استفامية متضمنة لمعنَى التعجب والتعظيم، وعبر عنِ الرحمة بالخزائن كقوله تعالى: ﴿خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ [صّ: 09]. وعنِ العذاب بالفتن لأنها أسبابه، قال الكرماني: ويحتمل أن تكون (ما) نكرة موصوفة.

قوله: (**أنزل**) بضم الهمزة، وللكشميهني (**أنزل الله**) بإظهار الفاعل، والمراد بالإنزال إعلام الملائكة بالأمر المقدور، أو أن النبي ﷺ أوحي إليه في نومه ذاك بما سيقع بعده مِنَ الفتن فعبَّر عنه بالإنزال.

قوله: (**وماذا فُتح مِنَ الخزائن؟**) قال الداودي: الثاني هو الأول، والشيء قد يعطف على نفسه تأكيدا، لأن ما يفتح مِنَ الخزائن يكون سببا للفتنة. وكأنه فهم أن المراد بالخزائن خزائن فارس والروم وغيرهما مما فُتح على الصحابة، لكن المغايرة بين الخزائن والفتن أوضح لأنهما غير متلازمين، وكم من نائل من تلك الخزائن سالم مِنَ الفتن.

قوله: (**صواحبات الحُجَر**) بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة، وهي منازل أزواج النبي ﷺ، وإنما خصهنَّ بالإيقاظ لأنهن الحاضرات حينئذ، أو من باب(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول).

قوله: (**فَرُبَّ كاسية**) استدل به ابن مالك على أن (رُبَّ) في الغالب للتكثير، لأن هذا الوصف للنساء، وهنَّ أكثر أهل النار. انتهى. وهذا يدل لورودها في التنكير لا لأكثريتها فيه.

(1) شرح مسلم (3/ 14).

(2) رواه البخاري برقم (115).

قوله: (**عارية**) بتخفيف الياء، وهي مجرورة في أكثر الروايات على النعت، قال السهيلي: إنه الأحسن عند سيبويه لأن (رُبَّ) عنده حرف جر يلزم صدر الكلام، قال: ويجوز الرفع على إضمار مبتدإٍ، والجملة في موضع النعت، أي: هي عارية، والفعل الذي تتعلق به (رُبَّ) محذوف. انتهى. وأشار ﷺ بذلك إلى موجب استيقاظ أزواجه، أي: ينبغي لهن أن لا يتغافلن عنِ العبادة ويعتمدن على كونهنَّ أزواج النبي ﷺ.

وفي الحديث جواز قول: (**سبحان الله**) **عند التعجب**، وندبية ذِكر الله بعد الاستيقاظ، وإيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة، لا سيما عند آية تَحدُث اهـ[1].

04 -حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: (**يقول الله عزَّ وجلّ يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثا الى النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: مِن كلِّ ألفٍ تسع مئة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد،** ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ فشقَّ ذلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: (**مِن يأجوج ومأجوج تسع مئة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، ثم انتم في الناس كالشَّعرة السوداء في جنب الثَّور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثّور الأسوَد، وانِّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**) فكبَّرنا، ثم قال: (**ثلث أهل الجنة**) فكبَّرنا، ثم قال: (**شطر أهل الجنة**) فكبَّرنا[2].

قوله: (**فكبَّرنا**) أي: قلنا الله أكبر. أي: الله أكبر من كل شيء، فلا أكبر ولا أعظم منه سبحانه.

قال الإمام الأزهري في(تهذيب اللغة): وقول المصلِّي: الله أكبر، وكذلك قول المؤذّن، فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه الله كبير، كقول الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ٢٧﴾ [الروم: 27]. أي: هو هيّن عليه، ومثله قول معن بن أوس: لعمرك ما أدري وإنِّي لأوجل. معناه: وإني لوجل. **والقول الآخر**: أن فيه ضميرا، المعنى: الله أكبر كبير، وكذلك الله الأعزّ، أي: أعزّ عزيز، قال الفرزدق:

---

(1) فتح الباري (1/ 368).

(2) رواه البخاري برقم (4741)، ومسلم برقم (222).

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزّ وأطول

معناه أعزّ عزيز وأطول طويل. اهـ[1].

قال العلماء: والصواب من هذين القولين هو الثاني، أما الأول فهو غير صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: التكبير يراد به أن يكون [الله] عند العبد أكبر من كل شيء كما قال ﷺ لعديّ بن حاتم: (**يا عدي، ما يُفِرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله إلا الله؟ يا عدي، ما يُفِرُّك؟ أَيُفِرُّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله؟**)[2]. وهذا يبطل قول من جعل أكبر بمعنى كبير. اهـ[3].

قال في(المرقاة): **التكبير للعجب** والفرح التام والاستبشار والاستعظام. قال الطيبي: وقولهم: **الله أكبر** مرارا ثلاثا **متعجبين** استبشار منهم واستعظام لهذه النعمة العظمى والمنحة الكبرى. اهـ[4].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ولكن نكتفي بهذا القدر، والله وليُّ التوفيق.

---

(1) تهذيب اللغة (10/ 214).

(2) رواه الترمذي برقم (2953)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(3) مجموع الفتاوى (5/ 239).

(4) مرقاة المفاتيح (10/ 199).

123 ما يفعل مَن أتاه أمر يسرُّه

242- (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ يُسَرُّ بِهِ؛ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)[1].

قال السندي رحمه الله: قوله: (**إذا أتاه أمر**) أي: عظيم جليل القدر رفيع المنزلة من هجوم نعمة منتظرة أو غير منتظرة مما يندر وقوعها، لا ما يستمر وقوعها، إذ لا يقال في المستمر إذا أتاه، فلا يرد قول من قال: لو ألزم العبد السجود عند كل نعمة متجددة عظيمة الموقع عند صاحبها لكان عليه أن لا يغفل عنِ السجود طرفة عين، لأنه لا يخلو عنها أدنى ساعة، فإن مِن أعظم نعمه على العباد نعمة الحياة، وذلك يتجدد عليه بتجدد الأنفاس عليه، على أنه لم يقل أحد بوجوب السجود، ولا دليل عليه، وإنما غاية الأمر أن يكون السجود مندوبا ولا مانع منه، فليتأمل. والله تعالى أعلم[2].

قوله: (**خرَّ ساجدا**) خرّ: يخرّ خرّا وخرورا. قال في(النهاية): خرّ يخرّ-بالضم والكسر-: إذا سقط من علوّ. اهـ[3]. والمراد: انكب على الأرض ساجدا لله.

قال في(فيض القدير): أي سقط على الفور هاويا إلى إيقاع سجدةٍ لشكرِ الله تعالى على ما أحدث له منَ السرور ومِن ثَمَّ ندب سجود الشكر عند حصول نعمة واندفاع نقمة[4].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وكان مِن هديه ﷺ وهدي أصحابه سجود الشكر عند تجدد نعمة، أوِ اندفاع نقمة[5].

---

(1) رواه أبو داود برقم (2774)، والترمذي برقم (1578)، وابن ماجه برقم (1394)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(2) حاشية ابن ماجه (2/ 163).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص259).

(4) فيض القدير (5/ 118).

(5) زاد المعاد (1/ 360).

وقال أيضا: وفي سجود كعب [بن مالك] حين سمع صوت المبشِّر دليل ظاهر أن تلك كانت عادة الصحابة، وهي سجود الشكر عند النعم المتجددة، والنقم المندفعة، وقد سجد أبو بكر الصِّدِّيق لما جاءه قتلُ مسيلمة الكذاب، وسجد علي بن أبي طالب لما وجد ذا الثدية مقتولا في الخوارج، وسجد رسول الله ﷺ حين بشره جبريل أنه مَن صلَّى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا، وسجد حين شفع لأمته، فشفعه الله فيهم ثلاث مرات، وأتاه بشير فبشره بظفر جند له على عدوِّهم ورأسه في حجر عائشة، فقام فخر ساجدا، وقال أبو بكرة: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه أمر يسره، خر لله ساجدا، وهي آثار صحيحة لا مطعن فيها. اهـ[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لحديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم عند قوله: (**فخررت ساجدا**): فيه دليل للشافعي وموافقيه في استحباب سجود الشكر بكل نعمة ظاهرة حصلت أو نقمة ظاهرة اندفعت. اهـ[2].

فائدة: هل يشترط لسجود الشكر الطهارة؟

قال في (سبل السلام): واعلم أنه قدِ اختُلف: هل يشترط لها الطهارة أم لا، فقيل: يشترط قياسا على الصلاة، وقيل: لا يشترط لأنها ليست بصلاة وهو الأقرب[3].

فائدة أخرى: هل يكبِّر لسجود الشكر؟

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وليس في أحاديث سجود الشكر ما يدل على التكبير[4].

---

(1) زاد المعاد (3/ 584).

(2) شرح مسلم (17/ 105).

(3) سبل السلام (2/ 294).

(4) نيل الأوطار (5/ 352).

124 ما يقول ويفعل مَن أحسَّ وجعا في جسده

243- (ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ (ثَلاثًا) وقُلْ (سَبْعَ مَرَّاتٍ): أَعُوذُ باللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ) [1].

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، وأخرجه غيره بلفظ: **(أعوذ بعزة الله وقدرته...)** أي: بزيادة لفظة: **(بعزة)** [2].

قوله: **(ضع يدك على الذي تألَّمَ مِن جسدك)** أي: على موضع الألم والوجع.

قوله: **(بسم الله ثلاثا)** أي: ثلاث مرات.

قوله: **(وقل سبع مرات)** قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما خاصية السبع، فإنها قد وقعت قدرا وشرعا، فخلق الله عز وجل السماوات سبعا، والأرضين سبعا، والأيام سبعا، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، وشرع الله سبحانه لعباده الطواف سبعا، والسعي بين الصفا والمروة سبعا، ورمي الجمار سبعا سبعا، وتكبيرات العيدين سبعا في الأولى، وقال ﷺ: **(مروهم بالصلاة لسبع)** [3]. **(وإذا صار للغلام سبع سنين خُيِّرَ بين أبويه)** [4]. وأمر النبي ﷺ في مرضه أن يُصَبَّ عليه مِن سبع قِرَب[5]. وسخر الله الريح على قوم عاد سبع ليال، ودعا النبي ﷺ أن يعينه الله على قومه بسبع كسبع يوسف[6]. ومثل الله سبحانه ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مئة حبة، والسنابل التي رآها صاحب يوسف

---

(1) رواه مسلم برقم (2202).

(2) رواه أبو داود برقم (3891)، والترمذي برقم (2080)، وابن ماجه برقم (3522)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(3) رواه أبو داود برقم (494)، والترمذي برقم (407)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(4) رواه أبو داود برقم (2277)، والترمذي برقم (1357)، وابن ماجه برقم (2351)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن.

(5) رواه البخاري برقم (4442).

(6) رواه البخاري برقم (1007).

سبعا، والسنين التي زرعوها دأبا سبعا وتضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفا، فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره، والسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه، فإن العدد شفع ووتر... وللأطباء اعتناء عظيم بالسبعة. اهـ[1].

قوله: (**أعوذ بعزة الله وقدرته**) هي استعاذة بصفتين من صفات الباري جل وعلا، وهما العزة والقدرة، والعزة في الأصل القوة والشدة والغلبة والمنعة قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ أي: له القوة وله الغلبة. والقدرة أيضا صفة ثابتة لله عز وجل، وصف نفسه بأنه قادر على كل شيء، لا يعترضه عجز ولا نَصَبٌ ولا فتور.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والعزة: يراد بها ثلاثة معان: عزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر، والرَّبُّ تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاث... وهذه (العزة) مستلزمة للوحدانية، إِذِ الشركة تُنقِص العزة، ومستلزمة لصفات الكمال، لأن الشركة تنافي كمال العزة، ومستلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيء منها[2].

قوله: (**من شر ما أجد**) أي: منَ الألم والوجع. (**وأحاذر**) أي: أخاف وأَحترز، وهو مبالغة (أَحْذر).

قال العلماء: تعوَّذ مِن وجعٍ هو فيه وممَّا يتوقع حصوله في المستقبل، فإنَّ الحذر هو الاحتراز عن مخوف.

جاء في آخر الحديث قول عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه[راوي الحديث]: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ففي هذا العلاج من ذِكر الله، والتفويض إليه، والاستعاذة بعزَّته وقدرته من شر الألم ما يذهب به، وتكراره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة، وفي السبع خاصية لا تُوجد في غيرها[3].

---

(1) زاد المعاد (4/ 98-99).

(2) مدارج السالكين (3/ 268-269).

(3) زاد المعاد (4/ 188).

125 دعاء مَن خشيَ أن يصيب شيئاً بعَينه

244- (إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ[فَلْيَدْعُ لَهُ بِالبَرَكَةِ]فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ) [1].

قوله: (**إذا رأى أحدكم مِن أخيه**) منَ النّسب أوِ الإسلام. (**أو من نفسه، أو من ماله**) لأن الانسان قد يعِين نفسه أو ماله أو أهله.

قوله: (**ما يعجبه**) أي: ما يستحسنه ويرضاه.

قوله: (**فليدع لهُ بالبركة**) أي يقول: بارك الله فيه، أو: اللهم بارك عليه، ونحو هذا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وإذا كان العائن يخشى ضرر عَينِه وإصابتها للمعِين، فليدفع شرها بقوله: اللهم بارك عليه، كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل ابن حنيف: (**ألا بركتَ**) أي: قلتَ: اللهم بارك عليه[2].

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: وفيه دليل على أن العين لا تضرُّ ولا تعدو إذا برَّك العائن وأنها إنما تعدو إذا لم يبرِّك، فواجب على كل مَن رأى شيئا أعجبه أن يبرِّك، فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة، والله أعلم. اهـ[3].

قوله: (**العين حق**) قال الحافظ في(الفتح): أي الإصابة بالعين شيء ثابت موجود، أو هو مِن جملة ما تحقَّق كونُه. قال المازري: أخذ الجمهور بظاهر الحديث، وأنكره طوائف المبتدعة لغير معنًى لأن كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدِّي إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل، فهو من متجاوزات العقول، فإذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنًى، وهل مِن فرق بين إنكارهم هذا وإنكارهم ما يخبر به مِن أمور الآخرة. اهـ[4].

---

(1) رواه أحمد برقم (15700)، وابن ماجه برقم (3509)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (556).

(2) زاد المعاد (4/ 170).

(3) التمهيد (22/ 524).

(4) فتح الباري (13/ 168).

والعـين: نظر باستحسـان مشـوب بحسـد مـن خبيـث الطبع يحصـل للمنظـور منه ضرر(1).

وقـال العلامـة ابـن القيـم رحمـه الله: أصله مِـن إعجـاب العائـن بالشيء، ثـم تتبعه كيفيـة نفسـه الخبيثـة، ثم تسـتعين عـلى تنفيـذ سـمِّها بنظـرة إلى المَعين(2).

نصيحـة وتنبيـه: إنّ ممّا يؤسـف له أن ترى النـاس اليوم -وفيهم كثـير، مِنَ الخاصة-، يعلِّقـون العجـلات عـلى سـطوح المنـازل، والكـفّ التـي في وسـطها عـين(3)، وحدوة الفرس(4) عـلى أبـواب البيـوت، وفي السـيارات... وغيرهـا دفعا منهم للعـين زعموا!

وهـذا كلـه منهـيٌّ عنـه لأنـه لا دافـع إلا الله، ولا يطلـب دفـع المؤذيـات إلَّا بـالله وبأسـمائه وصفاتـه، وهـذا كله سـببه الجهـل بالتوحيد ومـا ينافيـه منَ الـشرك، فإلى الله المشـتكى ولا حَـول ولا قـوة إلا بـالله.

---

(1) فتح الباري (13/ 162).

(2) زاد المعاد (4/ 167).

(3) ويسميها البعض بـ: (الخامسة).

(4) وتسمى عندنا بـ: (التسميرة).

126 ما يقال عند الفزع

245- **(لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ!)**[1].

والحديث بتمامه عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزِعا يقول: (**لا اله إلا الله، ويل للعرب من شر قدِ اقترب، فُتح اليوم مِن ردْم يأجوج ومأجوج مثلَ هذا**-وحلق بإصبعه وبالتي تليها-فقالت زينب: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم إذا كثر الخبث**).

قوله: (دخل عليها فزعا) بفتح الفاء وكسر الزاي، أي: خائفا. قال في (النهاية): الفزع الخوف. اهـ

يقول: (**لا إله إلا الله**) أي: لا معبود **بحقٍّ** إلا الله. وفيه مشروعية قول: (**لا إله إلا الله**) عند الفزع.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين[2].

وقال أيضا: هذه سنّة الله في عباده، فما دُفِعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ... فهو مفزع الخليقة وملجؤها، وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق[3].

قول: (**ويل**) كلمة تقال لمن وقَع في هلكة. قال في (النهاية): وكل مَن وقع في هلكة دعا بالويل[4].

قوله: (**ويل للعرب من شر قدِ اقترب**) قال الحافظ في (الفتح): خصَّ العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم مَن أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده مِن قتل عثمان، ثم توالت الفتن حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة كما وقع في الحديث الآخر: (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**) وأن المخاطب بذلك العرب[5].

---

(1) رواه البخاري برقم (3346)، ومسلم برقم (2880).

(2) إغاثة اللهفان (2 / 844).

(3) الفوائد (ص45).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص993).

(5) فتح الباري (16/ 601).

قولـه: (**فُتـح اليـوم مـن ردم يأجـوج ومأجـوج**) المراد بالـردم السـد الذي بنـاه ذو القرنـين عـلى يأجـوج ومأجـوج. ويأجـوج ومأجوج همـا أمتـان عظيمتان مـن بني آدم مفسـدون في الأرض.

قوله: (وحلق بإصبعه وبالتي تليها) أي: جعلهما مثل الحلقة.

قولـه: (**نعـم إذا كثـر الخبـث**) قـال الإمام النـووي رحمه الله: هـو بفتح الخـاء والباء، وفسره الجمهـور بالفسـوق والفجـور، وقيـل: المـراد: الزنـا خاصـة، وقيـل: أولاد الزنـا، والظاهـر أنـه المعـاصي مطلقـا، ويهلـك بكسر الـلام عـلى اللغـة الفصيحـة المشـهورة وحُكـي فتحهـا وهـو ضعيف أو فاسـد، ومعنى الحديـث: أن الخبـث إذا كثر فقـد يحصـل الهـلاك العـام وإن كان هنـاك صالحون. اهـ[1].

---

(1) شرح مسلم (18/ 6).

127 ما يقول عند الذبح أو النحر

246- (بِسْمِ اللَّـهِ وَاللهُ أَكْبَرُ [اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ] اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي)[1].

قوله: (**باسم الله**) أي: باسم الله أذبح. قال الإمام النووي رحمه الله: فيه إثبات التسمية على الضحية وسائر الذبائح وهذا مجمَع عليه. اهـ[2].

وهي واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم وهي مذهب الأئمة الثلاثة: أبي حنيفة، ومالك وأحمد لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: 121][3].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: استدلَّ بهذه الآية الكريمة مَن ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يُذكرِ اسم الله عليها، ولو كان الذابح مسلما[4].

قوله: (**والله أكبر**) قال الإمام النووي رحمه الله: فيه استحباب التكبير مع التسمية فيقول: باسم الله والله أكبر. اهـ[5]. وأجمع العلماء على أن التكبير عند الذبح مستحب[6]

قوله: (**اللهم منك**): أي: هذه الأضحية عطية ومنحة واصلة إليَّ منك. (**ولك**) أي: مذبوحة وخالصة لك وحدك، لا إلى سواك، فلا رياء ولا سمعة.

قوله: (**اللهم تقبل منِّي**) فيه أنه يستحب الدعاء بقبول الأضحية، وغيرها منَ الأعمال، وقد قال الخليل والذبيح عليهما السلام عند عمارة البيت: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: 127][7].

---

(1) رواه مسلم برقم (1966).

(2) شرح مسلم (13/ 138).

(3) توضيح الأحكام (7/ 75).

(4) تفسير ابن كثير (6/ 146).

(5) شرح مسلم (13/ 138).

(6) توضيح الأحكام (7/ 76).

(7) سبل السلام (7/ 326).

128 ما يقول لردِّ كيدِ مَرَدة الشياطين

247- (**أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وبَرَأَ وذَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إلاَّ طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**) [1].

وجاء فيه أن رجلا سأل عبد الرحمن بن خنبش[2] رضي الله عنه فقال: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين؟ فقال: انحدرتِ الشياطين منَ الأودية والشِّعاب يريدون رسول الله ﷺ، فهمَّ شيطان معه شعلة من نار أن يحرق بها رسول الله ﷺ. فلما رآهم فزع، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قل: (**أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر...**) الحديثَ.....

قوله: (كادته الشياطين) أي: أرادته بسوءٍ، مِنَ الكيد، والكيد: الاحتيال. والشياطين جمع شيطان: اسم لكل متمرد عاتٍ: سُمّي شيطانا لشطونه عنِ الخير، أي: تباعده. وقيل: لشيطه، أي: هلاكه واحتراقه. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الشيطان في لغة العرب مشتق مِن (شطن) إذا بَعُد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل: مشتق من (شاط)، لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب[3].

قال السندي رحمه الله: قوله: (كادته الشياطين) أي: احتالوا لايذائه. (انحدرت) أي: نزلت. اهـ.

قوله: (فهمّ شيطان) مِن: همّ بالأمر يهمّ: إذا عزم عليه[4].

---

(1) رواه أحمد برقم (15460)، وابن السني برقم (638)، وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2995).

(2) وليس عبد الرحمن بن خنيس كما ذكر الأخ مجدي حفظه الله في شرحه على (الحصن).

(3) تفسير ابن كثير (1/ 176)، وقد تقدم في الحديث رقم (20).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص1012).

قولـه: (معه شـعلة) بالضـم. واحدة الشّـعل قـال الأزهريّ: الشّـعلة شـبه الجذوة، وهـي قطعة خشـب تشـعل فيهـا النّار، ذكـره ابـن منظور في (اللسـان).

قوله: **(أعوذ)** ألتجئ وأعتصم وأتحرز.

قـال العلامـة ابـن القيـم رحمـه الله: اعلـم أن لفـظ (عـاذ) ومـا تـصرف عنهـا تـدل عـلى التحـرز والتحصـن والالتجـاء، وحقيقـة معناها: الهـروب من شيء تخافـه إلى من يعصمـك منه، ولهذا يسـمَّى المسـتعاذ به: (مَعَـاذا) كما يسـمَّى: (ملجـأ ووزرا). فمعنى أعـوذ: ألتجـئ وأعتصم وأتحـرز[1].

قولـه: **(بكلـمات الله)** قيل: هـي القرآن، وقيـل: هي الكلـمات الكونيـة القدرية التي يُكـوِّن الله عـز وجـل بهـا الكائنـات. **(التامات)** التـي ليس فيها نقـص ولا عيب.

قـال العلامـة ابـن القيـم رحمـه الله: وقوله ﷺ: **(أعـوذ بكلـمات الله التامـات التي لا يجاوزهـن بَـرٌّ ولا فاجـر مـن شر ما خلـق)** فهذه كلماتـه الكونيـة التي يخلق بهـا ويُكوِّن، ولـو كانـت الكلـمات الدينيـة التـي يأمـر بهـا وينهـى لكانـت مما يجاوزهـن الفجـار والكفار[2].

وقـال الإمـام الخطـابي رحمـه الله في(غريـب الحديـث): فأما قـول النبـي ﷺ: **(أعوذ بكلـمات الله التامـات)** فـإن كلمتَه القـرآن، وصفه بالتـمام تنزيها له عـن أن يلحقه نقص أو عيـب، كما يوجد ذلـك في كلام الآدميـين. اهـ[3].

وزاد في (المعـالم): وكان أحمـد بـن حنبل يسـتدل بقولـه: **(بكلـمات الله التّامة)** على أن القـرآن غـير مخلوق وهو أن رسـول ﷺ لا يسـتعيذ بمخلـوق. وما مـن كلام مخلوق إلا وفيـه نقـص والموصـوف منه بالتمام هـو غير المخلـوق، وهو كلام الله سـبحانه[4].

قولـه: **(التـي لا يجاوزهـن)** أي: لا يتعداهـن. **(بَـرٌّ)** تقـي محسـن. **(ولا فاجـر)** مائل عـنِ الحق.

---

(1) بدائع الفوائد (703)، وقد تقدم في الحديث رقم (10).

(2) شفاء العليل (ص555).

(3) غريب الحديث (1/ 252)، وقد تقدم.

(4) معالم السنن (4/ 332).

قال في(النهاية): الفجّار: جمع فاجر، وهو المنبعث في المعاصي والمحارم[1].

قوله: (**من شر ما خلق**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد دخل في قوله: (**من شر ما خلق**) الاستعاذة من كل شر في أي مخلوق قام به الشر، من حيوان أو غيره، إنسيا كان أو جنيا، أو هامة أو دابة، أو ريحا أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع البلاء. فإن قلت: فهل في(ما)ههنا عموم؟

قلت: فيها عموم تقييدي وصفي، لا عموم إطلاقي، والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، فعمومها من هذا الوجه، وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله تعالى، فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر، وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض، والخير كله حصل على أيديهم، فالإستعاذة من (**شر ما خلق**) تعم شر كل مخلوق فيه شر، وكل شر في الدنيا والآخرة، وشر شياطين الإنس والجن، وشر السباع والهوام، وشر النار والهواء وغير ذلك[2].

قوله: (**وبرأ**) قال في(النهاية): في أسماء الله تعالى: (الباري) هو الذي خلق الخلق لا عن مثال. ولهذه اللفظة منَ الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره منَ المخلوقات، وقلما تستعمل في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النسمة، وخلق السموات والأرض. اهـ[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما الباري فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه، فإنه الذي برأ الخليقة وأوجدها بعد عدمها[4].

قوله: (**وذرأ**) قال في (النهاية): ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا إذا خلقهم، وكأَن الذَّرءَ مختصٌّ بخلق الذرية. اهـ[5]. وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: الذرء الخلق[6].

قوله: (**ومن شر ما ينزل منَ السماء**) منَ العقوبات كالصواعق وغيرها.

---

(1) النهاية في غريب الحديث (ص692).

(2) بدائع الفوائد (726).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص69).

(4) شفاء العليل (ص269).

(5) النهاية في غريب الحديث (ص325).

(6) مدارج السالكين (3/ 312).

قوله: (**ومن شر ما يعرج فيها**) أي: ما يصعد مما يوجب العقوبة، وهو الأعمال السيئة.

قوله: (**ومن شر ما ذرأ في الأرض**) أي: خلق على ظهرها.

قوله: (**ومن شر ما يخرج منها**) مما خلقه في بطنها.

قوله: (**ومن شر فتن الليل والنهار**) الواقعة فيهما.

قوله: (**ومن شر كل طارق**) وكلُّ آتٍ بالليل: طارق، وقيل: أصل الطروق: منَ الطرق: وهو الدق وسمِّي الآتي بالليل طارقا لحاجته إلى دقِّ الباب، قاله في (النهاية).

وقال السندي رحمه الله: قوله: (**كل طارق**) أي: جاء بليل، ويقال لكل آت بالليل: طارق، وقيل: أصله من الطرق، وهو الدق، والآتي بالليل يحتاج الى دق الباب. اهـ

قوله: (**إلا طارقاً يطرق بخير**) أي: فلا يصيبني شيء من طوارق الليل إلا طارقا (يطرق) أي: يأتي بخير.

قوله: (**يا رحمن**) ختم بنداء الرَّبِّ جلَّ جلاله باسم عظيم من أسمائه الحسنى، فالرحمن: هو المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء، وعمَّت كلَّ حيٍّ.

فائدة: قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في(التمهيد): قال أبو بكر البزار: وهذا الحديث لا يُعلم مَن رواه عنِ النبي ﷺ إلا عبد الرحمن بن خنبش، وليس له والله أعلم عنِ النبيِّ ﷺ غيره[1].

(1) موسوعة شروح الموطإ (22/ 695).

129 الاستغفار والتوبة

248-(1) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**واللهِ، إنِّي لأسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ فِي اليَوْمِ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةٍ**) (1).

قوله: (**والله، إني لأستغفر الله**) أي: أطلب مغفرته. والمغفرة: هي مَحْوُ الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره. (**وأتوب إليه**) أي: أرجع إليه. والتوبة: هي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرا وباطنا، إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا.

قال الحافظ في(الفتح): فيه القَسَم على الشيءِ تأكيدا له وإن لم يكن عند السامع فيه شك.

قوله: (**لأستغفر الله وأتوب إليه**) ظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة، ويحتمل أن يكون المراد: يقول هذا اللفظ بعينه، ويرجِّح **الثاني** ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: (**أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة**)، وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عنِ ابنِ عمر بلفظ: (**إنا كنا لنعدُّ لرسول ﷺ في المجلس: ربِّ اغفر لي وتب عليَّ، إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة**).

قوله: (**أكثر من سبعين مرة**) وقع في حديث أنس: (**إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**) فيحتمل أن يريد المبالغة ويحتمل أن يريد العدد بعينه. وقوله: (**أكثر**) مبهَم، فيحتمل أن يفسر بحديث ابن عمر المذكور وأنه يبلغ المائة(2).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما الاستغفار، فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة.

فالمفرد كقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: 10-11]. وكقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل: 46]. وكقوله تعالى: ﴿واستغفروا الله إنّ الله غفور رّحيم﴾ [البقرة: 199]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: 33].

---

(1) رواه البخاري برقم (6307).

(2) فتح الباري (14/ 285).

والمقرون كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۝٣﴾ [هود: 03]. وقول هود لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝٥٢﴾ [هود: 56]. وقول صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ [هود: 61]. وقول شعيب: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود: 90].

فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمُّنه طلب المغفرة منَ الله، وهو محوُ الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم. وحقيقتها: وقاية شر الذنب، ومنه المِغفر لما يقي الرأس منَ الأذى، والستر لازم لهذا المعنى وإلا فالعمامة لا تسمى مِغفرا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ (المغفر) منَ الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: 33]. فإن الله لا يعذب مستغفرا، وأما من أصر على الذنب، وطلب منَ الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظَتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى. والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل مِن سيئات أعماله. فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى فالاستغفار منه: طلب وقاية شره، وذنب يُخاف وقوعُه فالتوبة: العزم على أن لا يفعله والرجوع إلى الله يتناول النوعَين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله. وأيضا فإن المذنب بمنزلة مَن ركب طريقا تؤدِّيه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته والتي توصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه. فها هنا أمران لا بدَّ منهما: مفارقة شيء والرجوع إلى غيره، فخُصَّتِ التوبة بالرجوع والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين، ولهذا جاء، والله أعلم، الأمر بهما مرتبا بقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ فإنه الرجوع إلى طريق الحق، بعد مفارقة الباطل. وأيضا فالاستغفار من باب إزالة

الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة فالمغفرة أن يقيه شر الذنب والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكلٌّ منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم[1]

249-(2) وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ)** [2]

قوله: **(يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإنِّي أتوب إليه مائة مرة)** قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وقد سبق في الباب قبله بيان سبب استغفارهِ وتوبته ﷺ ونحن إلى التوبة والاستغفار أحْوَج. والتوبة أهمُّ قواعد الإسلام، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة. اهـ[3].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: أمر على جهة الوجوب كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: 31]. وكما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴿٨﴾﴾ [التحريم: 08]. وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: 11]. ولا خلاف على أنها واجبة على كل من أذنب. وهي في اللغة: الرجوع. يقال: تاب وثاب وأثاب وأناب وآب بمعنى: رجع. وهي في الشرع: الرجوع عما هو مذموم في الشرع إلى ما هو محمود فيه.

قوله: **(فإنِّي أتوب إليه مائة مرة)** هذا يدل على استدامة التوبة، وأن الإنسان مهما ذكر ذنبه جدد التوبة، لأنه من حصول الذنب على يقين، ومن الخروج عن عقوبته على شك، فحق التائب أن يجعل ذنبه نصب عينيه، وينوح دائما عليه، حتى يتحقق أنه قد غفر له ذنبه، ولا يتحقق أمثالنا ذلك إلا بلقاء الله تعالى، فواجب عليه ملازمة الخوف منَ الله تعالى، والرجوع إلى الله بالندم على ما فعل، وبالعزم على ألاّ يعود اليه، والإقلاع عنه، ثم لو قدّرنا أنه تحقّق أنه غفر له ذلك الذنب تعيّنت عليه وظيفة الشكر، كما قال ﷺ: **(أفلا أكون عبدا شكورا)** [4].

---

(1) مدارج السالكين (1/ 333).

(2) رواه مسلم برقم (2702).

(3) شرح مسلم (17/ 29).

(4) رواه البخاري برقم (4837)، ومسلم برقم (2820).

وإنما أخبر النبي ﷺ بأنه يكرر توبته كل يوم مع كونه مغفورا له، ليلحق به غيره نفسه بطريق الأَولى، لأن غيره يقول: إذا كانت حال مَن تحقق مغفرة ذنوبه هكذا، كانت حال مَن هو مِن ذلك في شك أحرى، وأَولى. اهـ[1].

وفي قوله: (**توبوا إلى الله**) فيه الحثُّ على الاخلاص بالتوبة، أي: لا لمقصد غير وجهه، مِن سلامة مِن آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك مِنَ المقاصد الفاسدة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإنِ ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: 31]. وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علَّق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة (لعلَّ)المشعِرة بالترجِّي، إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجوا الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: 11]. قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثَمَّ قسم ثالث البتة، وأوقع اسم(الظالم)على من لم يتب. ولا أظلم منه، لجهله بربِّه وبحقِّه، وبعيب نفسه وآفات أعماله، وفي الصحيح عنه ﷺ قال: (**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فو الله، إنِّي لأتوب إليه في اليوم أكثر مِن سبعين مرة**) وكان أصحابه يعدُّون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: (**ربِّ اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة**) [2].

250-(3) وقَالَ ﷺ: (**مَـنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وأَتُوبُ إِلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**) [3].

---

(1) المفهم (7/ 27).

(2) مدارج السالكين (1/ 198).

(3) رواه أبو داود برقم (1517)، والترمذي برقم (3577)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

قولـه: (**وأتـوب إليـه**) قـال ابن عـلان رحمـه الله: ينبغـي ألا يتلفـظ بهـذا إلَّا إذا كان صادقـا فيـه في باطـن الأمـر كظاهـره، وإلَّا كان كاذبـا بين يـدي الله عز وجل، فيخشـى عليـه مقته.

قولـه: (**فـر مـنَ الزحـف**) أي وإنِ ارتكـب كبيرة بـل وإن كانـت من أعظـم الكبائر كالفـرار مِـنَ الزحف، بالـزاي المفتوحة فالمهملـة السـاكنة وبالفاء أي منَ الجهـاد ولقاء الكفـار في الحـرب، والزحـف الجيش الكثـير الذي يـرى لكثرته كأنه يزحـف أي يدبُّ دبيبـا مـن: زحـف الصبـيُّ إذا دبَّ مقعدته قليـلا قليلا، كـذا في (النهاية).

ثـم هـذا الخبر لا يشـكل على ما سـبق مِـن أن الكبائـر لا يكفِّرها إلا التوبـة، لأن هنا توبـة لما تقـرر من أنـه يكون صادقـا فيها حين التلفـظ بقولـه: (**وأتوب إليه**) بـأن يكون متحليـا بالتوبة الصحيحة مـن كل ذنوبه[1].

قـال الإمـام الذهبي رحمـه الله فـي كتابه(الكبائـر): الكبيـرة الحادية عشـرة: الفرار منَ الزحف. قـال الله تعالـى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفـال: 16]. وقـال عليـه الصـلاة والسـلام: (**اجتنبوا السـبع الموبقـات**: ...) فذكر منهـا التولي يـوم الزحـف اهـ[2].

قـال الإمام الشـوكاني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن الاسـتغفار يمحو الذنوب سـواء كانت كبائـر أو صغائر، فإن الفـرار منَ الزحف من الكبائـر بلا خلاف[3].

تنبيـه: لكـن ممـا ينبغـي أن يعلم هنا أن المـراد بالاسـتغفار ما اقترن به تـرك الإصرار، فإنـه حينئـذ يعـد توبـة نصوحا تجبُّ مـا قبلها، أمـا إن قـال المرء بلسـانه: أسـتغفر الله، وهـو غـير مقلـع عـن ذنـب، فهـو داع لله بالمغفـرة، كـما يقـول: اللهـم اغفـر لي، وهـذا طلـب مـنَ الله المغفـرة ودعـاء بهـا، فيكون حكمـه حكـم سـائر الدعـاء لله، ويرجى له الإجابة[4].

---

(1) الفتوحات الربانية (7/ 288).

(2) الكبائر (ص161).

(3) تحفة الذاكرين (ص333).

(4) فقه الأدعية (2/ 277).

251-(4) وقَالَ ﷺ: **(أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ، فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ؛ فَكُنْ)** [1].

قوله: **(أقرب ما يكون الرَّبُّ منَ العبد)** فيه إثبات صفة القرب لله سبحانه وتعالى على ما يليق به جل وعلا، وقرب الله تعالى من عابده وداعيه ثبت في نصوص كثيرة وهو قرب خاصٌّ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاصٌّ مِن عابديه وسائليه وداعيه، وهو مِن ثمرة التعبد باسمه(الباطن)، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ١٨٦﴾ [البقرة: 186]. فهذا قربه مِن داعيه. وقال تعالى: ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: 56]. فذكّر الخبر-وهو(قريب)-عن لفظة الرحمة وهي مؤنثة إيذانا بقربه تعالى مِنَ المحسن، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب منَ المحسنين.

وفي الصحيح عنِ النبي ﷺ: **(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)** و: **(أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل)** فهذا قرب خاصٌّ غير قرب الإحاطة وقرب البطون. اهـ[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقربه سبحانه ودنوُّه من بعض مخلوقاته، لا يستلزم أن تَخْلُوَ ذاته مِن فوق العرش، بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك مَن قاله مِن السلف[3].

قوله: **(جوف الليل الآخر)** أي: ثلثه الآخر، وهو الجزء الخامس من أسداس الليل، قاله في(النهاية). قوله: **(فإنِ استطعتَ)** أي: قدرتَ ووُفِّقْتَ **(أن تكون مِمَّن يذكر الله)** في ضمن صلاة أو غيرها **(في تلك الساعة فكن)** أي: اجتهد أن تكون من جملتهم. ففيه استحباب ذكر الله تعالى في هذه الساعة من جوف الليل الآخر. وفي

(1) رواه الترمذي برقم (3579)، والنسائي برقم (572)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) طريق الهجرتين (ص43).

(3) مجموع الفتاوى (5/ 460).

هـذا الوقـت ينـزل الباري جـلَّ وعلا في كل ليلة إلى السماء الدنيا نـزولا حقيقيًّا يليـق بجلالـه وعظمتـه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشـورى: 11]. فيقـول: مـن يدعوني فأسـتجيب له؟ مـن يسـألني فأعطيه؟ من يسـتغفرني فأغفر لـه؟ ففـي الصحيحـين مـن حديـث أبي هريـرة رضي الله عنـه، أن رسـول الله ﷺ قال: **(ينـزل ربنـا إلى السـماء الدنيا كل ليلة حـين يبقى ثلث الليـل الآخر فيقـول: مَن يدعوني فأسـتجيب لـه؟ مَن يسـألني فأعطيه؟ مَن يسـتغفرني فأغفر لـه)** [1]. فحرِيٌّ بكل مسـلم أن يغتنـم هـذه الأوقـات الفاضلـة ويدعـو خالقـه ومـولاه، فقـد وعـد أن مَـن دعـاه اسـتجاب دعـاءَه، ومَـن سـأله أعطـاه، ومَنِ اسـتغفره غفر لـه، والله لا يخلـف الميعاد.

قـال الحافـظ في(الفتـح): قال ابن بطـال: هو وقت شريـف، خصّـه الله بالتنزيل فيه، فيتفضـل عـلى عبـاده بإجابـة دعائهـم وإعطـاء سـؤالهم، وغفـران ذنوبهم، وهـو وقت غفلـة وخلـوة واسـتغراق في النوم واسـتلذاذ له ومفارقـة اللذة والدعة صعب، لا سـيما أهـل الرفاهيـة وفي زمـن الـبرد، وكـذا أهـل التعـب ولا سـيما في قِـصَرِ الليـل، فَمَن آثر القيـام لمناجـاة ربـه والتـضرع إليـه مـع ذلـك دلَّ على خلـوص نيتـه وصحة رغبتـه فيما عنـد ربـه، فلذلـك نبـه الله عباده عـلى الدعاء في هـذا الوقت الـذي تخلو فيـه النفس من خواطـر الدنيـا وعلقها، ليستشـعر العبد الجـدَّ والإخـلاص لربه[2].

252-(5) وقَـالَ ﷺ: **(أَقْـرَبُ مَـا يَكُـونُ العَبْـدُ مِـنْ رَبِّـهِ، وَهُـوَ سَـاجِدٌ فأَكْثِـرُوا الدُّعَـاءَ)** [3].

قولـه: **(أقـرب مـا يكـون العبـد مـن ربـه)** أي: أقـرب أكـوان العبـد من ربـه تبارك وتعـالى حاصـل لـه حـين كونه سـاجدا، أفـاده السـندي في(حاشـية النسـائي).

قوله: **(وهو سـاجد)** وإنما كان في السـجود أقرب من سـائر أحـوال الصلاة وغيرها، لأن العبـد بقدر ما يبعد عن نفسـه يقـرب من ربه، والسـجود غاية التواضـع وترك التكبر وكسـر النفـس، لأنهـا لا تأمـر الرجل بالمذلـة ولا ترضى بهـا ولا بالتواضـع بل بخلاف ذلـك، فإذا سـجد فقد خالف نفسـه وبعـد عنها، فإذا بعُـد عنها قـرُب من ربه.

(1) رواه البخاري برقم (1145)، ومسلم برقم (758).

(2) فتح الباري (14/ 330).

(3) رواه مسلم برقم (482).

قولـه: (**فأكثـروا الدعـاء**) أي: في السـجود لأنـه حالـة قـرب كـما تقـدم، وحالـة القـرب مقبـول دعاؤهـا. والحديث يـدل على مشروعيـة الاسـتكثار مِنَ السـجود ومِنَ الدعـاء فيه[1]. وقـد قال ﷺ: (**وأمّا السـجود فاجتهـدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ أن يسـتجاب لكـم**)[2]. قولـه: (**فَقَمِـنٌ**) هـو بفتـح القـاف وفتح الميـم وكسرهـا، لغتان مشـهورتان، وفيـه لغـة ثالثـة: قمين بزيـادة يـاء وفتح القـاف وكـسر الميم، ومعنـاه: حقيـق وجدير. وفيـه الحـثُّ عـلى الدعـاء في السـجود، أفاده النـووي في(شرح مسـلم).

قال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمه الله: فالسـاجد يقرب الـرب إليه فيدنـو **قلبه** من ربـه، وإن كان بدنـه عـلى الأرض، ومتـى قـرب أحد الشـيئين مِـنَ الآخر، صـار الآخر قريبـا إليـه بالـضرورة وإن قـدر أنـه لم يصـدر مِنَ الآخـر تحرك بذاتـه، كـما أن مَن قرب مِـن مكـة قربت مكـة منه[3].

وقـال العلامـة ابـن القيـم رحمـه الله: وأمـا القـرب فهـو نوعـان: قربـه مِـن داعيـه بالإجابـة، وقربـه مِن عابـده بالإثابة. **فـالأول**: كقوله تعـالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقـرة: 186][4]. ولهـذا نزلت جوابا للصحابـة رضي الله عنهـم، وقد سـألوا رسـول الله ﷺ: (ربنـا قريب فنناجيـه؟ أم بعيد فنناديـه؟ فأنـزل الله تعـالى هـذه الآيـة). **والثاني**: قولـه ﷺ: (**أقـرب ما يكـون العبد من ربـه وهـو سـاجد**) و(**أقرب مـا يكون الـرب من عبـده في جوف الليـل**) فهـذا قربه من أهـل طاعتـه. وفي الصحيـح عـن أبي موسـى رضي الله عنـه قـال: (كنّا مـع النبي ﷺ في سـفر، فارتفعـت أصواتنـا بالتكبـير. فقـال: **يا أيّهـا النّاس، أربعـوا على أنفسـكم، إنّكم لا تَدْعـون أصـمّ ولا غائبـا، إنّ الّذي تَدْعونه سـميع قريب، أقـرب إلى أحدكم مِن عنق**

(1) نيل الأوطار (5/ 250).

(2) رواه مسلم برقم (479).

(3) مجموع الفتاوى (5/ 509).

(4) قـال الشـيخ السـعدي رحمـه الله في تفسـير الآيـة: هـذا جـواب سـؤال، سـأل النبـي ﷺ بعـض أصحابه فقالـوا: يا رسـول الله، أقريـب ربنا فنناجيـه، أم بعيد فنناديـه؟ فنـزل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ لأنـه تعـالى الرقيـب الشـهيد، المطَّلع على الـسرِّ وأخفـى، يعلم خائنـة الأعين وما تخفـي الصدور، فهـو قريـب أيضا مِـن داعيه بالاجابة، ولهـذا قـال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ والدعـاء نوعان: دعاء عبـادة، ودعـاء مسـألة. والقـرب نوعـان: قـرب بعلمـه من كل خلقـه، وقرب مـن عابديـه وداعيـه بالإجابة والمعونة والتوفيق.اهـ

راحلته). فهذا قرب خاصٌّ بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرَّبِّ لخلقه، واستوائه على عرشه. بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا، ولكنه نوع آخر. والعبد في الشاهد يجد روحه قريبةً جدًّا مِن محبوب بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطي، ويجده أقرب إليه من جليسه. كما قيل:

ألا رُبَّ من يدنو ويَزعُم أنه   يحبك والنائي أحَبُّ إليه وأقربُ

وأهل السنة أولياء رسول الله ﷺ وورثته وأحباؤه، الذين هو عندهم أولى بهم مِن أنفسهم، وأحب إليهم منها يجدون أنفسهم أقرب إليه وهو في الأقطار النائية عنه من جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومَن حولها. هذا مع عدم تأتي القرب منها. فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء وهو مستوٍ على عرشه، وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهةِ معطِّلٍ بعيد مِنَ الله، خليّ مِن محبته ومعرفته. اهـ[1].

253-(6) وقَالَ ﷺ: **(إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ)**[2].

قوله: **(ليُغان)** بضم الياء بصيغة المجهول، منَ الغين. وهو الغطاء. يقال: غين على قلبه أي: غطي عليه، قاله أهل اللغة، كما في (القاموس) و(اللسان).

قال في(النهاية): أراد ما يغشاه مِنَ السهو الذي لا يخلو منه البشر، لأن قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى، فإن عرض له وقتا ما عارض بشري يشغله مِن أمور الأمة والملة ومصالحهما عدَّ ذلك ذنبا وتقصيرا، فيفزع إلى الاستغفار[3].

وقال القاضي عياض رحمه الله: المراد بالغين: الفترات والغفلات عنِ الذِّكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عدَّ ذلك ذنبا واستغفر منه، قال: وقيل: هو همّه بسبب أمته، وما اطَّلع عليه مِن أحوالها بعده فيستغفر لهم، وقيل:...

وقد استشكل وقوع الاستغفار مِنَ النبي ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع معصية، وأجيب بعدة أجوبة: **منها** ما تقدم في تفسير الغين. ومنها قول ابن

(1) مدارج السالكين (2/ 276-277).

(2) رواه مسلم برقم (2702).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص686).

الجوزي: هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإن عُصِموا منَ الكبائر فلم يُعصموا منَ الصغائر[1].

ومنها قول ابن بطّال: الأنبياء أشد اجتهادا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى منَ المعرفة، فهم دائبون في شكره، معترفون له بالتقصير. انتهى.

ومنها: أن استغفاره تشريع لأمته... [2].

وقال الشيخ عبد المحسِن العبَّاد، حفظه الله: يُغان: فسر بأنه يغطَّى، وقيل: إن المقصود بذلك ما يحصل له منَ السهو، وأنه يستغفر الله عز وجل في اليوم سبعين مرة، وهو رسول الله ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

أما وجه استغفار النبي ﷺ، وهل يدخل في مسألة وقوع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الذنوب؟ فالعلماء اتفقوا على أن الكبائر لا تقع منهم، وأما الصغائر فهناك خلاف بين أهل العلم، والقائلون بإثباتها يقولون: إنه يترتب عليها زيادة كمالهم من ناحية أنهم يستغفرون ويدعون، وأن الله يرفع شأنهم، ويُعلي قدرهم، ويُعظم منزلتهم.

ومنَ العلماء مَن يقول: إنه قد يقع منهم خلاف الأولى، ومِن ذلك الشيء الذي عوتب عليه رسول الله ﷺ في القرآن فيما يتعلق بقصة الأعمى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: 1-2]. وكذلك فيما يتعلق بأسارى بدر، وغير ذلك منَ الأشياء التي جاءت في القرآن والتي عُوتب فيها رسول الله ﷺ. وقيل: إن استغفاره ﷺ مِنَ العبادة لله عز وجل، وكذلك تعليم الأمة أن يفعلوا ذلك، وأنه إذا كان رسول الله ﷺ يستغفر وهو القدوة والأسوة، وهم الذين يذنبون ويحتاجون إلى أن يستغفروا مِن ذنوبهم، وقدوتُهم في ذلك رسول الله ﷺ. [3].

لطيفة: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوما: سئل بعض أهل العلم أيها أنفع للعبد التسبيح أوِ الاستغفار؟ فقال:

---

(1) انظر تعليق الشيخ البرّاك حفظه الله على كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله في هذا الموضع، فإنه مهمٌّ.

(2) فتح الباري (14/ 286)، اكمال المعلم (8/ 197)، شرح مسلم (17/ 28).

(3) شرح سنن أبي داود لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله ووفَّقه- (مسموع).

إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد أنفع له وإذا كان دنسا فالصابون والماء الحارُّ أنفع له، فقال لي رحمه الله تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟ [1].

وقال ابن علان رحمه الله: **فوائد الاستغفار** محوُ الذنوب وستر العيوب وإدرار الرزق وسلامة الخلق والعصمة في المال وحصول الآمال وجريان البركة في الأموال وقرب المنزلة مِنَ الديان ورضى الرَّبِّ الغفور، فالثوب الوسخ أحوج إلى الصابون مِنَ البخور لتزول الآثار وتنشرح الصدور اهـ [2].

وفي الأثر عِن الحسن البصري رحمه الله: أن رجلا شكى إليه الجدب فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر جفاف بستانه فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر عدم الولد فقال: استغفر الله ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: 10-12].

وفي الآية حثٌّ على الاستغفار وإشارة إلى وقوع المغفرة لمِن استغفر، وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه ... من جود كفيك ما علمتني الطلبا[3]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآيات: أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثّر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السّماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنّات فيها أنواع الثمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها. اهـ[4].

والنصوص في فضل الاستغفار وفوائده وثمراته كثيرة جدًّا، ولعل هذه الآية أجمع آية في ذلك بل لو لم يكن في فضل الاستغفار إلا هذه الآية وحدها لكفى بها فضلا وشرفا، والله أعلم.

---

(1) الوابل الصيب (ص233).

(2) الفتوحات الربانية (7/ 289).

(3) انظر فتح الباري (14/ 281).

(4) تفسير ابن كثير (14/ 140).

130 فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

254-(1) قَالَ ﷺ: (**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**)[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: قال أهل العربية وغيرهم: التسبيح: التنزيه، وقولهم: (**سبحان الله**) منصوب على المصدر. يقال: سبّحت الله تسبيحا وسبحانا، فسبحان الله معناه: براءة وتنزيها له من كل نقص وصفة للمحدث. **قالوا**: وقوله: (**وبحمدك**) أي: وبحمدك سبَّحتك، ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبَّحتك، لا بحَولي وقوتي، ففيه: شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى، وأن كل الأفعال له، والله أعلم[2].

قوله: (**في يوم**) أي في أجزائه، قاله ابن حجر. وقال الطيبي: أي في يوم مطلق لم يعلم في أي وقت من أوقاته، فلا يقيد بشيء[3].

قوله: (**مائة مرة**) قال الطيبي: سواء كانت مفترقة أو مجتمعة في مجلس أو مجالس، في أول النهار أو آخره إلا أن الأولى جمعها في أول النهار[4].

قوله: (**حُطَّت**) مبني لما لم يُسمَّ فاعله، يعني: وُضعت عنه ذنوبُه، ومُحيت وأُزيلت. (**خطاياه**) الخطايا جمع خطيّة بالتشديد كعطايا وعطيّة، والمراد بها عند **جمهور** أهل العلم الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى[5].

قوله: (**زبد البحر**) بفتحتين، رغوته عند هيجانه، وهو كناية عنِ الكثرة.

قال الحافظ في(الفتح): والمراد بقوله: (**وإن كانت مثل زبد البحر**) الكناية عنِ المبالغة في الكثرة[6].

---

(1) رواه البخاري برقم (6405)، ومسلم برقم (2691).

(2) شرح مسلم (4/ 222).

(3) مرقاة المفاتيح (5/ 209).

(4) تحفة الأحوذي (9/ 434).

(5) انظر الفتوحات الربانية (1/ 213).

(6) فتح الباري (14/ 454).

والمعنى: أن مَن قال هذا الذكر مائة مرة مُحيت وأُزيلت عنه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر في الكثرة.

قال في(سبل السلام): وفي الحديث دلالة أنه يكفَّر بهذا الذكر الخطايا، وظاهره ولو كبائر، والعلماء يقيدون ذلك بالصغائر، ويقولون: لا تمحى الكبائر إلا بالتوبة. اهـ [1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: إنه إذا لم يوجد صغائر، فإنه يرجى أن تخفَّف الكبائر. [2].

لطيفة: أشار بعض أهل العلم إلى مناسبة هذا الثواب المذكور في الحديث للتسبيح، وهي أن التسبيح: تنزيه الله عز وجل من كلِّ سوءٍ، ومن كلِّ ما لا يجوز عليه، فكان منزها لقائله من خطاياه التي تجوز عليه، لأنه لما نزه الله عز وجل عما لا يجوز عليه، نزهه الله من خطاياه التي تجوز عليه. وهذه منَ الإشارات اللطيفة التي تبين أثر التسبيح على قائله، وأنه منزه العبد عن خطاياه بإذن الله تعالى[3].

فائدة: قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: هذا مِن **أحسن** حديث يروى عنِ النبي ﷺ في فضائل الذكر[4].

255-(2) وَقَالَ ﷺ: (**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ، وَلَهُ الـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**) [5].

قوله: (**لا إله إلا الله**) أي: لا معبود **بحقٍّ** إلا الله. وفيها نفي وإثبات (**لا إله**) نفي العبودية عن كل مَن سوى الله. (**إلا الله**) إثبات للعبودية بكل معانيها لله عزّ وجلّ.

قوله: (**وحده**) تأكيد للإثبات. (**لا شريك له**) تأكيد للنفي.

---

(1) سبل السلام (8/ 302).

(2) انظر للفائدة شرح الحديث رقم (05).

(3) التسبيح في الكتاب والسنة (1/ 433).

(4) التمهيد (4/ 796).

(5) رواه البخاري برقم (6404)، ومسلم برقم (2693).

قال الحافظ ابن حجر: تأكيد بعد تأكيد لمزيد الاعتناء بمقام التوحيد[1].

قوله: (**له الملك**) أي: له جلَّ وعلا مطلق الملكوت. (**وله الحمد**) أي: جميع أصناف المحامد. قوله: (**وهو على كل شيء قدير**) فيه أن القدرة متعلقة بكل شيء سواء ما يتعلق بأفعاله أو بأفعال الخلق، وأنه ما من شيء إلا وهو داخل تحت قدرته، فقدرة الله عز وجل شاملة لجميع الأشياء. وهذه براهين التوحيد ودلائله، فالذي له التوحيد الخالص هو المالك للملك، المستحقُّ للحمد القدير على كل شيء، وَمن سواه لا يستحق مِنَ العبادة شيئا. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: 22].

قوله: (**كان كمن أعتق أربعة أنفس مِن ولد اسماعيل**) أي: في الأجر، وخصَّ ولد اسماعيل عليه السلام لشرفهم لأنهم مِنَ العرب، بل هم أشرف العرب، والعرب أفضل من غيرهم.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: يعني يعادل عتق أربعة رقاب، لكن لو كان على الإنسان عتق رقبة وقال هذا الذكر عشر مرات ما أجزأت، فيجب أن نعلم الفرق بين المعادلة في **الثواب** والمعادلة في **الإجزاء**[2].

والعتق بكسر المهملة إزالة الملك. قال الأزهري: وهو مشتق من قولهم: عتق الفرس، إذا سبق، وعتق الفرخ إذا طار، لأن الرقيق يتخلَّص بالعتق ويذهب حيث شاء[3].

قال في(النهاية): يقال: أعتقت العبد أعتقه عِتقا وعَتاقة، فهو معتَق وأنا معِتق، وعَتق هو فهو عَتيق أي: حررته فصار حرًّا[4].

فضله: قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: 11-16].

(1) مرقاة المفاتيح (3/ 35)، وقد تقدَّم مرارًا.

(2) شرح رياض الصالحين (4/ 676).

(3) فتح الباري (6/ 335).

(4) النهاية في غريب الحديث (ص591)، وقد تقدم في الحديث رقم (92).

قال أهل التفسير: يعني هلا اقتحم العقبة؟ والاقتحام هو التجاوز بمشقَّة. وفي العقبة سبعة أقوال: **أحدها**: أنه جبل في جهنم، قاله ابن عمر. **والثاني**: عقبة دون الجسر، قاله الحسن. **والثالث**: سبعون دركة في جهنم، قاله كعب. **والرابع**: الصراط، قاله مجاهد والضحاك. **والخامس**: نار دون الجسر، قاله قتادة. **والسادس**: طريق النجاة، قاله زيد. **والسابع**: أن ذكر العقبة هاهنا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة. يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في آخرين.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: وأي شيء أشعرك يا محمد، ما العقبة؟

ثم بيَّن جلَّ ثناؤه له، ما العقبة، وما النجاة منها، وما وجه اقتحامها، فقال: اقتحامها وقطعها فك رقبة مِنَ الرق وأسر العبودية[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: إن العقبة مكان شاق كؤود، يقتحمه الناس حتى يصلوا إلى الجنة، واقتحامه بفعل هذه الأمور، فمن فعلها فقدِ اقتحم العقبة[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(أيما رجل أعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضوٍ منه عضوًا منه مِنَ النار)** [3].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل مِن أهل الكتاب آمن بنبيِّه، وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به واتَّبعه وصدَّقه، فله أجران. وعبد مملوك أدَّى حقَّ الله وحقَّ سيده، فله أجران. ورجل كانت له أَمَة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدَّبها فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوَّجها، فله أجران)** [4].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن هذا الذِّكر يقوم مِنَ الأجر مقام أربع رقاب مِن ولد إسماعيل، وهم أشرف العرب، وقد ثبت أن مَن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضوٍ منها عضوًا منه مِنَ النار، فعلى هذا يعتق قائل هذه

---

(1) انظر تفسير ابن جرير (24/ 422)، وزاد المسير (9/ 133).

(2) التبيان في أيمان القرآن (ص66-67).

(3) رواه البخاري برقم (2517)، ومسلم برقم (1509).

(4) رواه البخاري برقم (97)، ومسلم برقم (154).

الكلمة عشر مرات عتقا متضاعفا مرة بعد مرة حتى يبلغ أربع مرات، ولا شك أن عتق النفس أكثر ثوابا وأعظم أجرا[1].

256-(3) وقَالَ ﷺ: **(كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الـمِيزَانِ، حَبِيْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ)** [2].

هذا الحديث له شأن كبير في بيان فضل التسبيح، حتى إن بعض أهل العلم أفرد فيه مؤلفا مستقلا وهو الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله في كتابه(التنقيح في حديث التسبيح)، وختم به الإمام البخاري رحمه الله كتابه (الجامع الصحيح) الذي هو أصح الكتب المصنفة في الإسلام، وكذا الحافظ ابن حجر كتابَه(بلوغ المرام)، ولأهل العلم أقوال في مناسبة الختم بهذا الحديث[3].

قوله: **(كلمتان)** إطلاق كلمة على الكلام وهو مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة.

وقوله: **(كلمتان)** هو الخبر و**(حبيبتان)** وما بعدها صفة، والمبتدأ: سبحان الله، إلى آخره، والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدإ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه، لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقا[4].

قوله: **(خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان)** قال الطيبي: الخفة مستعارة للسهولة، شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل مِن بعض المحمولات فلا يشق عليه فذَكَر المشبه وأراد المشبه به، وأما الثقل فعلى حقيقته، لأن الأعمال تتجسم عند الميزان، والخفة والسهولة مِنَ الأمور النسبية. وفي **الحديث** حثٌّ على المواظبة على هذا الذِّكر وتحريضٌ على ملازمته، لأن جميع التكاليف شاقة على النفس، وهذا سهل ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة فلا ينبغي التفريط فيه[5].

وقوله: **(حبيبتان إلى الرحمن)** تثنية حبيبة وهي المحبوبة، والمراد أن الله يحبهما، وفي هذا حث وترغيب في الاستكثار منهما، وأن ذلك من أسباب محبة الرب لعبده.

وقدِ اشتمل الحديث على **ثلاثة أوصاف** لصيغتي التسبيح المذكورتين فيه:

---

(1) تحفة الذاكرين (ص300).

(2) رواه البخاري برقم (6406)، ومسلم برقم (2694).

(3) انظر فتح الباري (17/ 634).

(4) فتح الباري (17/ 626).

(5) فتح الباري (14/ 456).

فوصفهما بأنهما: (**كلمتان خفيفتان على اللسان**) وإنما كانتا كذلك لقلة ألفاظهما، وسهولة تعلمها، وسرعة نطق الذاكر بها، ولأن حروفهما عارية عن الحروف الشديدة، وليست متباعدة المخارج، فلا يستثقلها اللسان.

ووصفهما بأنهما: (**ثقيلتان في الميزان**) أي: بالحسنات المضاعفة لقائلهما، والأجور المدَّخرة للذاكر بهما. وهناك مقابلة بديعة بين وصفهما بالخفة على اللسان والثقل في الميزان، ووصفهما بذينك لبيان قلة العمل وكثرة الثواب.

ووصفهما أيضا بأنهما: (**حبيبتان إلى الرحمن**) أي: محبوبتان عنده. وخصَّ (الرحمن) مِنَ الأسماء الحسنى بالذِّكر هنا للتنبيه على سعة رحمة الله تعالى لعباده، حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل.

وهذه الأحاديث المذكورة في هذا المطلب كلُّها واضحةُ الدلالةِ على فضل التسبيح، وبيان ما أعدَّه الله لأهله مِن أجور كريمة، وأفضال عظيمة، وعطايا جمة، والله ذو الفضل العظيم[1].

وفي الحديث جواز السجع في الدعاء إذا وقع بغير كلفة[2].

فائدة: قوله: (**ثقيلتان في الميزان**) فيه إثبات الميزان، وقد دلَّ على ثبوت الميزان الكتاب والسنة والاجماع. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47]. وقال عزَّ من قائل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: 6-9].

قال الحافظ في (الفتح): قال أبو اسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان، وكفتان[3]، ويميل بالأعمال. وأنكرتِ المعتزلة الميزانَ، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة، لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال، لَيرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين[4].

---

(1) التسبيح في الكتاب والسنة (1/ 435).

(2) فتح الباري (14/ 457).

(3) كما في حديث البطاقة وفيه: (**فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة**) أخرجه الترمذي برقم(2639)، وابن ماجه برقم (4300)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(4) فتح الباري (17/ 628).

وقدِ استدل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله على أن الميزان غير العدل، وأنه ميزان حقيقي توزن به الأعمال بالكتاب والسنة، فقال: الميزان: هو ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿١٠٢﴾﴾ [المؤمنون: 102]. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: 103]. وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: (**كلمتان خفيفتان...**). وقال عن ساقَي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (**لهما في الميزان أثقل من أُحُد**) [1]. وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة، وصحّحه الترمذي، والحاكم، وغيرهما، ... وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس، فهو ما به تبين العدل. والمقصود بالوزن: العدل، كموازين الدنيا. وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به مِنَ الغيب. اهـ[2].

واختلف أهل العلم في الموزون: العامل أمِ الأعمال أم صحائف الأعمال على أقوال عدّة.

قال في(معارج القبول): والذي استظهر مِنَ النصوص-والله أعلم-أن العامل وعمله وصحيفة عمله، كل ذلك يوزن... [3]. والله أعلم.

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: الذي يوزن في الميزان **ثلاثة** أشياء: -يوزن الإنسان نفسه... -ويوزن أيضا العمل... -ويوزن أيضا صحائف العمل[4].

257-(4) وقَالَ ﷺ: (**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، والْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**) [5].

قوله: (**أحبُّ إلي ممَّا طلعت عليه الشَّمسُ**) أي: مِنَ الدنيا وما فيها مِنَ الأموال وغيرها.

---

(1) رواه أحمد برقم (3991)، وغيره، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (2750).

(2) مجموع الفتاوى (4/ 302).

(3) معارج القبول (2/ 848).

(4) شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ.

(5) رواه مسلم برقم (2695).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وينبغي لكل مسلم أن تكون هذه الكلمات أحبَّ إليه مما طلعت عليه الشمس كما كانت إلى رسول الله ﷺ أحبَّ إليه ممَّا طلعت عليه الشمس، ومِن لازم المحبة إكثار الذِّكر بها، فإن المحبَّ لا يغيب عن محبوبه مع ذِكره، والمراد بما طلعت عليه الشمس الدنيا بأسرها، فإن الشمس تطلع عليها، وتغيب عنها[1].

258-(5) وقالَ ﷺ: (**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ**) فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: (**يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**)[2].

قوله: (**أيعجز أحدكم**) بكسر الجيم وتفتح، مِنَ العجز وهو الضعف، والفعل كضرب وسمع على ما في القاموس. وفي أوائل شرح مسلم للنووي: يقال: عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها، هذه هي اللغة الفصحى المشهورة وبها جاء القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ﴾ ويقال: عجز يعجز بكسرها في الماضي وفتحها في المضارع، حكاه الأصمعي وغيره، والعجز في كلام العرب ألَّا يقدر على ما يريد، وأنا عاجز وعجز. اهـ[3].

قوله: (**أن يكسب**) أي: يحصل.

قوله: (كيف يكسب أحدنا ألف حسنة) أي بسهولة بلا عجز.

قوله: (**فيكتب له ألف حسنة**) لأن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها وهو أقل المضاعفة الموعودة في القرآن بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾.

قوله: (**أو يحطُّ**) يعني: يمحُو ويُزيل عنه خطاياه.

قال الإمام النووي رحمه الله: هكذا هو في عامة نسخ صحيح مسلم: أو يحط: بـِ (أو) وفي بعضها: ويحط: بالواو، وقال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: كذا هو: في كتاب مسلم أو يحط: بـِ(أو)، وقال البرقاني: رواه شعبة وأبو عوانة ويحيى القطان

(1) تحفة الذاكرين (ص315).

(2) رواه مسلم برقم (2698).

(3) الفتوحات الربانية (1/ 229).

عن يحيى الذي رواه مسلم من جهته فقالوا: ويحط بالواو، والله أعلم[1].

وقال في (المرقاة): وقد تأتي الواو بمعنى (أو) فلا منافاة بين الروايتين، وكأنَّ المعنى أن من قالها يُكتب له ألف حسنة إن لم يكن عليه خطيئة، وإن كانت عليه، فيحطُّ بعض، ويُكتب بعضٌ. ويمكن أن تكون (أو) بمعنى الواو أو بمعنى (بل) فحينئذ يجمع له بينهما وفضل الله أوسع مِن ذلك[2].

259-(6) (**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**)[3].

قوله: (**من قال: سبحان الله**) أي: أنزِّهه عنِ النقائص[وممّا لا يليق به].

قوله: (**العظيم وبحمده**) في محل الحال أي: نسبحه حامدين له[4].

قوله: (**غُرست له نخلة في الجنة**) غرس وغرز، كلاهما بمعنى: وُضع على جهة الثبوت. والمعنى: غُرست له بكل مرة نخلة فيها، وخصَّ النخل لكثرة منافعه وطيب ثمره[5].

ولذلك ضرب الله تعالى مثل المؤمن وإيمانه بها وثمرها في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وهي كلمة التوحيد، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: 24]. وهي النخلة. ومثلها النبي ﷺ بالمسلم ففي الصحيحين مِن حديثِ ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن مِنَ الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟**) فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييتُ، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: (**هي النخلة**)[6].

قال الحافظ في (الفتح): وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فَمِن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدَّوابِّ والليف في الحِبال وغير ذلك مما لا يخفى،

(1) شرح مسلم (17/ 25).

(2) مرقاة المفاتيح (5/ 212).

(3) رواه الترمذي برقم (3464)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (6429).

(4) انظر للفائدة شرح الحديث رقم (15) أو(196).

(5) فيض القدير (6/ 189).

(6) رواه البخاري برقم(61)، ومسلم برقم (2811).

وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته. اهـ[1].

فاحرص -يا رعاك الله- على حفظ الأوقات واغتنام اللحظات في غراس الجنة.

قال ابن الجوزي رحمه الله ينصح ولده: فانظر إلى مضيع الساعات كم يفوته مِنَ النخيل؟ [2].

فائدة: هذا الثواب المترتب على التسبيح في هذا الحديث مناسب لما جاء في حديث آخر من أن غراس الجنة هي: (**سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر**) [3]. فلما كان التسبيح مِن غراس الجنة ناسب أن ينال قائله غرسا مِن تلك الغراس، والله تعالى أعلم[4].

260-(7) وقَالَ ﷺ: (**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْس، أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْز مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**) فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (**قُلْ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**) [5].

قوله: (**يا عبد الله بن قيس**): هو اسم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

قوله: (**ألا أدلُّك على كنز مِن كنوز الجنَّة؟**) ألا: كلمة تنبيه، لأن المتكلم ينبِّهُ السامع على أمر عظيم الشأن. ومعنىً: (**أدلك**) أعلِمك وأرشدك.

قال الحافظ في(الفتح): سمّى هذه الكلمة كنزا لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته عن أعين الناس. اهـ[6].

---

(1) فتح الباري (1/ 260).

(2) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد (ص40).

(3) رواه الترمذي برقم(3462)، وحسَّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم(5152)، من حديث ابن مسعود مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك منِّي السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله،والحمد لله،ولا اله إلا الله،والله أكبر**).
قوله: (**قيعان**) جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطأةٍ منَ الأرض،يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته، قاله في النهاية (ص782). **والمراد بهذا الحديث -والله أعلم-**: أن الجنة يزداد غراسها سريعا بهذه الكلمات، كما ينمو غراس القيعان مِنَ الأرض ونبتها،فكلما كررها العبد نبت له في الجنة أشجار بعددها.

(4) التسبيح في الكتاب والسنة (1/ 434).

(5) رواه البخاري برقم (4205)، ومسلم برقم (2704).

(6) فتح الباري (14/ 424).

وقال ابن علان رحمه الله: قال النووي في شرح مسلم: معنى الكنز هنا ثواب يدَّخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم. اهـ. وقال الكرماني: أي أنها مِن نفائس ما في الجنّة وما ادُّخِر فيها للمؤمنين أو مِن محصلات نفائس الجنة وذخائرها. اهـ. وفي شرح المشكاة لابن حجر: كنز من كنوز الجنة من حيث أنه يدّخر لصاحبها مِنَ الثواب ما يقع له في الجنة موقع الكنز في الدنيا لأن مِن شأن الكانز أن يعدَّ كنزه لخلاصه مما ينوبه والتمتع به فيما يلائمه.

قوله: (فقلت: بلى يا رسول الله) أي: دلّني، فإنّ الدّال على الخير كفاعله. وكلمة(بلى)يؤتى بها في الجواب **كنعم** إلا أنها تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالإستفهام حقيقيا أو توبيخيا أو تقريريا. اهـ[1].

قوله: (**لا حول ولا قوة إلا بالله كنز مِن كنوز الجنة**): قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولا رادَّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئا مِنَ الأمر، ومعنى الكنز هنا: أنه ثواب مدَّخر في الجنة، وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفس أموالكم. **قال أهل اللغة**: الحَول: الحركة والحِيلة، أي لا حركة ولا استطاعة ولا حِيلة إلَّا بمشيئة الله تعالى. وقيل: معناه: لا حَول في دفع شرٍّ ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله. **وقيل**: لا حَول عن معصية الله إلَّا بعصمته، ولا قوَّة على طاعته إلَّا بمعونته، وحُكِيَ هذا عنِ ابنِ مسعود رضي الله عنه، وكله متقارب. **قال أهل اللغة**: ويعبَّر عن هذه الكلمة بالحوقلة والحولقة، وبالأول جزم الأزهري والجمهور، وبالثاني جزم الجوهري. اهـ[2].

فائدة وتنبيه: اعلم بارك الله فيك أنَّ هذه الكلمةَ كلمةُ استعانة لا كلمة استرجاع، ولهذا سنَّها النَّبيُّ ﷺ إذا قال المؤذن: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، فيقولُ المجيب: لا حَول ولا قوة إلَّا بالله مستعينًا بالله سبحانه وتعالى على أداء هذه العبادة، وسنّها النبي ﷺ عند الخروج مِنَ المنزل في قوله: (**بسم الله، توكلت على، الله ولا حول ولا قوة إلا بالله**) طالبا مِنَ الله عز وجل الإعانة في قضاء أموره وحاجاته الدينية والدنيوية.

---

(1) الفتوحات الربانية (1/ 238).

(2) شرح مسلم (17/ 32).

وبهذا يتبن خطأُ كثيرٍ مِنَ الناس، مَن يقولها عند المصائب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (مجموع الفتاوى): وقول: لا حَول ولا قوة إلا بالله يوجب الإعانة، ولهذا سنَّها النبي ﷺ إذا قال المؤذن: حيَّ على الصلاة، فيقول المجيب: لا حَول ولا قوة إلا بالله، فإذا قال: حيَّ على الفلاح، قال المجيب: لا حَول ولا قوة إلا بالله. اهـ[1].

وقال أيضا: وذلك أن هذه الكلمة (أي: لا حَول ولا قوة إلا بالله) هي كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعًا لا صبرا[2].

261-(8) وقَالَ ﷺ: **(أَحَبُّ الكَلام إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكْبرُ، لا يَضُرُّكَ بأَيِّهِنَّ بَدأْتَ)**[3].

قوله: **(أحبُّ الكلام إلى الله)** إما أنْ يراد **كلام البشر**، لأن القرآن أفضل مِنَ التَّسبيح والتَّهليل المطلق، وهذا قول النووي. أو أنَّ المراد الكلام المتضمن للأذكار والدعاء والقرب، وهذا رأي القرطبي[4].

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله: **(أحبُّ الكلام إلى الله)** وفي رواية: أفضل، هذا محمول على كلام **الآدمي**، وإلا فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل مِنَ التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل، والله أعلم[5].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: قراءة القرآن أفضل مِنَ الذِّكر، والذِّكر أفضل مِنَ الدعاء، هذا من حيث النظر إلى كلٍّ منهما مجرَّدًا. وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى مَن الفاضل، بل يعيِّنه، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما

(1) مجموع الفتاوى (13/ 321).

(2) الاستقامة (2/ 81).

(3) رواه مسلم برقم (2137).

(4) المفهم (5/ 461).

(5) شرح مسلم (17/ 54).

منهيٌّ عنها نَهي تحريم أو كراهة، وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل مِنَ القراءة..... وكذلك إجابة المؤذن، والقول كما يقول أفضل مِنَ القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره، اختلتِ الحكمة وفاتتِ المصلحة المطلوبة منه. وهكذا الأذكار المقيدة بمحالٍّ مخصوصةٍ أفضل منَ القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل مِنَ الأذكار المطلقة، اللهم إلَّا أنْ يعرض للعبد ما يجعل الذِّكر أوِ الدعاء أنفع له من قراءة القرآن. اهـ[1].

وإنما كانت هذه الكلمات أحبَّ إلى الله تعالى لأنها تضمنت معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وفيها كمال المدح وتمام الثناء على الله جلَّ وعلا، وفي الحديث: (**لا أحدَ أحبُّ إليه المدح مِنَ الله**)[2]. ولذلك أيضا كانت أحبَّ إلى رسول الله ﷺ[3].

قوله: (**أربع**) أي: أربع كلمات، وإنما قال أربع ولم يقل: أربعة، لأن المعدود مؤنث[4].

قوله: (**لا يضرك بأيهنَّ بدأت**) [أي: بأي الكلمات بدأت أولا.]يعني أن تقديم هذه الكلمات بعضها على بعض لا ينقص ثوابها، ولا يوقف قبولها، لأنها كلها كلمات جامعات طيبات مباركات[5].

فائدة: قال العلماء: لكن بالنظر إلى معاني هذه الجمل، فلعلّه يحسن أن يقدم الذَّاكر: (**سبحان الله**) لأنه تنزيه الله عِنَ النقائص فهو تخلية. ثم: (**الحمد لله**) فهذا تحلية بعد تخلية، وهو إثبات المحامد، بعد التخلية مِنَ النقص. ثم: (**لا إله إلا الله**) فهذه نفي للمشاركة في المحامد الثابتة لله تعالى. ثم: (**الله أكبر**) فهو بعد التنزيه، وإثبات المحامد، ونفي الشريك: يستحقُّ الإجلال والإكبار والتعظيم[6].

---

(1) الوابل الصيب (ص231).

(2) رواه البخاري برقم (4634)، ومسلم برقم (2760).

(3) التسبيح في الكتاب والسنة (1/ 448).

(4) انظر العلم الهيب (ص105).

(5) المفهم (7/ 22).

(6) سبل السلام (8/ 305)، وانظر توضيح الأحكام (7/ 542).

قال في(سبل السلام): والأحاديث في فضل هذه الكلمات مجموعة ومتفرقة بحر لا تنزفه الدلاء، ولا يتسع له الإملاء، وكفى بما في الحديث من أنها الباقيات الصالحات، وأنها أحب الكلام إلى الله تعالى. اهـ[1].

262-(9)جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلامًا أَقُولُهُ؟ قَالَ: (**قُلْ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ**)، قَالَ: فَهَؤُلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: (**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**)[2].

قوله: (أعرابي) جمعه أعراب: وهم سكان البادية.

قوله: (علّمني كلاما) أي ذِكرا. (أقوله) أي أذكره وردا.

قوله: (**قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**) بدأ بالتوحيد على وجه التفريد، فإنه مبدأ كل عبادة، ومختم كل سعادة، للمراد والمريد. قاله القاري في(المرقاة).

والدعوة إلى التوحيد هي أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم. قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن مبلِّغا عنه ومفقِّها ومعلِّما وحاكما: (**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله**)[3]. وفي رواية: (**إلى أن يوحِّدوا الله**). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة: أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلما، والعدوُّ وليا، والمباحُ دمُه ومالُه، معصومَ الدَّمِ والمالِ، ثم إنْ كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قال بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان. قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، باطنا وظاهرا عند سلف الأمة، وأئمتها وجماهير العلماء. اهـ[4].

---

(1) سبل السلام (8/ 305).

(2) رواه مسلم برقم (2696).

(3) رواه البخاري برقم (1458)، ومسلم برقم (19).

(4) انظر فتح المجيد (ص113).

قولـه: (**الله أكـبر كبـيرا**) منصوب بفعل محـذوف، أي: كبّرت كبـيرا أو ذكرت كبيرا. (**والحمـد لله كثـيرا**) أي: حمدا كثيرا.

قولـه: (**ربّ العالميـن**) قـال العلامـة ابـن القيـم رحمـه اللـه: والـربّ هو: السـيّد والمالـك والمنعـم والمربـي والمصلـح، واللـه تعالـى هـو الـربّ بهـذه الاعتبـارات كلهـا. اهــ(1). (**العالميـن**) هـو اسـم لكل ما سِـوى اللـه تبـارك وتعالى فكل ما سِـواه مِـن مَلَـك ونبي وإنسـي وجنِّي وغير ذلـك مربوب مقهـور يتصرف فيه، فقيـر محتاج، كلهـم صامـدون إلـى واحـد لا شـريك له في ذلـك، قالـه الإمـام المجدِّد رحمـه الله تعالـى في تفسـيره لسـورة(الفاتحة).

قولـه: (**العزيز**) اسـم مِن أسـماء الله سـبحانه وتعـالى، ومعنـاه: الذي لـه جميع معاني العـزَّة، كما قـال سـبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْعِـزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝٦٥﴾ [يونـس: 65]. أي: الذي له العـزة بجميـع معانيهـا، وهـي ترجـع إلى **ثلاثة معـانٍ** كلها ثابتـة لله عز وجل عـلى التمام والكـمال: عـزة القوة، وعزة الامتنـاع، وعزة القهـر والغلبة. (تقـدم في الحديث 112).

قولـه: (**الحكيـم**) اسـم من أسـماء الله الحسـنى دالٌّ على ثبـوت كمال الحكمة لله سـبحانه في خلقـه وفي أمـره وشرعه، حيث يضع الأشـياء مَواضعهـا ويُنزلها منازلهـا. ودالٌّ أيضا عـلى ثبـوت كـمال الحكـم لله سـبحانه وحـده، فهـو يحكم بـين عباده بـما يشـاء، ويقضي فيهـم بـما يريـد، لا رادَّ لحكمه ولا معقِّـب لقضائه.

قـال العلامـة ابـن القيم رحمـه الله: الحكيم: الـذي إذا أمر بأمر كان حسـنا في نفسـه، وإذا نهـى عـن شيء كان قبيحـا في نفسـه، وإذا أخـبر الخـبر كان صدقـا، وإذا فعـل فعلا كان صوابا(2).

قوله: (**فهؤلاء لربِّي**) أي موضوعة لذِكره، (**فما لي**) أي مِنَ الدعاء لنفسي.

قـال الإمـام القرطبـي رحمـه الله: أي: هـؤلاء الكلـمات هـي حـقُّ الله تعـالى، إذ هي أوصافـه، فـما لي؟ أي: فـما الـذي أذكـره لحقِّـي وحظِّـي؟ فدلّـه ﷺ على دعاء يشـمل له مصالـح الدنيـا والآخـرة فقـال: (**قـل: اللهـم اغفـر لي، وارحمنـي، واهـدني، وارزقني، وعافنـي**) أي: اغفـر لي ذنـوبي السـالفة وارحمنـي بنعمـك المتواليـة، واهدني إلى السـبيل

---

(1) بدائع الفوائد (ص1543)، وقد تقدم.

(2) مدارج السالكين (3/ 479).

الموصل إليك، وارزقني ما أستعين به على ذلك ويغنيني عن غيرك، وعافني عما ينقض لي شيئا أو ينقصه[1].

263-(10)كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النبيُّ ﷺ الصَّلاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: (**اللهُمَّ اغْفِر لي، وارْحَمْنِي، واهْدني، وعافِني، وارْزُقني**) [2].

وجاء في رواية: (**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**).

قوله: (**كان الرجل إذا أسلم**) أي: دخل الإسلام.

قوله: (**علّمه النّبيُّ ﷺ الصلاة**) أي جنس مسائل الصلاة، مِن شروطها وأركانها وغير ذلك. وفيه إشارة إلى أهمية هذا الركن العظيم مِن أركان الإسلام. (**ثم أمره أن يدعُوَ بهؤلاء الكلمات**) لكونها جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة.

(**اللهم اغفر لي**) أي: بمحو ذنوبي، (**وارحمني**) أي: بستر عيوبي، (**واهدني**) أي: إلى سبيل السلامة أو ثبتني على نهج الاستقامة، (**وعافني**) أي: منَ البلايا والخطايا، (**وارزقني**) أي: رزقا حلالا[3].

قوله: (**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**) أي: هذه الدعوات تجمع لك خيرات الدارَينِ، وتكفيك شرورهما[4].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث دلالة على أنه ينبغي عند إسلام من أسلم أن يُعَلَّم هذا الدعاء لأن فيه الجمع بين المغفرة والرحمة والهداية وتيسير الرزق[5].

264-(11) (**إِنَّ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وأفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلاَّ الله**) [6].

---

(1) المفهم (7/ 23).

(2) رواه مسلم برقم (2697).

(3) مرعاة المفاتيح (8/ 250).

(4) المفهم (7/ 23).

(5) تحفة الذاكرين (ص250).

(6) رواه الترمذي برقم (3383)، وابن ماجه برقم (3800)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (1104).

قوله: (**إن أفضل الدعاء: الحمد لله**) لأن الدعاء عبارة عن ذِكر الله وأن تطلب منه الحاجة، والحمد يشملهما، فإن مَن حمِد الله يحمده على نعمته، والحمد على النعمة طلب المزيد، وهو رأس الشكر، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.
(**وأفضل الذكر: لا اله إلا الله**) لأنها كلمة التوحيد، والتوحيد لا يماثله شيء، وهي الفارقة بين الكفر والإيمان، ولأنها أجمع للقلب مع الله، وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس، وتصفية للباطن، وتنقية للخاطر مِن خبث النفس، وأطْرَد للشيطان. اهـ[1].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن كلمة التوحيد هي أفضل الذِّكر وأفضل الحسنات، وحُقَّ لها، فإنها مفتاح الإسلام، بل بابه الذي لا يُدخَل إليه إلا منه، بل عماده الذي لا يقوم بغيره، وهي أحد أركان الإسلام، وهي الفرقان بين الإسلام والكفر، وبين الحِّق والباطل[2].

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: فـ: (**لا إله إلا الله**) هي خير الذِّكر وأفضل الذِّكر، لأنها فاصلة بين التوحيد والشرك، وهي كلمة الإخلاص، والعروَة الوثقى، وكلمة التقوى.

فأفضل الذِّكر: (**لا إله إلا الله**) تقولها بلسانك، وتعتقد معناها بقلبك، وتعمل بمقتضاها بجوارحك، وهي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي كلمة الإخلاص، فهي كلمة عظيمة، ولكن لمن عرف معناها، فلا يقولها بلسانه فقط ولا يدري ما معناها، أو يعرف معناها ولا يعمل بمقتضاها، فيدعو غير الله ويعبد غير الله، فهذا مخالف لمقتضاها، فهي كلمة عظيمة، مَن حقَّقها دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهي مفتاح الجنة. اهـ[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا اتفقت دعوة الرسل -من أولهم الى آخرهم- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-: على عبادة الله وحده لا شريك الله. وأصل العبادة -وتمامها وكمالها- هو المحبة، وإفراد الرَّبِّ سبحانه بها، فلا يُشرِك العبد به فيها غيره.

---

(1) تحفة الأحوذي (9/ 325).

(2) تحفة الذاكرين (ص297).

(3) شرح رسالة العبودية (ص276-277).

والكلمة المتضمِّنة لهذين الأصلَين: هي الكلمة التي لا يُدخل في الإسلام إلَّا بها، ولا يعصم دمه وماله إلَّا بالإتيان بها، ولا ينجو مِن عذاب الله إلَّا بتحقيقها بالقلب واللسان، وذِكرها **أفضل الذِّكر**[1].

وقال: وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسِّسَت الملة ونصبتِ القِبلة، وجردت سيوف الجهاد وهي محض حقِّ الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية مِن عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحَبل الذي لا يصل إلى الله مَن لم يتعلَّق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر مِن دار الإيمان، وتميَّزت دار النعيم مِن دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة **(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)** اهـ[2][3].

وقال أيضا: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخُلِقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسلَه، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نُصبتِ الموازين ووضعتِ الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمتِ الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجَّار، فَهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصبت القِبلة، وعليها أسِّسَت الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتمُ المرسَلين؟

فجوابُ الأولى بتحقيق **(لا إله إلا الله)** معرفةً وإقرارا وعملًا.

وجواب الثانية بتحقيق **(أن محمدا رسول الله)** معرفةً وإقرارًا، وانقيادا وطاعةً[4].

---

(1) إغاثة اللهفان (2/ 841).

(2) رواه أبو داود برقم (3116)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) الداء والدواء (ص278). وقد تقدم.

(4) زاد المعاد (1/ 34)، وقد تقدم.

فائدة: لقد مرَّ معنا شروط هذه الكلمة الطيبة، وأنه لا بدَّ أن تكون متوفِّرةً في العبد لتكون مقبولةً عند الله، وسنذكر هنا نوا قضها ليحذر المسلم منها، ويحذّر غيره.

والنواقض: جمع ناقض اسم فاعل، من نقض الشيء إذا حلَّه وهدمه وأفسده، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴿٩١﴾﴾ [النحل: 91]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴿٩٢﴾﴾ [النحل: 92].

والفقهاء يقولون نواقض الوضوء أي: مبطِلات الوضوء. فنواقض الإسلام مبطِلات الإسلام.

فإذا عرفنا هذا الخطر العظيم والشر المستطير بادرنا إلى معرفة هذه النواقض. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عنِ الخير وكنت أسأله عنِ الشر مخافةَ أن يُدركني...)[1].

وقال الشاعر الحكيم:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقِّيه ... ومن لم يعرفِ الشر منَ الخير يقع فيه

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: 72]، ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم، ونحو ذلك.

الثاني: مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكَّل عليهم، فقد كفر إجماعا قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: 18].

الثالث: من لم يكفِّر المشركين أو شكَّ في كفرهم أو صحَّح مذهبهم كفر.

---

(1) رواه البخاري برقم (3606)، ومسلم (1847).

الرابع: مَنِ اعتقد أن هدي غير النبيِّ ﷺ أكمل مِن هديه، أو أن حكم غيره أحسن مِن حكمه، فهو كافر، كالذين يفضِّلون حكم الطاغوتِ على حكمه سبحانه وتعالى.

الخامس: مَن أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمِل به، فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: 09].

السادس: مَن استهزأ بشيء مِن دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة 65-66].

السابع: السِّحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: 51].

التاسع: مَنِ اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلَّمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: 22]. اهـ[1].

فائدة: قال العلماء: ليس المعنى أن هذه النواقض محصورة في هذا العدد ولكن هذه العشرة أشدها خطرا وأكثرها وقوعا.

265-(12) **(البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ)**[2].

قوله: **(الباقيات الصالحات)** أي: التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها.

---

(1) نواقض الإسلام لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

(2) رواه أحمد برقم (513)، والنسائي في العمل برقم (848)، وحسَّنه الشيخ أحمد شاكر وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

قوله: (**سبحان الله**) قال الإمام النووي رحمه الله: قال أهل العربية وغيرهم: التسبيح: التنزيه، وقولهم: (**سبحان الله**) منصوب على المصدر. يقال: سبّحت الله تسبيحا وسبحانا، فسبحان الله معناه: براءة وتنزيها له مِن كلِّ نقصٍ وصفةٍ للمحدث[1].

وقال الإمام الأزهري رحمه الله في (تهذيب اللغة): **قال الليث**: سبحان الله: تنزيهٌ لله عن كلِّ ما لا ينبغي له أن يوصَف به. قال: ونصبه أنه في موضع فعل على معنى تسبيحا له، تقول: سبّحت الله تسبيحا أي: نزّهته تنزيها. وكذلك روي عنِ النبي ﷺ.

وقال الزجاج في قول الله جلّ وعزّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴿١﴾﴾ [الاسراء: 01]. منصوب على المصدر، أسبّح الله تسبيحا.

قال: **وسبحان في اللغة**: تنزيهٌ لله عزّ وجلّ عنِ السوء. قلت: وهذا قول **سيبويه**. يقال: سبّحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنًى واحدٍ، فالمصدر تسبيح، والاسم سبحان، يقوم مقام المصدر.

قال سيبويه: وقال أبو الخطاب الكبير: سبحان الله كقولك: براءة الله مِنَ السُّوءِ، كأنه قال: أبرّئ الله مِنَ السُّوء، ومثله قول الأعشى: *سبحان من علقمة الفاخر*[2].

أي: براءة منه.

قلت: (**أي الأزهري**): ومعنَى تنزيهِ الله مِنَ السُّوءِ: **تبعيده منه**، وكذلك تسبيحه **تبعيده**، من قولك: سبحت في الأرض اذا أبعدت فيها، ومنه قوله جل وعز: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، وكذلك قوله: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾﴾ [النازعات: 03]. اهـ[3].

قوله: (**والحمد لله**) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. والفرق بين الحمد والمدح أن يقال: الإخبار عن محاسن الغير، إما أن يكون إخبارا مجرَّدا مِن حبٍّ وإرادةٍ، أو مقرونا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد. اهـ[4].

---

(1) شرح مسلم (4/ 222)، وقد تقدم قبل قليل.

(2) صدره: *أقول لمّا جاءني فخره*.

(3) تهذيب اللغة (4/ 338)، وانظر شأن الدعاء (ص143).

(4) بدائع الفوائد (ص536)، وقد تقدم.

وقال أيضا: فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضا عنه، فلا يكون المحبُّ الساكت حامِدا، ولا المثني بلا محبَّة حامدًا، حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا. اهـ[1].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنِ(الحمد والشكر) ما حقيقتهما؟ هل هما معنى واحد، أو معنيان؟ وعلى أي شيء يكونَ الحمد؟ وعلى أي شيء يكون الشكر؟

فأجاب:

الحمد يتضمَّن المدحَ والثناءَ على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلَّا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمِن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يُحمد على ما له مِنَ الأسماء الحسنى، والمَثَلِ الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: 01]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: 01]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴿١﴾﴾ [فاطر: 01].

وأما الشكر، فإنه لا يكون إلَّا على الإنعام، فهو أخَصُّ مِنَ الحمد مِن هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل:

أفادتكم النعماء منِّي ثلاثة ... يدي، ولساني، والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13].

والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمِن هذا الوجه الشكر أعمُّ مِن جهة أنواعه، والحمد أعمُّ مِن جهة أسبابه، ومِن هذا الحديث: **(الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره)**[2]. وفي الصَّحيح عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: **(إن الله ليرضى عنِ العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها)**[3]. والله أعلم[4].

---

(1) الوابل الصيب (ص219)، وقد تقدم.

(2) ضعيف الجامع (2790).

(3) رواه مسلم برقم (2734).

(4) مجموع الفتاوى (11/ 133).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (الحمد) وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم، الكمال الذاتي والوصفي، والفعلي، فهو كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله، ولا بدَّ مِن قَيد، وهو: (المحبة، والتعظيم). قال أهل العلم: لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم لا يسمَّى حمدا، وإنما يسمَّى مدحا. ولهذا يقع مِن إنسان لا يحُبّ الممدوح، لكنه يريد أن ينال منه شيئا، تجد بعض الشعراء يقف أمام الأمراء، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة لا محبَّةً فيهم، ولكن محبةً في المال الذي يعطونه، أو خوفًا منهم. ولكن حمدنا لربنا عز وجل حمد محبة، وتعظيم، فلذلك صار لا بد مِنَ القيد في الحمد أنه وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم. و(أل)في الحمد للاستغراق أي: استغراق جميع المحامد. وقوله: (لله) اللام للاختصاص والاستحقاق، و(الله) اسم ربِّنا عزَّ وجلَّ، لا يسمَّى به غيره، ومعناه: المألوه، أي: المعبود حبًّا، وتعظيما. انتهى من تفسير (سورة الفاتحة).

قوله: (**ولا إله إلا الله**) معناها: لا معبودَ حق (**أو بحقٍّ**)إلا الله. (لا إله)نافيا جميع ما يُعبد مِن دون الله. (إلا الله)مثبتا العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

و(إله)بمعنى مألوه، أي: معبود، لأن(الإلهة)بمعنى العبادة، والألوهة بمعنى العبودية، والتأله بمعنى التعبد. وأصلها مِن أله يأله، إلهة، وألوهة، إذا عبد مع الحِّب والخَوف والرجاء.

فالإله هو المعبود مع المحبة والتعظيم. ويدل له مِن قول العرب قول الشاعر في رجزه[1]:

لله درّ الغانيات المدّه سبّحن واسترجعن من تألّهي[2]

يعني: من تعبدي.

إعراب كلمة التوحيد:

(لا) نافية للجنس تعمل عمل إن.

---

(1) هو رؤبة بن العجاج، انظر تفسير الطبري (1/ 54)، وتفسير ابن كثير (1/ 20).

(2) قال في(اللسان): مدهه يمدهه مدها، مثل مدحه، والجمع: المده، أي: المستحقات المدح لحسنهن وجمالهن. والتأله: التنسك والتعبد. واسترجعن: قلن إنا لله وإنا إليه راجعون.اهـ

(إله) اسمها مبني على الفتح.

(إلا) أداة استثناء، وبعضهم يقول: أداة حصر.

(الله) لفظ الجلالة مرفوع وهو بدل مِن خبر(لا).

وهنا سؤال أين خبر(لا)؟

قال العلماء: خبرها محذوف تقديره(حق)، أو شبه الجملة (بحقٍّ). أي: لا معبود حق إلا الله، فلا بدَّ مِن كلمة(**حق**) وتقدير الخبر بكلمة(حق)هو المتعين خلافا لما عليه النحاة وأهل الكلام المذموم وغيرهم حيث قدروا الخبر بكلمة(موجود)أو بشبه الجمل (في الوجود)... الخ، فقالوا لا إله في الوجود أو لا إله موجود.

لأنه في الحقيقة هناك آلهة ومعبودات كثيرة مَن الأصنام والأضرحة وغيرها، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: 101]. ولكن المعبود بحقٍّ هو الله، وما سواه فمعبود باطل، وعبادته باطلة. فصار هذا التقدير مِن أنسب ما يكون.

قوله: (**الله أكبر**) معناها: الله أكبر من كل شيء. أي: لا أكبر ولا أعظم منه جلّ وعزّ.

قال الإمام الأزهري في(تهذيب اللغة): وقول المصلِّي: الله أكبر، وكذلك قول المؤذّن، فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه الله كبير، كقول الله جلَّ وعز: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: 27]. أي: هو هيّن عليه، ومثله قول معن بن أوس: لعمرك ما أدري وإني لأوجل. معناه: وإني لَوَجِل. و**القول الآخر**: أن فيه ضميرا، المعنى: الله أكبر كبير، وكذلك الله الأعزّ، أي: أعزّ عزيز، قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعزّ وأطول

معناه أعزّ عزيز وأطول طويل. اهـ[1].

قال العلماء: والصواب مِن هذين القولين هو الثاني، أما الأول فهو غير صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: التكبير يُراد به أن يكون [الله] عند العبد أكبر مِن كل شيء كما قال ﷺ لعديّ بن حاتم: (**يا عدي، ما يُفِرُّك؟ أَيُفِرُّكَ أن يقال:**

(1) تهذيب اللغة (10/ 214).

لا إله إلا الله؟ فهل تعلم مِن إله إلا الله؟ يا عدي، ما يُفِرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله؟).[1]. وهذا يبطل قول من جعل (أكبر) بمعنى (كبير). اهـ[2].

إذن: **فالتسبيح**: فيه تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وكماله. **والحمد**: فيه إثبات أنواع الكمال له سبحانه **والتهليل**: فيه توحيده وإخلاص الدِّين له. **والتكبير**: فيه تعظيمه سبحانه وأنه لا شيء أكبر منه. **والحَوقلة**: كلمة استعانة فيها تفويض الأمر لله عز وجل وتبرؤ مِنَ الحَولِ والقوة إلَّا به، وأن العبد لا يملك مِن أمره شيئا، ولا حِيلةَ له في دفع شرٍّ، ولا قوَّةَ له في جلب خيرٍ إلَّا بإرادته سبحانه.

قال في (سبل السلام): الباقيات الصالحات يُراد بها الأعمال الصالحة التي يبقى لصاحبها أجرها أبد الآباد، وفسّرها ﷺ بهذه الكلمات، ويحتمل أنه تفسير لقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف: 46]. وقد جاء في الأحاديث تفسيرها بأفعال الخير. اهـ[3].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ولهذا أخبر تعالى، أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسُرُّه، الباقيات الصالحات.

وهذا يشمل **جميع الطاعات**[4] الواجبة والمستحبة: مِن حقوق الله، وحقوق عباده، مِن صلاة، وزكاة وصدقة، وحجٍّ، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلبِ عِلْم نافع، وأمر بمعروف ونهيٍ عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزَّوجات والمماليك والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا مِنَ الباقيات الصالحات، فهذه خير عند الله ثوابا وخير أملا، فثوابها يبقى،

(1) رواه الترمذي برقم (2953)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(2) مجموع الفتاوى (5/ 239).

(3) سبل السلام (8/ 302).

(4) تفسير (الباقيات الصالحات) بجميع الطاعات والأعمال الصالحات مروي عن ابنِ عباس رضي الله عنهما وهو قول قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير. رحم الله الجميع.
وجاء عن كثير من السلف تفسير (الباقيات الصالحات) بالذِّكر المذكور في الحديث.
وجاء عن غير واحد من السلف أيضا كما قال ابن كثير رحمه الله أن (الباقيات الصالحات) الصلوات الخمس.
ولمن أراد الاطلاع على هذه الاقوال فليرجع إلى كتب التفسير وبالله التوفيق.

ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويجدَّ في تحصيلها المجتهدون. اهـ[1].

قال في (المرقاة): ولعلَّ وجه تسميتها بالباقيات، مع أن كل أعمال الآخرة كذلك مقابلتها للفانيات الفاسدات مِنَ المال والبنين في المثل المضروب قبلها إشعارا بأن المال والبنين مِن أكمل أسباب أرباب الدنيا، فالمذكورات مِن أفضل عبادات أصحاب العقبى. اهـ[2].

فائدة مهمة: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وينبغي أن يُعلم أنَّ التسبيح أوِ التنزيه في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ ليس مقصوده مجرد نفي النقائص والعيوب عنِ الله تعالى، وإنما مقصوده **تقرير توحيد الله سبحانه**، وحفظ كماله عنِ الظنون السيئة والخواطر الباطلة، وجميع ما نزَّه الله تعالى نفسه عنه، أو نزَّهه عنه رسولُه ﷺ هو مما يخالف توحيده، ويضادُّ كماله، ولهذا كان في تنوع تنزيهه عن ذلك مِنَ العلم والمعرفة بتوحيده وكماله ما في بيان محاسن الشيء وكماله عند معرفة ما يضادُّه ويخالفه[3].

(1) تيسير الكريم الرحمن (ص 479).

(2) مرقاة المفاتيح (5/ 207).

(3) انظر طريق الهجرتين (ص251)، نقلا عن التسبيح في الكتاب والسنة (1/ 504).

131 كيف كان النبيُّ ﷺ يسبّح؟

266- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (**رأيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ**) [1].

قوله: (**يعقِد التسبيح بيمينه**) أي: يعدُّه ويُضبِطه، ويحفظ عدده بيده اليمنى.

ففيه استحباب عقد التسبيح باليد اليمنى وأنه لا يكون بالشمال ولا باليدين معا. ويؤيد هذا ما رواه الإمام أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان مِن أذًى**)[2].

قال الشيخ الألباني رحمه الله معلّقا على هذا الحديث: ولا يشكُّ ذو لبٍّ أنَّ اليمنى أحقُّ بالتسبيح مِنَ الطعام، وأنه لا يجوز أن يُلحق بـ (**ما كان مِن أذًى**) وهذا بيِّن لا يخفى إن شاء الله، وبالجملة فمن سبَّح باليسرى فقد عصى، ومن سبَّح باليدين معا كما يفعل كثيرون فقد ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ومن خصَّه باليمنى فقد اهتدى، وأصاب سنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم.)[3].

وقد علّل النبي ﷺ ذلك أي: (كون عقد التسبيح يكون باليد) في حديث يُسَيْرَةَ رضي الله عنها بقوله: (**واعقدنَ بالأنامل، فإنّهنّ مسؤولات ومستنطقات**)[4]. والأنامل: جمع أنملة -بضم الميم- وهي رؤوس الأصابع. يعني أنهن يشهدن بذلك يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: 65]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ [فصلت: 21].

---

(1) رواه أبو داود برقم (1502)، والترمذي برقم (3486)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (4865).

(2) رواه أبو داود برقم (33)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(3) صحيح الأدب المفرد (ص471).

(4) رواه أبو داود برقم (1501)، والترمذي برقم (3583)، وحسَّنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

قال في (تحفة الأحوذي): وفي الحديث مشروعية عقد التسبيح بالأنامل، وعلَّل ذلك رسول الله ﷺ في حديث يسيرة بأن الأنامل مسؤولات مستنطقات يعني أنهن يشهدن بذلك فكان عقدهن بالتسبيح مِن هذه الحيثية أولى من السبحة والحصى. اهـ[1].

وفي الحديث من **الفوائد**: أنه لا ينبغي أن تستعمل السبحة ولا الحصى ولا غيرهما في التسبيح.

روى الإمام الدارمي في سننه قال: أخبرنا الحكم بن المبارك، أنبأنا عمرو بن يحيى، قال: سمعت أبي يحدِّث، عن أبيه قال: (كنَّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: لا، بعد. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر-والحمد لله إلا خيرا-قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه. قال: رأيت في المسجد قوما حِلَقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كبروا مئة، فيكبرون مئة، ويقول: هللوا مئة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مئة، فيسبحون مئة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدُّوا سيئاتهم، وضمنتَ لهم أن لا يضيع مِن حسناتهم، ثم مضى ومضَينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصا نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع مِن حسناتكم شيءٌ، وَيْحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيتُه لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلَّا الخير. قال: وكم مِن مريدٍ للخير لا يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدَّثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وَايْمُ اللهِ ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج)[2].

---

(1) تحفة الاحوذي (9/ 458).

(2) رواه الدارمي برقم (210)، قال محققه إسناده جيد.

وروى ابن وضاح في (البدع والنهي عنها) قال: ثنا أسد، عن جرير بن حازم، عن الصلت بن بهرام قال: مرَّ ابن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبِّح به، فقطعه وألقاه، ثم مرَّ برجل يسبِّح بحصى فضربه برجله، ثم قال: لقد ركبتم بدعة ظلما، أو لقد غلبتم أصحاب محمد ﷺ علما[1].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: ولو لم يكن في السبحة إلا سيئة واحدة، وهي أنها قضت على سنة العدِّ بالأصابع، أو كادت، مع اتفاقهم على أنها أفضل، لكفى، فإني قلما أرى شيخا يعقد التسبيح بالأنامل. اهـ[2].

وقال الشيخ أحمد حمّاني الجزائري رحمه الله: والأفضل أن يجتنبها **فما لم يفعل السلف لا خير فيه** وليستعمل أصابعه في العدِّ، وهي سبحة مِن الله لاصقة فيه، والسبحة اليوم موجودة في كل أنحاء العالم، وقد أعان على انتشارها الطرق الصوفية، التي اخترع لكل طريقة شيخها أنواعا خاصَّة مِنَ الذكر وعددا خاصًّا منه[3].

فائدة حديثية: قول الصحابي رأيت النبي ﷺ يفعل كذا له حكم المرفوع كما هو مقرر في علم مصطلح الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في (نزهة النظر): ثم الإسناد، إما أن ينتهي إلى النبي ﷺ تصريحًا أو حكمًا، من قوله، أو فعله، أو تقريره. اهـ

وقول الصحابي: رأيت النبي ﷺ يفعل كذا مِن قبيل المرفوع مِنَ الفعل تصريحًا[4].

---

(1) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها برقم (27)، قال محققه سنده صحيح إلى الصلت بن بهرام.

(2) سلسلة الأحاديث الضعيفة (1/ 192).

(3) مقتبس من فتاوى الشيخ أحمد حّماني رحمه الله (3/ 332-333).

(4) النكت على نزهة النظر (ص140).

132 مِن أنواع الخير والآداب الجامعة

267- **(إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُم - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛فَإِنَّ الشَّيَاطِيْنَ تَنْتَشِرُ حِيْنَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، واذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ)** [1].

قوله: **(جُنح الليل)** هو بضم الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان، وهو ظلامه، ويقال: أجنح الليل، أي: أقبل ظلامه. وأصل الجنوح المَيل، قاله النووي.

وقال الحافظ: وهو بضم الجيم وكسرها، والمعنى: إقباله بعد غروب الشمس، يقال: جنح الليل: أقبل واستجنح حان جنحه أو وقع. اهـ

قوله: **(أو أمسيتم)** أي: دخلتم في المساء.

قوله: **(فكُفُّوا صِبْيانكم)** أي: امنعوهم مِنَ الخروج ذلك الوقت، وفي رواية: **(واكفتوا صبيانكم)** أي: ضمُّوهم إليكم، والمعنى: امنعوهم مِنَ الحركة في ذلك الوقت.

قوله: **(فإن الشياطين تنتشر)** أي: جنس الشيطان، إذ معناه: أنه يخاف على الصبيان ذلك الوقت مِن إيذاء الشياطين، لكثرتهم حينئذ، والله أعلم.

قال ابن الجوزي رحمه الله: إنّما خِيف على الصّبيان في تلك السّاعة، لأنّ النّجاسة الّتي تلوذ بها الشياطين موجودةٌ معهم غالبا، والذّكر الّذي يحرز منهم مفقود مِنَ الصبيان غالبا، والشّياطين عند انتشارهم يتعلّقون بما يمكنهم التعلّق به، فلذلك خِيف على الصّبيان في ذلك الوقت.

والحكمة في انتشارهم حينئذ أن حركتهم في اللّيل أمكن منها لهم في النهار، لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية مِن غيره، وكذلك كل سواد، ولهذا قال في حديث أبي ذرٍّ: **(فما يقطع الصلاة؟ قال: الكلب الأسود شيطان)** [2].

---

(1) رواه البخاري برقم (3280)، ومسلم برقم (2012).

(2) فتح الباري (7/ 569-570).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والليل إذا أقبل فهو محلُّ سلطان الأرواح الشّرّيرة الخبيثة، وفيه تنتشر الشياطين، وفي الصحيح أن النبي ﷺ أخبر أن **الشمس إذا غربت** انتشرت الشياطين ولهذا قال: (**فأكفتوا صبيانكم...**).

وفي حديث آخر: (**فإن الله يبثّ مِن خلقه ما يشاء**)[1].

والليل هو محلُّ الظلام، وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن، ما لا تتسلط بالنهار، فإنَّ النهار نور، والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات والمواضع المظلمة والمظالم وعلى أهل الظلمة. اهـ[2].

قوله: (**فإذا ذهب ساعة مِنَ الليل**) وفي رواية: مِنَ العِشاء (**فخلّوهم**) أي: اتركوا صبيانكم.

والمعنى: إذا مضت ساعة مِنَ الليل فحينئذ يُترك الأطفال، فلو خرجوا بعد ذلك فلا حرج ولا مضَّرة لأن وقت انتشار الشياطين قد ذهب.

وفي رواية: (**لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابتِ الشَّمس حتى تذهب فحمة العشاء**) قال الإمام النووي رحمه الله: قال أهل اللغة: الفواشي كل منتشر مِنَ المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها، وهي جمع فاشية لأنها تفشو، أي: تنتشر في الأرض، وفحمة العِشاء: ظلمتها وسوادها.

وفسّرها بعضهم هنا بإقباله وأول ظلامه، وكذا ذَكَره صاحب (نهاية الغريب) قال: ويقال للظلمة التي بين صَلاتَيْ المغرب والعِشاء: الفحمة، وللتي بين العشاء والفجر: العسعسة[3].

قوله: (**وأغلقوا الأبواب**) وفي لفظ: (**وأجيفوا الأبواب**) بالجيم والفاء أي: أغلقوها.

قال ابن دقيق العيد: في الأمر بإغلاق الأبواب مِنَ المصالح الدينية والدنيوية حراسة الأنفس والأموال مِن أهل العبث والفساد ولا سيما الشياطين[4].

---

(1) رواه أحمد برقم (14283)، وأبو داود برقم (5104)، وصححه الشخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، وفي الصحيحة برقم (1518).

(2) بدائع الفوائد (732).

(3) شرح مسلم (13/ 209).

(4) فتح الباري (14/ 264).

قوله: **(واذكروا اسم الله)** والمعنى أن ذِكر اسم الله يحول بينه وبين فعل هذه الأشياء، ومقتضاه أنه يتمكن مِن كلِّ ذلك إذا لم يذكر اسم الله، ويؤيِّده ما أخرجه مسلم(*) والأربعة عن جابر رفعه: **(إذا دخل الرَّجل بيتَه فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيتَ لكم ولا عَشَاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم)**.

قوله: **(وأَوْكُوا قِربكم)** أي: اربطوها وشدُّوها، والوكاء: اسم ما يسد به فم القربة.

قوله: **(وخَمِّرُوا آنيتكم)** أي: غطُّوها. ومعنى التخمير: التغطية[1].

قوله: **(واذكروا اسم الله)** قال القرطبي في(المفهم): ولابد مِن ذكر الله تعالى عند هذه الأفعال كلها كما جاء في الحديث، فيذكر الله تعالى، وببركة اسمه تندفع المفاسد، ويحصل تمام المصالح. اهـ[2].

قوله: **(ولو أن تَعرضوا عليها شيئا)** وفي رواية: **(ولو تعرض عليه عودًا)** قال الإمام النووي رحمه الله: المشهور في ضبطه تعرض بفتح التاء وضم الراء، وهكذا قاله الأصمعي والجمهور، ورواه أبو عبيد بكسر الراء، والصحيح الأول، ومعناه: تمده عليه عرضا أي خلاف الطول، وهذا عند عدم ما يغطيه به كما ذكره في الرواية بعده: **(إن لم يجد أحدكم إلَّا أن يعرض على إنائه عُودًا أو يذكر اسم الله فليفعل)** فهذا ظاهر في أنه يقتصر على العود عند عدم ما يغطيه به، وذكر العلماء للأمر بالتغطية **فوائد**:

منها **الفائدتان** اللتان وردتا في هذه الأحاديث وهما: صيانته منَ الشيطان، فإن الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحلُّ سِقاء، وصيانته مِنَ الوباء الذي ينزل في ليلة مِنَ السنة. قال ﷺ: **(غطّوا الإناء وأوكوا السقاء، فإنّ في السّنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمرُّ بإناء ليس عليه غطاء أو سِقاء ليس عليه وكاء إلَّا نزل فيه مِن ذلك الوباء)**[3].

(*) برقم: (2018).

(1) فتح الباري (12/ 683).

(2) المفهم (5/ 281).

(3) رواه مسلم برقم(2014).قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم(13/ 210): والوباء: يمد ويقصر، لغتان حكاهما الجوهري وغيره، والقصر أشهر، قال الجوهري: جمع المقصور أوباء وجمع الممدود: أوبئة، قالوا: والوباء: مرض عامٌّ يفضي إلى الموت غالبا. وزاد في آخر الحديث: قال الليث: فالأعاجم عندنا يتقون ذلك في كانون الأول وقوله: (يتقون ذلك) أي: يتوقعونه ويخافونه، وكانون غير مصروف لأنه علم أعجمي وهو الشهر المعروف.اهـ.
[قلت: وكانون الأول هو آخر شهور السنة الشمسية وهو شهر ديسمبر].

والفائدة الثالثة: صيانته مِنَ النجاسة والمقذرات. **والرابعة**: صيانته مِنَ الحشرات والهوامِّ، فربما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل، أو في الليل فيتضرر به والله أعلم[1].

قوله: (**وأطفئوا مصابيحكم**) وفي رواية (**وأطفئوا السّراج**) **والعلة** في ذلك بينها النبي ﷺ في رواية أخرى قال: (**وأطفئوا المصابيح، فإنّ الفُوَيْسِقَةَ ربّما جرّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت**)[2].

قال الحافظ في(الفتح): قال القرطبي: الأمر والنهي في هذا الحديث للإرشاد، قال: وقد يكون للندب، وجزم النووي بأنه للإرشاد لكَونه لمصلحة دنيوية، وتُعُقِّبَ بأنه قد يُفضي إلى مصلحة دينية، وهي حفظ النفس المحرَّم قتلها والمال المحرَّم تبذيره.

وقال القرطبي: في هذه الأحاديث أن الواحد إذا بات ببيت ليس فيه غيره، وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه أو يفعل بها ما يؤمن معه الاحتراق، وكذا إن كان في البيت جماعة، فإنه يتعين على بعضهم وأحقهم بذلك آخرهم نوما، فمن فرّط في ذلك كان للسنة مخالفا ولأدائها تاركا.

ثم أخرج الحديث الذي أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق عكرمة عنِ ابنِ عباس قال: (جاءت فأرة فجرّت الفتيلة فألقتها بين يدي النبي ﷺ على الخمرة التي كان قاعدا عليها فأحرقت منها مثل موضع الدرهم، فقال النبي ﷺ: **إذا نمتم فأطفئوا سراجكم، فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فيحرقكم**)[3]، وفي هذا الحديث بيان سبب الأمر أيضا وبيان الحامل للفويسقة[4] -وهي الفأرة- على جرِّ الفتيلة وهو الشيطان، فيستعين وهو عدوُّ الإنسان عليه بعدوٍّ آخر وهي النار، أعاذنا الله بكرمه من كيد الأعداء إنه رؤوف رحيم.

---

(1) شرح مسلم (13/ 205).

(2) البخاري برقم (6295).

(3) رواه أبو داود برقم (5247)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، والصحيحة برقم (1426).

(4) سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها للفساد، قاله في(المفهم). وقال في النهاية (ص706): سمَّى الفأرة فويسقة، تصغير فاسقة، لخروجها مِن جحرها على الناس وإفسادها. اهـ وانظر للفائدة كتاب (الحيوان) للدميري.

وقال ابن دقيق العيد: إذا كانت العلة في إطفاء السراج الحذر من جر الفويسقة الفتيلة، فمقتضاه أن السراج إذا كان على هيئة لا تصل إليها الفأرة لا يمنع إيقاده، كما لو كان على منارة من نحاس أملس لا يمكن للفأرة الصعود إليه، أو يكون مكانه بعيدا عن موضع يمكنها أن تثب منه إلى السراج. قال: وأما ورود الأمر بإطفاء النار مطلقا كما في حديثي ابن عمر وأبي موسى[1] -وهو أعم من نار السراج- فقد يتطرق منه مفسدة أخرى غير جرِّ الفتيلة كسقوط شيء مِنَ السراج على بعض متاع البيت، وكسقوط المنارة فينثر السراج إلى شيء مِن المتاع فيحرقه، فيحتاج إلى الاستيثاق مِن ذلك، فإذا استوثق بحيث يؤمن معه الإحراق **فيزول الحكم بزوال علته**.

قلت (أي الحافظ): وقد صرَّح النووي بذلك في القنديل مثلا لأنه يؤمن معه الضرر الذي لا يؤمن مثله في السراج.

وقال ابن دقيق العيد أيضا: هذه الأوامر لم يحملها الأكثر على الوجوب، ويلزم أهل الظاهر حملها عليه. قال: وهذا لا يختصُّ بالظاهري بل الحمل على الظاهر إلَّا لمعارض ظاهر يقول به أهل القياس. وإن كان أهل الظاهر أَولى بالالتزام به لكونهم لا يلتفتون إلى المفهومات والمناسبات، وهذه الأوامر تتنوَّع بِحَسَبِ مقاصدها: فمنها ما يحمل على الندب وهو التسمية على كل حال، ومنها ما يحمل على الندب والإرشاد معا كإغلاق الأبواب من أجل التعليل بأن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، لأن الاحتراز مِن مخالطة الشيطان مندوب إليه وإن كان تحته مصالح دنيوية كالحراسة، وكذا إيكاء السقاء وتخمير الإناء. والله أعلم. اهـ[2].

---

(1) حديث ابن عمر رضي الله عنهما رواه البخاري برقم (6293)، عنِ النّبي ﷺ قال: (**لا تتركوا النّار في بيوتكم حين تنامون**). وحديث أبي موسى رضي الله عنه رواه البخاري أيضًا برقم(6294)، قال: احترق بيت بالمدينة على أهله مِنَ الليل، فَحُدِّثَ بشأنهم النّبيُّ ﷺ قال: (**إنّ هذه النّار إنّما هي عدوٌّ لّكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم**).

ففي حديث ابنِ عمر النهيُ عن ترك النار في البيت عند النوم، وفي حديث أبي موسى بيان حكمة النهي وهي خشية الاحتراق. وقولُه: (**حين تنامون**) قيّده بالنوم لحصول الغفلة به غالبا، ويُستنبط منه أنه متى وجدت الغفلة حصل النهي. قال ابن دقيق العيد: يؤخذ مِن حديث أبي موسى سبب الأمر في حديث جابر بإطفاء المصابيح، وهو فن حسن غريب، ولو تتبع لحصل منه فوائد.

وقوله: (**إنّ هذه النّار إنما هي عدوٌّ لكم**) هكذا أورده بصيغة الحصر مبالغةً في تأكيد ذلك. قال ابن العربي: معنى كَون النار عدوًا لنا أنها تنافي أبداننا وأموالنا منافاة العدوِّ، وإن كانت لنا بها منفعة، لكن لا يحصل لنا منها إلا بواسطة، فأطلق أنها عدوٌّ لنا لوجود معنَى العداوة فيها. والله أعلم. أفاد كل هذا الحافظ في(الفتح)، فغفر الله للحافظ.

ورحم الله الشيخ الألباني إذ يقول عنه: لم تلد النساء مثله، أو كلاما نحو هذا ولكن أين أهل الحديث؟ لم تكد تراهم إلا في كتاب أو تحت تراب. ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه. والله المستعان.

(2) فتح الباري (14/ 262-263).

وفي رواية: (**فإن الفويسقة تضْرم على أهل البيت بيتهم**) قال الإمام النووي رحمه الله: المراد بالفويسقة الفأرة، وتضرم بالتاء وإسكان الضاد أي: تحرق سريعا، قال أهل اللغة: ضَرِمَتِ النارُ بكسر الراء وتَضَرَّمَتْ واضطرمت النار، أي: التهبت، وأَضْرَمْتُها أنا وضرَّمتُها.

وقال رحمه الله: هذا الحديث فيه جُمَل من أنواع الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا، فأمر ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة مِن إيذاء الشيطان، وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسبابا للسلامة مِن إيذائه، فلا يقدر على كشف إناء ولا حلِّ سقاء، ولا فتح باب ولا إيذاء صبيٍّ وغيره، إذا وجدت هذه الأسباب. وهذا كما جاء في الحديث الصحيح: (**إن العبد إذا سمَّى عند دخول بيته قال الشيطان: لا مبيت**) أي: لا سلطان لنا على المبيت عند هؤلاء.

وكذلك إذا قال الرجل عند جماع أهله: (**اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّبِ الشيطان ما رزقتنا**) كان سبب سلامة المولود مِن ضرر الشيطان، وكذلك شبه هذا مما هو مشهور في الأحاديث الصحيحة وفي هذا الحديث الحث على ذكر الله تعالى في هذه المواضع ويلحق بها ما في معناها. اهـ[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: وقد تضمَّنت جملة هذه الأحاديث أن الله تعالى قد أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في هذه الأوقات مِنَ المضارِّ من جهة الشياطين، والفأر، والوباء.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ما يُتَّقى به ذلك، فليبادر الإنسان إلى فعل تلك الأمور ذاكرا الله تعالى، ممتثلا أمر نبيه ﷺ، وشاكرا لله تعالى على ما أرشدنا إليه وأعلمنا به، ولنبيه ﷺ على تبليغه، ونصحه، فمن فعل ذلك لم يصبه مِن شيء مِن ذلك ضرر بحَول الله وقوَّته، وبركة امتثال أوامره ﷺ وجازاه عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته، فلقد بلغ، ونصح. اهـ[2].

---

(1) شرح مسلم (13/ 207-208).

(2) المفهم (5/ 282).

كلمات يكثر استعمالها في الأدعية والأذكار

لاحظت أثناء الشرح كلمات يكثر استعمالها في الأدعية والأذكار فأحببت من باب الفائدة أن أجملها في هذا الموضع، وبالله التوفيق.

01- (اللَّهمَّ).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لا خلاف أن لفظة (**اللهم**) معناه: (يا الله) ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اغفر لي وارحمني[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هذه كلمة كثر استعمالها في الدعاء وهو بمعنى: يا الله، والميم عِوض عن حرف النداء، فلا يقال: اللهم غفور رحيم مثلا، وإنما يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ولا يدخلها حرف النداء إلا في نادرٍ كقول الراجز:

إني إذا ما حادث ألما أقول: يا اللهم يا اللهما[2]

وقال في (المفهم) هي: الله زيد عليها الميم عِوضا من حرف النداء، ولذلك لا يجمع بينهما إلا في الشاذّ في قوله:

وما عليك أن تقولي كلّما سبّحت أو هلّلت يا اللّهمّا

هذا قول: جمهور النّحويين[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (اللهم) يقول النحويون: إن أصله يا الله، فحذفت ياء النداء وعوض عنها الميم ثم أخرت الميم تيمّنا باسم الله وتبرّكا به، واختيرت الميم دون غيرها، لأنها دليل جمع كأن الداعي جمع قلبه على الله الّذي ناداه وعلى هذا فنقول: (الله) لفظ الجلالة منادى مبني على الضّم في محل نصب حذفت منه ياء النّداء وعوض عنها الميم[4].

---

(1) جلاء الأفهام (ص236).

(2) فتح الباري (14/ 372).

(3) المفهم (2/ 89).

(4) شرح بلوغ المرام (4/ 557).

02- **(أعوذ).**

أي: ألتجئ وأعتصم وأتحرز.

الاستعاذة الالتجاء والاعتصام ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذًا وملجأً. فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه، إلى ربه ومالكه، واعتصم به واستجار، والتجأ إليه. وهذا تمثيل، وإلا فيما يقومُ بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاطراح بين يد الرب، والافتقار إليه، والتذلل له، أمر لا تحيط به العبارة. قاله ابن القيم رحمه الله[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: اعلم أن لفظ (عاذ) وما تصرف عنها تدل على التحرز والتحصن والالتجاء، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به: (مَعَاذا) كما يسمى: (ملجأ ووزرا). فمعنى أعوذ: ألتجئ وأعتصم وأتحرز[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير[3].

03- **(بسم الله).**

الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف متأخر مناسب للمقام، فإذا قدمتها بين الأكل يكون التقدير: باسم الله آكل، وإذا قدمتها بين الشرب يكون التقدير باسم الله أشرب وهكذا...

أما كونه فعلا، فلأن الأصل في العمل للأفعال.

وأما كونه خاصًّا: فلأن كلَّ مبتدِئ بالبسملة في أمر، يضمر ما جعل البسملة مبدأ له.

وأما كونه متأخِرا: فلدلالته على الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود، ولأن أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى.

(1) انظر فتح المجيد (ص187).

(2) بدائع الفوائد (ص703).

(3) تفسير ابن كثير (1/ 175).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لحذف العامل في (**بسم الله**) فوائد عديدة: **منها**: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله. و**منها**: أن الفعل إذا حذف صحَّ الإبتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة، فكان الحذف أعم مِنَ الذكر. و**منها**: أن الحذف أبلغ[1].

04- (**العفوُ والعافية**).

(**العفوُ**) هو التجاوز عنِ الذنوب. (**والعافية**) هي السلامة من كل مكروه وآفة.

قال في(النهاية): العفوُ: محوُ الذنوب، والعافية: أن تسلم مِنَ الأسقام والبلايا، وهي الصحة وضِد المرض[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولهذا ما سئل الرَّبُّ شيئا أحب إليه مِن العافية، لأنها **كلمة جامعة** للتخلص مِنَ الشر كله وأسبابه[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله: وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي مِنَ الألفاظ العامَّة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن، والباطن في الدين والدنيا والآخرة[4].

05 - (**سبحان الله**).

التسبيح معناه: تنزيه الله عمّا لا يليق به مِن كل عيب ونقص.

قال الإمام النووي رحمه الله: قال أهل العربية وغيرهم التسبيح: التنزيه، وقولهم: (**سبحان الله**) منصوب على المصدر. يقال: سبّحت الله تسبيحا وسبحانا، فسبحان الله معناه: براءة وتنزيها له من كل نقص وصفة للمحدث.[5].

قال في(تهذيب اللغة): **قال الليث**: سبحان الله: تنزيهٌ لله عن كلِّ ما لا ينبغي له أن يوصف به. قال: ونصبه أنه في موضع فعل على معنى: تسبيحا له، تقول: سبّحت الله تسبيحا أي: نزّهته تنزيها. وكذلك روي عنِ النبي ﷺ.

(1) بدائع الفوائد (ص43).

(2) النهاية في غريب الحديث (ص627).

(3) شفاء العليل (ص234).

(4) شرح مسلم (12/ 54).

(5) شرح مسلم (4/ 222).

وقال الزجاج في قول الله جلّ وعزّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴿١﴾﴾ [الاسراء: 01]. منصوب على المصدر، أسبّح الله تسبيحا.

قال: **وسبحان في اللغة**: تنزيهٌ لله عزّ وجلّ عنِ السُّوءِ. قلت: وهذا قول **سيبويه**. يقال: سبّحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنًى واحدٍ، فالمصدر تسبيح، والاسم سبحان يقوم مقام المصدر.

قال سيبويه: وقال أبو الخطاب الكبير: سبحان الله كقولك: براءة الله مِنَ السُّوء، كأنه قال: أبرّئ الله مِنَ السُّوءِ، ومثله قول الأعشى: *سبحان من علقمة الفاخر*[1].

أي: براءة منه.

قلت: **(أي الأزهري)**: ومعنى تنزيهِ الله مِنَ السُّوء: **تبعيده منه**، وكذلك تسبيحه **تبعيده**، من قولك: سبحت في الأرض اذا أبعدت فيها، ومنه قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: 40]، وكذلك قوله: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾﴾ [النازعات: 03]. اهـ[2].

06- **(سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك)**، **(سبحان الله وبحمده)**.

- **(سبحانك اللَّهمَّ)**.

أي: أسبِّحك تسبيحا، بمعنى: أنزِّهك تنزيها مِن كل النقائص ومما لا يليق بجلالك وعظمتك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به[3].

- **(وبحمده)**.

قال الحافظ في(الفتح): قوله: **(وبحمده)** قيل الواو للحال، والتقدير: أسبح الله متلبسا بحمدي له مِن أجل توفيقه، وقيل: عاطفة والتقدير: أسبح الله وأتلبس

---

(1) صدره: *أقول لمّا جاءني فخره*.

(2) تهذيب اللغة (4/ 338). وانظر شأن الدعاء (ص143).

(3) حادي الأرواح (ص844).

بحمده، ويحتمل أن يكون الحمد مضافا للفاعل والمراد مِنَ الحمد لازمُه أو ما يوجب الحمد مِنَ التوفيق ونحوه، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف متقدم والتقدير: وأثني عليه بحمده فيكون (**سبحان الله**) جملة مستقلة و(**بحمده**) جملة أخرى، وقال الخطابي في حديث: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**) أي بقوتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدك سبَّحتك لا بحَولي وقوَّتي[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله: قوله: (**وبحمدك**) أي: وبحمدك سبَّحتك، ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبَّحتك، لا بحَولي وقوَّتي، ففيه: شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى، وأن كل الأفعال له، والله أعلم[2].

07- (**الحمد لله**).

الحمد: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. والفرق بين الحمد والمدح أن يقال: الإخبار عن محاسن الغير، إما أن يكون إخبارا مجردا من حبّ وإرادة، أو مقرونا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد. اهـ[3].

وقال أيضا: فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضا عنه، فلا يكون المحبُّ الساكت حامدا، ولا المثْني بلا محبة حامدا، حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا. اهـ[4].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن (الحمد والشكر) ما حقيقتهما؟ هل هما معنًى واحدٌ، أو معنيان؟ وعلى أيِّ شيء يكون الحمد؟ وعلى أيِّ شيء يكون الشكر؟ **فأجاب:**

(1) فتح الباري (17/ 632).

(2) شرح مسلم (4/ 222).

(3) بدائع الفوائد (ص536).

(4) الوابل الصيب (ص219).

الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمِن هذا الوجه الحمد أعم مِنَ الشكر، لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يُحمد على ما له مِنَ الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ [الأنعام: 01]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۝١﴾ [سبأ: 01]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۝١﴾ [فاطر: 01].

وأما الشكر، فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخصُّ مِنَ الحمد مِن هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل:

أفادتكم النعماء منِّي ثلاثة　　　يدي، ولساني، والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۝١٣﴾ [سبأ: 13].

والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم مِن جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه، ومِن هذا الحديث: **(الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمِد الله لم يشكره)**(*) وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **(إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها)** [1]. والله أعلم[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (الحمد) وصفُ المحمودِ بالكمال مع المحبة، والتعظيم، الكمال الذاتي والوصفي، والفعلي، فهو كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله، ولا بدَّ مِن قيد وهو: (المحبة، والتعظيم). قال أهل العلم: لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم لا يسمى حمدا، وإنما يسمى مدحا. ولهذا يقع مِن إنسان لا يحُبُّ الممدوح، لكنه يريد أن ينال منه شيئا، تجد بعض الشعراء يقف أمام الأمراء، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة لا محبَّة فيهم، ولكن محبَّةً في المال الذي يعطونه، أو خوفا منهم. ولكن حمدنا لربنا عز وجل حمد محبة، وتعظيم، فلذلك صار لا بد

(*) تقدم التنبيه على أنه حديث ضعيف، انظر ص(602)عند شرح الحديث (265)-(12).

(1) رواه مسلم برقم (2734).

(2) مجموع الفتاوى (11/ 133).

مِنَ القيد في (الحمد) أنه وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم. و(أل) في (الحمد) للاستغراق أي: استغراق جميع المحامد. وقوله: (لله) اللام للاختصاص والاستحقاق، و(الله) اسم ربنا عز وجل، لا يسمَّى به غيره، ومعناه: المألوه، أي: المعبود حبًّا، وتعظيما. انتهى مِن تفسير (سورة الفاتحة).

08- **(لا إله إلا الله)**.

معناها: لا معبود **حق (أو بحقٍّ)** إلا الله. (لا إله) نافيا جميع ما يُعبَد من دون الله. (إلَّا الله) مثبِتا العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

و(إله) بمعنى مألوه، أي: معبود، لأن (الإلهة) بمعنى العبادة، والألوهة بمعنى العبودية، والتأله بمعنى التعبد. وأصلها من: أله يأله، إلهة، وألوهة، إذا عبد مع الحب والخوف والرجاء. فالإله هو المعبود مع المحبة والتعظيم، ويدل له مِن قول العرب قول الشاعر في رجزه:

لله درّ الغانيات المدّه   سبّحن واسترجعن من تألّهي

يعني: من تعبدي.

09- **(الله أكبر)**.

معناها: الله أكبر مِن كل شيء. أي: لا أكبر ولا أعظم منه.

قال الإمام الأزهري في (تهذيب اللغة): وقول المصلِّي: الله أكبر، وكذلك قول المؤذّن، فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه الله كبير، كقول الله جل وعز: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: 27]. أي: هو هيّن عليه، ومثله قول معن بن أوس: لعمرك ما أدري وإني لأوجل. معناه: وإني لَوَجِل. **والقول الآخر**: أن فيه ضميرا، المعنى: الله أكبر كبير، وكذلك الله الأعزّ، أي: أعزّ عزيز، قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا   بيتا دعائمه أعزّ وأطول

معناه أعزّ عزيز وأطول طويل. اهـ[1].

قال العلماء: والصواب مِن هذين القولين هو الثاني، أما الأول فهو غير صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: التكبير يراد به أن يكون [الله] عند العبد أكبر مِن كل شيء كما قال ﷺ لعديّ بن حاتم: **(يا عديُّ، ما يُفِرُّك؟ أَيُفِرُّك أن يقال: لا إله**

(1) تهذيب اللغة (10/ 214).

إلا الله؟ فهل تعلم مِن إله إلا الله؟ يا عديُّ، ما يُفِرُّك؟ أَيُفِرُّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل مِن شيء أكبر مِنَ الله؟)[1]. وهذا يبطل قول مَن جعل (أكبر) بمعنى (كبير). اهـ[2].

10- **(لا حَول ولا قوة إلا بالله)**

قال في(النهاية): الحَول: الحركة. يقال: حال الشخص يحول إذا تحرك، المعنى: لا حركة ولا قوة إلا بمشيئة الله تعالى. وقيل: الحَول: الحِيلة، والأول أشبه. اهـ[3].

وقال الامام النووي رحمه الله: **(لا حَول ولا قوة إلا بالله)** يجوز فيه خمسة أوجه لأهل العربية مشهورة، **أحدها**: لا حَول ولا قوة بفتحهما بلا تنوين. **والثاني**: فتح الأول ونصب الثاني منونا. **والثالث**: رفعهما منَونينِ. **والرابع**: فتح الأول ورفع الثاني منونا. **والخامس**: عكسه. قال الهروي: قال أبو الهيثم: الحَول الحركة أي: لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله، وكذا قال ثعلب وآخرون، وقيل: لا حَول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: لا حَول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته وحكي هذا عنِ ابن مسعود رضي الله عنه. وحكى الجوهري لغة غريبة ضعيفة أنه يقال: لا حيل ولا قوة إلا بالله، بالياء، قال: والحيل والحَول بمعنًى. ويقال في التعبير عن قولهم: **(لا حَول ولا قوة إلا بالله)** الحوقلة، هكذا قال الأزهري والأكثرون. وقال الجوهري: الحولقة. فعلى الأول- وهو المشهور- الحاء والواو من الحَول، والقاف من القوة، واللام من اسم الله تعالى. وعلى الثاني: الحاء واللام من الحَول، والقاف مِنَ القوة، والأول أولى لئلا يفصل بين الحروف[4].

وقال أيضا: هي كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولا رادَّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئا مِنَ الأمر. **قال أهل اللغة:** الحَول: الحركة والحيلة، أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى. وقيل معناه: لا حَول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله. **وقيل**: لا حَول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوَّة على طاعته إلا بمعونته وحكي هذا عنِ ابنِ مسعود رضي

(1) رواه الترمذي برقم (2953)، وحسنه الشيخ الألباني في سنن الترمذي.

(2) مجموع الفتاوى (5/ 239).

(3) النهاية في غريب الحديث (ص243).

(4) شرح مسلم (4/ 97-101).

الله عنه، وكله متقارب. **قال أهل اللغة**: ويعبَّر عن هذه الكلمة بالحوقلة والحولقة، وبالأول جزم الأزهري والجمهور، وبالثاني جزم الجوهري. اهـ.

إذن:

فالتسبيح: فيه تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وكماله.

والحمد: فيه إثبات أنواع الكمال له سبحانه.

والتهليل: فيه توحيده وإخلاص الدِّين له.

والتكبير: فيه تعظيمه سبحانه وأنه لا شيء أكبر منه.

والحَوقلة: فيها تفويض الأمر لله عز وجل وتبرؤ مِنَ الحول والقوة إلا به، وأن العبد لا يملك من أمره شيئا، ولا حيلة له في دفع شر، ولا قوة له في جلب خير إلا بإرادته سبحانه.

11- **(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)**.

- **(أشهدُ)**.

هذه الشهادة معناها الاعتراف والإقرار الذي يتبعه إعلام وإخبار، لأن الشهادة تشمل: اعتقاد القلب وإخبار اللسان. فمنِ اعتقد بقلبه دون أن يتكلم بلسانه لم يعدّ شاهدا، ومن تكلم بلسانه -كحال المنافقينَ- ولم يعتقد بقلبه لم يكن شاهدا بما دلّت عليه كلمة التوحيد.

إذن الشهادة في قوله: **(أشهد)** يعني: أعتقد وأعترف وأقرُّ لله بأنه هو المستحقُّ للعبادة وحده دونما سواه، وأخبِر وأعلم بأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

وهذا هو الذي فُسِّر به قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: 18]. ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ يعني أَعلم وأَخبر. ﴿والملائكة﴾ شهدوا بذلك، وأعلموا وأخبروا بذلك واعتقدوا ذلك. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ من خلقهِ شهدوا بذلك بمرتبتين: مرتبة الاعتقاد، ومرتبة القول[1].

(1) شرح مسلم (17/ 32).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته، وأنبياؤه ورسلُه قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران: 18-19]. فتضمنت هذه الآية: أجلَّ شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، مِن أجلِّ شاهد، بأجلّ مشهود به.

وعبارات السلف في (**شهد**) تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان، والإخبار. قال مجاهد: حكم، وقضى. وقال الزجاج: بيّن. وقالت طائفة: أعلمَ وأخبرَ. وهذه الأقوال كلها حقٌّ لا تنافي بينها.

فإن (الشهادة) تتضمن: كلام الشاهد وخبره وقوله. وتتضمن: إعلامه وإخباره وبيانه، فلها أربع مراتب: فأول مراتبها: علم ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلُّمُه بذلك، ونطقه به، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يعلم غيره بما شهِد به، ويخبره به، ويبينه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط: تضمنت هذه المراتب الأربعة: علم الله سبحانه بذلك. وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به[1].

- (**لا إله إلا الله**).

أي: لا معبود **بحقٍّ** إلا الله. أو: لا معبود **حق** إلا الله.

وفيها نفي وإثبات (**لا إله**) نفي العبودية عن كل مَن سوى الله. (**إلَّا الله**) إثبات للعبودية بكلِّ معانيها لله عزّ وجلّ.

- (**وحده لا شريك له**).

(**وحده**) تأكيد للإثبات. (**لا شريك له**) تأكيد للنفي.

---

(1) أفاده الشيخ صالح آل الشيخ في (شرح الواسطية).

قال الحافظ ابن حجر: تأكيد بعد تأكيد لمزيد الاعتناء بمقام التوحيد[1].

- (**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**).

(**له الملك**) أي: له جلَّ وعلا مطلق الملكوت. (**وله الحمد**) أي: جميع أصناف المحامد. (**وهو على كل شيء قدير**) فيه أن القدرة متعلقة بكل شيء، سواء ما يتعلق بأفعاله أو بأفعال الخلق، وأنه ما مِن شيء إلا وهو داخل تحت قدرته، فقدرة الله عزَّ وجلَّ شاملة لجميع الأشياء.

12- (**وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله**).

- (**وأشهد أنّ محمّدا**).

قال الإمام النووي رحمه الله: قال أهل اللغة: يقال رجل محمد ومحمود: إذا كثرت خصاله المحمودة. قال ابن فارس: وبذلك سمّي نبينا ﷺ محمدا يعني: لعلم الله تعالى بكثرة خصاله المحمودة ألهم أهله التسمية بذلك[2].

- (**عبده ورسوله**).

ليس إلها وليس مَلَكًا، وإنما هو عبدٌ من عبيد الله، شرّفه الله بالرسالة، فلا يُدَّعَى فيه أكثر مِن أنه رسول مِنَ الله عزَّ وجلَّ، وكفى بهذه المرتبة فضلا وشرفا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ووصف أكرم خلقه عليه، وأعلاهم عنده منزلةً بالعبودية في أشرف مقاماته، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: 23]. وقالتبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴿١﴾﴾ [الفرقان: 01]. وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴿١﴾﴾ [الكهف: 01]. فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه، وفي مقام التحدِّي بأن يأتوا بمثله. وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: 19]. فذكره بالعبودية في مقام الدعوة إليه. وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴿١﴾﴾ [الاسراء: 01]. فذكره بالعبودية في مقام الإسراء. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال:

---

(1) مرقاة المفاتيح (3/ 35).

(2) شرح مسلم (4/ 131).

(لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله). [1]اهـ[2].

قال الإمام المجدِّدُ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله: ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلَّا بما شرع. اهـ

-(طاعته فيما أمر)منَ الواجبات والمستحبات، وقد قرن الله طاعتَه بطاعة الرسول ﷺ، كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۝٨٠﴾ [النساء: 80].

-(وتصديقه فيما أخبر)به مِن أخبار الأمم الماضية، أو الأمور المستقبلة، فأخباره حقٌّ وصدق لا كذبَ فيها. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الإيمان يرجع إلى أصلينِ: طاعة الرسول ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر. اهـ[3].

-(واجتناب ما عنه نهى وزجر) أي: اجتناب كل ما نهى عنه وحذَّر منه، قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ۝٧﴾ [الحشر: 07]. وقال ﷺ: **(إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)** متفق عليه. (وألا يُعبد الله إلَّا بما شرع)سبحانه في كتابه، وما جاء به رسوله ﷺ، لا نعبده بالأهواء والبدع، قال الزهري-رحمه الله-: (مِنَ الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم)[4].

13- **(أستغفر الله).**

أي: أطلب مغفرتَه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الاستغفار هو محوُ الذنب وإزالة أثره، ووقاية شره[5].

---

(1) رواه البخاري رقم (3445).

(2) مدارج السالكين (1/ 116).

(3) أحكام أهل الذمة (2/ 451).

(4) ثلاثة الأصول وشرحها تيسير الوصول (ص137).

(5) مدارج السالكين (1/ 334).

14- **(أتوب إليه).**

أي: أرجع اليه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا[1].

15- **(الصلاة والسلام على رسول الله).**

- **(الصلاة على رسول الله).**

أولى ما قيل في معنى الصَّلاة على النبيِّ ﷺ قول أبي العالية: صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه وتعظيمه.

وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك مِنَ الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة. ذكره الحافظ في (الفتح) وردَّ القول المشهور أن صلاة الرَّبِّ الرحمة، وفصَّل ذلك ابن القيم في (جلاء الأفهام) بما لا مزيد عليه، فراجعه[2].

قلت: وقول أبي العالية أخرجه الإمام البخاري رحمه الله معلَّقا في (كتاب التفسير) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]. بلفظ: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

قال ابن عباس: يصلُّون: يبرِّكون.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الصلاة على النبي ﷺ هي ثناء الله تعالى عليه وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذِكره، وزيادة حبِّه وتقريبه[3].

- **(السلام على رسول الله).**

هذا دعاء للنبي ﷺ بالسلام، أي: السلامة مِنَ العيب والنقص، وأي آفة أو فساد.

---

(1) مدارج السالكين (1/ 333).

(2) صفة الصلاة (ص165).

(3) جلاء الأفهام (ص450).

قال الحافظ في(الفتح): قال التوربشتي: السلام بمعنى السلامة كالمقام والمقامة، والسلام مِن أسماء الله تعالى، وُضِع المصدر موضع الاسم مبالغةً، والمعنى أنه سالم مِن كل عيب وآفة ونقص وفساد، ومعنى قولنا: **(السلام عليك)** الدعاء، أي سلمتَ مِنَ المكاره، وقيل: معناه: (اسم السلام عليك)كأنه تبرُّك عليه باسم الله تعالى[1].

16- **(بارك الله فيك ولك وعليك)**.

البركة: الخير والنَّماء والزيادة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وحقيقتها: الثبوت، واللزوم، والاستقرار، فمنه برك البعير، إذا استقر على الأرض، ومنه المبرك لموضع البروك. وقال صاحب الصحاح: وكل شيء ثبت وأقام فقد برك، والبرك: الإبل الكثيرة، والبركة -بكسر الباء- كالحوض، والجمع: البرك، ذَكَره الجوهري، قال: ويقال: سمّيت بذلك لإقامة الماء فيها، والبراكاء: الثبات في الحرب والجدُّ فيها، قال الشاعر:

ولا ينجي مِنَ الغمرات إلا ... براكاء القتال أوِ الفرار

والبركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله وبارك فيه، وبارك عليه وبارك له اهـ[2].

فهذا الدعاء يتضمن إعطاءَه مِنَ الخير وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له، وزيادته، هذا حقيقة البركة.

17- **(الشيطان الرجيم)**.

الشيطان: اسم لكل متمرِّد عاتٍ: سُمِّي شيطانا لشطونه عنِ الخير، أي: تباعده. وقيل: لشيطه، أي: هلاكه واحتراقه. فعلى الأول النون أصلية، وعلى الثاني زائدة. و**(الرجيم)**: المطرود والمبعَد. وقيل: المرجوم بالشهب. كذا في المجموع(3/ 323)[3].

(1) فتح الباري (3/ 56).

(2) جلاء الأفهام (431-437).

(3) أصل صفة صلاة النبي ﷺ (270).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الشيطان: في لغة العرب مشتق مِن: شطن، إذا بَعُدَ فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل مشتق مِن شاط، لأنه مخلوق مِن نار، ومنهم مَن يقول: كلاهما صحيح في المعنَى، ولكن الأول أصح، وعليه يدلُّ كلام العرب.

والرجيم: فعيل بمعنى مفعول، أي: إنه مرجوم مطرود عنِ الخير كله[1].

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 176).



الخاتمة

هذا ما تيسر لي جمعه مِن كلام أهل العلم في هذا الموضوع، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ملحوظة: عندما أردت طبع الكتاب وقفت على الشرح الكبير الذي أخرجه صاحب الحصن الشيخ الدكتور سعيد بن وهف القحطاني حفظه الباري المسمى: **(إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم)** فقلت في نفسي: قطعت جهيزة قول كل خطيب[1]، ولا عطر بعد عروس[2].

واستفدت منه بعض الفوائد ألحقتها بمواضعها ولعلّ الله ييسر طبعة أخرى فأستفيد منه أكثر.

وفي الأخير: ما بقي لي إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج الكتاب من قريب أو بعيد قال ﷺ: **(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)**[3].

كما أطلب كل من قرأ كتابي هذا واطَّلع على خطإٍ أو سهو أو زلل أن ينبِّهني إليه ورحمه ربِّي رحمة واسعة.

قال بعض السلف: لو أني كلما أخطأت رمي في حجري بجوزة امتلأ حجري جوزا.

تم الكتاب وربنا محمود ... وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبي محمد صلواته ... ما ناح قمري وأورق عود

كتب: السبتي بن العربي غديري الجزائري
sebtibenlarbi@yahoo. com

---

(1) مجمع الأمثال (2/ 91).

(2) مجمع الأمثال (2/ 211).

(3) السلسة الصحيحة برقم (416).

فهرس المصادر والمراجع

-**إجتماع الجيوش الاسلامية**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.

-**أحكام أهل الذمة**: ابن قيم الجوزية، تحقيق يوسف البكري وشاكر العاروري، ط. رمادي للنشر المملكة العربية السعودية.

-**أحكام الجنائز وبدعها**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.

-**آداب الزفاف**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.

-**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**: شهاب الدين القسطلاني، ط. المطبعة الأميرية بولاق مصر.

-**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت.

-**أصل صفة صلاة النبي ﷺ**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.

-**إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**: ابن قيم الجوزية، تخريج الشيخ الألباني، تحقيق علي حسن ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.

-**اقتضاء الصراط المستقيم**: ابن تيمية الحراني، تحقيق ناصر العقل، ط. عالم الكتب المملكة العربية السعودية.

-**إكمال المعلم بفوائد مسلم**: القاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، ط. دار الوفاء مصر .

-**إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجة**: صفاء الضوِّي احمد العدوي، ط. مكتبة دار اليقين.

-**آية الكرسي وبراهين التوحيد**: عبد الرزاق البدر، ط. دار الفضيلة الجزائر.

-**الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**: ابن كثير الدمشقي، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق علي حسن، ط. مكتبة المعارف الرياض.

-**البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: محمد الأثيوبي، ط. ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.

-**البداية والنهاية**: ابن كثير الدمشقي، تحقيق عبد الله التركي، ط. دار هجر مصر القاهرة.

-**التبيان في أَيمان القرآن**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**الترغيب والترهيب**: عبد العظيم المنذري، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به مشهور حسن، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. دار باوزير المملكة العربية السعودية.
-**التسبيح في الكتاب والسنة**: محمد بن إسحاق كندو، ط. مكتبة دار المنهاج الرياض.
-**التفسير القيم**: ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط. الكتب العلمية بيروت.
-**التنوير شرح الجامع الصغير**، الأمير الصنعاني، تحقيق محمد اسحاق محمد ابراهي، ط. مكتبة دار السلام الرياض.
-**التوسل أنواعه وأحكامه**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**الثمر المستطاب**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. غراس الكويت.
-**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: الخطيب البغدادي، تحقيق محمد عجاج، ط. مؤسسة الرسالة بيروت.
-**الجامع لأحكام القرآن**: محمد القرطبي، تحقيق عبد الله التركي، ط. مؤسسة الرسالة بيروت.
-**الداء والدواء**: ابن قيم الجوزية، تحقيق علي حسن، ط. ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**الرسالة التبوكية**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**الأسنى شرح أسماء الله الحسنى**: محمد القرطبي، أشرف عليه مجدي السيد، ط. دار الصحابة مصر.
-**الشرح الممتع على كتاب زاد المستقنع**: محمد بن صالح العثيمين، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطِّلة**: ابن قيم الجوزية، تحقيق علي الدخيل، ط. دار العاصمة الرياض.
-**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.

-**العلم الهيب في شرح الكلم الطيب**: بدر الدين العيني، تحقيق خالد المصري، ط. مكتبة الرشد الرياض.
-**الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية**: محمد بن علان ، ط. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
-**الفروسية**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**الفوائد**: ابن قيم الجوزية، تحقيق علي حسن، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**القول المفيد على كتاب التوحيد**: محمد بن صالح العثيمين، ط. دار العاصمة للنشر المملكة العربية السعودية.
-**القول المبين في أخطاء المصلِّين**: مشهور حسن، ط. ابن حزم بيروت.
-**الكاشف عن حقائق السنن**: شرف الدين الطيبي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط. نزار مصطفى الباز مكة المكرمة.
-**الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**الكبائر**: شمس الدين الذهبي، تحقيق مشهور حسن، ط. مكتبة الفرقان الإمارات العربية المتحدة.
-**الكلم الطيب**: ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**الآداب الشرعية والمنح المرعية**: ابن مفلح الحنبلي، تحقيق بشير عيون، ط مكتبة البيان.
-**المنار المنيف في الصحيح والضعيف**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**المجموع شرح المهذب**: محي الدين النووي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، ط. مكتبة الإرشاد المملكة العربية السعودية.
-**المستدرك على الصحيحين**: الحاكم النيسابوري، ط. دار الحرمين مصر القاهرة.
-**الأدب المفرد**: محمد بن إسماعيل البخاري، ط. مؤسسة الريان بيروت.
-**الأذكار**: محي الدين النووي، تحقيق سليم الهلالي، ط. ابن حزم بيروت.
-**الأذكار**: محي الدين النووي ، تحقيق عامر ياسين، ط. دار ابن خزيمة المملكة العربية السعودية.
-**المسند**: أحمد بن حنبل، تحقيق الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة بيروت.

-**الموطأ**: مالك بن أنس، تحقيق سليم الهلالي، ط. مكتبة الفرقان دبي.
-**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: أحمد القرطبي، تحقيق محي الدين مستو وجماعة ط. دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق بيروت.
-**النبوات**: شيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز الطويان، ط. مكتبة أضواء السلف الرياض.
-**النكت على نزهة النظر**: علي حسن، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير الجزري، إشراف علي حسن، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**بدائع الفوائد**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين**: سليم الهلالي، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**: عبد الرحمن السعدي، ط. دار المنهج الجزائر.
-**تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**: محمد بن علي الشوكاني ط. مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
-**تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**: محمد المباركفوري، ط. دار الفكر بيروت.
-**تحفة المودود بأحكام المولود**: ابن قيم الجوزية، تحقيق سليم الهلالي ، ط. دار ابن عفان وابن القيم المملكة العربية السعودية.
-**تحذير الساجد منِ اتخاذ القبور مساجد**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**تذكرة الحفاظ**: شمس الدين الذهبي، ط. دار الكتب العلمية بيروت.
-**تصحيح الدعاء**: بكر أبو زيد، ط. دار العاصمة المملكة العربية السعودية.
-**تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفى السيد وجماعة، ط. مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث القاهرة.
-**تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)**: محمد بن صالح العثيمين، ط. دارابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

-**تفسير الفاتحة**: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق فهد الرومي، ط. مكتبة الحرمين الرياض.
-**تلبيس إبليس (المنتقى)**: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق علي حسن، ط. دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
-**تمام المنة في التعليق على فقه السنة**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. دار الراية الرياض.
-**تهذيب السنن**: ابن قيم الجوزية، تحقيق إسماعيل مرحبا، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**تهذيب اللغة**: للأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة.
-**توضيح الأحكام من بلوغ المرام**: عبد الله البسام، ط. مكتبة الأسدي مكة المكرمة.
-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق ط. مؤسسة الرسالة بيروت.
-**تيسير الوصول إلى شرح ثلاثة أصول**: عبد المحسن القاسم، ط. دار الريان الجزائر.
-**جامع الأصول في أحاديث الرسول**: ابن الأثير الجزري، تحقيق الأرنؤوط. ط. مطبعة الملاح بيروت.
-**جامع العلوم والحِكَم (إيقاظ الهِمَم)**: ابن رجب الحنبلي، تحقيق سليم الهلالي. ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**جامع البيان في تأويل آي القرآن**: ابن جرير الطبري: تحقيق عبد الله التركي. ط. دار هجر القاهرة.
-**جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام**: ابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور حسن، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**حاشية السندي على سنن ابن ماجة**: الإمام السندي، ط. دار المعرفة بيروت.
-**حاشية السندي على سنن النسائي**: الإمام السندي، ط. دار المعرفة بيروت.
-**حاشية السندي على مسند أحمد**: الإمام السندي، تحقيق طارق عوض الله، ط. دار الماثور المملكة العربية السعودية.
-**حجة النبي ﷺ كما رواها جابر رضي الله عنه**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الاسلامي بيروت.
-**دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**: محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.

-**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين**: محي الدين النووي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت.
-**زاد المعاد في هدي خير العباد**: ابن قيم الجوزية، تحقيق الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة بيروت.
-**زاد المسير**: ابن الجوزي، ط. المكتب الاسلامي بيروت.
-**سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام**: محمد الصنعاني، تحقيق محمد صبحي حلاق، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية
-**سلسلة الأحاديث الصحيحة**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**سلسلة الأحاديث الضعيفة**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به مشهور حسن، ط. دار المعارف الرياض.
-**سنن الترمذي**: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به مشهور حسن، ط. دار المعارف الرياض.
-**سنن النسائي**: أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به مشهور حسن، ط. دار المعارف الرياض.
-**سنن ابن ماجه**: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به مشهور حسن، ط. دار المعارف الرياض.
-**سنن الدارمي**: عبد الله الدارمي، تحقيق حسين الداراني، ط. دار المغني المملكة العربية السعودية.
-**سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبي، تحقيق الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة بيروت.
-**شأن الدعاء**: حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط. دار الثقافة العربية دمشق.
-**شرح الزرقاني على الموطإ**: محمد الزرقاني، ط. دار المعرفة بيروت.
-**شرح العقيدة الطحاوية**: ابن أبي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ط. المكتب الإسلامي بيروت.

-**شرح العقيدة الواسطية**: محمد بن صالح العثيمين، ط. دار الثريا للنشر المملكة العربية السعودية.
-**شرح العقيدة الواسطية**: صالح آل الشيخ، عناية عادل رفاعي، ط. دار الإمام أحمد القاهرة.
-**شرح حصن المسلم**: مجدي الأحمد، ط. دار ابن الجوزي القاهرة.
-**شرح رسالة العبودية**: صالح الفوزان، اعتنى به فهد الفعيم، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
-**شرح رياض الصالحين**: محمد بن صالح العثيمين، ط. مدار الوطن للنشر الرياض.
-**شرح الأربعين النووية**: صالح آل الشيخ، عناية عادل رفاعي، ط. دار العاصمة المملكة العربية السعودية.
-**شرح سنن النسائي**: محمد ابن الشيخ علي بن آدم الأثيوبي، ط. دار المعراج الدولية للنشر الرياض.
-**شرح شمائل الترمذي**: عبد الرزاق البدر، ط. دار الفضيلة الجزائر.
-**شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**: عبد الله الغنيمان، ط. مكتبة الدار المدينة المنورة.
-**شرح مشكل الآثار**: أحمد الطحاوي، حققه شعيب الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة بيروت.
-**شرح صحيح مسلم**: محي الدين النووي، تحقيق ط. دار الفيحاء سورية دمشق، دار ابن باديس الجزائر.
-**شرح صحيح الأدب المفرد**: حسين العوايشة، ط. دار ابن حزم بيروت.
-**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: ابن قيم الجوزية، تحرير الحساني حسن عبد الله، ط. مكتبة دار التراث القاهرة.
-**صحيح الأدب المفرد**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة الدليل المملكة العربية السعودية.
-**صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت.
-**صفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراها**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض.
-**ضعيف الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت.

-**طريق الهجرتين وباب السعادتين**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي**: ابن عربي المالكي، ط. دار الكتب العلمية بيروت.
-**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)**: ابن الصلاح، تحقيق نورالدين عتر.
-**عمل اليوم والليلة**: أحمد النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، ط. مؤسسة الرسالة بيروت.
-**عمل اليوم والليلة**: ابن السني، تحقيق: سليم الهلالي(عجالة الراغب)، ط. ابن حزم بيروت.
-**عون المعبود شرح سنن أبي داود**: محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
-**غريب الحديث**: حمد بن محمد الخطابي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ط. دار الفكر دمشق.
-**فتاوى اللجنة الدائمة**: جمع وترتيب أحمد الدويش، ط. دار المؤيد الرياض.
-**فتاوى الشيخ أحمد حماني**: ط. دار عالم المعرفة الجزائر.
-**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: أحمد بن حجر العسقلاني، اعتنى به الفاريابي، ط. دار طيبة الرياض.
-**فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**: عبد الرحمن بن حسن، تحقيق: الوليد آل فريان، ط. دار المؤيد الرياض.
-**فتح العليم في شرح أذكار وأدعية الصلاة منَ التكبير إلى التسليم**: حسين العوايشة، ط. ابن حزم بيروت.
-**فتيا في صيغة الحمد**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**فضل آية الكرسي وتفسيرها**: فضل الهي، ط. دار ابن حزم بيروت لبنان.
-**فقه الأسماء الحسنى**: عبد الرزاق البدر، ط. دار التوحيد للنشر الرياض.
-**فقه الأدعية والأذكار**: عبد الرزاق البدر، ط. دار ابن عفان وابن القيم المملكة العربية السعودية.

-**فيض القدير شرح الجامع الصغير**: عبد الرؤوف المناوي، ط. دار المعرفة بيروت لبنان.
-**قصة المسيح الدجال**: محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتبة الإسلامية عمان الأردن.
-**كتاب البدع**: ابن وضاح القرطبي، تحقيق عمرو عبد المنعم، ط. مكتبة ابن تيمية مصر.
-**كتاب الدعاء**: سليمان الطبراني، تحقيق محمد سعيد البخاري، ط. دار البشائر الإسلامية بيروت.
-**كتاب الصلاة**: ابن قيم الجوزية، إشراف بكر أبو زيد، ط. دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
-**لسان العرب**: ابن منظور، ط. دار المعارف القاهرة.
-**لفتة الكبد إلى نصيحة الولد**: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق أشرف بن عبد المقصود ط. مكتبة الإمام البخاري مصر.
-**مباحث في علوم القرآن**: مناع القطان، ط. مكتبة وهبة القاهرة.
-**مجموع الفتاوى**: ابن تيمية الحراني، اعتنى بها عامر الجزار وأنور الباز، ط. دار الوفاء المنصورة.
-**مختصر الصواعق المرسلة**: ابن قيم الجوزية، اختصار محمد الموصلي.
-**مختصر صحيح مسلم**: عبد العظيم المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت.
-**مختصر العلو للعلي الغفار**: شمس الدين الذهبي، اختصار محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت.
-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: ابن قيم الجوزية، تحقيق مجموعة من العلماء، ط. الكتب العلمية بيروت.
-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي القاري، تحقيق جمال عيتاني، ط. دار الكتب العلمية بيروت.
-**مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: عبيد الله المباركفوري، ط. إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية الهند.
-**مسند البزار**: أحمد البزار، تحقيق محفوظ الرحمن، ط. مؤسسة علوم القرآن بيروت.
-**معالم التنزيل**: الحسين البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخران، ط. دار طيبة الرياض.

-**معالم السنن**: حمد بن محمد الخطابي، صححه محمد راغب الطباخ، ط. المطبعة العلمية حلب.
-**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**: حافظ الحكمي، ضبطه وخرج أحاديثه عمر بن محمود، ط. دار ابن القيم المملكة العربية السعودية.
-**معجم المناهي اللفظية**: بكر أبو زيد، ط. دار العاصمة المملكة العربية السعودية.
-**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**: ابن قيم الجوزية، تحقيق علي حسن ط. دار ابن عفان المملكة العربية السعودية.
-**مفردات ألفاظ القرآن**: الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، ط دار القلم دمشق.
-**منهاج السنة النبوية**: ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم.
-**منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى**: مشرف الغامدي، ط. جامعة أم القرى.
-**موسوعة شروح الموطإ**: ابن عبد البر وابن العربي، تحقيق عبد المحسن التركي، ط. مركز هجر للبحوث القاهرة.
-**نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار**: محمد الشوكاني، تحقيق محمد صبحي حلاق، ط. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية.
40- **سؤالا في أحكام المولود**: محمد علي فركوس، ط. دار الرغائب الجزائر.

فهرس الموضوعات